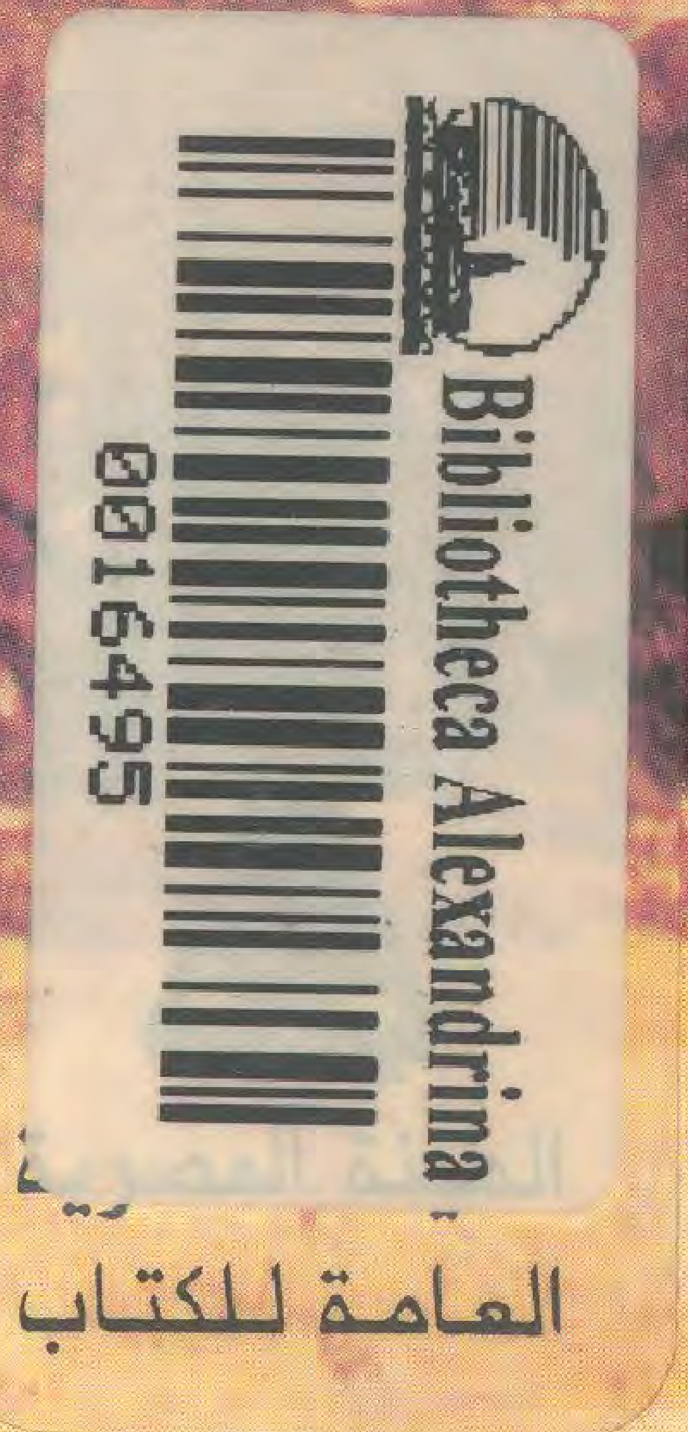
الألف كتاب
الثانى
٢٩٣

أحمد فريد رفاعى

عصر المأمون

الجزء الثانى



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

عصر المأمون

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

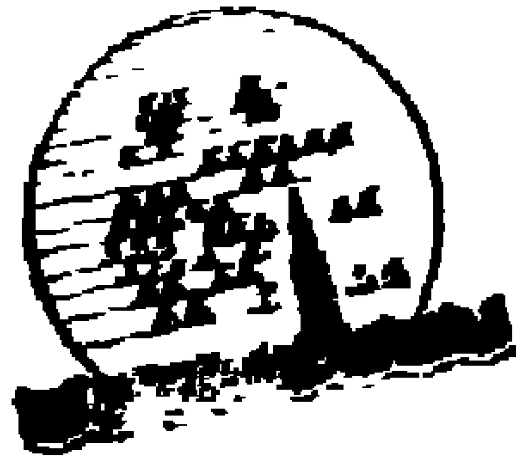
عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى

علياء أبوشادى

عصر المأمون

الجزء الثانى



أحمد فريد رفاعى

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧

الفهـــــــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال: «في غده: لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

العماد الأصفهاني

ملحـــــق

الكتـــاب الثـــانى

باب المنثـــور

شرحنا لك فى المجلد الأول ما كانت عليه الكتابة فى عصر العباسيين من جودة اللفظ ، ومتانة الأسلوب ، وجلاء المعنى ، ووضوح القصد وبساطته • ووعدناك بذكر طرف من رسائل القوم فى ذلك العصر الزاهى الزاهر ، واليك ما وعدناك به :

١ ـ مشاورة المهدى لأهل بيته فى حرب خراسان

قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد :

هذا ما تراجع فيه المهـدى ووزراؤه وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خراسان أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ، ونقضوا موثقهم ، وطردوا العمال ، والتووا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدى ما يحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دالتهم ، تطولا بالفضل واتساعا بالعفو وأخذا بالحجة ورفقا بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذ حمله الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رفيقا بمدار سلطانه ، بصيرا بأهل زمانه ، باسطا للمعدلة فى رعيته ، تسكن الى كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحمله ، فاذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوادة ولا اغضاء ولا مداهنة ، أثرة للحق وقياما بالعدل وأخذا بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحمله والثقة بعفوه أن كسروا (١) الخراج وطردوا العمال وسألوا

---

(١) كسروا الخراج أى كفوا عن ادائه •

ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجا باعتذار ، وخصومة باقرار ، وتنصلا باعتلال ، فلما انتهى ذلك الى المهدى خرج الى مجلس خلائه وبعث نفر من لحمته ووزرائه ، فأعلمهم الحال واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى بالابتداء ، وقال للعباس ابن محمد : أى عم ! تعقب قولنا وكن حكما بيننا ، وأرسل الى ولديه موسى وهارون ، فأحضرهما الأمر وشاركهما فى الرأى ، وأمر محمد بن الليث (١) بحفظ مراجعتهم ، واثبات مقالتهم فى كتاب ٠

قال سلام (٢) صاحب المظالم :

أيها المهدى ، ان فى كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعرفوا بها وعرفت بهم ، ولهذه الأمور التى جعلتنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور وقادة الجنود وفرسان الهزاهز (٣) واخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها ، وفيأتهم ظلالها ، وعضتهم شدائدها ، وقرمتهم نواجذها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لوجدت نظائر تؤيد أمرك ، وتجارب توافق نظرك ، وأحاديث تقوى قلبك ، فأما نحن معاشر عمالك ، وأصحاب دواوينك ، فحسن بنا وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من امضاء عدلك ، وانفاذ حكمك ، واظهار حقك ٠

فأجابه المهدى : ان فى كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفى كل حال تدبيرا يبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا ٠

قال : نعم أيها المهدى ، أنت متبع الرأى ، وثيق العقدة ، قوى المنة (٤) ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، ومؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، معان بالظفر ، مهدى الى الخير ، ان هممت نفى عزمك مواقع الظن ، وان اجتمعت صدع فعلك ملتبس الشك ، فاعزم يهد الله الى الصواب قلبك ، وقل ينطق الله بالحق لسانك ، فان جنودك جمة ، وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ ٠

---

(١) هو ابن الليث بن نصير بن سيار ٠ وكان أرسل المهدى اياه الليث لمحاربة المقنع فلم يتمكن منه ٠ وكان ابنه محمد هذا من كتاب المهدى ولم تعرف سنة وفاته ٠

(٢) هو سلام بن الأبرش ، استعمله المنصور ثم تولى العقوبات فى أيام المهدى ٠

(٣) الهزاهز : تحريك البلايا والحروب فى الناس ٠

(٤) المنة . القوة ٠

فأجابه المهدى : ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يهلك عليهما رأى ، ولا يتغيل (١) معهما حزم ، فأشيروا برأيكم ، وقولوا بما يحضركم ، فانى من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيـــع :

أيها المهدى ، ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة ، وان الاشارة ببعض معاريض (٢) القول يسيرة ، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة ، متراخية الشقة ، متفاوتة السبيل ، فاذا ارتأيت من محكم التدبير ، ومبرم التقدير ، ولباب الصواب ، رأيا قد أحكمه نظرك ، وقلبه تدبيرك ، فليس وراءه مذهب طاعن ، ولا دونه معلق لخصومة عائب ، ثم أجبت البرد به ، وانطوت الرسل عليه ، كان بالحرى ألا يصل اليهم محكمه الا وقد حدث منهم ما ينقضه ، فما أيسر أن ترجع اليك الرسل ، وترد عليك الكتب بحقائق أخبارهم ، وشوارد آثارهم ، ومصادر أمورهم ، فتحدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه ، وقد انفرجت الحلق ، وتحللت العقد ، واسترخى الحقاب (٣) ، وامتد الزمان ، ثم لعلما موقع الآخرة كمصدر الأولى ، ولكن الرأى لك أيها المهدى ــ وفقك الله ــ أن تصرف اجالة النظر ، وتقليب الفكر ، فيما جمعتنا له ، واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم ، والحيل فى أمرهم ، الى الطلب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس موصوفا بهوى فى سواك ، ولا متهما فى أثرة عليك ، ولا ظنينا (٤) على دخلة مكروهة ، ولا منسوبا الى بدعة محذورة ، فيقدح فى ملكك ، ويربض (٥) الأمور لغيرك ، ثم تسند اليه أمورهم ، وتفوض اليه حربهم ، وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم ، وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى عند استحالة الأمور ، واشتداد الأحوال التى ينقض أمر الغائب عنها ، ويثبت رأى الشاهد لها ، فانه اذا فعل ذلك فواثب أمرهم من قريب ، وسقط عنه ما يأتى من بعيد ، تمت الحيلة وقويت المكيدة ، ونفذ العمل وأحد النظر ، ان شاء الله .

قال الفضل بن العباس :

أيها المهدى ، ان ولى الأمور وسائس الحروب ربما نحى جنوده ، وفرق أمواله فى غير ما ضيق أمر حزبه ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعد عند الحاجة اليها ،

---

(١) لا يتغيل : لا يضعف .
(٢) معاريض الكلام ما عرض به ولم يصرح وهى التورية بالشىء عن الشىء .
(٣) الحقاب : شىء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى تشده على وسطها .
(٤) ظنينا : متهما . ودخلة مكروهة : أى نية سيئة .
(٥) ربضه أى أثبته .

وبعد التفرقة لها عديما منها فاقدا لها ، لا يثق بقوة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفزع الى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدى ــ وفقك الله ــ أن تعفى خزائنك من الانفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة الأخطار ، وتغرير القتال ، ولا تسرع للقوم في الاجابة الى ما يطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجرىء من رعيتك غيرهم ، ولكن اغزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم بالرفق ، وأبرق (١) لهم بالقول ، وأرعد نحوهم بالفعل وابعث البعوث (٢) ، وجند الجنود وكتب الكتائب ، واعقد الالوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك موجه اليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم ، وأسوئهم أثرا فيهم ، ثم ادسس الرسل ، وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فان مرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناصبة بالكتب ، والمكايدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل فى القلوب ، القوى الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين الذى يستميل القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعى المواتاة ، أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح ، كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة ، أحكم عملا وألطف منظرا وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك الا بالقتال ، والاتلاف للأموال والتغرير والخطار (٣) .

وليعلم المهدى أنه ان وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غششة ، ان أئتمنهم استنفدوا ماله ، وان استنصحهم كانوا عليه لا له .

قال المهدى : هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، ومجد حقه فى القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم ، ثم نظر الى ابنه على فقال : ما تقول ؟

قال على :

أيها المهدى ، ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ، ولم ينصبوا من دونك أحدا يقدح فى تغيير ملكك ، ويربض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب

---

(١) أبرق وأرعد بمعنى تهدد وتوعد .

(٢) البعوث : الجيوش .

(٣) الخطار : الاشراف على هلكة .

أيسر ، والشأن أصغر والحال أدل ، لأن الله مع حقه الذى لا يخذله ، وعند موعده الذى لا يخلفه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكما ، طلبوا حقا ، وسألوا انصافا ، فان أجبت الى دعوتهم ونفست (١) عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب ، وأطفأت نائرة (٢) الحرب ، ووفرت خزائن المال ، وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك ، وسجية حلمك ، وسجاح (٣) خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تنسب الى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقى دربة ، وان منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم الى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم فى ميدان الخطاب ، فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته ، مقرين بمملكته ، مذعنين لطاعته ، لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يبرئونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ومضمار المخاطرة ، أيريد المهدى - وفقه الله - الأموال ؟ فلعمرى لا ينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منها ، مما يطلب منهم وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها فحملت اليه ، أو وضعت بخرائطها (٤) بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها ، لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليه ، وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه ، فان قال المهدى : هذا رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاتنا ، فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود ، وأنطقوا لسان الارجاف (٥) وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم ، فيعلم المهدى أنه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد ، مقرنين فى الأصفاد ، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ، ولاقالة عثرتهم صفحه ، واستبقاهم لما هم فيه من حزبه ، أو لمن بازائهم من عدوه ، لما كان بدعا من رأيه ، ولا مستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوا ، وأشدها وقعا ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاظمه عفو ، ولا يتكاءده (٦) صفح ، وان عظم الذنب وجل الخطب ، فالرأى للمهدى - وفقه الله تعالى - أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله فى العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم ، برا بهم وتوسعا لهم ، فانهم اخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم

---

(١) نفست عنهم : فرجت عنهم .

(٢) نائرة الحرب : ما اشتعل واتقد منها .

(٣) الاسجاح : مصدر أسجح الوالى . اذا أحسن العفو .

(٤) الخريطة : وعاء من أدم وغيره .

(٥) الارجاف : مصدر أرجف القوم اذا خاضوا فى أخبار الفتن على أن يوقعوا فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء .

(٦) لا يتكاءده : لا يشق عليه .

يصول ، وبحجتهم يقول ، وانما مثلهم فيما دخلوا من مساخطه ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانطووا فيه عن اجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو نقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متآزرين ، أصاب أحدهما خبل عارض ، ولهو حادث ، فنهض الى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزدد أخوه الا رقة له ولطفا به ، واحتيالا لمداواة مرضه ومراجعة حاله ، عطفا عليه وبرا ومرحمة له .

فقال المهدي : أما علي فقد كوى سمت اللبان ، وفض القلوب في أهل خراسان ، ولكل نبأ مستقر ، ثم قال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعني موسى ابنه .

فقال موسى :

أيها المهدي ، لا تسكن الى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحال من القوم ينادي بمضمرة شر ، وخفية حقد ، قد جعلوا المعاذير عليها سترا ، واتخذوا العلل من دونها حجابا ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ، فيكسروا حيل المهدي فيهم ، ويفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ، والمهدي من قولهم في حال غرة ولباس أمنة ، قد فتر لها وأنس وسكن اليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال ، والاضمار للقراع عن داعية ضلال ، أو شيطان فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الولاة ، وغب سكون الأمور ، فليشدد المهدي — وفقه الله — أزره لهم ويكتب كتائبه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم الا كانت دربة الى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية الى عودتهم ، وسببا لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين ان أقرهم وتلك العادة ، وأجراهم على ذلك الأرب ، ولم يبرح في فتق حادث وخلاف حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وان طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدربة ، لم يصل الى ذلك الا بالعقوبة المفرطة ، والمؤونة الشديدة ، والرأي للمهدي وفقه الله — ألا يقيل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ويستحر بهم (١) القتل ، ويحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهدي بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم ، واحتمال المهدي مؤونة غزوتهم هذه يضع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة .

---

(١) يستحر : يشتد ويقوى .

قال المهدى : قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد :

أيها المهـدى :

أما الموالى فأخذوا بفروع الرأى ، وسلكوا جنبات الصواب ، وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاربهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تنفق ، والجنود ألا تفرق ، وبألا يعطى القوم ما طلبوا ، ولا يبذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمر بين ذلك استصغارا لأمرهم واستهانة بحربهم ، وانما يهيج جسيمات الأمور صغارها .

وأما على فأشار باللين وافراط الرفق ، واذا جرد الوالى لمن غمط (١) أمره وسفه حقه ، اللين بحتا والخير محضا ، لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب عن لينه ، ولا بشر يحبسهم الى خيره ، فقد ملكهم الخلع لعذرهم (٢) ووسع لهم الفرجة لثنى أعناقهم ، فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدة ، فنزوة (٣) فى رءوسهم يستدعون بها البلاء الى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم ، وان لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لاجابته باللين المحض والخير الصراح ، فذلك ما عليه الظن بهم والرأى فيهم ، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم ، لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والملك الكبير ما لا يخطر على قلب بشر ولا تدركه الفكر ولا تعلمه نفس ، ثم دعا الناس اليها ورغبهم فيها ، فلولا أنه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها الى الجنة ، لما أجابوا ولا قبلوا .

وأما موسى فأشار بأن يعصبوا (٤) بشدة لا لين فيها ، وأن يرموا بشر لا خير معه ، واذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته ، وخالف جماعته ، الخوف مفردا ، والشر مجردا ، ليس معهما طمع ولا لين يثنيهم ، اشتدت الأمور بهم ، وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين : اما أن تدخلهم الحمية من الشدة ، والأنفة من الذلة ، والامتعاض من القهر ، فيدعوهم ذلك الى التمادى فى الخـلاف ، والاستبسال فى القتـال ، والاستسلام للموت ، واما أن ينقادوا بالكره ، ويذعنوا بالقهر على بغضة لازمة ، وعداوة باقية ، تورث النفاق وتعقب الشقاق ، فاذا أمكنتهم فرصة ، أو ثابت لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم الى أصعب وأغلظ وأشد مما كان .

---

(١) غمط الأمر : ازدراه . وسفه حقه : امتهنه وبخسه .
(٢) العذر جمع عذار .
(٣) النزوة : الوثوب الى الشر .
(٤) عصب الشيء : لواه وشده .

وقال في قول الفضل :

أيها المهدى ، أكفي دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بان ، قد أجمع رأيه وحزم نظره على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع اعطائهم ما سألوا من الحق ، واجابتهم الى ما سألوه من العدل ·

قال المهدى : ذلك رأى ·

قال هارون :

ما خلطت الشدة أيها المهدى باللين ، وانتظم أمر الدنيا بالدين ، فصارت الشدة أمر فطام (١) لما تكره ، وعاد اللين أهدى قائد الى ما تحب ، ولكن أرى غير ذلك ·

قال المهدى :

لقد قلت قولا بديعا ، خالفت فيه أهل بيتك جميعا ، والمرء مؤتمن بما قال ، وظنين (٢) بما ادعى حتى يأتى ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت ·

قال هارون :

أيها المهدى ، ان الحرب خدعة ، والأعاجم قوم مكرة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطن ما يسرون على ظاهر ما يعلنون ، وربما افترقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تبطن ، واستسر بمدخولة لا تعلن ، والطبيب ألرفيق بطبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدم يده وموضع ميسمه (٣) ، لا يتعجل بالدواء ، حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأى للمهدى — وفقه الله — أن يفر باطن أمرهم فر (٤) المسنة ، ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالاة العيون ، حتى تهتك حجب عيونهم ، وتكشف أغطية أمورهم ، فان انفرجت الحال ، وأفضت الأمور به الى تغيير حال أو داعية ضلال ، اشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرجال اليه ، وامتدت الأعناق نحوه بدين يعتقدونه ، واثم يستحلونه ، عصبهم بشدة لا لين فيها ، ورماهم بعقوبة لا عفو معها ، وان انفرجت العيون ، واهتصرت الستور ، ورفعت الحجب ، والحال فيهم مريعة ، والأمور بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها ، وأعمال ينكرونها ، وظلامات يدعونها ، وحقوق يسألونها ، بماتة (٥) سابقتهم ، ودالة مناصحتهم ، فالرأى للمهدى

(١) الفطام هنا : القطع والاستئصال ·
(٢) ظنين بما ادعى : متهم بدعواه ·
(٣) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان ·
(٤) فر الدابة : فتح فاها وكشف عن أسنانها ينظر ما سنها · والمسن من الدواب ما دخل فى الثامنة ·
(٥) الماتة (بتشديد وفتح التاء) الحرمة والوسيلة ·

ـ وفقه الله ـ أن يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويشعب من أمرهم ما صدعوا ، ويرتق من فتقهم ما قطعوا ، ويولى عليهم من أحبوا ، ويداوى بذلك مرض قلوبهم ، وفساد أمورهم ، فانما المهدى ، وأمته ، وسواد مملكته ، بمنزلة الطبيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعى المجرب الذى يحتال لمرابض غنمه ، وضوال رعيته ، حتى يبرىء المريضة من داء علتها ويرد الصحيحة الى أنس جماعتها ، ثم ان خراسان بخاصة الدين ليم دالة محمولة ، وماتة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لأنهم أيدى دولته ، وسيوف دعوته ، وأنصار حقه ، وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ، ولا المؤاخذة لهم ، ولا التوغير (١) بهم ، ولا المكافاة باساءتهم ، لأن مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ ، أحزم فى الرأى ، وأصح فى التدبير من التأخير لها والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها الى جمهورها ٠

قال المهدى : ما زال هارون يقع وقع الحيا جتى خرج خروج القدح من الماء ، وانسل انسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأى ، وثنى بعده هارون ، ولكن من لأعنة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟ ٠

قال صالح :

لسنا نبلغ أيها المهدى بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك ، وبعض لحظات نظرك ، وليس ينفض عنك من بيوتات العرب ورجال العجم ذو دين فاضل ، ورأى كامل ، وتدبير قوى ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقيبة (٢) ، مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد توليه أمرك وتسند اليه ثغرك ، الا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد ٠

قال المهدى : انى لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأى ، والاعتبار للمشاورة فى الأمر المهم ٠

---

(١) التوغير بهم : التشديد عليهم ٠

(٢) ميمون النقيبة : أى مبارك النفس ينجح فيما يحاول ٠ ومخبور التجارب : خبير بها ٠

قال محمد بن الليث :

أهل خراسان أيها المهدى ، قوم ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة (١) ، والعجله فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم وسيوفهم عذلهم (٢) ، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ، ولا يفطمون الا بالمر ، وان ولى المهدى عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء ، وان ولى أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء ، وان أخر المهدى أمرهم ، ودافع حربهم ، حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه ، أو بنى عمه أو بنى أبيه ، ناصحا يتفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له املاؤهم بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا مصيبة تنفرهم ، تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وان جد ، ولا يستصلحه وان جهد ، الا بعد دهر طويل ، شر كبير ، وليس المهدى ـ وفقه الله ـ فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ٠ ولا عدل فى ذلك بهما :

أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، وصخرة لا تزعزع ، وبهمة لا يثنى ، وبازل لا يفزعه صوت الجلجل ، نقى العرض ، نزيه النفس ، جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة بهمته ، فجعل الغرض الأقصى لعينه نصبا ، والغرض الأدنى لقدمه موطئا ، فليس يقبل عملا ، ولا يتعدى أملا ، وهو رأس مواليك ، وأنصح بنى أبيك ، رجل قد غذى بلطيف كرامتك ، ونبت فى ظل دولتك ، ونشأ على قوائم أدبك ، فان قلدته أمرهم ، وحملته ثقلهم ، وأسندت اليه ثغرهم ، كان قفلا فتحه أمرك ، وبابا أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا ، والانصاف بينه وبينهم حاكما ، واذا حكم النصفة وسلك المعدلة ، فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم ، غرس فى الذى لك بين صدورهم ، وأسكن فى السويداء داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع ، متماثلة فى حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريب الا نفوه ، ولا يلزمهم حق الا أدوه ، وهذا أحدهما ٠

والآخر عود من غيضتك ، ونبعة من أرومتك ، فتى السن كهل الحلم راجح العقل محمود الصرامة مأمون الخلاف ، يجرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره بقدر

---

(١) العازب : الغائب ٠

(٢) العذل (بالفتح) اسم مصدر من العذل بمعنى اللوم ومنه المثل « سبق السيف العذل » يضرب لما قد فات ٠٠

ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان أيها المهدى ، فسلطه ـ أعزك الله ـ عليهم ، ووجهه بالجيوش اليهم ، ولا تمنعك ضراعة (١) سنه ، وحداثة مولده ، فان الحلم والثقة مع الحداثة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وانما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كفراخ عتاق (٢) الطير المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت فى صدوركم ، مزروع فى قلوبكم ، مستحكم لكم ، متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

قال معاوية بن عبد الله :

افتاء أهل بيتك أيها المهدى فى الحلم على ما ذكر . وأهل خراسان فى حال عز على ما وصف ، ولكن ان ولى المهدى عليهم رجلا ليس بقديم الذكر فى الجنود ، ولا بنبيه الصوت فى الحروب ، ولا بطويل التجربة للأمور ، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة فى الأعداء ، دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان ، أحدهما : ان الأعداء يغتمزونها منه ويحتقرونها فيه ، ويجترئون بها عليه فى النهوض به والمقارعة له ، والخلاف عليه ، قبل الاختبار لأمره ، والتكشف لحاله والعلم بطباعه . والأمر الآخر : أن الجنود التى يقود والجيوش التى يسوس اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ، ولم يعرفوه بالصيت والهيبة ، انكسرت شجاعتهم ، وماتت نجدتهم ، واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ، ووقوع معرفتهم ، وربما وقع البوار قبل الاختبار ، وبباب المهدى ـ وفقه الله ـ رجل مهيب نبيه حنيك صيت ، له نسب زاك وصوت عال ، قد قاد الجيوش وساس الحروب ، وتألف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة ، ووثقوا به كل الثقة ، فلو ولاه المهدى أمرهم ، لكفاه الله شرهم .

قال المهدى : جانبت قصد الرمية ، وأبيت الا عصبية ، اذ رأي الحدث من أهل بيتنا ، كرأى عشرة حلماء من غيرنا ، ولكن أين تركتم ولى العهد .

قالـــوا :

لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله ، بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه ، وستر من

---

(١) ضراعة سنة : شبابه وحداثة سنه .

(٢) عتاق الطير : كرام الطير .

دون عباده علم ما تختلف به الأيام ، ومعرفة ما تجرى عليه المقادير ، من حوادث الأمور وريب المنون المخترمة لخوالى القـرون ومواضى الملوك فكرهنا شسوعه (١) عن محلة الملك ودار السلطان ومقر الامامة والولاية وموضع المدائن والخزائن ، ومستقر الجنود ومعدن الجود ، ومجمع الأموال التى جعلها الله قطبا لدار الملك ومصيدة لقلوب الناس ومثابة لاخوان الطمع وثوار الفتن ، ودواعى البدع وفرسان الضلال وأبناء الموت ٠ وقلنا : ان وجه المهدى ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود المرسل من قبله ، لم يستطع المهدى أن يعقبهم بغيره الا أن ينهد اليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم وهول شديد ، ان تنفست الأيام بمقامه ، واستدارت الحال بامامه ، حتى يقع عوض لا يستغنى عنه ، أو يحدث أمر لا بد منه ، صار ما بعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا تبعا وبه متصلا ٠

قال المهـــدى :

الخطب أيسر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ما تصفون الأمر عليه ، نحن أهل البيت نجرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور ، على سابق من العلم ومحتوم من الأمر ، قد أنبأت به الكتب ونبأت عليه الرسل ، وقد تناهى ذلك بأجمعه الينا ، وتكامل بحذافيره عندنا ، فبه ندبر وعلى الله نتوكل ٠ انه لابد لولى عهدى وولى عهد عقبى بعدى أن يقود الى خراسان البعوث ، ويتوجه نحوها بالجنود ٠

أما الأول فانه يقدم اليهم رسله ، ويعمل فيهم حيله ، ثم يخرج نشطا اليهم حنقا عليهم ، يريد ألا يدع أحدا من اخوان الفتن ودواعى البدع وفرسان الضلال ، الا توطأه بحر القتل وألبسه قناع القهر ، وقلده طوق الذل ، ولا أحد من الذين عملوا فى قص جناح الفتنة ، واخماد نار البدعة ، ونصرة ولاة الحق ، الا أجرى عليهم ديم فضله ، وجداول نيله ، فاذا خرج مزمعا مجمعا عليه ، لم يسر الا قليلا حتى تأتيه أن قد عملت حيله ، وكدحت (٢) كتبه ونفذت مكايده ، فهدأت نافرة القلوب ووقعت (٣) طائرة الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظرا لهم ، وبرا بهم ، وتعطفا عليهم ، الى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال ٠

وأما الآخر فانه يوجه اليهم ، ثم تعتقد له الحجة عليهم ، باعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ، فاذا سمحت الفرق بقراباتها له ، وجنح أهل النواحى بأعناقهم

---

(١) شسوعه : ابتعاده ٠

(٢) سعت ودأبت حتى أثرت ٠

(٣) وقعت طائرة الأهواء : خمد غضبها وسكن روعها ٠

نحوه ، فأصغت اليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود قصد لأول ناحية نجعت بطاعتها وألقت بأزمتها ، فألبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظل كرامته ، وخصها بعظيم حبائه ، ثم عم الجماعة بالمعدلة ، وتعطف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية ، الا دخلت عليها بركته ، ووصلت اليها منفعته ، فأغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع وضيعها ، وزاد رفيعها ما خلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وتبطىء عن اجابته ، وتتثاقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه ، فيصطلى عليها موجدة ويبتنى لها علة ، لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحر بهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التتبع ، حتى يخرب البلاد ، ويوتم الأولاد ، وناحية لا يبسط لهم أمانا ، ولا يقبل لهم عهداً ولا يجعل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب الفتنة ، وربض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب هرابهم في لجج البحار ، وقلل الجبال ، وخمل الأودية ، وبطون الأرض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أيامى ، وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا .

وأما موسى ولى عهدى فهذا أوان توجهه الى خراسان ، وحلوله بجرجان ، وما قضى الله له من الشخوص اليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبة ، وله باذن الله عاقبة من المقام ، بحيث يغمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ، ويتذأب (١) مشرق نوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس .

قال محمد بن الليث :

أيها المهدى : ان ولى عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علما ، قد تثنت نحوه أعناقها ومدت سمته أبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ، ومحل جواره لك ، عطل الحال غفل الأمر واسع العذر ، فأما اذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار الى تدبيره ، فان من شأن العامة أن تتفقد (٢) مخارج رأيه ، وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله في بره ومرحمته واقسـاطه ومعدلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سبق اليهم أغلب عليهم وأملك (٣) الأمور بهم وألزمهـا لقلوبهم ، وأشدها استمالة لرأيهم وعطفا لأهوائهم ، فلا يفتأ المهدى ـ وفقه الله ـ

---

(١) يتذأب : يخبث .
(٢) تتفقد مخرج رأيه : أى تفحص عن وجوه رأيه وتدبيره .
(٣) أملك الأمور : أضبطها .

ناظرا له فيما يقوى عهد مملكته ، ويسدد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته بأمر هو أزين لحاله وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لأمره ، وأجل موقعا فى قلوب رعيته ، وأحمد حالا فى نفوس أهل ملته ، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له ، وأبلغ فى استعطاف القلوب عليه ، من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهدى ـ وفقه الله ـ من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر ، أقواما تسكن اليهم العامة اذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم اذا وصفوا ، ثم تسهل لهم عمارة سبل الاحسان وفتح باب المعروف ، كما قد كان فتح له وسهل عليـــه ٠

قال المهدى : صدقت ونصحت ، ثم بعث فى ابنه موسى فقال :

أى بنى ، انك قد أصبحت لسمت (١) وجوه العامة نصبا ، ولمثنى أعطاف (٢) الرعية غاية ، فحسنتك شاملة ، واساءتك نائية ، وأمرك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك ايثارك رضـــاه ، وليس بكافيك من يســـخطه عليك ايثارك رضا من سواه ٠ ثم اعلم ان لله تعالى فى كل زمان فترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه وخبايا لنصرة حقه ، يجدد حبل الاســـــلام بدعواهم ، ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، ويتخذ لأولياء دينه أنصارا ، وعلى اقامة عدله أعوانا ، يسدون الخلل ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الأرض الفساد ، وان أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم ، وندافع ريب الزمان بعزائمهم ، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم ، فهم عماد الأرض اذا أرجفت كنفها (٣) ، وخوف الأعداء اذا برزت صفحتها ، وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات ، أخمدت نيران الفتن ، وقسمت دواعى البدع ، وأذلت رقاب الجبارين ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ريح دولتنا ، وأقاموا فى ظل دعوتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التى أعز الله بها ذلتهم ورفع بها ضعتهم ، وجعلهم بها أربابا فى أقطار الأرض ، وملوكا على رقاب العالمين بعد لباس الذل ، وقناع الخوف ، واطباق البلاء ومحالفة الأسى ، وجهد البأس والضر ، فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وأنزلهم فى حدائق نعمتك ، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، وماتة سابقتهم ، وحرمة مناصحتهم ، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والاثابة لمحسنهم ، والاقالة لمسيئهم ٠

---

(١) السمت : المذهب والقصد ٠

(٢) الاعطاف : جمع عطف وهو الجانب ٠

(٣) الكنف (بضمتين) : جمع كنف ، وهو الجانب ٠ وأرجفت ، زلزلت ٠

أى بنى ، تم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتوثق به في عين رعيتك ، واجعل عمال العدو وولاة الحجج مقدمة بين عملك ، وتصفة منك لرعيتك ، وذلك أن تأمر قاضى كل بلد ، وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لأنفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فان أحسن حمدت ، وان أساء عذرت · هؤلاء عمال العذر وولاة الحجج ، فلا يسقطن عليك ما في ذلك اذا انتشر في الآفاق ، وسبق الى الأسماع ، من انعقاد ألسنة المرجفين ، وكبت قلوب الحاسدين ، واطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور ، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا ، ويعرى حبلك متعلقا رجلان : أحدهما كريمة (١) من كرائم رجالات العرب ، وأعلام بيوتات الشرف ، له أدب فاضل ، وحلم راجح ، ودين صحيح · والآخر له دين غير مغموز (٢) ، وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأى وأنحاء العرب ووضع الكتب ، عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب ، يضع آدابا نافعة وآثارا باقية ، من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك ، فتستشيره في حربك ، وتدخله في أمرك ، فرجل أصبته كذلك فهو يأوى الى محلتي ، ويرعى في خضرة جناني ، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان ، وخيار الأمصار ، أقواما يكونون جيرانك وسمارك ، وأهل مشاورتك فيما تورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر · فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك ، وهاديا ينطق بالخير لسانك · وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد ·

٢ ـ رسالة أبى الربيع محمد بن الليث التى كتبها للرشيد الى قسطنطين ملك الروم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى قسطنطين عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى ، فانى أحمد الله الذى لا شريك معه ، ولا ولد له ، ولا اله غيره ، الذى تعالى عن شبه المحدودين بعظمته ، واحتجب دون المخلوقين بعزته ، فليست الأبصار بمدركة له ، ولا الأوهام بواقعة عليه ، انفرادا عن الأشياء أن يشبهها ، وتعاليا أن يشبهه شيء منها ، وهو الواحد القهار ، الذى ارتفع عن مبالغ صفات القائلين ، ومذاهب لغات العالمين ، وفكر الملائكة المقربين ، فليس كمثله شيء ، وله كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ·

---

(١) الكريمة : صاحب الكرم · وكرائم الرجال : اخاير رجال العرب واحاسنهم ·
(٢) غير مغموز : غير مطعون : وغير مدخول · لا يداخله فساد ·

أما بعد ، فان الله جل ثناؤه وتباركت أسماؤه ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أنزل من آيات الوحي اليه : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) • فرأى أمير المؤمنين من أحسن قوله وأفضل فعله ، أن يكون الى سبيل ربه داعيا ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم متأسيا ، ولقوله : (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين**) موافقا • وكنت من كتب الله المنزلة ، وآياته المفسرة ، وخلقه الكثير بحيث رجا أمير المؤمنين استماعك لموعظته ، وانتفاعك بمجادلته انتفاع بشر كثير وخلق عظيم قد بؤت بأوزارهم مع وزرك ، واحتملت من آثامهم الى اثمك ، فأحب أن يدعوك ومن رجا أن ينتفع بدعوته معك ، الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان توليتم عن ذلك رغبة عنه ، أو تركتموه زهادة فيه ، فاشهدوا بأنا مسلمون • واستمعوا ما أمير المؤمنين واصف لكم ، ومحتج به ان شاء الله عليكم ، بقلوب شاهدة وآذان واعية ، ثم اتبعوا أحسن ما تستمعون • ولا قوة الا بالله •

فان الله عز وجل يقول فيما أنزل من كتابه واقتص على عباده : (**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب**) • ان الله تبارك اسمه وتعالى جده ، وصف فيما أنزل من آياته ، وشرح من بيناته ، الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، والملل المتفرقة ، الذين يجعلون مع الله آلهــة أخرى لا برهان لهم بهــا ، ولا حجة لهم فيها ، فقال : (**يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون**) •

قالت العرب الذين يعبدون الملائكة وأهل الكتاب الذين يقولون ثالث ثلاثة بأية آية يا محمد تزعم أن الله اله واحد ، فأنزل الله عز وجل في ذلك آية تشــهد لها العقول ، وتؤمن بها القلوب ، وتعرفها الألباب ، فلا تستطيع لها ردا ، ولا تطيق لها جحدا ، ذكر فيها اتصــــال خلقه واتفاق صنعه ، ليوقن الجاهلون من العرب ، والضالون من أهل الكتاب ، أن اله السماء والأرض ، وما بينهما من الهواء والخلق ، واحد لا شريك له ، خالق لا شيء معه ، فقال : (**ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس**) • فتفكر في تفسير هذه الآية من كلام الرب عز وجل ، وما أوضح فيها من بيان الخلق ، فانه ما من مفكر ينظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض ، الا رأى من اتصال بعض ذلك ببعض ، مثل ما رأى في تدبيره نفسه ، وعرف من اتصال خلقه ، فيما بين ذوائب شؤون رأسه الى أطراف أنامل قدمه • وفي ذلك أوضح آية وأبين دلالة ، على أن

الذى خلقه وصنعه اله واحد لا اله معه ، ولا من شىء ابتدعه ، ولا على مثال صنعه - قد ترون بعيونكم وتعلمون بعقولكم ، أن الله عز وجل خلق للأنام الأرض . وجعلها موصولة بالخلق ، فليس يدحوها الا لهم ، ولا يديمها الا معهم ، وجعل ذلك الخلق متصلا بالنبت ، لا يقوم الا به ، ولا يصلح الا عليه . وجعل ذلك النبت الذى جعله متاعا لكم ومعاشا لأنعامكم ، متصلا بالماء الذى ينزل من السماء بقدر معلوم ، لمعاش مقسوم ، فليس ينجم النبت الا به ولا يحيا الا عنه . وجعل السحاب الذى يبسطه كيف يشاء متصلا بالريح المسخرة فى جو السماء تثيره من حيث لا تعلمون ، وتسوقه وأنتم تنظرون ، كما قال عز وجل : (**والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور**) ووصل الرياح التى يصرفها فى جو السماء بما يؤثر فى خلق الهواء من الأزمنة التى لا تثبت الهواجر الا بثباتها ، ولا يزول عنه برد الا بزوالها ، ولولا ذلك لظل راكدا بالحر المميت ، أو مائلا (١) بالبرد القاتل . ووصل الأزمنة التى جعلها متصرفة متلونة كمسير الشمس والقمر الدائبين لكم المختلفين بالليل والنهار عليكم . وجعل مسيرهما الذى لا تعرفون عدد السنين الا به ، ولا مواقع الحساب الا من قبله ، متصلا بدوران الفلك الذى فيه يسبحان ، وبه يأفلان ، ووصل مسير الفلك بالسماء للناظرين سواء . فهذا خلق الله عز وجل ، ما فيه تباين ولا تزايل ولا تفاوت ، كما قال سبحانه وتعالى : (**ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت**) . ولو كان لله شريك أو معه ظهير عليه ، يمسك منه ما يرسل ، ويرسل منه ما يمسك ، أو يؤخر شيئا من ذلك عن وقت زمانه ، أو يعجله قبل مجىء ابانه ، لتفاوت الخلق ، ولتباين الصنع ، ولفسدت السموات والأرض ، ولذهب كل اله بما خلق ، كما قال عز وجل — وكذب المبطلين — : (**بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**) .

والعجب : كيف يصف مخلوق ربه ، أو يجعل معه الها غيره ، وهو يرى فيما ذكر الله من هذه الأشياء صنعة ظاهرة ، وحكمة بالغة ، وتأليفا متفقا ، وتدبيرا متصلا ، من السماء والأرض ، لا يقوم بعضه الا ببعض ، متجليا بين يديه ، مائلا تصب عينيه ، يناديه الى صانعه ، ويدله على خالقه ، ويشهد له على وحدانيته ، ويهديه الى ربوبيته ، (**فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون**) . حقا ما كرر هؤلاء الجاهلون بربهم الضالون عن أنفسهم ، فى خلق الله النظر ، ولا رجعوا كما قال الله عز وجل الفكر . ولو أعملوا فكرهم وأجهدوا نظرهم ، فيما تسمع آذانهم وترى أبصارهم ، من حوادث حالات الخلق ، وعجائب طبقات الصنع ، لوجدوا فى أقرب ما يرون بأعينهم : من التأليف لتركيب خلقهم ، والأثر فى التدبير بصنعهم ، ما يدلهم

---

(١) فى الأصل : « مايلا » .

على توحيد ربهم ، ويقف بهم على انفراده بخلقهم · فانهم يرون في أنفسهم بأعينهم ويجدون بقلوبهم ، أنها مخلوقة صنعة بعد صنعة ، ومحولة طبقة من طبقة ، ومنقولة حالا الى حال : سلالة من طين ، ثم نطفة من ماء مهين ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظما ، كساه الله عز وجل لحما ، ونفخ فيه روحا ، فاذا هو خلق آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، الذى خلق فى قرار مكين ، من ماء قليل ضعيف ذليل ، خلقا صوره بتخطيط ، وقدره بتركيب ، وألفه بأجزاء متفقة ، وأعضاء متصلة ، من قدم الى ساق الى فخذ الى ما فوق ذلك : من مفاصل ما يعلن أو عجائب ما يبطن ، ليعلم الجاهلون ويوقن الجاحدون ، أن الذى صنع ذلك وخلقه ودبره وقدره وهيأ ظاهره وباطنه اله واحد لا شريك معه · فلا يذهبن ذكر هذا صفحا عنكم ، ولا تسقط حكمته جهلا به عليكم . وفكروا فى آيات الرسل وبينات النذر ، فان فى ذلك فكرا للمبصرين ، وبصرا للمعتبرين ، وذكرى للعابدين ، والحمد لله رب العالمين ·

وأمير المؤمنين واصف لكم ، ومقتص من ذلك ان شاء الله عليكم ، ما فيه شهادات واضحات ، وعلامات بينات ، ومبتدىء بذكر آيات نبينا صلى الله عليه وسلم فيما أنزل الله منها في الوحى اليه ، فانه ما أحد يقرع بآيات النبوة قلبه ، ويحصن ببينات الهدى عقله ، الا قادته حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لا يجد الى انكار ما جاء به من الحق سبيلا · فأردت أن تكونوا على علم ومعرفة ويقين وثقة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وحقه ، وما أنزل اليه من ربه عز وجل · فأحضر كتاب أمير المؤمنين فهمك ، وألق الى ما هو واصف ان شاء الله سمعك · ان الله عز وجل اصطفى الاسلام لنفسه ، واختار له رسلا من خلقه ، وابتعث كل رسول بلسان قومه ، ليبين لهم ما يتبعون ، ويعلمهم ما يجهلون : من توحيد الرب وشرائع الحق **(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)** · فلم تزل رسل الله قائمة بأمره ، متوالية على حقه ، فى مواضى الدهور ، وخوالى القرون ، وطبقات الزمان ، يصدق آخرهم بنبوة أولهم ، ويصدق أولهم قول آخرهم ، ومفاتح دعوتهم واحدة لا تختلف ، ومجامع ملتهم ملتئمة لا تفترق ، حتى تناهت الولاية والوراثة التى بنى عيسى عليه السلام عليها وبشر بها ، الى النبى الأمى الذى انتخبه الله لوحيه ، واختاره بعلمه ، فلم يزل ينقله بالآباء الأخاير ، والأمهات الطواهر ، أمة فأمة ، وقرنا فقرنا ، حتى استخرجه الله فى خير أوان ، وأفضل زمان ، من أثبت محاتد (١) أرومات (٢) البرية

---

(١) محاتد : جمع محتد ، وهو الأصل ·

(٢) أرومات : جمع ارومة ، وهى الأصل ·

أصلا ، وأعلى ذوائب نبعات (١) العرب فرعا ، وأطيب منابت أعياص (٢) قريش مغرسا ، وأرفع ذرى مجد بني هاشم سمكا : محمد صلى الله عليه وسلم خيرها عند الله وخلقه نفسا ، على حين أوحشت الأرض من أهل الاسلام والايمان ، وامتلأت الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان ، واشتعلت البدع في الدين ، وأطبقت الظلم على الناس أجمعين ، وصار الحق رسما عافيا ، خلقا باليا ، ميتا وسط أموات ، ما ان يحسون للهدى صوتا يسمعونه ، ولا للدين أثرا يتبعونه • فلم يزل صلى الله عليه وسلم قائما بأمر الله الذى أنزل اليه ، يدعوهم الى توحيد الرب عز وجل ، ويحذرهم عقوبات الشرك ، ويجادلهم بنور البرهان ، وآيات القرآن ، وعلامات الاسلام ، صابرا على الأذى ، محتملا للمكروه ، قد ألهمه الله عز وجل أنه مظهر دينه ، ومعز تمكينه ، وعاصمه ومستخلفه فى الأرض ، فليس يثنيه ريب ، ولا يلويه هيب ، ولا يعنيه أذى ، حتى اذا قهرت البينات ألبابهم ، وبهرت الآيات أبصارهم ، وخصم نور الحق حجتهم ، فلم (٣) تمتنع القلوب من المعرفة بدون صدقه ، ولم تجد العقول سبيلا الى دفع حقه • وهم على ذلك مكذبون بأفواههم ، وجاحدون بأقوالهم ، كما قال الله عز وجل العليم بما يسرون • الخابر بما يعلنون : (**فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) بغيا وعداوة ، وحسدا ولجاجة ، افترض الله عليه قتالهم ، وأمره أن يجرد السيف لهم ، وهم فى عصابة يسيرة ، وعدة قليلة ، مستضعفين مستذلين ، يخافون أن يتخطفهم العرب وتداعى (٤) عليهم الأمم ، وتستحملهم (٥) الحروب ، فآواهم فى كنفه ، وأيدهم بنصره ، وأنذرهم بمقدمة من الرعب ، ومشغلة من الحق ، وجنود من الملائكة ، حتى هزم كثيرا من المشركين بقلتهم ، وغلب قوة الجنود بضعفهم ، انجازا لوعده ، وتصديقا لقوله : (**وان جندنا لهم الغالبون**) فأحسن النظر وقلب الفكر فى حالات النبى صلى الله عليه وسلم من الوحى قائما لله ، لتجد لمذاهب فكرك وتصاريف نظرك ، مضطربا واسعا ، ومعتمدا نافعا ، وشعوبا جمة ، كلها خير يدعوك الى نفسه ، وبيان ينكشف لك عن محضه • وأخبر أمير المؤمنين ما كنت قائلا لو لم تكن البعثة للنبى — صلى الله عليه وسلم — بلغتك ، ولم تكن الأنباء بأموره تقررت قبلك ، ثم قامت الحجة بالاجماع عندك ، وقالت الجماعة المختلفة لك : انه نجم بين ظهرانى مثل هذه الضلالات المستأصلة ، والجماعات المستأسدة (٦) ، التى ذكر أمير المؤمنين : من قبائل العرب ، وجماهير الأمم ، وصناديد الملوك ، ناجم قد نصب لها

---

(١) نبعات : أصول كريمة •

(٢) أعياص قريش : أولاد امية بن عبد شمس الأكبر ، وهم : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويص •

(٣) فى الأصل : « فلا » •

(٤) أصله تتداعى فحذفت احدى تاءيه ، ومعناها يجتمعون عليهم ويتألبون بالعداوة •

(٥) تستحملهم : تلقى عليهم حملها وعباها •

(٦) المستأسدة : القوية •

وغرى بها ، يجهل أحلامها ، ويكفر أسلافها ، ويفرق آلافها ، ويلعن آباءها ، ويضلل اديانها . ، وينادى بشهاب الحق بينها ، ويجهر بكلمة الاخلاص الى من تراخى عنها ، حتى حميت العرب ، وأنفت العجم ، وغضبت الملوك ، وهو على حال ندائه بالحق ودعائه اليه ، وحيدا فريدا ، لا يحفل بهم غضبا ، ولا يرهب عنتا . يقول الله عز وجل : **(يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)** أكنت تقول فيما تجرى الأقاويل به وتقع الآراء عليه ، الا أنه أحد رجلين : اما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول ، وقد دعا الحتف الى نفسه ، وأذن الله لقومه فى قتله ، فليست الأيام بمادة ولا الحال بثابتة له الا ريثما تستلحمه (١) أسبابهم ، وينهض به حلماؤهم ، غضبا لربهم ، وأنفة لدينهم ، وحمية لأصنامهم ، وحسدا من عند أنفسهم . واما صادق بصير بموضع قدمه ومرمى نبله ، قد تكفل الله عز وجل بحفظه ، وصحبه بعزه ، وجعله فى حرزه ، وعصمه من الخلق ، فليست الوحشة بواصلة مع صحبة الله اليه ، ولا الهيبة بداخلة مع عصمة الله عليه ، ولا سيوف الأعداء بمأذون لها فيه . ثم ان (٢) أيتكم يا أهل الكتاب لو قيل لكم : ان الرجل الذى يدعى العصمة وينتحل المنعة ، قد نجمت الأمور به على ما قال ، وسلمت الحال له فيما ادعى ، حتى نصب لعمارات (٣) العرب ، وجماعات الأمم ، يقاتل بمن طاوعه من خالفه ، وبمن تابعه من عانده ، جادا مشمرا ، محتسبا واثقا بموعود الله ونصره ، لا تأخذه لومه لائم فى ربه ، ولا يوجد لديه غميزة (٤) فى دينه ، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه ، حتى أعز الله دينه ، وأظهر تمكينه ، وانقادت الأهواء له ، واجتمعت الفرق عليه ، ألم يكن ذلك يزيد حقه يقينا عندكم ، ودعوته ثبوتا فيكم ، حتى تقول الجماعة من حلمائكم وأهل الحنكة من ذوى آرائكم : ما كان الرجل ، اذ كان وحيدا فريدا قليلا ضعيفا ذليلا معروفا بالعقل منسوبا الى الفضل ، ليجترئ أن يقول : ان الله عز وجل أوحى اليه فيما أنزل من الكتاب عليه أن يعصمه من العرب جميعا ويمنعه من الأمم طرا ، حتى يبلغ رسالات ربه ، ويظهره على الدين كله ، ويدخل الناس أفواجا فى دينه ، الا وهو على ثقة من أمره ، ويقين من حاله .

فسبحان الله ! يا أهل الكتاب ما أبين حق النبى صلى الله عليه وسلم لمن طلبه ، وأسبله لمن قصده له . واستعملوا فى طلبه ألبابكم ، وارفعوا (٥) ... أبصاركم

---

(١) تستلحمه : تعلق به وتنشب .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) عمارات العرب : أحياؤها العظيمة .

(٤) غميزة : مطعن .

(٥) بياض فى الأصل بمقدار كلمة .

تنظروا بعون الله اليه ، وتقفوا ان شاء الله عليه ، فان علامات نبوته وآيات رسالته ، ظاهرة لا تخفى على من طلبها ، جمة لا يحصى عددها ، منها خواص تعرفها العرب ، وعوام لا تدفعها الأمم ، فأما الخواص المعروفة لدينا ، المعلومة عندنا ، التى أخذتها الأبناء عن الآباء ، وقبلها الأتباع عن الأسلاف ، فأمور قد كثرت البينات فيها ، وتداولت الشهادات عليها ، وثبتت الحجج بها ، وتراخت الأيام ببعضها ، حتى رأيناه عيانا وقبلناه ايقانا ، فهى أظهر فينا من الشمس ، وأبين لدينا من النهار ، ولكن غيبت الأزمان عنكم بأمرها ، ولم ينقل الآباء اليكم علمها ، وما لا يدرك الا بالسمع موضوع الحجة عن العقل ، فليس أمير المؤمنين بمحاج لكم ، ولا قاصد اليكم من قبلها . وأما الآيات العوام والدلالات الظاهرة فى آفاق الأرضين ، القاطعة لحجج المبطلين ، التى لا تنكر عقول الأمم وجوب حقها ، ولا تدفع ألباب الأعداء صحة أمرها ، فسيولجها أمير المؤمنين مسالك أسماعكم ، ويعيد بها حجة الله فى أعناقكم ، من وجوه جمة وأبواب كثيرة ، ان شاء الله : منها أنه لم تزل الشياطين ، فيما خلا من فترات الرسل وندرات النذر ، تصعد الى سماء الدنيا ، وتنصب للملأ الأعلى فتسترق السمع وتحتفظ العلم ، وتنزل به الى كل أفاك أثيم ، يبنون أكاذيبهم على واضح صدقه ، وينفقون (١) أباطيلهم بحسب حقه ، خلطا للباطل فيه ، وبنو بها (٢) للعباد عليه . فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل آيات القرآن اليه ، حرست السماء بالنجوم ، ورميت الشياطين بالشهب ، وانقطعت الأباطيل ، واضمحلت الأكاذيب ، وخلص الوحى ، فبطلت الكهان ، وضلت السحار وكذبت الأحلام ، وتحيرت الشياطين ، فكانت آية بينة ، وعلامة واضحة وحجة بالغة ، تبهر قرائح العقول ، وتخرق حجب الغيوب ، فلا يقوم مع ضيائها ظلمة ، ولا يثبت عند محكمها شبهة ، ولا يقيم معها فى محمد صلى الله عليه وسلم شك ، ولا من أصحابه خاصة ولا ممن جاء بعده عامة . وانما جعلها الله عز وجل آية باقية فى الغابرين ، وحراسة ثابتة من الشياطين ، لأن الله جل وعلا جعل نبينا صلى الله عليه وسلم آخر النبيين ، فليس باعثا بعده نبيا يكذب أقاويل الكهنة ، ويقطع أخابير الجنة .

وستقول ، فيما يذهب اليه الظن ويقع عليه الرأى ، أنت ومن عقل من أمتك وأهل ملتك : هذه آية حاسمة وحجة قاطعة بينة قائمة ، مستعلية لأمرها ، مستغنية بنفسها ، لا تحتاج الى ما قبلها ، ولا يتكل على ما بعدها ، ان أقرت العقول بما تقول ، أو قامت البينة على ما تدعى ، بلى ، ثم تقول : وأنى لك بالبينة ، ولسنا نقر بكتابك ، ولا نؤمن برسولك ، ولا نقبل قولك فيما قد سبقنا واياك زمانه ، وحجبت الغيوب عنا وعنك علمه ، فأرجع اليكم ان قلتم ذلك ، فان وجدان القضاة قبل طلب البينات .

---

(١) ينفقون (بتشديد وكسر الفاء) : يروجون .
(٢) كذا فى الأصل .

وليس يجعل امير المؤمنين فيما ينازعك ويحاجك فيه حاكما غير عقلك ، ولا قاضيا سوى نفسك ، ولكنه يذكرك الله الذى اليه معادك وعليه حسابك ، لما جعلت التفهم لمسألته من بالك ، وركبت حدودها في جوابك ، عادلا بالقسط ، قاضيا بالحق ، قائلا بالصدق ولو على نفسك ، ناظرا بالأثرة لدينك ، فلقد وفق الله لك آية ، وأهدى اليك بينة ، لا تستطيع دفعها لحجبها عن عقلك ، ولا حجابا لنورها دون بصرك ، فلا تدفع الآية بقولك ، والبينة بلسانك ، جحدا بقطع وصول الحجج اليك ، ويد (١) تغلق أبواب الفهم عنك ، فان اللسان لك مداول حيث شئت ، ومنقاد تصرفه فيما هويت ، ولكن انصب نفسك للفهم وأنت شهيد ، وأرد الحق وقبوله فيما تريد . فاذا تصورت البينات مجسدة في قلبك ، وتبينت الحجج ممثلة لنظرك ، قد أضاء صوابها لك وقرع حقها قلبك ، فاجعل القول بها شعارا للسان به متصلا . وافهم المسألة فهمك الله الحق ، وجنبك الجحد ، ما تقول أنت ومن قبلك في رجل كان يتيما ضعيفا أجيرا ساهيا لاهيا عائلا خاملا ، (٢) لم يتل كتابا ، ولم يتعلم خطا ، ولم يك في محلة علم ، ولا ارث ملك ، ولا معدن أدب ، ولا بيت نبوة ، فتراقت الأيام به ، واتصلت الحال بأمره ، حتى خرج الى العرب عامة والقبائل كافة ، وحيدا طريدا شريدا ، مخذولا مجهولا ، مجفوا مرميـــا بالعقوق لآلهتهم ، مقذوفا بالكذب على أصنامهم ، منسوبا الى الهجر لأديانهم ، وهم مجمعون على دعوة العصبية ، وحمية الجاهلية ، متعادون متباغون ، مختلفة أهواؤهم ، متفرقة أملاؤهم يتسافكون الدماء ، ويتناوحون النساء ، ويستحلون الحرم ، لا تمنعهم ألفة ، ولا تعصمهم دعوة ، [ولا] يحجزهم بر ، فألف قلوبهم ، وجمع شتيتها حتى تناصرت القلوب ، وتواصلت النفوس ، وترافدت الأيدى ، ثم اجتمعت الكلمة ، واتفقت الأفئدة ، حتى صـــار غاية لملقى رحالهم ، ونهاية لمنتجع أسفارهم ، وصاروا له حزبا متفقين ، وجندا مطيعين ، بلا دنيا بسطها لهم ، ولا أموال أفاضها بينهم ، ولا سلطان له عليهم ، ولا ملك سلف لآبائه فيهم ، ولا نباهة كانت له بين ظهرانيهم . أتقول انه [ما] قال ذلك كله الا بوحى عظيم ، وتنزيل كريم ، وحكمة بالغة : فان قلت ذلك فقد أقررت أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول ، وتركت ما كنت تقول انه لم يدركه ولم يبلغه الا بعقل سديد ، ونظر بعيد ، ورفق لطيف ، ورأى وثيق ، استبى به عقول الرجال ، واستمال عليه أفئدة العوام . فان قلتم ذلك فأنا سائلكم بالهكم الذى تعبدون ، ودينكم الذى تنتحلون لما صدقتم أنفسكم وتجنبتم الهوى عنكم : أتؤمن قلوبكم ، وتقر عقولكم ، ويحتمل نظركم ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم الذى وصفتموه بكمال العقل ، وبيان الفضل ، ورفع التدبير ، كان يقول لرجالات العرب ، وجماعات الأمم ، [و]

---

(١) لعله : ولا تغلق .

(٢) فى الأصل : لا .

دهاة قريش : ان من آيات نبوتي ، ودلالات رسالتي ، وعلامات زماني ، أن الشياطين ترمى بنجوم السماء ، ولم تك ترمى بها فيما خلا ، ثم يجعل ذلك كتابا يقرأ ، وقرآنا يتلى ، وهو كاذب فيما تلا ، ومبطل فيما ادعى ، أبطالا تدركه عيون الناظرين ، وكذبا يظهر لجميع العالمين ! سبحان الله ! أرأيتم أن لو كان فيما قال من الكاذبين ، وعلى ما ادعى من الآثمين ، ثم حاول ابعاد القلوب ، وانغال الصدور ، وانفار النفوس ، وتفريق الجموع ، أكان يزيد على ذاك !

فيا أهل الكتاب لا يحملنكم الالف لدينكم على اللعب بتوحيدكم ! فلعمر الله لئن تداركتم أنسكم وناصحتم نظركم لتعلمن أن محمدا صلى الله عليه وسلم لو حاول الكذب أو رام الافك ، لما كان يترك جميع الأرض ، وما يغيب عن بعض الخلق ويظهر لبعض ، ويقصد للسماء المتصلة بالبصر ، البارزة للنظر ، التى لا تخفى على بشر ، ولا تغيب عن أحد ، فيدعى فيها كذبا ظاهرا ، وافكا بارزا مكشوفا ، لا يبقى صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى ، الا عرف أنه افك وزور ، وكذب وغرور ، ولا سيما اذا كان يلقى ذلك الى أقوام أكثرهم أعراب ، ليس بينهم وبين السماء حجاب ، انما يراعون الكواكب ويتفقدون الغيوم ، فأبعد عهد آخرهم بها تفقده لها ونظره اليها ، ساعة أو ساعتين ، أو ليلة أو ليلتين • لعمر الله لو عثرت العرب من أمر النبى صلى الله عليه وسلم على كذب لكان أول من يواثبه به ويجادله فيه أعداؤه من قريش عامة ، وحساده من جيرته خاصة ، ونظراؤه من أهل بيته دنية الذين كانوا يستعيرونه (١) لكل طريق ، ويقعدون له على كل سبيل ، ويتساءلون من أمره عن كل ذى حادث ، فيتعلقون بالحروف المشكلة ، والآيات المشتبهة ، جدلا وخصومة بها ، وطعنا والحادا ومنازعة فيها ، حتى لقد وصفهم الله بفعلهم ، وأخبر عن ذلك من أمرهم ، فقال عز وجل : ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ وما كان الله عز وجل ليقول ذلك ولا لأحد أن يقوله على الله فى أمرهم الا عن خصومة شديدة ، ومنازعة بليغة ، ومجادلة معروفة • فأحسن النظر لنفسك ، ولا تهلكن شفقة على ملكك ، فايم الله لئن قلت ان النجوم شيء كانت العرب تراه بعيونها وتعرفه بقلوبها ، فما كان محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو عارف بها غير جاهل لها ، ليقول فيها الا حقا ، وينتحل فيها الا صدقا ، لقد ثبتت فروع كلامك فيها على أسه ، ووصلت آخر قولك له بأوله ، ثبوتا على ما ذكرت من عقده ، ولزوما لما فرطت من نظره ، ولكنك لا تجد مع الاقرار بذلك بدا من التصديق برسالته ، ولا مذهبا عن الايمان بنبوته •

ولئن زعمت أنه ادعى أمر النجوم كذبا وانتحلها باطلا ، عارفا كان بها أم جاهلا ، لقد نسبته من الخطأ الذى لا يعمى عن بصره الى ما يخطىء فيه بشر ، فأكذبت نفسك ،

---

(١) كذا فى الأصل •

وتركت قولك : انه لم يكن التأليف لقلوب العرب والجمع لشتيت القبائل ، الا برأي سديد ، وعقل أصيل ، ورفق بالغ ، الى أحد أمرين لا تجد لكلامك وجها تذهب اليه غيرهما ، ولا محملا تضعه عليه سواهما : اما أن تقول : انه ألف قلوب العرب ، وفرق جموع الأمم بتنزيل الوحي ، فتؤمن أنه نبي ، واما أن تقول : فعل ذلك بجهل ، وهذا قول لا يقبل . كيف يصفه أحد من الجاحدين به المكذبين له بغباوة ، أو يرمونه بجهالة ، وهم يجوزون به حدود الأنبيـاء ، ويرفعونه فوق أمور العلمـاء ، ويتخطون به مراتب الحكماء ، ومنازل الناس تكثيرا لعلمه ، وتسديدا لعقله ، وتثبيتا لفضله ، فيما لا يعلق عليه ولا تهتدي الألسن اليه ، حتى لقد نحلوه فعل الرب الذي لا يقدر غايته الخلق في وجوه كثيرة ، وانحاء جمة : من ذلك أنه اذا قالت البقايا من أمتنا : كان محمد صلى الله عليه وسلم يخبرنا بالغيوب قبل ظهورها ، ويصف الأمور قبل حلولها ، ويتجاوز [ما يكون] في زمانه من ذلك الى ما يكون في زماننا عليه أطلعه الله عز وجل عليه ، أضافوا ذلك علما اليه . فقالوا : كان أعلم الناس بمواقع النجـوم ، وأبصرهم بمنازل البروج ، وأنظرهم في دقائق الحساب . كيف لم يكن الحجاز دار نجوم ولا محل حساب ولا معدن أدب ! بل كيف والمنجم يقيس ويخطيء ، ويشك فيما يدعي ، وهو أخو صواب لا شك فيه ، وفارس صدق لا قياس معه .

ومن ذلك أنه اذا قالت العلماء من المسلمين : كان نبينا صلى الله عليه وسلم [عليما] بباطن أخبار النبيين ، وخفي قصص القرون الأولين ، قالوا : كان أحيا الناس قلبا ، وأوسعهم سربا ، وأسرعهم أخذا ، يتتبع ذلك ويحبه ، وقد رواه وعلمه . سبحان الله ! أولا يعلمون أن المتعلم معروف المعـلم ، متفـاوت الحالات ، متنقل الطبقات ، وأنه ما أحد يؤدب صغيرا أو يطلب العلم كبيرا ، الا وله درجات في علمه ، وتارات في أخذه ، ومنازل في تعلمه ، تارة تلميذ ، وتارة مقارب ، وأخرى حاذق ، وبكل ذلك موصوف من أهله ، معـروف عند قومه ، ظاهر لجيرته ، مستفيض في عشيرته ، لا يجهل أمره ، ولا يخفى ذكره ، ولا ينسى عند مواضع الحاجة اليه ، وتارات الاحتجاج به عليه . ولو كان ذلك معروفا فيهم ، أو موجودا لديهم ، أو ظاهرا عندهم ، لما أمره عز وجل أن يحتج عليهم ويقول في ذلك لهم : لقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، لا أتلو قرآنا ، ولا أدعي وحيا ، أفلا تعقلون !

وايم الله ! لو كانوا يعقلون أو ينظرون ، لعلموا أن معلمه على غير الملة التي يعرفون ، لأنه لهم من المخالفين ، وعليهم من الطاعنين ، يذكر فضائح قولهم . ومعايب أمرهم ، ومخازي أسلافهم ، وعوائر أديانهم ، وانه لو كان معلمه نصرانيا لدعاه الى النصرانية ، أو يهوديا لدعاه الى اليهودية ، أو مجوسيا لدعاه الى المجوسية . ولو لم يكن له معلم الا وقع على الحقيقة هداية من تلقاء نفسه ومعرفة بقوة عقله . ولو كان معلمه الشيطان لما دعاه الى عبادة الرحمن ، ولا أمره بهجر الأوثان ، وكسر الأصنام ، وصلة الأرحـام ، والاصلاح في الأرض . كيف [و] كان الشيطان يصـد الناس عن

سبيله ، ويزهدهم فى دينه ، وينهاهم عن طاعته ، ويخرجهم من عبادته ، ويدخلهم في مساخطه ، ويحملهم على معاصيه ! انه اذن لرحيم بهم ، ناظر لهم ، شفيق عليهم ، كأنه هو المبعوث اليهم ، كلا ! ما كان لينقذهم من حبائله ، ويخلصهم من مصايده ، ويخرجهم من ولايته وطاعته وخدعه وفتنته وحزبه ، الى غير ذلك من أمره · وما كان لينهى العرب أن يقتلوا أنفسهم ، ويتناوحوا حرمهم ، ويؤذوا ذريتهم ، ولا ليقول لهم : لم تعبدون نحيت الحجارة التى جعلها الله لكم عارا ، وتذرون عبادة الرب الذى خلقكم أطوارا ! هيهات ! لقد ذهبتم بالشيطان الرجيم الى صراط العزيز الحكيم ، فقلتم قولا تنكره العقول ، وتدفعه القلوب ، وتستوحش منه النفوس · ألا تسمعون الى قول الله عز وجل : (**فهل عسيتم ان توليتم أن تفســدوا فى الأرض وتقطعوا ارحامكم · أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**) فما كان الشيطان ليرضى للعرب باللعنة والبكم والعمى والصمم ، فاتق الله ولا تكن من الجاحدين ·

ومنها أنه اذا قالت الفقهاء والحكماء : أتانا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكلام لم تسمع الآذان بمثله ، ولم تقع القلوب على لغته ، له رونق كحباب الماء ، وزبرج يعلو ولا يعلى وعجائب لا تبلى ولا تفنى ، وجدة لا تتغير ، [قالوا] : كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبلغهم قولا ، وأحسنهم وصفا · فيا سبحان الله ! ألا يعلمون أن لو كان القرآن كلاما للعباد لما أقرت الأعداء من ··· ··· (١) بفضله ، ولا عجزت القبائل طرا عن مثله ، وهو يناديهم فى الكتاب ويتحداهم فى الوحى ، بصــوت رفيع ، ونداء سميع ، فيقول : هاتوا سورة من مثله ان كنتم صادقين ، وهم فرسان الكلام ، واخوان البلاغة ، وأبناء الخطب ، وأهل عداوة له وبغي عليه ، فتستحسر الأبصار ، وتثقل الأسماع ، وتنعقد الألسن ، وتخرس الخطباء ، وتعجز البلغاء ، وتحار الشعراء ، وتستسلم الكهان · ثم لقد قايست البصراء بالكلام والعلماء بالمنطق ، بين ما بأيدينا من كلام النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما جاء به من كلام الوحى ، فاذا بينهما بون بعيد وتفاوت شديد ، ليس بشبيه له ولا مدان ولا قريب · وكذلك ينبغى لكلام الرب عز وجل أن يعلو كلام الخلق ، وألا يشبه قول العباد فى تأليفه وأحاديثه ومعانيه وجميع ما فيه ، لأن الله عز وجل لا يشبهه شيء من ذلك أنه اذا قال المسلمون : كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرى ماضى أسلافنا وصلح آبائنا من العجائب العظام ، والآيات الكبار ، ما هو جديد عندنا ، بين قبلنا فلم يعف أثره ، ولم يدرس خبره ، ولم يتقادم عهده : من شجرة ناداها فأقبلت ثم أمرها فرجعت ، ومن نحو بعير تظلم ، وذئب تكلم ، وأشباه لذلك كثيرة ، ونظائر له عجيبة ، قالوا : كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كاهنا حاذقا ، وساحرا ماهرا ، يشبه بالخيال ، ويأخذ بالأبصار · كيف والجموع الكثيرة تصدر عن الأطعمة اليسيرة والمياه القليلة ،

---

(١) بياض فى الأصل بمقدار كلمة ·

شباعا رواء ، أيكون ذلك والسحر سواء ! والأخذ بالعيون لا يجرى فى البطون ! ولو كانوا ينظرون لدينهم وينصفون من أنفسهم ، لعلموا أن أمر الساحر يدور على افك وغرور ، وأن لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ آثارا قائمة ، ومنافع دائمة . ثم لو كانت الكهانة والسحر يبلغان مثل هذا من الأمر ، لبطلت آيات الكتب ، وعلامات الرسل ، ولعلت الشبهة ، وسقطت الحجة ، وكذبت النبوة ، ولبطل ما كان [يفعله] (١) عيسى عليه السلام : من ابرائه الأكمه والأبرص واحيائه الموتى . فلا يكونن التقليد للرجال مبلغ علمك ، ولا القبول لدعواهم بلا بينة .

ومن ذلك [أنه] اذا قالت البصراء من أمتنا والعلماء بملتنا : كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أميا لا يحسن الكتاب وحافظا لا ينسى القرآن ، وقلما يجتمع العقل السديد والحفظ السريع والنسيان البطىء ، قالوا : كان أخط الناس يدا ، وأذكاهم حفظا ، كان يكتب بالنهار ، ويدرس بالليل .

ولعمر الله أن لو كانت الحال كما يقولون والأمر كما يصفون ، لما خفيت الصحف له ، ولا اكتتمت الدراسة عليه ، ولما كان يطبق سترها عن أهله ، ولا حجابها دون قومه . وكيف تؤمن القلوب وتقر العقول أن رجلا كبيرا حمل علما كثيرا وحكما جماء : من آيات متشابهة ، وسور متوالية ، وهو صاحب أسفار مترامية (٢) ، وأخو حرب دائمة ، لا يبطىء لفظه ، ولا يسقط حفظه ! لولا (٣) أن الله عز وجل كفاه أن يحرك به لسانه ، وضمن له جمعه وقرآنه ، فقال عز وجل : ﴿ **سنقرئك فلا تنسى** ﴾ فلم يكن يسقط واوا ولا ألفا ، ولا ينسى كلمة ولا حرفا . ما أبين هذا وأعجبه ! وأعجب منه المنكر له .

وأما قولهم فى الخط واكثارهم فى الكتاب ، فان الله عز وجل جعله أميا ليثبت حجته ، ويصدق مقالته ، ولئلا يشك المبطلون فى أمره ، ويقولون : تعلمه من غيره ، فانه قد قال ذلك بطائن من منافقة العرب وطوائف من كفرة العجم ، فنطقت [به] الأعداء من جيرته ، والحسدة من عشيرته ، الذين بلغوا [ما بلغوا] (٤) من مجادلة حقه ، ومخاصمة ربه ، كفاة لمن قرب ، ووكلاء لمن بعد ، فيما لم تكن العرب واقعة عليه ، ولا الأمم مهتدية اليه ، لأنهم (٥) قد أحاطوا من علم خبره ، وخفى أثره ،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) فى الأصل : « متراخية » .
(٣) فى الأصل : « ... ولا يسقط حقه ولولا أن ... الخ » .
(٤) زيادة يتطلبها الكلام .
(٥) فى الأصل : « الا أنهم ... » .

بما كان عن غيرهم محتجبا ، ومن سواهم مكتتما • وقالوا : لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعلم من بشر أو يختلف الى أحد ، لما خفى عنا ولسقط (١) علينا • وحقا لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يختلف الى أحد صغيرا ، أو يتعلم من بشر كبيرا ، لعرف ذلك أترابه المختلفون معه ورفقاؤه والمقتدون ، ولما جهل ذلك من حوله من جيرته نصرة ، ولا من معه من أهل بيته دنية ، الذين عليهم يورد ومن قبلهم يصدر ، ولكان شائعا عند حشم معلمه وجيرة موضعه الذين كان يختلف اليهم ، ويتأدب بين ظهرانيهم • ولو كانوا بذلك عالمين ، أو فيه من أمره شاكين ، ثم بلغهم وتقرر قبلهم أنه يقول : ان الله عز وجل أوحى اليه ، فيما أنزل من الكتاب عليه : **(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون)** لخاصمه منهم من كفر ، ولكفر به منهم من آمن • ثم يدعى ذلك قرآنا ، وينتحله وحيا ؟ أما كان يرهب أن ينتشر في الأقربين ، ويخرج الى الأبعدين ، فتبطل حجته ، وتنتقض دعوته ، وتسقط نبوته ، وينفر أصحابه الذين لم يصبروا (٢) معه فى المجاهدة أنفسهم ، ويبذلوا عند الشدائد مهجهم ، وينفقوا فيه على الحاجة أموالهم ، مناصبين لأهل الشرق والغرب والعجم وكل الأمم ، وهم قليلون مستضعفون عائلون جائعون ، لا طلبا لدنيا ولا طمعا فى منال ، الا لما تعقبوا من قوله ، وعرفوا من صدقه • ولولا أنه أخبرهم ووعدهم أن يغلب كسرى وقيصر لهم ، فصدقوا بقوله ، وآمنوا بوعده ، حتى قويت البصائر ، وصرمت العزائم ، وقويت النيات ، فنشطت النفوس ، وشجعت القلوب ، وحملت الأبدان ، لما وقع لهم طمع فيه ، ولا ذهب لهم وهل (٣) اليه • فكن من ذلك على يقين لا يخلجه شك ، ومعرفة لا يخلطها ريب ، ان شاء الله •

ومن ذلك أنه اذا قال المسلمون : ما من فعال محمود ، ولا مقال معروف ، ولا خلق كريم ، ولا أدب فاضل ، الا وقد أدب الله عز وجل به محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزله فى الكتاب اليه ، فكان يأمر بالمكارم ، ويحض على المحامد ، ويعمل بالمحاسن التى ليس فيها مدخل لشبهة طاعن ، ولا معلق لحجة قائل ، ولا مغمز لبصيرة عائب ، ولا موضع لخصومة بشر ، فى وعد أو عهد ، أو حل أو عقد ، أو مقال أو فعال ، أو غير ذلك من الأمور — قالوا : أمور حمل عليها نفسه ، ودعاه اليها عقله ، وصبر عليها ، لما أمل ورجا فيها • سبحان الله ! وما أمل بها وارتجى منها ؟ ان قالوا : الدنيا ، فلقد أكذبهم ادباره عنها ، حيث أمكنته القدرة منها ، وأعثرته الحال عليها • وان قالوا : حب الأثرة ، فقد جعل نفسه للمسلمين أســـوة : فى سهامهم وقصاصهم ، وحدودهم وحقوقهم ، وغير ذلك من أمورهم • وان قالوا : الملك ، فلقد

---

(١) فى الأصل « ولا سقط » •
(٢) صبر نفسه : حبسها •
(٣) وهل (بفتحتين) . فزع •

كان أشد الناس لربه تواضعا ، وأعظمهم فى جنبه تصاغرا ، ما ان أكل متكئا قط الا مرة ، ثم قعد كهيئة الفزع لها النادم عليها ، فقال : « اللهم انى عبدك ورسولك » . وان قالوا : النعيم ، فمن كان أيبس منه معاشا ، وأخشن رياشا ، وأغلظ مأكلا ! وكيف يذوق العيش أو يجد لذيذ النعيم ، من حرم السكر والخمر ، ونهى عن الديباج والقز ، وكان أكثر دهره صائما ، وأطول ليله قائما ! فان قالوا : طلب الصوت (١) ورغب فى الدين ، فذلك ما لم يطلبه أحد فى حب الصوت والتماس الحمد لما صبر مغاضب قومه ، وملاوم أهله ، وشتائم العرب وتوعد العجم ، واستهزاء قريش . يرمونه بالعقوق ، ويقذفونه بالجنون ، ويبهتونه بالسحر ، وليس يدرى ما يهجم به الأمر (٢) .

أم يقولون طلب تأثيل الملك لقومه ، وأراد توطئة الولاية لأقاربه فكيف يطلب لقومه ما قد زهد فيه لنفسه ! أم كيف يطلب لهم عز الملك وقد أوطأهم الذل ثم القتل . لعمر الله أن لو أراد الملك لأقاربه ، وأراد طلب السلطان لذوى رحمه ، لوكد لهم عقدا لا يحل ، ولأبرم لهم أمرا لا ينقض ، ولأثل لهم فى عنفوان أمره ملكا لا يخرج من أيديهم ، ولا يبرح (٣) أبدا فيهم ، امتثالا لصنيعكم واحتذاء على مثالكم ، مع أقاويل جمة ونظائر كثيرة ، لا يستقيم لهم معها أن يقولوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم غلب العرب وقهر العجم ، أو قال فى أمر السلطان والنجوم بكذب .

فان قلتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان فى قوة عقله وبيان فضله ، على ما قلنا وقلتم وصدقنا به نحن وأنتم ، ولكن هفت العلماء وزلت الحكماء وأخطأت القلوب ، فقد يعلم أمير المؤمنين — وأنتم بذلك من العالمين — أن خطأ قلوب العلماء كخطأ دائرة الرحا ، ليست العلماء بمخطئة الا المرة والتنتين ، كما لا تخطىء الرحا الا الحبة والحبتين . ومثل الذى نسبتم الى النبى صلى الله عليه وسلم من الخطأ عندكم والجهل فى أنفسكم ، كثير لا يحصيه أحد ، ولا يبلغه عدد . وأمير المؤمنين واصف بعضه لكم ، ومورد ما حضر كتابه ان شاء الله لكم . وايم الله على ذلك لو قالت العلماء من المسلمين هبوا محمدا صلى الله عليه وسلم كان فى أمر النجوم من المخطئين ، فكيف أخطأت العرب وهفت الأمم فى نرك مجادلته ورفض منازعته ، وكيف لم تقل العلماء من اضبانه (٤) والحكماء من حكمائهم ، توبيخا منهم له ، وتعييرا لمن آمن معه : هذا أمر من أوضح الأكاذيب وأبطل الأباطيل ، فلا يثبت مع قولهم ايمان ، ولا يقيم على

---

(١) الصوت : الذكر الحسن كالصيت .

(٢) كذا وردت هذه الجملة فى الأصل وهى مضطربة .

(٣) فى الاصل . « ولا ينوح ... » .

(٤) كذا فى الأصل .

شرحهم انسان · فان قلت : فلعل ذلك قد كان ، ولكنه درج على طول الأزمان ، فكيف اذا صدقت العرب بنبوته ، ولم تكفر القبائل برسالته ، وهم يسمعون كذبا لا ينفع معه صدق كان قبله ، وباطلا لا يعصم معه حق حدث بعده · وان قلتم : أدخلهم بالقهر وضبطهم بالقتل وأكرههم بالسيف ، فما بال القليل من المسلمين الذين قهرهم الكثير من المشركين ، ما بالهم آمنوا وصدقوا ، وصبروا وصابروا ، وجدوا وجاهدوا ، كيف لم تنكسر عزائمهم ، وتهن بصـــائرهم ، ويرجعوا الى دينهم ، ويهربوا عن توحيدهم ! كلا ! لو كان الأمر على ما تقول ، لارفض القوم عن الرسول ، ولكان صلى الله عليه وسلم أول مقتول أو مخذول · فأحسن النظر فيما تذهب الأهواء برأيك اليه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم · وان جمحت الدعوى بكم ، فقائل : قد مالت به الأهواء في الباطل ، فقال : انه الا يكن الأنبياء ذكرت النجوم في صحفها بينت الحكماء منها ذكرا في كتبهـا ، فجعلت المنقض من الكواكب بين الأعـوام ، دليلا على أمر يحدث تلك الأيام ، ولا ما هذا الاختلاق يلط به الجاهل للفساق (١) · ما ان وضعت الحكماء ذلك في الكتب ، الا ليالي ملئت السماء من الشهب · وبالله لو ادعيتم غير ذلك فكان حقا ، وكانت القالة منكم صدقا ، لما كانت الدعوى بناقضة لآية النجوم حجة ، ولا مدخلة على أحد فيها شبهة ، لأن رميا يقع فرط السنين من الكواكب ، لا يبطل رجما قد ملأ السماء من كل جانب · ثم لو لم تكن النجوم آية دامغة (٢) ، وحجة بالغة ، ودلالة قاهرة ، وعلامة باهرة ، وأمارة ظاهرة ، وشهادة قاطعة ، وبينة عادلة ، وداعية قائمة ، تبطل أظانين المشركين ، وتردع أقاويل المنافقين ، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليعظم أمرها ، ولا ليكرر في آي القرآن ذكرها ، رهبـــة لمناهضة أحياء العرب ، ومعرفة بمجادلة اخوان الكتب ، الذين لو وجدوا فيما كتب به اليك أمير المؤمنين من أمر النجوم واحتج [به] عليك من ذكر الرجوم ، موقعا لظن أو معلما بطعن أو مغمزا لقول ، لناصبوه اذن بالمجادلة ، وكاشفوه بالمنازعة ، وجاهروه بالقول الذي لا يستطيع له ردا ، ولا يطيق له جحدا ، ولكنها آية ملأت الاقطار كثرة ، وحسرت الأبصار قوة ، قد وجلت العقول ، وولهت القلوب ، وملأت النفوس جزعا ووجعا ، وفزعا شغلهم عن الأولاد ، وأذهلهم عن البلاد ، حتى بلغ أمير المؤمنين وتقرر عند فقهاء المسلمين أن الله عز وجل ، لما ملأ السماء حرسا ، وأحدث لها رصدا ، وخلق فيها شهبا ، ذكرت العقلاء من العرب ، وقعات الله عز وجل في الكتب ، بقوم نوح وعاد وثمود ، وأشباههم من مؤلفي تلك الجنود ، الذين كانوا أشد بطشا ، وأكثر جمعا ، فانفرجت أيديهم عن كرائم أموالهم ، وأرسلت أنفسهم متائن عقدهم · وان أهل الطائف لما فعلوا ذلك بأموالهم ، وأجمعوا فيه الخروج الى فقرائهم ، قام فيهم رجل منهم ذو سن وعقل فقال :

يا معشر العرب ، لا تهلكوا أنفسكم قبل أن تهلكوا ، ولا تخرجوا من أموالكم قبل أن تخرجوا ، تفقدوا مواقع نجوم السماء ، وكواكب بدور الدجى ، فان كانت

(١) في هذا الموضع اضطراب ·
(٢) في الأصل « دافعـة ··· » ·

النجوم التي حدث الرمي بها والنجوم التي أخليتم الأموال لها ، هي لبروج الشمس والقمر ومسال (١) الحيوان والشجر ، فهي جوائح الاستئصال ، المتلفة الأنفس والأموال ، وان كانت النجوم التي حدث القذف بها ، انما هي نجوم خلقت اليوم ، فليست المعرفة بواقعة على مبتداها ، ولا الأبصار بلاحقة منتهاها ، فأمسكوا العقد (٢) عليكم والأموال ، فانه أمر يحدث في احدى هذه الليال ٠

فان قلت : وكيف وقعت الأمور في هذا الرجل كالعيان ، وصارت المقالة منه كوعى الآذان ، أنبأك أمير المؤمنين أن أوعية الفقه من المسلمين ، الذين حملوا الينا سنن الدين ، هم أدوا ذلك الينا ، وأبقوه فخـرا (٣) ٠٠٠ علينا ، فما ان ينفك منهم مفتخر يقول : أبونا الذى حبس على العرب الأموال والعقد ، فما ان يدفع القول في ذلك منا أحد ٠ هيهات ما كانت العرب لتقر عند الفخار ، الا بطول هو أبين فيها من ضوء النهار ٠ فافهم ما كتب به أمير المؤمنين في هذا اليك ، ولا يكن التعلل فيها بالتشبهات أوثق ما لديك ، فانه قل حجة الا والى جنبها شبهة تخيل للعقول ، وتعرض للقلوب ، وتجلجل في الصدور ، فلا يثبت مع تخيلها ، ولا يقيم لتعرضها بشر الا من وزن الحق والباطل بميزان عادل ، لا يميل الى تفريط ، ولا ينحط في تقصير ٠ وقد جعل الله عز وجل العقول موازين للأمور ، فزنوا ما سمعتم من حجج كلام الرب عز وجل بما تنفون به الشبهة عن الحق ، ولا تميلوا اللسان ، فتخسروا الميزان ٠ وسيعلل أمير المؤمنين ان شاء الله بما جاء عن ذكر ما كتب به اليكم من أمر النجوم والرجوم والشهب في القرآن والرواية والكتب ، فألطفوا النظر في صحة معانيه ، ونحوا الهوى عن شبهة (٤) ما وقعت فيه : قال الله عز وجل : **(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)** وقال : **(ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم)** وقال : **(انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد)** ٠ وان شطب عن الحق شاطب ، أو ذهب الى الباطل ذاهب ، لا يعرف مذاهب كلام العرب ، ولا وجوه معاني الكتب ، ولا تفسير آى القرآن ، فقال : انما جعلت الكواكب والمصابيح حفظا من الله عز وجل للسماء ورجوما للشياطين من قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين ٠

فانه في آيات القرآن ما فيه بيـان مما يبطل دعواه التي لا بينة عليها ، ويكذب مقالته التي لا شهود لها ، فقالت الجن ـ فجعل الله تبارك وتعالى قولها وحيا ـ وبه

---

(١) كذا في الأصل ٠
(٢) العقد : جمع عقدة وهي الضيعة أو العقار الذى اقتناه صاحبه ٠
(٣) بياض بالأصل بمقدار كلمة ٠
(٤) في الأصل « عن شبهة انما ٠٠ الخ » ٠

منها صدقا : (**وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**) • ألا ترون أنها كانت الجن لمست السماء فلم تجدها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وقعدت الشياطين منها مقاعد للسمع فلم تجد شهبا ولا رصدا ، أو (١) لا يسمعون الى ما يحقق ذلك ويسدده ويصدقه ويشهد له من قول الله تعالى : (**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون**) مع قول الجن : أيام حرست السماء ورميت الشياطين : (**وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا**) • فاذا أعملتم فى ذلك فكركم ، وقلبتم فيه نظركم ، فكنتم على برهان يقين ، ونور مستبين ، من استطاعة الجن للاستماع ، وقدرة الشياطين على الاستراق ، وامكان السماء للقعود فى تلك الحال الأولى ، ففكروا فى الحال الأخرى حيث حرست الآيات أن تعارض باطلا بحق ، ومنعت الشياطين أن تنزل بصدق ، وامتنعت السماء أن يصعد اليها شيطان ، فقال الله عز وجل : (**وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون**) • قالت الجن • (**وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**) ان فى قولهم الآن لأعظم نور وبيان • وأبين من ذلك لكم وأصح لمن عقل ان شاء الله منكم ، اخبار الله عز وجل حين جعلت الكواكب حفظا من كل شيطان مارد ، أنهم (**لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب**) مع اخباره فى الحال الأولى أنهم يسمعون ويقعدون وينزلون ويستطيعون ويتلون على ملك سليمان ، فكن لهذا من الحافظين ، وفيه من المفكرين •

ومن آيات النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما نفرت القبائل من أعلام الشرك بجموعها ، وتداعت القادة من صناديد الكفر بأتباعها حذرا على عير لها أقبلت من الشام بصنوف رغائب أموال عظام ، فكانت العير والنفير طائفتين : طائفة ذات عدة كثيرة وشوكة شديدة ، وطائفة ذات أموال رغيبة ورجال قليلة وفرصة ممكنة ، أخرج الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ووعده ومن معه من المسلمين احداهما ، فكره المؤمنون جموع المشركين ، وأراد الله عز وجل أن يقطع دابر الكافرين ، ويشيد بذلك أركان الدين ، فلما تراءت الفئتان ، وتناوشت الفرسان ، وتلاقى الناس ، وقبل ذلك ما قال الله عز وجل : (**سيهزم الجمع ويولون الدبر**) قبض النبى صلى الله عليه وسلم قبضة [من تراب] حثاها فى وجوههم ، فلم يتناه دون مناخرهم وعيونهم ، فانصرفوا منهزمين بلا كثير قتال من المسلمين • يا أهل الكتاب ، فأية آية أعظم حجة وأوضح بينة وأقهر غلبة من هذه التى لو صدرت الأمور بلا تحقيق لها ، لانفضت الجموع من المسلمين كفارا بها • أبشارة الله المسلمين بامداد الملائكة المقربين ،

---

(١) كذا وردت هذه الجملة فى الأصل وهى غير واضحة •

وهزيمة نفير المشركين ، التى تجمت الأمور عليها ، وتناهت الحال بهم اليها · أم قبضة من تراب يسير ، ما ملأ المناخر من عدد كثير ·

فئن قلتم : ان هذه آيات بينات ، وعلامات واضحات ، ولكنا [لا] نقر لكم بها ولا نؤمن بقولكم فيها ·

أفتؤمنون أن محمدا صلى الله عليه وسلم مع ما نسبتموه من الفضل اليه · كان يختلقها كذبا من تلقاء نفسه ، ثم يدعيها وحيا من عند ربه ، وهو لا يدرى لعل الأمور [تقع] بخلاف ما يقول ، فيظهر كذبه ، ويرفض تبعه · وان تزعم (١) أن أصحابه كانوا كثيرا أقوياء ، نشاطا جلداء ، فكان على معرفة بقوتهم ويقين من غلبتهم ، فقد قال الله عز وجل : **(وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون)** · ولم يكن الرسول ولا غيره ليخبر أصحابه من أمورهم بما يجهلون من أنفسهم ، ثم يدعى ذلك تنزيلا من ربهم · هذا لا تقبله الآراء ، ولا تقر به الحكماء ، ولا يحده النظر ·

أم تقولون : انما أراد محمد صلى الله عليه وسلم ببشارته لهم واخباره ما أخبرهم من هزيمة الله عدوهم ، أن يشجع جبنهم ويقوى ضعفهم ، فكيف اذا لم يبق (٢) لما كان يرى من كثرة المشركين وقوتهم ، وضعف المسلمين وقلتهم ، بظهور الأنباء على خلاف قوله ، وأن محـال (٢) الخبر على غير ظنـه ، فيقع ظفر بكذب نبوته ، ويقطع حجته ، ويكون له ما بعده ! وكيف اذا لم ينسب الأمر الى نفسه وينحى الخبر عن ربه ، ليكون الخطر أصغر والشأن أيسر ، ان جرت الأقدار بما يحذر ، أو وقعت الأمور على ما يكره · ولكنه أثبته فى كتاب مسطور ، ورق منشور · فعل لعمر الله يدل على النبوة التى كان بها واثقا ، ويهدى الى الوحى الذى كان اليه ساكنا ·

وان عرض لنظرك ، أو وقع فى خلدك ، أن الله عز وجل عود محمدا صلى الله عليه وسلم الغلبة وأجراه على المنعة ، فكان يجرى على عادة قد عرفها ، ويسلك جادة قد خبرها ، فلقد كانت الهزيمة فى أول وقعة أوقعها الله ، ثم لقد دالت الحرب فيما بعد (٣) سجالا فيما بينه وبينهم : تارة عليه لهم ، وأخرى له عليهم · فناصحوا الله عز وجل فى نظركم ، وقلبوا فيما يقول أمير المؤمنين فكركم · فلعمر الله ما كان النبى صلى الله عليه وسلم ليقول لملوك المشركين : ان الله هزمكم برمية من تراب

---

(١) فى الأصل « ويزعم أن أصحابه ··· » والكلام عليه غير واضح ·
(٢) هكذا فى الأصل ·
(٣) فى الأصل : « فيها بعد ··· » ·

وهو يعلم أنه عنده من الكاذبين · فاحضر كتابي هذا فهمك · واصبر له وان خصمك ، فان هذه آية عظيمة ، وحجة بليغة ، وبينة عجيبة ، في غلبة العرب ·

وأعجب من هذه وألطف ، وأكثر منها وأعظم ، الآية في غلبة العجم · واستمع : أمر الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يقول للمؤمنين ــ وكانوا كما قال الله عز وجل قليلا مستضعفين ــ : ان قبائل العرب ستتحزب عليكم ، وان الله سيهزمهم لكم ، وحيا أنزله في الكتاب ، فقال : (**جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**) ، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل هذا القول عليه بدهور طويلة وسنين كثيرة ، محبوسين محصورين في حومة الموت وعسكر الخوف وخندق القهر وذل الحصر ، سوادهم الأعم وجلهم الأعظم حفاة عراة عالة ، اخوان دير ، وأصحاب وبر ، لا قوة بهم ، ولا منعة لهم ، ولا أسلحة عندهم ، ولا عدة معهم ، قد أحدقت العرب بعسكرهم وأحاطت القبائل بخندقهم ، وسالت الأحزاب تصديقا لحتم الله عليهم ، تريد أن تزلزل أقدامهم وتهريق دماءهم ، فكان المؤمنون كما وصف عز وجل من سوء الحال ، وضيق المآل ، وشدة الكظاظ (١) ، فان الله قد وصف لهم حالهم ، وأذكرهم فعلهم ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليصف لهم عن الله ما يجهلون ، ولا ليذكرهم من أمره ما لا يعرفـــون ، حذارا أن تنكسر عزائمهم وتتغير بصـــائرهم ، فتنهزم أفئدتهم وتموت عزائمهم وتتغير بصـــائرهم فتهزم أفئدتهم وتموت نجدتهم وتختلف كلمتهم فقال الله عز وجل : « **اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصـــار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** » حتى قالت طائفة منهم لأهل المدينة يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقالت طائفة أخرى : يا رسول الله ، ان بيوتنا عورة ، فأذن لنا ويقول الله تعالى : وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا · فبينا هم على تلك الحال قد أجمعت العرب بتفريقهم في الجبال ، وتقسيمهم بالقداح وأخذهم بالأيدي ، اذ قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما ينبئهم به من علم الغيوب ويبشرهم به من أمر الفتوح : « ان الله سينصركم على جمع الروم ويغلب لكم جنود فارس فيهزم لكم جنودهم ويورثكم قصـــورهم ويستخلفكم في الأرض من بعدهم ويبدلكم من بعد خوفكم أمنا » وعدا صدقه الكتاب وبشارة نطق بها الوحي فقال : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا**) فقال أقوام وأناس ارتابوا حين تضايقت الحال وتزلزلت الأقدام وطارت القلوب ودارت العيون وأشرف الموت : ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا أبعدنا هزيمة جموع الأضراب وفتح قصور الشام وغلبة جنود كسرى ، وقد سالت القبائل علينا من كل جانب وأحدق الموت

---

(١) الكظاظ : التعب والشدة ·

بنا من كل مكان ، فبقينا فى مسبغة من الجوع ومجهدة من الخوف وضنك من الحال ، مقهورين مقموعين (١) • وقالت الخاصـــة من المؤمنين حين عاينوا الجموع من المشركين ، وذكروا ما خبرهم الله من تحزبهم عليهم ومسيرهم اليهم : **(هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما)** فبينا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى مضايق تلك الحال ، وشدة ذلك الخصال (٢) ، وعموم تلك البلايا الباهظة ، والأمور الفادحة ، التى قد أخذ بأنفاسهم غمها ، وبلغ مجهودهم كربها ، رافعين الى الله عز وجل أيديهم ، يقلبون فى السماء أعينهم ، اذ أرسل الله على تلك الجنود الكثيفة والجموع العظيمة والأحزاب المقتدرة ، ريحا من الأرض وجنودا من السماء ، فقطعت الأبنية ، وطيرت الأمتعة ، وسفت التراب فى العيون ، وقذفت الرعب فى القلوب ، فولوا مدبرين ، وخرجوا منهزمين ، لا يلوى والد على ولد ، ولا مولود على أحد • أمر صدق الله فيه قوله ، وأنجز به وعده ، وهزم الأحزاب وحده ، وذكر المؤمنين نعمته فيهم ، وعرفهم منته بهم ، فقال : **(اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)** • وقال عز وجل : **« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا)** ما كان الله عز وجل ليقتص على المسلمين فى أنفسهم ، الا ما قد رأوه بأعينهم •

لولا أن هذا ما لا ينكره عقلك ولا يدفعه نظرك ، لما جادلتك بالكتاب ، ولا نازعتك بالتنزيل • وانى لأترك من آيات النبى صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحى ، ما هو أعظم من هذا وأبين وأجل وأوضح • ولكن ليس لى أن أحاجك من آيات القرآن ، الا بما عليه شاهد من برهان ، ومخبر من بيان ، لا يستطيع عقلك ردا له ولا قلبك جحدا له • وكيف ينبسط لسانك أو يجترىء قلبك أن يقول : ان محمداً صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بالكذب وهم يعلمون فاقتص عليهم من أمورهم ما لا يعرفون ! لا ! ما يسوغ لك ولا يجمل بك ، ولا يقبل منك أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه ، كيف ! أما كان يخاف أن يكذبه أصحابه ، وتنتقل أحواله ، وتنتقض أموره ! لعمر الله لو وصفت بهذا من لا يعرف بفضل ولا ينسب الى عقل ، لما كان سائغا لك ولا جائزا منك ، فكيف تصف به من يرفع عن الناس قدره ، ويفضل عليهم عقـــله ! وتقر أنك لم تر فى الدنيا أحدا صنع [ما صنع] وبلغ ما بلغ ! فأية آية فيما اقتص عليك أمير المؤمنين أعظم أو بينة أعجب : أما كان يتلى على المؤمنين فى الكتاب من اجتماع قبـــائل الأحزاب بجنود عظيمة قبل اجتماعهم بسنين كثيرة ، أم ما كان (٣) ينادى به القرآن من الهزيمة لهم وينطق به الوحى من الفتح عليهم ،

---

(١) مقموعين : مقهورين مذللين •
(٢) الخصال : النضال •
(٣) فى الأصل : « أما كان ••• » •

أم قول النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ان الله عز وجل يؤمن خوفكم ويعز نصركم على الأمم » وهو على تلك الحال ثم نجمت الأمور على ما قال ، أم عسكران مطابقان وجيشان متقابلان ، باتت الريح تحوس (١) أحدهما حتى انهزموا . وبات الآخرون منها فى عافية وغفلة حتى أصبحوا ؟ فأحسن النظر فى أمرك ، والتثبت فى دينك ان شاء الله .

واعلم أن من أعظم الآيات وأبين الدلالات ، على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم رسالته . وأن ليس يتقول شيئا من تلقاء نفسه ، انه قال فى عنفوان أمره : « ان الله عز وجل سيظهر دينى على الدين كله » وجاء مع ذلك بأثرة عن ربه ، فى كتاب مخطوط وتنزيل محفوظ . فأى أمريه لك (٢) أدل ، أو أيهما عندك أعجب ، اذ كنت بنبوته مصدقا ، ولرسالته محققا : الخبر الذى أخبره ، أم الفعل الذى صدقه ؟ لئن نظرت بعقلك وقلت فى نفسك : كيف ترقت الى هذا نيته وارتفعت نحوه همته ، أم كيف امتدت اليه فطنته وقويت عليه رويته ؟ بل كيف دعته اليه نفسه ، وشجعه عليه قلبه ، ودخل فيه طمعه ، وطاوعه فيه لسانه ، وهو يذكر جنود كسرى ، وجموع الروم ، وملوك الترك ، وملوك الشرك ، وقيول اليمن ، وصناديد الأمم ؟ ان هذا لعجب . ولا سيما اذا لم يكن فى ارث ملك قاهر ، ولا كنف عز غالب ، ولا معدن علم سالف .

ولئن أعدت النظر وكررت ، فقلت : كيف وافق خبره أثره ، وكيف صدق فعله قوله ، حتى غلب الشرق والغرب ! ان هذا لعجب ! وأعجب من هذا أمر يدلك أمير المؤمنين عليه ، ويهديك ان شاء الله اليه : لو قلت لأهل مملكتك ومن قبلك من أمتك : هل بلغكم أو تقرر قبلكم ، أنه كان فى الدهر الأول ، والعصر الخالى ، أحد مثل محمد — صلى الله عليه وسلم — بدأت الأمور به مثل حاله من الوحدة والضعف والذلة والقلة ، وصدرت الحال به كفعاله فى الغلبة والمنعة ، والقهر والظهور ، وغير ذلك ؟ لقالوا لا .

ثم أنت لا تؤمن بمقالته ، ولا تقر برسالته ، الفا لدينك ، وضنا بملكك ، وطمعا فى قليل من الدنيا قد نعاه الله اليك ، ورغبة فى صبابة عيش غير باقية فى يديك ، فهذا عجب . وأعجب من هذا أمر يقفك أمير المؤمنين على نور حقه ، ويوضح لك ان

(١) تحوس أحدهما : تغشاه وتهينه . وفى الأصل « تحوش ... » بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « فأى أمر بذلك ... » .

شاء الله بيان أمره : أصبحت العرب طرا والأمم جميعا في محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا رابع لهم ولا مخرج للحق من بينهم : رجل مصدق به من المؤمنين ، ورجل مكذب به من الكافرين ، ورجل شاك فيه من المنافقين ٠

فأما الشاك فلما قيل له : أخرجت نفسك من الحق ، وأبرأتها من الصواب ، وأقررت عليها بالخطأ ، لقولك : لابد أن يكون الحق فى التصديق أو التكذيب ، ولست على واحد منهما ، اعتزل عنهما ٠

وأما المكذب فلما قيل له : أنت منكر والمنكر ليس بمدع ، ومن لم يدع لم تلزمه بينة ولا يسأل عن حجة ، اتبع صاحبه ٠ وايم الله على ذلك ، لو سئل هذا المدعى عن بينته وكشف حجته ، فقيل له : من أين عرف قلبك ، وأيقنت نفسك ايقانا لا يخالجه شك ، ومعرفة لا يشوبها ريب ولا ينازعها شبهة ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس برسول ، لما درى ما يقول ، لأنه لا يستطيع أن يتقول على الرسل ، ولا أن يتكذب على الكتب ، فيقول : قد أخبر الله فيها أنه لا يبعث نبيا ، ولا ينزل وحيا فى كتاب مسطور ، بعد التوراة والانجيل والزبور ٠ بل قد يجد أهل الكتاب فى أقاويل رسلهم وأخابير كتبهم ، أن الله تبارك وتعالى ينزل كتابا جديدا أو كلاما حديثا ، بعد خراب بيت المقدس فى آخر الزمان ، ولم ينزل بعد ذلك كتابا الا القرآن ٠

وأما الرجل المصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم فقيل له : أما أنت فقد ادعيت ، والمدعى يسأل عن الحجة وتقبل منه البينة ، فما بينتك ومن يشهد لك ؟ فقال : ألم تقولوا : ان الحق لا يخرج من بيننا ، ولابد أن يكون مع بعضنا ؟ قالوا بلى ! قال : فأية بينة أحق وأعدل ، وأى شهود أزكى وأفضل من شهادتكم بسقوط صاحبى وثبوت الحق من بعدهما فى يدى ؟ قالوا : ان الأمر لكما تقول ، ولكن البينة أشفى للصدور ، فأقام بينة من الكتاب ، وشهودا من الوحى ، وآيات سوى ذلك عظاما ، وبينات عوام ، من كلام لا يقدر عليه الخلق ، وصدق لا يكون الا من قبل الرب ، شبيها بما أورده أمير المؤمنين عليكم ، وكتب به فى صدر كتابه هذا اليكم ، مما قد تشهد له قلوب الأمم ، ويزكيه فعال العرب ٠

فلما أقام بينته ، وثبتت حجته ، ووجب حقه ، وقضى به له ، قيل له : كيف توسعت الأمور عليك ، وضاقت المقالة لك ، أن تقول : ان الله لا يبعث نبيا بعد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا وحيا ينزل غير القرآن ، فأبطلت الكتب المحدثة ، وأكذبت الوثيقة ، ولم تترك وحيا غير القرآن ، ولم يجز للنصارى أن تقول : لا نبى بعد عيسى عليه السلام ، ولا كتاب خلف الانجيل ، وعن ذلك من أخبار الكتب ما قلنا كل متنبىء (١) بعد نبينا كذاب ، فشـاعت وجازت الحجة ، ووضـــح العذر ٠

---

(١) فى هذه الجملة غموض لم نوفق الى كشف سببه وان كان المراد منها واضحا ٠

وأما النصارى فيجدون فى أواخر كتبهم ، وأقاويل رسلهم ، ان الله عز وجل ، يبعث نبيا حديثا ، وينزل كتابا جديدا ، فليس لهم أن يكذبوا نبينا — صلى الله عليه وسلم — ولا أن يردوا كتابنا .

فهؤلاء الثلاثة . أما الشاك فسقط وأما المنكر فبطل ، وأما المصدق فثبت ثبوتا ليس فيه مدخل شبهة ، ولا موضع لحجة ، ولا معلق لمنازعة . وذلك أن المنكر لوجوب حقه ، والشاك فى ثبوت صدقه ، لا يجد بدا من أن ينحى الصدق عن الخلق ، ويخلى الدنيا من الحق ، وهذا قول المكذبين بربهم ، الشاكين فى بعثهم ، فأحسن النظر فى معانيه ينكشف لك عما فيه ، ان شاء الله .

ومن أبين آياته وأدل علاماته — صلى الله عليه وسلم — ووسع له فيما صدر اليه : أنه لما أخبرت النصارى واليهود أنهم لم يجدوا محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى التوراة والانجيل موصوفا مكتوبا ، تجمعت العلماء منهم ، وتدارست الكتب فيما بينهم ، فلما نظروا الى اسمه وعاينوه بنعته ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويستفتحون بذكره على من سواهم ، [كفرت] طائفة حسدا من عند أنفسها ، وجحدا من بعد ما تبين لها ، وآمنت طائفة ، تصديقا بكتابها ، وخوفا من ربها .

فلعمر الله لو [لا] أن الذين آمنوا بحقه وصدقوا بأمره ، رأوا صفته عيانا . وقبلوا نعته ايقانا ، لما فارقوا أديانهم ، ولا جادلوا اخوانهم ، حتى وقفوهم على اسمه ونسبه ، وصفته وعلامته ، وهم علماء بنى اسرائيل ، وحملة الانجيل : من أهل الكتاب الذين احتج الله عز وجل بهم على العرب ، فقال عز وجل : **(أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل)** . ولعمر الله انها لآية عظيمة ، وحجة بليغة ، ذكرها الله فى كتابه ، وجعلها على العرب من بيناته ، فقال لهم : **(قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا)** . يقولون : وعدنا أن يرسل رسولا ، فقد أرسله ، وحقق قوله ، وصدق وعده . واحتج النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وذكره . ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ليجادل ويحتج فى أمرهم بكذب وباطل ، ولم يكن ليقول للنصارى واليهود ، فيما ذكر الله من صدق الموعود : انه فى التوراة والانجيل مكتوب موجود ، الا وهو من ذلك على حق يقين ، ونور مستبين . وكيف كان يستشهد من التوراة والانجيل بكذب ، ويتقول عليهم الباطل ، مع حرصه على تصديق أهل الكتاب ليستدعى به ايمان أحياء العرب . أما كان يعلم أنه اذا قال لهم : انه موجود فى مثانى كتبهم ، وسمى على أفواه رسلهم ، فلم يجدوا خبره يقينا ، ولا وصفه مستبينا ، أنهم سيدبرون عنه ادبارا ، تزداد به العرب نفارا ، الا أن يقولوا خطأ من علمه ، وهواء من خبره ، فكيف لم يخط اذن فى كتبهم حرفا غيره ، ولم يخالف عنها شيئا سواه ، سبحان الله ! لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة بكم ،

فأنتم ان تنكروا ما يقولون لكم ، مما ليس لذى لب أن يأذن له أن يؤمن به ، ولا أن ينبذ اليه سمعه (١) ، يقولون : ان أنبياء الله ورسله ، المبعوثين بالرحمة الى خلقه ، لطفت النبوة منهم ، ووقعت الأخبار المنزلة عليهم ، على صغائر الأمور ، وغوامض الخطوب ، فسار الناس عليها ، وأشاروا لهم الى طلبها . فهى مكررة فى مثانى كتبهم ، وبطون صحفهم ، وأقاويل رسلهم ، وتركوا من كلام الله النبأ العظيم ، والأمر الكبير ، والذكر الحكيم ، الذى ملك آفاق الأرضين ، واستفاض على جميع العالمين ، لم يذكروه بخير يأتمرون به ، ولا بشر ينتهون عنه ، كلا ! ما ترك الله على هذا خلقه ، ولا بهذا وصف تبارك وتعالى نفسه ، انه لأرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين .

ولئن رجعت الى قلبك ، لتقولن فى نفسك : لعمر الله لو كان هذا الأمر الذى طلع طلوع الشمس ، وامتد امتداد النهار فبلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسهول الآفاق وحزونتها ، حقا وصدقا وعدلا ، لبشرت الكتب به ، وتنبأت الرسل عليه ، ودعت النذر اليه ، تزيينا له وترغيبا فيه ، وأمرا به . ولو كان ضلالة وجهالة وعماية ، لتقدموا فى التحذير منه ، والتزهيد فيه ، والتثبيط عنه ، فيدعو ذلك الى أن تنظروا (٢) الى كتب الأنبياء وأقاويل الرسل . فايم الله لئن طلبت لتجدن ، ولئن اجتهدت لتوفقن . وما الصواب بممنوع ، ولا الخير بمحظور . ولقد كانت العلماء بالكتب والبصراء بالتأويل تجده ، ولكنها كانت تكتمه بتحريف كلام الكتب عن مواضعه ، وصرف تأويل الحكم الى أشباهه ، حسدا من عند أنفسهم وبغيا بعد ما تبين لهم . ثم لقد اقتديتم بهم وجريتم معهم وأخذتم عنهم ، بلا حجة لكم ، ولا قوة معكم الا الاقتداء بالآباء والاتباع للآثار . فاتق الله فى نفسك ، واتهم الرجال على دينك ، ولا تجعل النظر الى غيرك من ذوى الشك فى القلوب ، والفسخ فى ... (٣) والتهم فى التعطيل ، الذين لعلهم يعرض لآرائهم ويقع فى أوهامهم أن يقولوا : فلعل ما يتلو عليكم أمير المؤمنين من آيات القرآن ، ويقرع لكم من حجج الوحى شيء زيد فى المصاحف بعد النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا ما لا يحتمله عقل صحيح ولا نظر قوى ، وذاك الشاك فى شهادات الرجال ، متفقة من بلدان وأمصار مختلفة ، وشعوب وقبائل متفرقة ، ليس يدعوهم الى ما شهدوا دين ، ولا يحملهم على ما اتفقوا عليه دنيا ، لا يستقيم له أن يؤمن (٤) بما لم تدركه جوارحه وتحيط به حواسه ، لاسقاطه حجة الاجماع وابطاله شهادة العوام . واتفاق المختلفين دلالة واضحة . فهو سائلكم عن الحجة فى الانجيل والبينة على التوراة ، شكا فى الرب وتكذيبا بالرسل ، فما كنت

---

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل « أن ينظروا ... » بياء الغيبة .

(٣) كذا فى الأصل . وظاهر أن كلمة بعد « فى » سقطت من الناسخ سهوا .

(٤) فى الأصل . « لا يستقيم له أن يؤمن له بما ... » بزيادة « له » . وهى قلقة فى موضعها فلعلها زيدت من الناسخ .

قائله له أو مجيبه به فى كتابكم ، فأجيبه بمثله فى كتابنا وان كانت الأحوال منها غير معتدلة ولا مؤتلفة ولا مرتفعه ولا واحدة ، تعتدل حالاهما ، ويتفق امرهما ، من كتابكم ما لم تنزل به الملائكه وحيا كالقرآن ، ولم يشافه المسيح به اصحابه باللسان ، انما كان فعلا اثبت من بعده ، ولم يكن الفعال موضوعا بعده (١) • وليس يكتب امير المؤمنين بهذا اليكم شكا فيه ، ولا يورده عليكم مرية به •

ولقد علم أمير المؤمنين أن كتب الله عز وجل محفوظة ، وأن حججه مخزونة ، لا يزاد فيها على تقادم عهد ، ولا ينتقص منها على تقارب دهر ، وأن ذلك ثبت فى الانجيل من بعد عيسى عليه السلام ، وأنه قال لمن اجتمع اليه من الحواريين : « بالوحى أكلمكم ، والأمثال أضرب لكم » • فأمثاله المضروبة كلام ، وكلامه الرائع وحى • ولكن ما بال الشك ينفى عن كتابكم ، بحجة الاجتماع عليه عندكم ، وهو على ما وصف أمير المؤمنين لكم ، وسيان فى تنزيل كتابنا ، وقد أدرك شهادة دينه ، اما ما قربا (١) من عهده ومعاينة وحيه واجتماع على حفظه ، هذا حكم مختلف •

فقل للذين يشكون فيه ويرتابون به : أوقعوا أوهامكم على حالات الأوقات التى تعرفون وقوتها (٢) بطبقات الرجال الذين يتهمون •

فان قالوا : أما طبقات الرجال التابعين ، وحالات زمان أمير المؤمنين ، فذلك ما لا يسوغ الأقاويل فيه ، ولاتدخل الشبهة عليه ، لانتشار القرآن وامتداد الزمان ، وكثرة الحملة لآياته فيهم ، والحفظة للسانه منهم ، ولكن الدين الذى نزل به القرآن ، وقبض النبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم • وكيف بوقوع تهمة أو دخول شبهة ، على اقوام [لبث] النبى صلى الله عليه وسلم عشرين حجة فيهم يتلو كتاب الله عز وجل فى كل عام عليهم ، حتى حملوه فى صدورهم ، وحفظوه فى قلوبهم ، وكرر فى آذانهم مسموعا ، وأمر على أبصارهم مكتوبا ، وجرى على ألسنتهم متلوا ، وجمعه كثير منهم محفوظا ، ثم توارثوه فيهم وتداولوه فيما بينهم ، حتى أدوه الينا ، وأوفوا به عندنا ، من مواضع متفاوتة ، وأصناف وأجناس متباينة ، على كلمة واحدة ! •

فان قالوا : اتفقت الرجال على الزيادة فيه وأمكنت الحال من الحمل عليه ، فليعلموا أن المؤمنين المخلصين ليسوا فى الزيادة متهمين ، وأن المنافقين الملحدين ليسوا على ذلك بقادرين • وكيف يقدر القليل من المنافقين على مخالفة الجمع من المؤمنين ، بعد ما حفظته ، قلوبهم ، ووعته أسماعهم ، ثم تكتتم القدرة لهم وتستتر الزيادة منهم !

---

(١) فى هذا الموضع اضطراب فى الكلمات ، والمراد واضح •
(٢) كذا فى الأصل •

هذا ما لا يقدر عليه منافق ، ولا يطيقه مشرك ولا فاسق · وايم الله أن لو قدرت اليهود على الزيادة فى الانجيل ، لأفسدوا كتابكم وغيروا دينكم ، ولو جعل الله المنافقين على الزيادة فى كتابه قادرين ، لبدلوا ديننا وغيروا حالنا · ولو كانوا لذلك مقرنين وعلى ذلك مقتدرين ، لكان الذين كتب به أمير المؤمنين اليكم ، وأورده من حجج الله عليكم ، أولى ما تلقون ، ورأس ما تقترفون · فلا تلقين الى ما قاله [المضل] سمعك ، ولا تنصت الدهر اليه ذهنك ، فانه اتخذ الشك فى كتابنا ذريعة الى الاخلال بكتابك ، وسلما الى الشك فى دينك (١) وعلة فى الطعن على ملتك ، ولكن قل يا ولى الشيطان : أنى وقع لك ايمان بأنك من ولد فلان ؟ أتقول : شهدت الجيرة ، واجتمعت العشيرة ، واتفق المختلفون ، فذهب الشك ، وزال الريب ، ووقع الايقان ، من غير العيان ؟ صدقت · فما بال الشك فيما اجتمعت العامة على القول به ، واتفقت الجماعة فى الشهادة عليه من آيات الكتب وبينات الرسل ! وان ذهب بهذا عن أمره ، وباعده (٢) عن شبهه ، فتؤمن أنه من نطفة خلق ، ومن رحم خرج ، فان جحدوا بى ألا يؤمن بما لا يرى ، فقل : أرأيت لو كنت سميعا أعمى ، أكنت تؤمن بشىء مما فى الدنيا : من سماء أو هواء ، أو بحر و سبع ، أو أرض أو جبل ، أو شبه ذلك مما لم يدركه العيان ولم يقبله الا عن الناس ؟ فان قال نعم ، فقل : فهل لك الا بالاجتماع الكفر بالرب (٣) ، وما لدائه دواء غير الصلب · فاتق الله اذ كنت اماما وقائدا لأهل ملكك ، لا تقدهم الى النار فتحمل أوزارهم مع وزرك ·

فان من أبين آيات الوحى ، وأدل علامات النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يبتدع فى الدين أمرا من تلقاء نفسه ، ولا يتقدم فى الأمور بين يدى ربه · والله أظهر فيما أنزل من الكتاب أمورا كان يحسبها صلى الله عليه وسلم مستورة ، فقال تأديبا له ، واخبارا لمن آمن من بعده (٤) : **(واذ تقول للذى انعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)** · وقال : **(عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا انها تذكرة)** · وقال تعالى : **(ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا)** · وقال له حين صرف قلبه عن بيت المقدس الى البلد الحرام حين سكنت القلوب اليها ، وأنست النفوس بها : **(ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك**

---

(١) فى الأصل « فى دينه ... » ·
(٢) كذا فى الأصل ·
(٣) كذا فى الأصل ·
(٤) فى الأصل · « لمن آمن من بعده اذ يقول ... » وظاهر أن كلمة « اذ يقول » غير مفيدة هنا · فلعلها زيدت سهوا من الناسخ ·

من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير) . وكانت القبلة التى صرفه الله اليها وأمره بها عظيمة على المنافقين واقعة بخلاف الكافرين ، كبيرة (١) الا على الذين هدى الله من المؤمنين ، فانهم قالوا : اذا اختلفت القبلتـان وافترقت الجهتان ، كانت الطاعة فيهما واحدة لا اختلاف فيها ولا افتراق عليها . وكيف تختلف الطاعة من رجل بنى بأمر الله عز وجل ثم هدم بوحى الله .

فان قلت : ان الله حوله عن أفضل القبلتين وأقوم الجهتين ، فلا سواء فى الفضل البين والخير السر : قبلة سلط الله عليها الكافرين ولم يمنعها من الظالمين ، وقبلة منعها بجنود من عنده ، وعصمها بغير ما حول من خلقه ولا حرمة يدعيها أحد ممن فيها ، فأرسل طيرا أبابيل ترمى الأعداء بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول . فان تقل : هذا خبر ننكره ، وقول لا نعرفه ، فبأى حديث بعد هذا تؤمن ، وتشهد لله عز وجل أنه من قبله ، وأنتم تعلمون أنه أنزل الله عز وجل سورة الفيل على قوم أدركه منهم بشر كثير .

فان قلت : ان محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم بما عاينوه وأدركوا خلافه ، نقل : انه أراد أن يفرقهم عنه ويوحشهم منه ، وأحب أن يرموه بالكذب ، ويقذفوه بالحمق ، ويصموه بالجنون ، ويظنون (٢) به الظنون ، كلا ! ما كان نبى ولا غير نبى ليجاهد أقواما بخلاف ما رأت أبصارهم وشاهدت آباؤهم ، فيخبرهم بخلاف ما شهدوا ، وتكذيب ما عاينوا . فلا تكونن فى هذا من الممترين ، ولا بأمر الفيل من المكذبين .

فلعمر الله لو كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم ما تلحد أنت وقومك اليه لما قام معه رجلان ولا اختلف فيه سيفان . وان فيما صـنع الله عز وجل بالفيـل وأتباعه ، دلالة على قبلة الله وأنبيائه . فاتق الله ! فقد شرح أمير المؤمنين علامات النبى صلى الله عليه وسلم وكشف الأغطية لك عن النور بآيات الوحى . فان مالت الأهواء بك ، وغلبت الأساقفة عليك ، وحضرك الرؤساء الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى بلا حجة عندهم ، ولا سلطان أتاهم فقل : أنبئونى عما اجتمعت عليه النصرانية وذهبت اليه بهم المعانى من تشقيق الكلام وتصريف الكتب : أحروف تتعسفونها ، أم لغة تعرفونها ؟ فان قالوا : انهم بغير لغة يتكلمون ، فهم اذن قوم يلعبون . وان قالوا : انهم يتكلمون بلغة معروفة ومعان معلومة ، فقل : أخبرونى عن قولكم : أب وابن ، أهما ما تعترف العقول من المنطق ويقع فى القلوب من المعنى أم لا ؟ فان قالوا : لا ،

---

(١) فى الأصل : « كثيرة ... » .
(٢) كذا فى الأصل .

ليس ذلك بالذى تذهب أوهام العباد اليه ، ولا بالذى تقع الحقائق فى الآباء والأبناء عليه ، انما هو كقول الله عز وجل فى التوراة لاسرائيل : « بكرى » لا يعنى ولادة الرحم ، وكقول المسيح عليه السلام للحواريين : « أنتم اخوتى » لا يعنى أخوة النسب ٠ فذلك لا يجدون معه بدا من أن ينسبوا عيسى عليه السلام عبدا ٠ وان قالوا : بل هو ما نجرى به ألسن العباد ، ويقع فى قلوب الخلق من الولادة المعروفة والأبوة المعلومة ، فليخبرونا متى كان الأب والدا ، والابن مولودا : أقبل الولادة أم بعدها ؟ فان قالوا : قبلها ، رجعوا عن القول الأول بتثبيت الأبوة ٠ الا أن ذلك ليس بالشىء الذى تذهب اليه الأوهام ، ولا بالمعنى الذى يقع فى قلوب الأنام ٠

ولا بد اذا سقطت الولادة المعروفة وبطلب الأبوة الموجودة ، أن يقولوا : ان الأب والابن اسمان علقا على غير معنى ، ونسبان أضيفا الى غير حق ، فيقرون أن عيسى عليه السلام خلق مثلهم ، وأنهم يتكلمون بغير لغة أحد منهم ٠

وان قالوا : انما كان الابن مولودا والأب والدا بعد الولادة ، فقد أقروا بأن الابن حدث مخلوق وعبد مربوب ، لقولهم انه لم يكن حتى ولد ، ولم يولد حتى خلق ٠ وقل لمن يقول الزور العظيم ، ويقذف بالافك المبين : أليس الأب أبا على حياله ولم يزل ، والابن ابنا نجل ، وروح القدس كذلك ؟ فان قالوا : نعم ، فقد أقروا بأنهم ثلاثة متباينة ، وقعت عليهم ثلاثة أسماء متفاوتة ، وتركوا قولهم : انهم ثلاثة أصلهم واحد ٠

وان قالوا : الأب والابن وروح القدس واحد ، ولكن بعضه أب وبعضه ابن وبعضه روح القدس ، فقد دخلوا فى التحديد الذى هو عيب عندهم ، وقالوا فى التبعيض بما هو كفر قبلهم ٠ وان قالوا : ليس مبعضا ، ولا مجزأ ، ولا محدودا ولا ثلاثة متباينين ، فاذا هم قوم يلعبون : يقولون : الأب ابن ، والابن أب ، والوالد مولود ، والمولود والد ، والكبير صغير ، والصغير كبير ، والقليل كثير ، والكثير قليل ٠ وهذا من أبين المحال وأخلف المقال ٠ وليس من المنطق ما لا يوجد فى لغة عرب ولا عجم ، ولا لسان أمة من الأمم ٠ وانما أرسل الله عز وجل كل نبى بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله الظالمين ٠ ولولا ذلك لما فهمت الأمم مذاهب أقاويل الرسل ولا معانى أحاديث الكتب ٠ فلا تطع الذين يلعبون بانفسهم ، ويتكلمون بغير لغتهم ، ويقولون : الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ، وهذا محال فى مجارى المقال ، ومعانى الفعال ٠

لعمر الله لئن اتهمت عقول الأساقفة على دينك ، واهتممت بالنظر فى توحيدك ، لتعلمن أن الواحد لا يكون ثلاثة وأن الثلاثة لا تكون واحدا ، الا على وجه ما له ثان يقوله به ، ولا منه مخرج تستريح اليه ٠ فألق نحوه سمعك ، وأنصت اليه فهمك ، فان أمير المؤمنين واصفه لك ، وليس واقعا الا على المخلوقين ، ولا لازما غير المحدودين ، ولا داخلا

على رب العالمين : وهو أن يكون الشيء أصله واحد وأجزاؤه كثيرة ، من نحو الانسان ، وهو أصل يجمعه اسم ، وله أجزاء تلزمها أسماء ، فليس الجزء بالأصل ، ولا الأصل بالجزء ، ولكن الجزء بعض الأصل · فاذا أردت الجزء ، قلت يد الانسان وسمع الانسان · ولولا أنه محدود مخلوق مجزأ مبعض لما جاز هذا القول فيه ولا دخل هذا المثل عليه ، وكذلك الشمس : الأصل واحد ، وهي شمس ، والأجزاء كثيرة وهو عين الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ودقيقها وغليظها وحرورها وأعلاها وأسفلها وأشباه ذلك ·

فلئن قلت : سميت كل جزء من الأجزاء على حياله انسانا ، وكل جزء من الشمس دون أصله شمسا ، ونسبت فعل الأصل الى بعض أجزائه ، وتركت أن تنسب الأصل فاعلا ببعض الأجزاء ، كما تقول : بسط الانسان بيده ، ومشى برجله ، ونظر بعينه ، ثم ضربت ذلك لله عز وجل مثلا وجعلت الله له قياسا ، فقلت : الأصل واحد ، وهو الله عز وجل ، والأجزاء كثيرة وهي أب وابن وروح القدس ، وكل جزء منها اله على حياله ورب دون غيره ، لم تجد بدا أن تلحق اليد والعين والنفس بالأب والابن وروح القدس ، فتكثر آلهتك ، وتحدد ربك ، وتترك قولك : ان الله ليس محدودا ولا مجزأ ولا مبعضا ، الا أن يكون انما تريد مذاهب الأسماء فتقول : المعنى واحد ، وهو الله عز وجل ، والأسماء أب وابن وروح القدس · فان كنت تقول هذا وكنت انما تعبد أسماء ، فما تجد بدا من أن تعبد الأسماء كلها وتقول : انها آلهة على حيالها ، حتى تقول باسم ارحمني ، وبثان اغفر لي · فاتقوا الله يأهل الكتاب ، فان الله عز وجل ليس بأب ولا ابن ولا اسم ، ولكن له الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ·

فان أشارت الأساقفة الى بعض الانسان باليد والرجل وأشباه ذلك وقالوا ليس انسانا ، فقل لا ، ولكنه للانسان ، وقل هو انسان بكماله · وكذلك ان أشاروا الى بعض الشمس فقالوا : أليس هذا الشمس طالعا ، فقل لا ، ولكنه بعضها ، ولو كانت الأسماء التي تقع أبصاركم عليها وتشير أيديكم اليها من الشمس والسماء والهواء شمسا وهواء وسماء لكانت الشمس والهواء والسماء أكثر مما يبلغه الاحصاء · ولو قصدت بالاجابة لمسالك هذه الأودية ، لبطلت الحجج الداحضة وانقطعت الأقاويل المتناقضة · وسل من قبلك من أساقف أمتك وشمامسة أهل ملتك الذين يزعمون أن عيسى المسيح ، ويرفعونه أن يكون عبدا : على أي شيء وقع اسم المسيح من عيسى : على الروح أم الجسد أم على كليهما ؟ فان قالوا : وقع على الروح نفسه ، لأن الروح اله دون غيره ، فقد أقروا بأن الههم يأكل ويشرب ، ويمشي ويركب ، لأنهم يجدون ذلك من فعل عيسى مبينا قبلهم ، موصوفا عندهم · فان قالوا : وقع اسم المسيح على الجسد بعينه ، فكان الجسد هو المسيح اذن دون غيره ، والمسيح اذن مخلوق عندهم، والاله انسان اذن مثلهم ، فلم يعبدون المخلوق ويدعون من خلقه وبرأه · وان قالوا :

وقع الاسم على الروح والجسد جميعا ، فلن يجدوا مخرجا ولا بدا ولا محيصا ، اذا أوقعوا الاسم عليهما ، من أن يضيفوا الأعمال اليهما ، فيقولوا : ان الجسد المخلوق هو خلقهم ، وان الروح الخالقة قد ماتت قبلهم ، وذلك لما يجدون من ذكر موت عيسى عليه السلام في الكتب عندهم وفي الانجيل الذى قبلهم · وسل من قبلك عن الأب والابن ، فقل أيهما أعظم وأيهما أصغر ، فان قالوا : الأب أعظم والابن أصغر ، فقد جعلوهما متباينين · وان قالوا : هما واحد وكلاهما عظيم ، وليس الأب بأعظم من الابن ، ولا الابن بأصغر من الأب ، فقد نقض حينئذ جوابهم ، وأكذب المسيح عليه السلام كلامهم ، حيث يقول : « لو كنتم (١) تحبونني لفرحتهم حيث أذهب الى الهى فان الهى أعظم منى » فلم يقل أعظم منى ، الا وهو مقر بأنه أصغر منه · وسلهم عن قول المسيح (٢) : « أنا أذهب الى الهى والهكم » ، فقل : من هذا الاله الذى ذهب عيسى اليه صلى الله عليه وسلم : اله في السماء متباين منه منقطع عنه ؟ فهما اذن اثنان متباينان ، أم اله كان به متصلا وكانا جميعا واحدا ؟ فكيف اذن يجوز له أن يقول اذن أذهب اليه ! الا أن يقولوا : ان بعضه ذهب الى بعض ! وهذا مما لا يجوز عندهم في صفة الرب عز وجل ·

وسل من قبلك : أخرج المسيح من بطن أمه مريم بكماله حتى كان البطن منه فارغا وكان هو منه بكماله خارجا ؟ فان قالوا : نعم ، فقد انكسر قولهم : ان الله بكل مكان · وان قالوا : لم يخرج المسيح ولم يخل البطن ، فقد كذبوا اذن في قولهم : انه قد خرج ، وأقروا أنه قد ولد · فتعالى الله عما يصفون ، وتنزه عما يشركون · وسلهم لم هبط عيسى الى بطن مريم ، وتجسد باللحم والدم ، فان قالوا : ليمحق الخطايا من الأرض ويربط الشيطان عن الخلق ، فقل : كيف اذن لم يربطه عن نفسه ! وكيف جلاباه (٣) من اليهود بصلبه ! ولم سلط على أهل دينه يتبعون في كل شعب ويقتلون بكل واد !

وقل للذين يقولون : ان الخالق في كل مكان من السماء والأرض وغير ذلك : أيهما أعظم : المحيط المشتمل ، أم المحاط المشتمل عليه كما يقولون ؟ تعالى الله عما يشركون · فان قالوا : انما التحم بعضه دون بعض ، فقد حدوا وبعضوا ونقصوا وانتقصوا ، واما قالوا فلن يجدوا بدا من أن يقولوا : ان بعض المسيح الذى جعلوه ربهم ، وهو اله عندهم ، ميت بعضه جيفة ، وان بعضه حى طيب ، لأنهم زعموا أنه التحم بجسد حى فيه روح ، فلا بد اذن أن يدخل عليه ما يدخل على الأجسام الحية من الخوف والفزع والفرح والعطش وأشباه ذلك ، وهو عندهم كفر عظيم ، واقك

---

(١) الوارد في انجيل يوحنا (فصل ١٤ آية ٢٨ ص ١٨٦ من الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة ١٨٨٢ م) : « فلو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون بانى ماض الى الأب لان الأب هو أعظم منى » ·

(٢) الوارد في انجيل يوحنا (فصل ٢٠ آية ١٧ ج ٣ ص ١٩٦ من الكتاب المقدس) : « انى صاعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم » ·

(٣) كذا في الأصل ·

مبين · فاتق عقوبة الله ربك ، ولا تمش مكبا على وجهك ، ولكن اطلب والتمس وابحث ، فقد قال عيسى عليه السلام في الانجيل : « من (١) سأل أعطى ومن طلب وجد ومن استفتح فتح له » ·

اجمع العلماء والبصراء [الذين] عندك ، والأساقفة والرهبان الذى قبلك ، فقل : لأى شيء نسبتم المسيح الها وجعلتموه ربا ؟ ونجد الله سماه فى الكتاب ابنا ، وقد تجدونه قال : « انى أذهب الى أبى وأبيكم والهى والهكم أيضا » · وهذا كلام يحتمل وجهين أحدهما أولى به ، وقول لا يحتمل الا وجها وهو الربوبية · أم كيف تنظرون الى كلامه : « أذهب الى أبى وأبيكم » · فتفردونها فى نفسه وقد قالها فيه وفى غيره !

فاتق الله وكن من القائمين بالحق ، الموحدين للرب · ان أمير المؤمنين قد ضرب لك أمثالا جمة ، وصرف اليك مسائل كثيرة ، وبين لك من آيات النبى صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحى قليلا من كثير ، واضحا من تفسير ، لا تمتنع العقول من التصديق به ، ولا القلوب من الاقرار به ·

وسيذكر لك أمير المؤمنين من علامات النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل ، ما يكتفى به ، ان شاء الله ، وباليسير منه ، لأن كتب الله عز وجل محفوظة ، وحججه محروسة ، لا يزاد فيها ولا ينقص منها · اذا وجدت فيها كلمة تدلك على حق وتهديك الى رشد ، فلست واجدا أخرى تصدك عنه وتشككك فيه ، اذا تلى ذلك بالحق ووضع على الصدق · ولكن ضلت اليهود والنصارى بتحريف تأويل الكلام ، وتصريف تفسير الكتب · وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق ·

من ذلك ما قد شهد به عيسى عليه السلام عندكم وبينه فى الانجيل لكم ، اذ قال للحواريين (٢) : « أنا أذهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول كما يقال له ، وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معى من قبل الناس بالخطيئة ، وكل شيء أعد الله لكم يخبركم به » · وترجمة البارقليط : أحمد · هذا ما لا شك ولا مرية فيه ، وهو الذى يخبر بما وعد الله المؤمنين وصالحى الحواريين فى القرآن · ولستم تجدون ذلك فى التوراة ولا فى الانجيل ·

---

(١) الوارد فى انجيل متى (فصل ٥ اية ٤٢، ج ٣ من الكتاب المقدس) : « من سألك فأعطه · ومن أراد أن يقترض منك فلا تمنعه » · والوارد فى انجيل لوقا (فصل ١١ اية ١٠ ج ٣ من الكتاب المقدس) : « من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له » ·

(٢) راجع انجيل يوحنا (فصل ١٤ اية ٢٦ وفصل ١٥ اية ٢٦ وفصل ١٦ اية ١٣ ج ٣ ص ١٨٨ من الكتاب المقدس) ·

ومن ذلك قول أشعيا (١) النبى عليه السلام : « قيل لى : اقم بطارا ما ترى يخبرى (٢) ؟ قال : أرى راكبين بعيرين مقبلين أحدهما يقول لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها (٣) المنحوتة » · ولسنا نعلم نبيا ركب بعد موسى صلى الله عليه وسلم بعيرا الا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ·

ومن ذلك قول داود عليه السلام (٤) : « اللهم ابعث جاعل السنة كى يعلم الناس أنهم بشر » يقول : كى يتبين الناس أن عيسى عليه السلام انسان · ولسنا نعلم نبيا وضع سنة تنسب اليه الا محمدا صلى الله عليه وسلم · أما عيسى فانه نصب سنة موسى عليه السلام ·

ومن ذلك قول حبقوق (٥) المتنبىء فى زمان دانيال : « جاء الله من السماء (٦) والقديس من جبال فاران ، وامتلأت السماء من تحميد أحمد وتقديسه ، ومسح الأرض بيمينه ، وملك رقاب الأمم » · وقال أيضا (٧) : « تضيء لنوره الأرض ، وتحمل خيله فى البحر » · فالى من ينحو هذا القول ، والى أين يذهب بهذا المعنى ؟ لئن ذهب به الى غير الذى [تحمل] (٨) خيله فى البحر ، وبدأ من جبال فاران أمره ، وغلب على الأرض ومسحها (٩) ، وملك رقاب الأمم كلها ؛ لقد تركتم الحق وأنتم تعلمون ·

ومن ذلك قول داود عليه السلام فى الزبور (١٠) : « صدقوا وسبحوا الرب تسبيحا حديثا سبحوا الذى هلله (٣) الصالحون · ليفرح اسرائيل بخالقه ويتوبيه صهيون من أجل أن الله اصطفى له أمته ، وأعطاه النصر وسدد الصالحين بالكرامة ، يسبحونه على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات عالية ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ،

---

(١) راجع نبوءة أشعيا (فصل ٢١ آية ٩ ج ٢ ص ٣٤٨ من الكتاب المقدس) ·
(٢) كذا فى الأصل ، ولم نوفق الى تصحيحه ·
(٣) فى الأصل : « المنحرة » وقد استأنسنا فى اثبات ما أثبتناه بالكتاب المقدس ·
(٤) راجع سفر المزامير (فصل ٩ آية ٢١ ج ٢ ص ٥٢ من الكتاب المقدس) ·
(٥) راجع نبوءة حبقوق (فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس) ·
(٦) فى الأصل : « من الصمان ··· » ·
(٧) راجع نبوءة حبقوق (فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس) ·
(٨) زيادة يدل عليها ما قبلها ·
(٩) فى الأصل : « ومنحها ··· » ·
(١٠) راجع سفر المزامير (فصل ١٤٩ آية ١ ـ ٩ ـ ج ٢ ص ١٥٧ من الكتاب المقدس) ·
(١١) فى الأصل « هلكه الصالحون ··· » ·

لينتقم الله من الأمم الذين لا يعبدونه ، ثم يقيد ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال » . وأية أمة يكبرون الله بأصوات وأذان الصلوات الدائمة وعلى كل شرف وعند كل حرب ، وأية أمة كانت سيوفها ذات شفرتين الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم !

ومن ذلك قول أشعيا (١) : « سبحوا الرب تسبيحا حديثا ، ويسبحه من آفاق الأرض فرح (٢) يكون في بني فيار » . وبنو فيار قريش أهل فاران الذى نزل فيه القرآن . وأية أمة تسبح من آفاق الأرض الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم . عدى آكدى (٣) .

ومن ذلك قول أشعيا (٤) : « عبدى الذى وجب به حبى الذى بشرت به نفسى أفيض عليه روحى ، يوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته فى الأسواق ، ويفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحى القلوب الغلف ، وما اعطيه لا أعطى غيره ، أحمد يحمد الله حمدا حديثا ، تهليله يأتى من أقصى الأرض ، يجوز الماء بشـدة أمواجه ، ويصـرح (٥) وكورها ، سـكانها يحمدون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية » .

ومن ذلك قول داود (٦) عليه السلام فى المزمور الخامس والأربعين (٧) ، ويقول عز وجل لمحمد فى الزبور : « انصبت رحمتى على شفتيك من أجل ذلك باركتك (٨) الدهر ، تقلد السيف على الأمم ، أيها الجبار على الأمم بالقتل والأسر والسباء بهاك وحمدك أحمد يغلب البر منك كلمة الحق وذللت لك الأشياء سيفك بحسمه يمينك ونبالك مسمومة ويسقط عند الأمم » . فأى نبى كان على الأمم جبارا ولهم باذن الله قتالا الا نبينا صلى الله عليه وسلم .

---

(١) راجع نبوءة اشعيا ١ فصل ٤٢ اية ١٠ ج ٢ ص ٢٧٦ من الكتاب المقدس) .
(٢) كذا فى الاصل ، ولعله محرف عن « فوج » . والفوج : الجماعة من النـاس .
(٣) كذا بالاصل ، ولم ندر لهاتين الكلمتين ولا لذكرهما معنى .
(٤) راجع نبوءة اشعيا (فصل ٤٢ اية ١ ـ ١٠ ج ٢ ، ص ٢٧٦ من الكتاب المقدس) .
(٥) كذا بالاصل .
(٦) راجع سفر المزامير (فصل ٤٤ ، وفى بعض النسخ ٤٥ ، اية ٢ ـ ٨ ج ٢ ص ٧٩ من الكتاب المقدس) .
(٧) فى الاصل : « فى خمسة واربعين مزمورا » .
(٨) فى الاصل : « من اجل ذلك باركتك الدهر » . واستعنا فى تصحيحها بالكتاب المقدس الذى وردت فيه الجملة هكذا : « وقد انسكبت النعمة على شفتيك فلذلك باركك الله الى الابد » . اما الباقى فلم نوفق الى تصحيحه فاثبتناه كما ورد بالاصل .

ومن ذلك في آخر التوراة (١) : « جاء الله تبارك وتعالى من سيناء وأشرف من ساعير واستبان واستعلن من جبال فاران ، وجاء عن يمينه ربوات القديسين » . وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء ، وأنزل الانجيل على عيسى عليه السلام في جبل ساعير وهو جبل بالشام ، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال فاران وهي بلاد مكة . وأنتم تجدون ذلك في كتبكم مكررا وتعرفونه جميعا بلغتكم .

ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام (٢) « سأقيم لهم من اخوتهم مثلك أجعل كلامي على فهمه ولا يتكلم الا بما آمره به » . فمن اخوة بني اسرائيل الا بنو اسماعيل ! أما تعلم أن لو كان الله عز وجل يعني أحدا منهم لقال لهم : أقيم لكم نبيا منكم ! .

فان قلتم انما قال من اخوتكم ، وهو يريد من أنفسكم ، فهب أمير المؤمنين قبل هذا الخلف منكم ووسع في هذا المجال لكم ، فكيف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة : « مثل موسى في بني اسرائيل لا يقوم » فهل تجدون من هذا مخرجا ، ومن الايمان أن المعنى وقع على محمد صلى الله عليه وسلم بدا .

ألا تسمع قول الله عز وجل : « أجعل كلامي على فمه كي يعني به ، أمي لا يقرأ ولا يكتب » .

أوليس قد أمر عيسى عليه السلام حوارييه أن يقولوا في صلواتهم (٣) : « يا أبانا الذي في السماء تقدس اسمك » . كيف صار عيسى دونهم ابنا ، وصار له دونهم (٤) أبا ، وهم يقولون : يا أبانا ! أم كيف لم يجعل سليمان بن داود الها وقد قال الله عز وجل لداود : « يولد لك غلام يسمى لي وأسمى له » ! ولم لا يجعلون اسرائيل الها وقد قال الله عز وجل له : « أنت بكري » ! بل لم لا يسمون المؤمنين عامة والحواريين خاصة [آلهة] ، وقد قال المسيح للحواريين : أنتم اخوتي ، وقد قال في الانجيل (٥) : « أعط كل من آمن بي سلطانا يدعى له » . وان كان هؤلاء كلهم للمسيح اخوة أفلا تجعلونهم كلهم آلهة ! وكيف يقولون : ان عيسى ابن الله ، وهو يقول في مواضع جمة وأماكن كثيرة انه ابن الانسان ! فكيف يكون ابن الانسان

---

(١) راجع سفر تثنية الاشتراع (فصل ٣٣ اية ٢ ج ١ ، ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس) .

(٢) راجع سفر تثنية الاشتراع (فصل ٣٣ اية ٢ ج ١ ، ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس) .

(٣) راجع انجيل متى (فصل ٦ آية ٩ ج ٣ ص ١٠ من الكتاب المقدس) .

(٤) في الاصل : « وصار دونه ابا ... » .

(٥) لم نجد هذا في الانجيل .

ابن الله ؟ ومتى كان ذلك ؟ لئن قالوا : ان عيسى لم يزل ابن الانسان ، لقد جعلوا مع الله انسانا قديما وجعلوا الله انسانا حديثا ، وجعلوا المسيح ابن الله لم يزل ، وابن الانسان فيما حدث . وهذه أمور متناقضة ، وحجج داحضة ، وأقاويل فاحشة .

فان قالوا : انما نعبد المسيح لأنه رفع الى السماء ، فليعبدوا الملائكة فانهم فى السماء قبله ، وادريس فقد رفعه الله وغيره . وان كانوا يعبدون المسيح لأنه لم يخلق من ذكر ، فآدم وحواء لم يخلقا من ذكر ولا أنثى ، ولم يقعا من غم الرحم وضيق البطن وحال الصبا فيما [وقع] فيه المسيح .

وان قالوا : انما نعبد عيسى لأنه أحيا الموتى ، فما أحيا حزقيل (١) أكثر ، وما كان من اليسع تلميذ الياس أعجب ، لأنه أحيا الموتى بعد مئين من السنين . وان طلبتم ذلك فى سير الملوك عند قصة اليسع أصبتموه ، ان شاء الله .

وان كانوا انما يعبدون المسيح من أجل الأسقام التى أبرأ والعجائب التى أرى ، فعجائب موسى أعجب وآياته أعظم . أين ما ذكرت لك من [عجائب] عيسى من عجائب موسى : من انقلاب البحر له ، وسلوك الجيش معه ! أم أين ذلك من حجر يضربه فيتفجر بعيون الماء ، ويحمله معه حيث شاء ! بل أين تلك هذه وغير هذه من الآيات من حبس يوشع الشمس (٢) ثلاث ساعات ! وكل ما صنع موسى وعيسى وغيرهما باذن الله وأمره وقدره وقضائه . فاتق الله وكن من القائلين بالحق ، الموحدين للرب ، ولا تقل على عيسى ما لم يقل ، فانكم لا تجدونه قال لكم فى شىء من كتبكم : اعبدونى فانى ربكم . تعالى الله عما يقول الظالمون ، ويذهب اليه الجاحدون .

وان أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك ، فى أولى داريك بك وأهم شأنيك لك ، فدعاك الى الاسلام وأمرك بالايمان الذى به تدخل الجنة وتنجو من النار . فان قبلت فحظك أصبت ، ونفسك أحرزت ، ولك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم . وان رددت نصيحة أمير المؤمنين فيما فيه الحظ فى آخرتك ، فان أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح فى عاجلتك : من اعطاء الجزية التى يحقن الله بها دماءكم ويحرم

---

(١) حزقيال نبى بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل ، وهو الذى أحيا به الله القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته . وهو ما يشير اليه قوله تعالى : (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) الآية .

(٢) اشارة الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ؛ فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

بها سبلكم ، ويجعلها قواما لمعاشكم ، وصلاحا لبلادكم ، وتوفيرا لأموالكم ، وأمنا لجنابكم ، وسعة لسربكم (١) ، وبركة على فقرائكم ، وغنى لأهل الحاجة والفاقة والمسكنة منكم ·

ولن يذكر أمير المؤمنين في الجزية لكم من حلول الأمن فيكم ، وعموم العافية اياكم ، واستقامة البركة عليكم ، وكف أيدى المسلمين عنكم ، وبسطها على الأعداء منكم ، شيئا الا وفى قليل ما كان من أشباه ذلك أيام تلك الفدية التى كان الله أجرى نعمتها لكم على يده ، وفتح بركتها عليكم من قبله ، ما يدلكم على صدق أمير المؤمنين فيما يذكر ، ويشهد له على حقه فيما يقول ان شاء الله · فقد تعلمون أن الله قد أدخل على كل طرف من أطرافكم ، وصنف من أصنافكم ، بتلك الفدية ، أمورا عظيمة البركة ، واسعة المنفعة ، فى أمور غير واحدة :

منها : أن قادة جنودكم وساسة حربكم ، كانوا بعد وقوع أمرهـا واستحكام عقدها ، فراغا لمحاربة أعدائكم ومناصبة من ناوأكم ، بين أن يستجموهم (٢) فى بلادهم وينزلوا عليهم فى ديارهم ، ولا يرهبون بشر ان ساروا فى أرضهم ، ولا يتخوفون طرادا ان اجتمعوا لقتالهم أن يقيموا فى خفض ودعة ، وأمن وسعة ، مع الأزواج والأولاد والعيال والأوطان والرباع والمحال ، وهم اليوم يترقبون الجيوش من كل شعب ويتخوفون الحتوف فى كل وقت ، لا يهدأ (٣) لهم جاش ، ولا يسكن لهم فزع ، ولا ينام لهم ليل ، ولا يأمن فيهم حال ، قد قطعت الهموم دابرهم ، وأضمرت المخاوف جنوبهم واستأصلت الجنود أموالهم ·

ومنها : أن أهل الحراثة واخوان العمارة ، فى بلادك وأطراف أرضك ، كانوا سراعا الى عمارة أرضهم واصلاح ما تحت أيديهم ، فيما لا قوام لهم ولا لمعاشهم الا به ، ولا بقاء لدينهم الا معه ، قد أمنوا الجيوش ومعرتها ، والجنود وبادرتها ، وانتشروا للعمارة ، وابتكروا فى الزراعة ، فارقوا رءوس الجبال واقحام الغياض ، وراحوا فى أوساط أوطانهم وظلال محالهم ، يشققون الأنهار ، ويغرسون الأشجار ، ويفجرون العيون ، حتى نمت الأموال ، واخضرت الحال ، وأخصب الجناب ، وأصبحوا اليوم عن الزراعة ممسكين ، وللحراثة تاركين ، وبغيرها مشتغلين فى اصلاح آلات الهرب ، واحراز العيال فى الحصون ، ورم القلاع للجلاء ، وتحريش الحصون للبلاء ، قد انتقلوا عن منابت البر وكرائم الأرض ، ومجارى المياه ، الى أوشال الجبال ، وأشجار

---

(١) السرب : الطريق ·
(٢) كذا فى الأصل ·
(٣) فى الأصل : « لا سكن لهم ··· الخ » ·

الغياض ، وبطون الأودية ، فليس يبلغون من عمارة بلادهم ، ولزوم أوطانهم ، [و] من تناول ثمارهم وقوام معاشهم مثل ما كانوا يبلغون ، ولا ينالون من خفض العيش وطيب الأمن ولذة الدعة ، قريبا مما كانوا ينالون ·

ومنها : أن اخوان التجارات ، وأصحاب الأموال وأهل الظلف والحافر ، كانوا يتناولون ما شارفهم من بلادنا (١) وما قاربهم من أسواقنا ، فينفقون تجاراتهم ويغلون بضائعهم ، فتعظم الأرباح وتضعف الأثمان · وكانت الباعة من تجار المسلمين وغيرهم من الذميين ، يتناولونهم للبيع ويتناولونهم للشراء منهم ، فعمت البركة وسهلت المنفعة ، حتى نالت الرعاء في جبالها واقبالها (٢) ، والنساء في غزولهن وعمل أيديهن فضلا عن غيرهن ·

ومنها : أنك ومن قبلك من ذوى العبادة والزهادة والتأله والنسك والنيات ، كنتم على عافية من أيام الرضا بالحرب ، وسلامة من أوزار الحض على قتال الخوف . قد نجوتم من معصية المسيح في الدنيا التى نهاكم عنها ، والأمور التى أمركم بها ، من نحو قوله (٣) : « من لطم خدك الأيمن فأمكنه من الأيسر ، ومن انتزع قميصك فاعطه كساءك ، ومن لطمك فاغفر له ، ومن شتمك فاعرض عنه » ·

ومنها : أن من بأقاصى بلادك ونواحى حوزتك ، قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض ، ودعة الحال ، وحلاوة الأمن ، ورفاهية العيش ، وسعة العافية من سباء أزواجهم ، وهيض أولادهم ، وحطم معاشهم ، وأسر رجالهم ، وغنيمة بقرهم وغنمهم ، وافساد شجرهم وثمارهم ، واجلاء عن مساكنهم وأوطانهم ، ما لم يكن لهم رأى يعرفه ، ولا ظن يبلغه ، ولا طمع يقاربه ، ولا أمل يذهب اليه · وما قد عرفت الخاصة من بطارقتكم ، والعامة من أهل ملتكم به : من رأفتكم بهم ، ورحمتكم لهم ، وشفقتكم عليهم ، وأثرتكم اياهم ، وبركة ولايتكم ملكهم ، ومنفعة سياستكم أمرهم ، ما قد ازدادوا لكم به محبة ، وفى بقائكم رغبة ، ولأمركم طاعة ، وعلى ملككم شفقة ، وفيما نابكم نصيحة ، مع ما قد ازددتم بذلك من الهيبة فى صدور الأعداء ، والشرف فى قلوب النظراء ، والعظم فى عيون الأمم ، حتى أقروا لكم بقوة عزائم العقول ، وفضل سياسة الأمور ، وصحة تدبير الملك ، وصدق النية ، ولطف الحيلة التى جعلوا نسبة عملكم بها ، ومحل رأيكم فيها ، على أنكم نظرتم لضعفائكم حتى قووا ، ولفقرائكم

---

(١) فى الأصل : « من بلادهم ··· » ·

(٢) كذا فى الأصل ·

(٣) راجع انجيل متى (فصل ٥ اية ٣٩ ج ٣ ص ٩ من الكتاب المقدس) ·

حتى استغنوا ، ولقرابكم حتى تنبوا وحيوا وقووا المسلمين (١) من أيام الحروب وأوزار القتال ، ومعصية المسيح عليه السلام ، ولأعدائكم الأبعدين وجيرتكم الأقربين ، حتى كنتم من فراغكم لهم ، واشتغالكم من أمركم بهـا ما أوطأتموه لحر سحـر (١) القتل ، وذل الأسر وغلبة القهر ، والاذعان والاستسلام • واما كفيتموهم بالصلح ، واستوثقتم منهم بالرهن •

فاذا ذكرت ما كان من هذا وأشباهه وأمثاله في الفدية ، فاعلموا أن أمثاله وأضعافه مقيم معكم في الجزية ، فلا يكونن لك رأى غيرها ولا أمر سواها ، فلقد أكثر أمير المؤمنين العجب من أمركم ، وأطال تقليب الفكرة في بعضكم ، فظن أن اخراجكم من جميع ما كنتم فيه الى خلافه مما أصبحتم عليه من انتظار وقعات الحروب ، وصولات الجنود وأكل الحدود ، وتوقع الجلاء والسباء والقتل ، والأسر والحصر ، شيئا اختدعكم الله عز وجل فية عن أنفسكم وكيدا استدرككم به لما علم من قلوبكم •

ألا ان أعجب عذركم وأفظعه كان عند أمير المؤمنين اذ بلغته جرأتكم على الله عز وجل في نقض عهده ، واستخفافكم بحقه في خفر ذمته ، وتهاونكم بما كان منكم ، وأنتم تعلمون أن مواثيق العهود ونذور الايمان الذى وضعه الله عز وجل حرما بين ظهرانى خلقه ، وأمانا أفاضه في عباده ، لتسكن اليه نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، وليتعاملوا به فيما بينهم ، ويقيموا به من دنياهم ودينهم ، فما من ملك من الملوك ولا أمة من الأمم ، تبيح حمى الله عز وجل ، تهاونا به وجرأة عليه ، الا أجرى الله عليهم دائرة من دول الأعداء ، وأنزل عليهم عذابا من السماء • وقد رجا أمير المؤمنين أن يجرى الله تقمته منكم بأيدى المسلمين ، بعد اذ كان اعتقد عهدكم ، وأخذ ميثاقكم بالايمان المغلظة ، والعهود الموكدة ، التى قد اعتقدها في رقابكم ، وحملها على ظهوركم ، فأشهدتم الله بها على أنفسكم ، وتسامع بها من حولكم ، وحكم بها بطارقتكم وأساقفتكم • فلا الله اتقيتم ، ولا من الناس استحييتم ، نكثا للعهد ، وبغضـا للمسلمين ، وخترا بالأمانة ، واباحة للحمى • فتوقعوا العقوبة ، وانتظروا الغيب ، فلقد وثق أمير المؤمنين أن من عذاب الله ما هو حال ان شاء الله بكم •

ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم ، ما قد أزمع أمير المؤمنين وعزم عليه ، وقذف الله في قلبه : من الارادة والنية والرغبة في ايطاء الجيوش بلادكم ، واستباء المقاتلة أرضكم ، والتفرغ لكم من كل شغل ، والايثار لجهادكم على كل عمل ، حتى تؤمنوا بالله وأنتم طائعون أو كارهون ، وتؤدوا الجزية عن يد وأنتم

---

(١) كذا في الأصل •

صاغرون . فكونوا على عدة من الجزية ، ويقين من الانتجاع الذى لا طاقة لكم ان شاء الله به ، ولا صبر لكم باذن الله عليه ، فان جنود أمير المؤمنين فارغة كثيرة ، وخزائنه عامرة وافرة ، ونفسه سخية بالانفاق ، ويده مطلقة بالبذل ، والمسلمون نشاط اليكم ، منقلبون عليكم ، قد عودهم الله فى لقائكم عادة يرجون انتظار مثلها ، وأبلاهم فى قتالكم بلاء من أمثالها ، ان شاء الله .

وكتاب أمير المؤمنين نذيره بين يدى جنوده ، ومقدمه ان شاء الله من جيوشه ، الا أن تؤدوا الجزية عن التى دعاك أمير المؤمنين اليها ، وحداك ومن قبلك عليها ، رحمة للضعفاء الذين لا ترحمهم ، وتوجعا للمساكين مما لا توجع منه لهم من الجلاء والسباء والقتل والأسر والقهر ، وقساوة من قلوبكم ، وأثرة لأنفسكم ، واعتصاما بخواصكم ، واجلاء لعوامكم الضعفاء الفقراء المساكين الذين لا تمنعونهم بقوة ، ولا تدفعون عنهم بحيلة ، ولا تراقبون في الرحمة لهم والتعطف عليهم ، أدب المسيح اياكم ، وقوله فى الكتاب (١) لكم : « طوبى للذين يرحمون الناس ، فان أولئك أصفياء الله ونور بنى آدم » .

وايم الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزراعين والفقراء والضعفاء والعملة بأيديهم ، ما لهم عند أمير المؤمنين لتحدروا عليه وأقبلوا اليه ، من ايوائهم ، وانزالهم الارض الواسعة ، وامكانهم من مسايل المياه السائحة ، والعدل عليهم بما لا تبلغه أنت ولا تقاربه ، رفقا بهم ونظرا لهم واحسانا اليهم ، مع تخليته اياهم وأديانهم ، لا يكرههم على خلافها ولا يجبرهم على غيرها ، لاختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك ، وجواره على جوارك ، ولأنقذوا (٢) أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وعيالاتهم ، مما يحل بهم فى كل عام يلقون من كل غزاة . فاتق الله واقبل ما عرض عليك من الجزية ، ولا يمنعنك ما فيه (٣) الحظ لك ولأهل مملكتك . ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم ، الا ليجعله على يد أهل بيت النبوة والرحمة ، ولأهل الوراثة فيهم للكتاب والحكمة ، الذين لا يدخل عليكم فى الاذعان [لهم] وأداء الجزية اليهم حمية ولا نقيصة ولا عار ، والذين يفون لكم بما يعقدون ، ويتبعون فعلهم ما يقولون .

ثم أمير المؤمنين بخاصة لما جعل الله عليه رأيه وفيه نظره من البر والرحمة والاقساط والوفاء بالعقود والعهود والشروط ، نظرا لدينه وخوفا من ربه ، ولما قذف

---

(١) راجع انجيل متى (فصل ٥ اية ٧ ج ٣ ص ٧ من الكتاب المقدس) .
(٢) فى الأصل . « ولا تبذلوا ... » .
(٣) كذا فى الأصل وهو غير واضح ولعل أصله الجملة « ولا يمنحك الشيطان مما فيه .. الخ » ، فسقط هذا أو نحوه سهوا من الناسخ .

الله في قلبه وقلوب المسلمين من المحبة والطاعة والأثرة ، ولما جعلهم الله عليه من اجتماع الكلمة ، واتفاق الأفئدة والنصائح فى السر والعلانية ، وما عوده الله ممن نصب له بمجاذبة ورماه بمكايدة ، وعراه بحيلة : من النصر العزيز ، والفتح القريب ، والظفر المبين • فابذل من الجزية ما شئت ، وسم منها ما هويت • واعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها لحاجة به اليها ولا للمسلمين ، ولكن طاعة لربه وأثرة لحقه ، وليجعلها سببا لما يريد أن يجرى فيما بينه وبينكم • وانه انما كان قبول المهدى ــ رحمه الله ــ الفدية منكم ، بطلبة أمير المؤمنين كانت اليه ، والحاجة كانت فيما عليه (١) ، ولم يكن من رغبة فيها ، ولا حاجة اليها ، ولا استعظام لها ، ولقد كان يعطى فى المجلس الواحد مرارا أمثالها ، ولكن ذلك كان رأى أمير المؤمنين يومئذ فيكم • فاما اليوم اذ استبان له غدركم ونقضكم ونكثكم واستخفافكم بدينكم وجرأتكم على ربكم ، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم ، الا الاسلام أو الحرب ، المجلية ، ان شاء الله • ولا حول بأمير المؤمنين ولا قوة الا بالله ، عليه يتوكل وبه يثق واياه يستعين • والسلام على من اتبع الهدى •

٣ ــ رسالة يحيى بن زياد فى تقريظ الرشيد

أما بعد ، فانى أسأل الله لأمير المؤمنين فى غابر أموره ، أحسن ما عوده فى سالفها من السلامة التى حرسه بها من المكاره ، والعز الذى قهر له به الأعداء ، والنصر الذى مكن له فى البلاد ، والهدى الذى وهب له به المحبة ، والرفق الذى أدر له به الحلب ، والاستصلاح الذى اتسقت له به الرعية ، حتى يكون بما أعطاه من ذلك ، وما هو مستقبل به منه ، أبعد خلفائه فى الخير ذكرا ، وأبقاهم فى العدل أثرا ، وأطولهم فى العمر مدة ، وأحسنهم فى المعاد منقلبا •

ثم نحمد الله الذى جعل نعمته على أمير المؤمنين شواهد منه على منزلته منه ومكانه عنده ، لا يحتاج معها الى شهادات المثنين ، ولا صفات المقرظين ، ثم جعل ذكر نعمته على أمير المؤمنين ومناصحتها والمجاهدة لمن كادها فريضة أوجبها على العباد ، ومحبة امتحنهم بها ، وفرقانا ميز به بينهم ، فمن أصبح من رعيته أكثر شغله أن يستعمل لسانه فى صفته ، وذكر محاسنه وفضائله ، ووجوب حقه وطاعته ، فقد أصبح آثرا أولى الأمور وأحسنها مغبة فى دنياه ودينه ، ومن بدل ذلك من قدرة عليه ، ودفعه بعد معرفة ، فلم يدعه الا عن خذلان حاق به ، أو بدعة استمالته ، كانت حجة الله لأمير المؤمنين عليه هى الكافية لمؤونته • وقد كان علماء الناس وجهالهم

---

(١) كذا فى الأصل •

يسوون في عام المعرفة بفضل أمير المؤمنين ، فأما الخاص فلأهل الفضل فيه فضلهم ، غير أنه مهما كان من ذلك فقد أصبحوا وهم فيه على منازل ثلاث : حاسد حجب الحسد بصره عن مواقع الصواب أن يراه ، والنعمة أن يشكرها ، والحق أن يؤديه ، وكانت معرفته عليه وبالا ، وحسده الى الضر به (١) قائدا · أو ذو هوى قاده الهوى الى البدعة وأخرجته الضلالة من الجماعة ، فهو عرضة لسوء الأدب أو سيف النكال ، لم يوحش الله أحدا بفقده ، ولم يعزز أحداً بموالاته · وموفق معصوم (٢) استنقذه [الله] بموالاة أمير المؤمنين من غل الحسد وبدع الآراء وجبله على صحة الهوى ، فهو ان نظر فبعينه ينظر ، وان قال فبلسانه يقول ، لا يأمن حتى يعلم أن أمير المؤمنين قد استوطأ مهاد الخفض ، ولا يزال له طليعة رأى توفى على خطة حزم وغامض فطنة ، تغلغل الى لطيف منفعته و [تكون] سهم مكيدة نحو عروة (٣) ، قد علم أن يوم أمير المؤمنين يومه ، وأن غده غده ، فهو وان تعرض لأداء الحق في نصيحته ينظر لنفسه نظر من لا يأمل السلامة الا بسلامته ، ولا البقاء الا ببقائه · وقد رجوت بالقرابة التي جعلها الله لى به ، والواجب الذى عرفته من حقه ، والعظيم الذى حملته من معروفه ، ألا يكون أحد ينظر اليه بعين الاشفاق أقوم ما جعله الله أهله منى ، فان أبلغ الذى أردت فبتوفيق الله ، وان أقصر فعن مثل ما حاولت قصر المجتهد ·

فأول ما أنا ذاكره من فضله : أن الله قدم له الصنع في سابق علمه ، فجعل محتده خير المحاتد عنصرا ، ثم اختار له أبا فأبا لا ينقله من أب الى أب الا نقل معه واليه فضيلة العنصر الذى هو منه حتى صيره بعد فضائل آبائه الى أفضل بدنة ، فكان خير خلف من خير سلف ، وأفضل ولد من أفضل أبوة ، وأرضى امام من أزكى أئمة ، ثم اختار له مكارم الأخلاق ، وألبسه جمال الصورة ، فلا نعلم نحن ولا آباؤنا خليفة أبعد في حلمه من ذل ، ولا في هيبته من تجبر ، ولا في شدته من عنف ، ولا في لينه من وهن ، ولا في أناته من غفلة ، ولا في اقتصاده من بخل ، ولا في بذله من اضاعة ، ولا أرق وجها عند لقاء ، ولا أحسن بشرا عند تحية ، ولا أغزر دمعا عند موعظة ، ولا ألين قيادا عند تذكير بالله منه ·

ثم أفضت اليه الخلافة وفى المال ما فيه من القلة ، وفى الناس ما فيهم من الاحراج (٤) ، فما دفع عن مال يعطيه عن قلة ، ولا قطع عادة توسعة على رعيته ،

---

(١) في الأصل : « الغير » ·

(٢) في الأصل : « موفق معصوم ثم استنقذه بموالاة ··· الخ » ·

(٣) في الأصل : « عورة » ·

(٤) الاحراج : الضيق وفى الأصل : « الاستخراج » ·

ثم استدر الحلب برفقه ، فكلما در له منه شخب (١) فوقه (٢) طائفة من جنده حتى سقاهم بعد التفويق ريا ، وبعد النهل عللا ، ثم ساس رعيته بألين السياسة فعفا عن مذنبها ولو شاء لعاقب ، وآمن خائفها ولو طلب لادرك ، ودفع بالحسنة السيئة ولو كافأ لقدر ، فما برح صنع الله له يفض جموع الضلالة بلا قتال ، ويعز له النصر بلا مكاثرة ، حتى فرغ بشغله من كان لا يفرغ من الوزراء ، ونام بسهره من كان لا ينام من العامة واطمأنت بمناآته (٣) للأسفار دار من كان لا ينال الخفض من الجنود حتى استوطئوا مركب الأمن فكلهم ضنين بمفارقته · أما ذو النية فركن الى النقض وأما من لا يبذله ففعل ما كان يؤخذ به من الاستكراه · وأما الحشر من الجند والرعاع فغلبت عليهم عادة الهوينا ، حتى لو رأيناه يجذبه الأمر فما يجد له الأمر غناء عنده ولا نشاطا ولا حدا ان وكله الى قوته ، وقواه بماله (٤) ·

فلما رأى ما رأى من تخاذل العامة ، وتواكل الجنود ونزور الفيء ، وجمود الحلب ، واستكلاب العمال على الخيانة ، وجرأة الرعية على منع الحق ، وما الفراغ بكثير من الناس عن القصد ، فتحركت الأهواء ، واستعرت نيران العصبية ، وجاشت صدور الحسدة وأشياعهم بالأماني ، وظنوا أن لا شدة معه ، وأن عفوه لا نكير بعده ، وامير المؤمنين يرمقهم بعين بصيرة ، وأذن مصيخة ، وقلب يقظان ، وقد وقر الحلم أن يخف لأول بوادر السفهاء ، فهو ينتظر بالمدبر أن يقبل ، وبالمائد أن يعتدل ، وبالمغلوب على رأيه أن يتذكر فيبصر ، شمر فى أثرهم تشمير من قدم الروية قبل العجلة ، والعفو قبل العقوبة ، والتثبت قبل الاقدام ، فاتخذ روابط أنتجها على الجلد والنشاط ، ليست لهم سوابق تدعوهم الى الادلال ، وتسمو بهم الى كثير لم ينالوه ، انما همهم أن يتفاضلوا فى النجدة ، ويستوجبوا بالغناء ، ثم فرقهم على خواص خدمه ، فاذا أراد أن يتناول بهم فرصة ممكنة ، أو عدوا غاط (٥)، أو راتق فتق قبل الساعة ، يغمس يديه الى أيهم أراده ، فينفذ لأمره ولم يشركه فيه مشير ، ولم يخرج به توقيع ، ولم يخص فيه عامة ، ولم يطلع منه على مكيدة ، فلم نعلم أننا رأينا جندا أسرع نهضة اذا مروا ، وأحسن اجابة اذا دعوا ، وأفضل غناء اذا استكفوا من جنده · ثم قصد بنفسه حتى مثل بين النواحي الى أهمها له فسادا فى البيضة ، وانتقاصا من الأطراف ، فأتى ناحية الشام فوطئها وطأة جمع الله بها لهم شتات الفرقة ، وأخمد بها بينهم نار الفتنة ·

وأما الجزيرة فانه ألفاها وهى كالجرح النغل ، فاستأصل الله به منها شأفة الداء ، وأطفأ به عنها بوادر السفهاء ، وخير أمير المؤمنين من منزله الذى هو به منزلا

(١) الشخب (بالضم) : ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة للضرع ·
(٢) فوقه الشيء : أعطاه اياه قليلا قليلا ·
(٣) فى الأصل : « بما أته » ·
(٤) فى الأصل : « ان وكله الى قوته ولا نشاطا ولا حدا وقواه بماله » ·
(٥) غاط : دخل ·

جمع من بسطته فى الموضع ، ورفاهيته فى المعاش ، أنه حامل للجنود ، جامع للمرافق ، فباشر أمره أمرا أمرا ، حتى اذا استدبر له منها مبرم ، استقبل بعده جسام منتقض ، واذا أشحن من ثغوره ثغرا لم يرض حتى يفتتح من حصون أعدائه حصنا ، واذا قضى الله عنه حجة ، وصـــل خطوه منها عزا ، ثم رأينا ما عزم الله به عليـه من ترك الصوائف (١) مراقبا للذى كان من غموط أهل الشام لما كانوا فيه من النعمة ، ولم نتشكك فى أنه توفيق من الله له وافق ســخطا عليهـم حتى استباحوا الحرم ، وتسافكوا الدماء ، ونقضوا ما بينهم من مبرم حبل الاسلام •

ومن ذلك أن أرمينية كانت فيها جنود تخرج عليهم أطماع تحمل اليها ، بعد اعترافهم باخراجهم الأموال من كور الشام ، فلما رأى ذلك فعل كذا وكذا ، فلم يتوكل على الله فى أمر فوكله الى نفسه ، ولم يكتف به فى حفظ طرف أو قاصية ثغر الا كفاه مؤونته ، وعلم أن ما يدخل منن أضعاف العافية من عوارض العلل ، انما هو بتقدير من الله لا يمتنع بعذر ، ولا يستطاع دفعه بحيلة ، يصيب فيه أقواما بالبلايا والتمحيص ، ويقسم فيه لأقوام الأجر والجهاد والسعادة ، فرأى أن فى عاجل ما يرفع عن أهل أرمينية من ضرر مؤونتهم وغمطهم نفعا للرعية ، واجمالا للفىء ، ورفقا بالعامة مع اقتصاده فى الأبواب على أكناف سجيتها ، وفى سائر أرمينية على المقاتلة من أهلها ، ولم يزل منذ أراه الله ذلك ، يكفيه مؤونة ذاك الثغر ، ويكف عنه بوائقه ، حتى كأنه فى هدوء الأحداث عنه ، وسـكون الأفئدة من روعاته مصر من الأمصار ، واسط المحلة مأمون النائرة • فلما اغتنم خاقان ما اغتنم ، وانتهز الفرصة مبادرا ، لما قد أيقن من معالجة المؤمنين اياه ، فكأنه حين بلغه ذلك من اعظامه اياه بسببه له ، وما أنصب فيه من بدنه ، وأسهر فيه من ليله ، وأنضب فيه من نهاره ، لم يعلم الذى يكون من اشتباهه فى الأزمنة الماضية قبله ، وأنه بذلك لجد عالم ، غير أن حميته للاسلام وشفقته عليه وامتعاضه من أن يتناول شىء من أطرافه ، قد زاد ذلك عنده قدرا فى العظم ، وتفاقما فى الخطب ، حتى أكمل البعث بأكثر العدد ، وأكمل العدة ، واستقل أهل الكور والأمصار ، وندب له من أهل بيته من لم يترك بعده نهاية فى التخير ، وكان قد صرف باله الى هذين الثغرين من الخزر والروم ، والى هذين العدوين المحاربين له من المارقة المتعصبة •

فلما بلغ الله فى احكام أمرهما ما بلغ ، لم يستغن عن اعادة النظر فى أمر غيرهما من نواحيه ليستبرىء به ، وأرادته فى أقوام يدافع ظنونهم به فى أخرى ، وعلم غيرهما أن ما شمل من بمدينة السلام من الأمن والفراغ نتيجة مكروهة ، فشخص عنها لتحقيق ذلك مؤثرا لأبغض وطنيه على أحبهما وأخشن عيشيه على ألينهما ، فلما ظهرت له

---

(١) الصوائف : جمع صائفة وهي الغزوة فى الصيف •

العورة أقدام اقدام ذي الحجة ، فلم ير مثلها نارا خبت ، وسحابة أقشعت ، لم يسفك بها دم امرىء مسلم صبرا ، ولم ينتهك فيها حرمة محرم اباحة .

وذلك أنه بسط يده بسط من يريد الاستصلاح لا من يريد الانتقام ، فلم يلبث الظالم أن يرجع عن ظلعه ، والناطق أن صمت عن بدعته ، والناكث أن رجع الى قصده ، وازداد البرىء على البراءة فرحا ، والسالم بالسلامة اغتباطا ، ولم نر مثله فيما أفضى الله به اليه من خلافته ، وحمله من أمور عباده ، أما ليله بمناجاة ربه فيها واستعانته اياه عليها فساهر ، وأما نهاره في حلب فيئها واحكام أمورها فتعب ، وأما صدقاته على فقرائها وأهل الحاجة فجارية ، وأما مجلسه من فقهائها وصلحائها فغاص ، وأما غلظته على ظالمها فعتيدة ، وأما أفضاله لمظلومها فمبسوطة ، ولئن كان الحق ألزم أقواما استوجبوا في أنفسهم وأموالهم ، انا لنعلم أن ما ترك أكثر ، وأنه لولا ما خفف من الوطأة على أقوام لحمل الواحد منهم مثل الذى حمله للجميع ، ولكنه رضي بالعفو ، وسخا نفسا عن الاستقصاء ، فأوجب أن يبسط يدا بغلظة ويتبعها اخرى بلين ، فكان من ذلك نظره في هذه البقايا التى هى فىء المسلمين ومال الله ، غير أن الله جعله قيمة فيه ، وفي اخذه وصرفه في وجوهه ، فلما رأى ضراوة (١) العمال بها ومصانعتهم دونها ، وأن قد صارت كالسنة اللازمة لا يدعها عفيفهم تورعا ، ولا شريفهم تنزها ، أحب مع توفيره للمسلمين فيئهم ، أن يحدث لهم أدبا يفطم به عنهم أهل الضراوة ، ويعرف به ذوو الاستخفاف بالأمانة ، والأمر للتبعة ، أن عليهم (٢) من تفقده وأدبه عينا ترمق ، ويدا تقبض ، ولو أنه حين هم بأخذ تلك البقايا جمل على الموسر بقدر يساره ، وأخذ المعسر بطاعته ، كان قد أنصف ، كلا ! ولكنه أحب أن يستبقى قوة ، ولا يبلغ من المكثر جهدا ، واقتصر بهم على العشر من ذلك ، كرما في القدرة حين رأى موضع الرفق ، وتجافى عن العلة حين عرف مكان الغدر ، فأى نعمة أعظم ، وأى بلاء أحسن من هذه البقايا ! كانت فى أيديهم جماما ، فلما اطلع طلعها ، وأخذ ما أخذ ، وترك ما ترك ، محللا مع ما جعل الله فى ذلك من [كلمات (٣)] المقصر من العمال المؤذية التى لم تكن تعدو أفواههم ، فليس منهم أحد الا وكان منه له واعظ ألا يكسر شيئا من الخراج تضييعا ، أو يأخذه غلولا (٤) أو ينفقه اسرافا ، أو يتركه ارهابا .

فلما تفرغ من علاج الداء المخوف واستأصله ، ومن الفيء المتفرق فجمعه ، ومن الأمور المعطلة فأحكمها ، استخلف على القيام بذلك من يحويه عقله عن حذر ،

---

(١) الضراوة : اللهج بالشيء والاغراء به .

(٢) فى الأصل : « لهم » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) وضعنا هذه الكلمة لانها تتفق والسياق ومكانها فى الأصل بياض .

(٤) الغلول : الطعام أو الشراب الذى يدخل في الجوف .

ولا اضاعة عن حفظ ، ولا لين عن تشدد ، ولا يستحل الأكف عن نقض ما أبرم ، ولا مزاولة ما أحكم ، ولا فتح ما أغلق ، ولا اغلاق ما فتح ، فلان خيرة أبويه ، ومح ببضته ، وجوهر أرومته ، الفائت سبقا . البين عدوا ، الراسخ عرقا ، المنفجر بحرا ، المحمود أمرا ، القائل فصلا ، الحاكم عدلا ، ثم انصرف بما أفاده الله من الأجر الى جناحه الذى كان مده على من خلف من الأهل والأموال والرعايا والجنود ، فلان سلبلة صلبه ، وثمرة قلبه ، المحتنك مع فتاء سنه عقلا ، والمأمون مع شدة شكيمته حملا ، والمحصد مع لينه وتعطفه أمرا ، الشبيه بأمير المؤمنين ان نطق نطقا ، وان نظر لحظا ، وان سئل جودا ، وان اهتصر عودا ، وان ساس رفقا ، وان غضب حلما ، وان وصف علما ، وان كلم فهما ، وان قدر عفوا ، وان لقى بشرا ، وان نازع فلجا ، وان قـــارع ظفرا ، فكان عند ظنه به ، رعاية للحرمة ، وحزما فى المكيدة ، وحلبا للفيء ، وحياطة للغائب ، ومباشرة للشاهد ، هذا قليل من كثير • مما جعلك الله أهله ، وانما اقتصرت عليه لأنى رأيت المتكلمين من الخطباء تركوه ، وأن ما سمعت من الكتب المقروءة لم تنظمه ، فأحببت أن يعلم أمير المؤمنين أن له فى كل أمر عمل به فى رعيته حجة واضحة ، وعذرا معروفا ، ان قام به متكلم فى خاصة حسن موقعه ، وان قرىء به كتاب فى عامة ، قويت به حجته •

والحمد لله الذى جعله وذريته أولياء هذه النعم ، والمخصوصين بهذه الفضائل ، ونسأله أن يبقيه واياهم للدين الذى سد بهم عورته ، والحق الذى أقر بهم جادته ، والعدل الذى أوضح بهم أعلامه ، حتى يكونوا ورثة هذه الأمة وخلفاءها فى غابر الدهر ، وباقيات الأيام ، مستقلين بالعدل ، موفقين السداد ، معصومين من الشبهات ، مستوجبين مع فضائل الدنيا لأفضل كرامات المعاد والسلام (١) •

---

(١) هذه الرسالة ورسالة ابى الربيع محمد بن الليث السابقة من كتاب اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور •

كتب الرشـــيد

١ ـ كتاب عهـــد البيعة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، طائعا غير مكره ، ان أمير المؤمنين ولانى العهد من بعده ، وصير البيعة لى فى رقاب المسلمين جميعا ، وولى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين بعدى ، برضا منى وتسليم ، طائعا غير مكره • وولاه خراسان وثغورها ، وكورها وحربها ، وجندها وخراجها ، وطرازها وبريدها ، وبيوت أموالها وصدقاتها ، وعشرها وعشورها ، وجميع أعمالها فى حياته وبعده ، وشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، برضا منى وطيب نفس ، أن لأخى عبد الله بن هارون على الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين : من العهد والولاية والخلافة ، وأمور المسلمين جميعا بعدى ، وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها ، وما أقطعه أمير المؤمنين من قطيعة ، أو جعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه ، أو ابتاع من الضياع والعقد • وما أعطاه فى حياته وصحته من مال ، أو حلى أو جوهر ، أو متـاع أو كسـوة ، أو منزل أو دواب ، أو قليل أو كثير ، فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، موفرا عليه مسلما له • وقد عرفت ذلك كله شيئا شيئا ، فان حدث بأمير المؤمنين حدث الموت ، وأفضت الخلافة الى محمد ابن أمير المؤمنين ، فعلى محمد انفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين ، فى تولية عبد الله بن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ، ومن ضم اليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرماسين (٢) ، وأن يمضى عبد الله ابن أمير المؤمنين الى خراسان والرى ،

---

(١) هذا العهد ورد فى تاريخ اليعقوبى (ج ٢ ص ٥٠٢ طبعة ليدن) وفيـه عبـارات تخـالف ما أثبتناه هنا عن الطبرى •

(٢) قرماسين : موضع بين الزبيدية ومكة •

والكور التى سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله بن منين من معسكر أمير المؤمنين وغيره ، من سلطان أمير المؤمنين ، وجميع من ضم اليه منين حيث أحب من لدن الرى الى أقصى خراسان ، ليس لمحمد ابن أمير المؤمنين يحول عنه قائدا ولا مقودا ولا رجلا واحدا ممن ضم اليه من أصحابه الذين ضمهم أمير المؤمنين ، ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التى ولاه اياها هارون أمير المؤمنين من ثغور خراسان وأعمالها كلها ، ما بين عمل الرى مما يلى همذان الى أقصى خراسان ۰ وثغورها وبلادها، وما هو منسوب اليها ولا شخصه اليه ، ولا يفرق أحدا من أصحابه وقواده ولا يولى عليه أحدا ، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بندارا (١) ولا محاسبا ولا عاملا ، ولا يدخل عليه فى صغير من أمره ولا كبير ضررا ، ولا يحول بينه وبين العمل فى ذلك برأيه وتدبيره ، ولا يعرض لأحد ممن ضم اليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته ، وقضاته وعماله ، وكتابه وقواده ، وخدمه ومواليه وجنده ، بما يلتمس ادخال الضرر والمكروه عليهم فى أنفسهم ، ولا قراباتهم ولا مواليهم ، ولا أحد يتنسل منهم ، ولا فى دمائهم ولا فى أموالهم ، ولا فى ضياعهم ودورهم ، ورباعهم وأمتعتهم ، ورقيقهم ودوابهم ، شيئا من ذلك صغيرا ولا كبيرا ، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه ، وبترخيص له فى ذلك ، وادهان منه فيه لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم فى أمرهم ، ولا أحد من قضاته ومن عماله ، وممن كان بسبب منه ، بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قضاته ، وان نزع اليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين الى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته ، وقواده وعماله وكتابه وخدمه ، ومواليه وجنده ، ورفض اسمه ومكتبه ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين ، عاصيا له ، أو مخالفا عليه ، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده الى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، بصغر له وقماء (٢) ، حتى ينفذ فيه رأيه وأمره ، فان أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده ، أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان ، وثغورها وأعمالها ، والذى من حد عملها مما يلى همذان ، والكور التى سماها أمير المؤمنين فى كتابه هذا ، أو صرف أحد من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين اليه ، ممن قدم قرماسين ، أو أن ينتقصه قليلا أو كثيرا ، مما جعله أمير المؤمنين له ، بوجه من الوجوه ، أو بحيلة من الحيل ، صغرت أو كبرت ، فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين ، وهو المقدم على محمد ابن أمير المؤمنين ، وهو ولى الأمر من أمير المؤمنين ، والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون ، من أهل خراسان وأهل العطاء ، وجميع المسلمين فى جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين والقيام معه ، والمجاهدة لمن خالفه ، والنصر

---

(١) البنذار : الحافظ ۰

(٢) اقماء : الذل والخضوع ۰

له والذب عنه ، ما كانت الحياة في ابدانهم ، وليس لاحد منهم جميعا من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفه ولا يعصيه ، ولا يخرج من طاعته ، ولا يطيع محمد ابن امير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، وصرف العهد عنه من بعده الى غيره ، أو تنقصه شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، في حياته وصحته ، واشترط في كتابه الذى كتبه عليه في البيت الحرام ، وفي هذا الكتاب ، وعبد الله ابن امير المؤمنين المصدق في قوله ، وأنتم في حل من البيعه التى في أعناقكم لمحمد ابن امير المؤمنين هارون ، ان نقص شيئا مما جعله له امير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون امير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ، ويسلم له الخلافه ، وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ، ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدما عليه أحدا من أولادهما وقراباتهما ، ولا غيرهم من جميع البريه ، فاذا افضت الخلافه الى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، فالأمر اليـــه في امضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرف ذلك عنه الى من رأى من ولده واخوته ، وتقديم من أراد أن يقدم قبله ، وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله ، يحكم في ذلك بما أحب ورأى ، فعليكم معشر المسلمين انفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا ، وشرط عليهم وأمر به ، وعليكم الســـمع والطاعة لأمير المؤمنين فيما الزمكم واوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، وعهد الله وذمته ذلك شيئا ، أو غيرتم أو نكثتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين ، ووكدها في أعناق المؤمنين والمسلمين ، لتفن لعبد الله أمير المؤمنين بما سمى ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سمى ، وكتب في كتابه هذا واشترط عليكم ، وأقررتم به على أنفسكم ، فان انتم بدلتم من ذلك شيئا ، أو غيرتم أو نكثتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم في كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمة الله ، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمم المؤمنين والمسلمين ، وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم ، أو يستفيده الى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين ، وعلى كل رجل منكم المشى الى بيت الله الحرام الذى بمكة خمسين حجة ، نذرا واجبا ، لا يقبل الله منه الا الوفاء بذلك ، وكل مملوك لأحد منكم ، أو يملكه فيما يستقبل الى خمسين سنة حر ، وكل امرأة له فهى طالق ثلاثا البتة ، طـــلاق الحرج لا مثنوية فيها ، والله عليكم بذلك كفيل وراع ، وكفى بالله حســـيبا .

٢ ـ نسخة الشرط الذى كتب عبد الله ابن أمير المؤمنين

بخط يده في الكعبة

هذا كتـــاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمـــير

المؤمنين ، فى صحة من عقله ، وجواز من أمره ، وصدق نية فيما كتب فى كتابه هذا ، ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين .

ان أمير المؤمنين هارون ولانى العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين فى سلطانه ، بعد أخى محمد بن هارون ، وولانى فى حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لى من الخلافة ، وولاية أمور العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لى فى شىء مما أقطعنى أمير المؤمنين ، وابتاع لى من الضياع والعقد والرباع ، وابتعت منه من ذلك ، وما أعطانى أمير المؤمنين من الأموال . والجوهر والكساء ، والمتاع والدواب ، والرقيق وغير ذلك ، ولا يعرض لى ولا لاحد من عمالى وكتابى بسبب محاسبة ، ولا يتبع لى فى ذلك ، ولا لأحد منهم أبدا ، ولا يدخل على ولا عليهم ، ولا على من كان معى ، ومن استعنت به من جميع الناس مكروها فى نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال ، ولا صغير من الأمور ولا كبير ، فأجابه الى ذلك وأقر به ، وكتب له كتابا أكد فيه على نفسه ، ورضى به أمير المؤمنين هارون ، وقبله وعرف صدق نيته فيه ، فشرطت لأمير المؤمنين ، وجعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد ، وأطيع ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشه ، وأوفى ببيعته وولايته ، ولا أغدر ولا أنكث ، وأنفذ كتبه وأموره ، وأحسن مؤازرته وجهاد عدوه فى ناحيتى ، ما وفى لى بما شرط لأمير المؤمنين فى أمرى ، وسمى فى الكتاب الذى كتبه لأمير المؤمنين ، ورضى به أمير المؤمنين ، ولم يتبعنى بشىء من ذلك ، ولم ينقض أمرا من الامور التى شرطها أمير المؤمنين لى عليه ، فان احتاج محمد ابن أمير المؤمنين الى جند ، وكتب الى يأمرنى باشخاصه اليه ، أو الى ناحية من النواحى ، أو الى عدو من أعدائه خالفه ، أو أراد نقص شىء من سلطانه أو سلطانى الذى اسنده أمير المؤمنين الينا ، وولانا اياه ، فعلى أن أنفذ أمره . ولا أخالفه ولا أقصر فى شىء كتب به الى ، وان أراد محمد أن يولى رجلا من ولده العهد والخلافة من بعدى ، فذلك له ما وفى لى بما جعله أمير المؤمنين الى ، واشترطه لى عليه ، وشرط على نفسه فى أمرى ، وعلى انفاذ ذلك والوفاء له به لا أنقص من ذلك ولا أغيره ولا أبدله ولا أقدم قبل أحدا من ولدى ولا قريبا ولا بعيدا من الناس أجمعين ، الا أن يولى أمير المؤمنين هارون أحدا من ولده العهد من بعدى ، فيلزمنى ومحمدا الوفاء له ، وجعلت لأمير المؤمنين ومحمد على الوفاء بما شرطت وسميت فى كتابى هذا ، ما وفى لى محمد بجميع ما اشترط لى أمير المؤمنين عليه فى نفسى ، وما أعطانى أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة فى هذا الكتاب الذى كتبه لى ، وعلى عهد الله وميثاقه ، وذمة أمير المؤمنين وذمتى ، وذمم آبائى وذمم المؤمنين ، وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين ، من عهوده ومواثيقه ، والأيمان المؤكدة التى أمر الله بالوفاء بها ، ونهى عن نقضها وتبديلها ، فان أنا نقضت شيئا مما شرطت وسميت فى كتابى هذا ، أو غيرت أو بدلت أو نكثت أو غدرت ، فبرئت من الله عز وجل ، ومن ولايته ودينه ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقيت الله يوم القيامة كافرا مشركا ، وكل امرأة

هي لي اليوم ، أو أتزوجها الى ثلاثين سنة طالق ثلاثا البتة ، طلاق الحرج ، وكل مملوك هو لي اليوم ، أو أملكه الى ثلاثين سنة ، أحرار لوجه الله ، وعلي المشي الى بيت الله الحرام بمكة ثلاثين حجة ، نذرا واجبا علي في عنقي ، حافيا راجلا لا يقبل الله مني الا الوفاء بذلك ، وكل مال لي أو أملكه الى ثلاثين سنة هدى بالغ الكعبة ، وكل ما جعلت لأمير المؤمنين ، وشرطت في كتابي هذا لازم لي ، لا أضمر غيره ، ولا أنوي غيره • وشهد سليمان ابن أمير المؤمنين ، وفلان وفلان • وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة •

٣ ـ نسخة كتاب الرشيد الى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فان الله ولي أمير المؤمنين وولي ما ولاه ، والحافظ لما استرعاه ، وأكرمه به من خلافته وسلطانه ، والصانع له فيما قدم وأخر من أموره ، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها ، والكالئ والحافظ والكافي من جميع خلقه ، وهو المحمود على جميع آلائه ، المسئول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين وعادته الجميلة عنده ، والهام ما يرضى به ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله ، وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله ابني أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومدت اليه أعناقها ، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون اليهما والثقة بهما لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دهمائهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم حتى ألقوا اليهما أزمتهم ، وأعطوهما بيعتهم ، وصفقات أيمانهم بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلظة عليهم ، أراده الله فلم يكن له مرد ، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا ازالته ، ولا صرف له عن محبته ومشيئته ، وما سبق في علمه منه ، وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك ، وعلى الأمة كافة لا عاقب لأمر الله ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ، ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين يعمل فكره ورأيه ونظره ورويته ، فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية ، والجمع للكلمة ، واللم للشعث ، والدفع للشتات والفرقة ، والحسم لكيد أعداء النعم من أهل الكفر والنفاق ، والغل والشقاق ، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون ادراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما ، ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ، ولجميع الأمة والقوة في أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما ، وصلاح ذات بينهما ، وتحصينهما من كيد أعداء النعم ، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد

بينهما ، فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما الى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والانفاذ لأمره ، واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود ، وأغلظ الايمان والتوكيد ، والأخذ لكل واحد منهما على صـــاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتمـــاع ألفتهما ومودتهما وتواصلهما ومؤازرتهما ومكاتفتهما على حسن النظر لأنفسهما ، ولرعية أمير المؤمنين التي استرعاهما ، والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم ، والجهاد لعدو المسلمين من كانوا وحيث كانوا وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة ومسر لها ، وكل منافق ومارق ، وأهل الأهواء الضالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما ، وبدحس (١) يدحس به لهما ، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعي بالفساد في الأرض ، والدعاء الى البدع والضلالة ، نظرا من أمير المؤمنين لدينه ورعيته ، وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومناصحة لله ولجميع المسلمين ، وذبا عن سلطان الله الذي قدره وتوحد فيه للذي حمله اياه ، والاجتهاد في كل ما فيه قربة الى الله ، وما ينال به رضوانه والوسيلة عنده .

فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه في ذلك وما نظر فيه لهما ، فقبلا كل ما دعاهما اليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله ، وكتبا لأمير المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر ممن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده ، وصحابته وقضاته ، وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما ، كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة ، وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة ، فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة ، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الأمصار ، ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما وقراءة ذلك عليهم ، ليفهموه ويعوه ويعرفوه ويحفظوه ويؤدوه الى اخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم ، ففعلوا ذلك ، وقرىء عليهم الشرطان جميعا في المســـجد الحرام ، فانصرفوا وقد اشتهر ذلك عندهم ، وأثبتوا الشهادة عليه ، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصـــلاحهم ، وحقن دمائهم ولم شعثهم ، واطفاء جمرة أعداء الله وأعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم ، وأظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك ، وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما لأمير المؤمنين ابناه محمد وعبد الله في بطن الكعبة في أسفل كتابه هذا ، فاحمد الله عز وجل على ما صنع لمحمد وعبد الله وليي عهد المســلمين حمدا كثيرا ، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليي عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ، واقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين وأفهمهم اياه ، وقم به بينهم وأثبته في الديوان قبلك ، وقبل قواد أمير

---

(١) الدحس : الفساد .

المؤمنين ورعيته قبلك ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك ، ان شاء الله • وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وبه الحول والقوة والطول • كتبه اسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة •

باب المنظـــوم

صورنا لك بالمجلد الأول حالة الشعر فى صدر الدولة العباسية وذكرنا لك جملة صالحة من شعراء ذلك العصر ووعدناك بذكر مختارات من شعرهم ، واليك ما وعدناك به •

١ ـ بشار بن برد العقيلى (١)

سأله المهدى لما دخل عليه فقال له : فيمن تعتد يا بشار ؟ فقال : أما اللسان والزى فعربيان ، وأما الأصل فعجمى ، كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين :

---

(١) هو أبو معاذ بشار المرعث بن برد ، أشعر مخضرمى الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين ، وممهد طريق الاختراع ، والبديع للمتفننين ، وأحد البلغاء المكفوفين • وأصله من فرس طخارستان من سبى المهلب بن أبى صفرة ، ووقع ملك أبويه لبنى عقيل بن كعب ، فنشأ بشار فيهم وتربى فى منازلهم ، واختلف الى الأعراب الضاربين بالبصرة حتى يخرج نابغة زمانه فى الفصاحة والشعر • وكان أكمه مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء ، صادق الحس ، لطيف الدراية ، شديد المجون والاستخفاف بالناس ، كثير الاستهتار بالدين ، قليل المبالاة للوقوع فيه ، متهما بالزندقة شعوبيا ، متعصبا على العرب ، شديد التبرم بالناس ، نهاشا لأعراضهم ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، وكان من سعادة الرجل من أهل البصرة الا يعرف بشارا ولا بشار يعرفه ، فانه ان لم يصبه فى عرضه أصابه فى ماله • وقال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ، وما بلغ الحلم الا وهو مخشى معرة لسانه •

وقد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشارا هو رأس المحدثين وأسبقهم الى معاطاة البديع وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل الرقيق الحضرى والهجاء المقذع •

وأنه أول من جمع فى شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفتق عن المعانى الدقيقة ، والأخيلة اللطيفة ، حتى عد شعره برزخا بين الشعر القديم والحديث ، ومجازا يعبر عليه الشعر من مرابع البداوة الى مقاصير الحضارة •

وقد طرق كل باب من أبواب الشعر التى عرفت قبله وأربى عليها ، وغلب عليه الهجاء والتشبيب بالنساء والخروج به عن الحد المألوف عند أهل زمنه ، حتى أنكره عليه العلماء المتورعون لما رأوا من سوء أثره فى شبان البصرة • =

ونبئت قوما بهم جنـــة ❊ يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها الســـائلي جاهدا ❊ ليعرفني أنا أنف الـــكرم
نمت في الكرام بني عامر ❊ فروعي وأصل قريش العجم
فاني لأغني مقـــام الفتى ❊ وأصبي الفتاة فما تعتصم

وكان أبو دلامة حاضرا ، فقـــال : كلا ! لوجهك أقبح من ذلك . وجهي مع وجهك ، فقال بشار : كلا ! والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله اني لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تام الألواح ، وأسجح الخدين ، ولرب مسترخي المزورين للعين فيه مراد . ثم قال له المهدي : من أي العجم أصلك ؟ فقال : من أكثرها في الفرسان وأشدها على الأقران ، أهل طخارستان ، فقال بعض القوم : أولئك الصغد ، فقال : لا ! الصغد تجار ، فلم يردد ذلك المهدي .

وكان بشار كثير التلون في ولائه ، شديد التشيع والتعصب للعجم ، مرة يقول يفتخر بولائه في قيس :

أمنت مضرة الفحشـــاء اني ❊ أرى قيسا تشب (١) ولا تضار
كأن النـــاس حين تغيب عنهم ❊ نبات الأرض أخطاه القطار
وقـد كانت بتـدمر خيل قيس ❊ فكان لتدمر فيهـــا دمار
بحي من بني عيلان شوس ❊ يسير الموت حيث يقال ســـاروا
وما نلقاهم الا صـــدرنا ❊ برى منهم وهـــم حـــرار

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

= وقد نهاه المهدي عن التشبيب ، فكان اذا مالت له نفسه يذكر منه ما يشـاء ويقول : ان الخليفـة منعه من كذا وكذا وأنه له مطيع .

وضمن ذلك بعض قصائد مدح بها الخليفة ، فلم يزد على أن حرمه الجائزة ، وشجعـه على ذلك وزيره يعقوب بن داود ، وكان متورعا ، فهجاهما ، فكان ذلك الى زندقته سبب قتله . توفي سنة ١٦٧ هـ وقد نيف على التسعين . وتجد ترجمته في الأغاني (ج ٣ ص ١٩ وج ٦ ص ٧) وابن خلـكان (ج ١ ص ٨٨) والشعر والشـعراء (ص ٤٧٦) والفهرست (ص ١٥٩) .

(١) تشب : تزداد وترتفع .

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم ✻ مولى العريب فجد بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها ✻ سبحان مولاك الأجل الأكبر

وقال يفتخر بولاء بني عقيل :

انني من بني عقيل بن كعب ✻ موضع السيف من طلى الأعناق

وولد بشار أعمى ، فما نظر الى الدنيا قط ، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره ، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله ، فقيل له يوما وقد أنشد قوله :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ✻ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها ؟ فقال : ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الأشياء ، فيتوفر حسه وتذكو قريحته ، ثم أنشدهم قوله :

عميت جنينا والذكاء من العمى ✻ فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا ✻ بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه ✻ بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

وكان من أشد الناس تبرما بالناس • وكان يقول : الحمد لله الذى ذهب ببصرى • فقيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ قال : لئلا أرى ما أبغض •

قال الأصمعى : بشار خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم •

وقيل لأبى عبيدة : أمروان أشعر أم بشار ؟ فقال : حكم بشار لنفسه بالاستظهار ، انه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيد ، ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والاسلام هذا العدد ، وما أحسبهم برزوا فى مثلها ، ومروان أمدح للملوك •

وسئل الأصمعى عن بشار ومروان أيهما أشعر ؟ فقال : بشار ، فسئل عن السبب لذلك ، فقال : لأن مروان سلك طريقا كثر من يسلكه ، فلم يلحق بمن تقدمه

وشركه فيه من كان فى عصره ، وبشار سلك طريقا لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به ، وهو أكثر تصرفا وفنون شعر ، وأغزر وأوسع بديعا ، ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل ٠

وقيل لبشار : ليس لأحد من شعراء العرب شعر الا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه ، وانه ليس فى شعرك ما يشك فيه ، قال : ومن أين يأتينى الخطأ ؟ وولدت ههنا ، ونشأت فى حجور ثمانين شيخا من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وان دخلت الى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت (١) الى أن أدركت ، فمن أين يأتينى الخطأ ؟ ٠

كان جرير بن المنذر السدوسى يفاخر بشارا ، فقال فيه بشار :

أمثل بنى مضر وائل ❊ فقدتك من فاخر ما أجن
أفى النوم هذا أبا منذر ❊ فخيرا رأيت وخيرا يكن
رأيتك والفخر فى مثلها ❊ كعاجنة غير ما تطحن

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلما لم تأته أرسل اليها ليعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها ، فكتب اليها بهذه الأبيات :

يا ليلتى تزداد نكرا ❊ من حب من أحببت بكرا
حوراء ان نظرت اليـ ❊ ـك سقتك بالعينين خمرا
وكأن رجع حديثها ❊ قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها ❊ هاروت ينفث فيه سحرا
وتخال ما جمعت عليـ ❊ ـه ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشرا ❊ ب صفا وصادف منك فطرا
جنية انسية ❊ أو بين ذاك أجل أمرا
وكفاك أنى لم أحط ❊ بشكاة من أحببت خبرا

---

(١) أبديت : أى خرجت الى البادية ٠

الا مقـــــالة زائـــــر ❊ نثرت لى الأحـــزان نثرا
متخشـــعا تحت الهـــوى ❊ عشرا وتحت المـــوت عشرا

وكان اسحاق الموصلى لا يعتد ببشار ويقول : هو كثير التخليط فى شعره ، وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ، أليس هو القائل :

انما عظم ســـليمى حبتى ❊ قصب السكر لا عظم الجمل
واذا أدنيت منها بصـــلا ❊ غلب المســك على ريح البصل

لو قال : كل شيء جيد ثم أضيف اليه هذا لزيفه • وكان يقدم عليه مروان ويقول : هو أشد استواء شعر منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يعد أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيرا •

قال الجاحظ : كان بشار خطيبا صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع ، المتفننين فى الشعر ، القائلين فى أكثر أجناسه وضروبه • وقال الشعر فى حياة جرير وتعرض له ، وحكى أنه قال : هجوت جريرا فأعرض عنى ، ولو هاجانى لكنت أشعر الناس ، وكان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ، ويصوب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين ، وذكر مثل ذلك فى شعره فقال :

الأرض مظلمة والنـــار مشرقة ❊ والنار معبودة مذ كانت النار

وقال بعض الرواة لأبى عمرو : من أبدع الناس بيتا ؟ قال الذى يقول :

لم يطل ليلى ولـــكن لم أنم ❊ ونفى عنى الكرى طيف ألم
واذا قلت لها جودى لنا ❊ خرجت بالصـــمت عن لا ونعم
روحى يا عبـــد عنى واعلمى ❊ أننى يا عبـــد من لحـــم ودم
ان فى بردى جســـما ناحلا ❊ لو توكات عليه لانهـــدم

وهذه الأبيات لبشار •

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال الذى يقول :

لمست بكفى كفـــه أبتغى الغنى ❊ ولم أدر أن الجـــود من كفه يعدى
فـــلا أنا ما أفـــاد ذوو الغنى ❊ أفدت وأعدانى فاتلفت ما عندى

وهذه الأبيات لبشـــار .

ودخل بشار على ابراهيم بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأى يستعمله فى أمره ، فلما قتل ابراهيم خاف بشار ، فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها فى أبى مسلم ، وحذف منها أبياتا ، وأولها :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ❊ ولا سالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال : أبا مسلم :

على الملك الجبار يقتحم الردى ❊ ويصرعه فى المأزق المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل متوج ❊ عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
تقسم كسرى رهطه بسـيوفهم ❊ وأمسى أبو العباس أحلام نائم

يعنى الوليد بن يزيد .

وقد كان لا يخشى انقـلاب مكيدة ❊ عليه ولا جرى النحـوس الأشـائم
مقيما على اللذات حتى بدت له ❊ وجوه المنـايا حاسرات العمـائم
وقـد ترد الأيام غرا وربمـا ❊ وردن كلوحا باديات الشـكائم
ومروان قد دارت على رأسـه الرحا ❊ وكان لمـا أجرمت نزر الجرائم
فأصبحت تجرى سـادرا فى طريقهم ❊ ولا تتقى أشباه تلك النقـائم
تجردت للاسـلام تعفو سبيله ❊ وتعرى مطـاه (١) لليـوث الضراغم
فما زلت حتى استنصر الدين أهلـه ❊ عليك فعاذوا بالسـيوف الصوارم
فرم وزرا ينجيـك يا بن سـلامة ❊ فلست بناج من مضيم وضـائم

جعل موضع « يابن سلامة » « يابن وشيكة » وهى أم أبى مسلم .

لحا الله قوما رأسـوك عليهـم ❊ وما زلت مرءوسا خبيث المطاعم
أقـول لبسـام عليه جـلالة ❊ غـدا أريحيـا عاشـقا للمكـارم
من الفاطميين الدعاة الى الهدى ❊ جهـارا ومن يهديك مثل ابن فاطم

---

(١) مطاه : ظهره .

هذا البيت حذفه بشار من الأبيات :

سراج لعين المستضيء وتارة ❊ يكون ظلاما للعدو المزاحم
اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ❊ برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولاتجعل الشورى عليك غضاضة (١) ❊ فان الخوافى (٢) قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها (٣) ❊ وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن ❊ نؤوما فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الا ظلامة ❊ شبا (٤) الحرب خير من قبول المظالم
وأدن على القربى المقرب نفسه ❊ ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم
فانك لا تستطرد الهم بالمنى ❊ ولا تبلغ العليا بغير المكارم
اذا كنت فردا هرك القوم مقبلا ❊ وان كنت أدنى لم تفز بالعزائم
وما قرع الأقوام مثل مشيع (٥) ❊ أريب ولا جلى العمى مثل عالم

قال أبو عبيدة : ميمية بشار هذه أحب الى من ميميتى جرير والفرزدق ۰ وقال الأصمعى لبشار : يا أبا معاذ ، ان الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة ، فقال له : يا أبا سعيد ، ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته ، أو خطأ يشارك فى مكروهه ، فقال له : أنت فى قولك هذا أشعر منك فى شعرك ۰

توفى ابن لبشار فجزع عليه ، فقيل له : أجر قدمته ، وفرط افترطته ، وذخر أحرزته ، فقال : ولد دفنته ، وثكل تعجلته ، وغيب وعدته فانتظرته ، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة ۰ وقال يرثيه :

أجارتنا لا تجزعى وأنيبى ❊ أتانى من الموت المطل نصيبى
بنى على رغمى وسخطى رزئته ❊ وبدل أحجارا وجال (٦) قليب
وكان كريحان العروس تخاله ❊ ذوى بعد اشراق يسر وطيب

---

(١) الغضاضة : المنقصة ۰
(٢) الخوافى : الريشات الصغيرات التى فى جناح الطائر اذا ضمها خفيت ، واحدتها خافية ضد القوادم ۰
(٣) الغل بالضم : الحديدة التى تجمع بين يد الأسير وعنقه وتسمى الجامعة ۰
(٤) الشبا بالفتح جمع شباة وهى من كل شيء حده ۰
(٥) المشيع : الشجاع ۰
(٦) الجال : جانب القبر ونواحيه ۰

أصبت به فى حين أورق غصنه ※ وألقى على الهم كل قريب
عجبت لاسراع المنية نحوه ※ وما كان لو مليته بعجيب

قيل لبشار : انك لتجىء بالشىء الهجين المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قيل : بينما تقول شعرا يثير النقع وتخلع به القلوب مثل قولك :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية ※ هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة ※ ذرى منبر صلى علينا وسلما

تقول :

ربابة ربة البيت ※ تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات ※ وديك حسن الصوت

فقال : لكل وجه ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته فى ربابة جاريتى ، وأنا لا آكل البيض من السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك ، فهى تجمع لى البيض ، فهذا عندها أحسن من « قفا نبك » عندك . وسألته جارية مغنية لبعض ولد سليمان بن على ، وكانت محسنة بارعة الظرف ، أن يذكرها فى قصيدة ولا يذكر فيها اسمها ولا اسم سيدها ويكتب بها اليها ، فانصرف وكتب اليها :

وذات دل كأن البدر صورتها ※ باتت تغنى عميد القلب سكرانا
« ان العيون التى فى طرفها حور ※ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا »
فقلت أحسنت يا سؤلى ويا أملى ※ فأسمعينى جزاك الله احسانا
« يا حبذا جبل الريان من جبل ※ وحبذا ساكن الريان من كانا »
قالت فهلا فدتك النفس أحسن من ※ هذا لمن كان صب القلب حيرانا
« يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة ※ والأذن تعشق قبل العين أحيانا »
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة ※ أضرمت فى القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعينى صوتا مطربا هزجا ※ يزيد صبا محبا فيك أشجانا
يا ليتنى كنت تفاحا مفلجة ※ أو كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى اذا وجدت ريحى فاعجبها ※ ونحن فى خلوة مثلت انسانا
فحركت عودها ثم انثنت طربا ※ تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا
« أصبحت أطوع خلق الله كلهم ※ لأكثر الخلق لى فى الحب عصيانا »

فقالت اطربتنا يا زين مجلسنا ※ فهات انك بالاحسان أولانا
لو كنت أعلم أن الحب يقتلني ※ أعددت لى قبل أن ألقاك أكفانا
فغنت الشرب صوتا مونقا رملا ※ يذكى السرور ويبكى العين ألوانا
« لا يقتل الله من دامت مودته ※ والله يقتل أهل الغدر أحيانا »

كان الزوار يسمون فى قديم الدهر الى أيام خالد بن برمك السؤال (بتشديد وضم السين وتشديد وفتح الهمزة) ، فقال خالد : هذا والله اسم أستثقله لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكرم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤمنين ، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ، ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ، ولكننا نسميهم الزوار ، فقال بشار يمدحه بذلك :

حذا خالد فى فعله حذو برمك ※ فمجد له مستطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعون قبله ※ بلفظ على الاعدام فيه دليل
يسمون بالسؤال فى كل موطن ※ وان كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار سترا عليهم ※ فأستاره فى المهتدين سدول

وقال بشار هذا الشعر فى مجلس خالد فى الساعة التى تكلم خالد بهذا فى أمر الزوار ، فأعطاه لكل بيت ألف درهم .

دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده بعض مدائحه فيه ، وعنده عقبة بن رؤبة ينشده رجزا يمدحه به ، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار فقال : هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار : ألي يقال هذا ! أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك ، فقال له عقبة : أنا وأبى فتحنا للناس باب الغريب وباب الرجز ، وانى لخليق أن أسده عليهم ، فقال بشار : ارحمهم رحمك الله ، ولما كان من غد غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التى مدحه فيها :

يا طلل الحى بذات الصمد ※ بالله خبر كيف كنت بعدى
أوحشت من دعد وترب دعد ※ سقيا لأسماء ابنة الأشد
قامت تراءى اذ رأتنى وحدى ※ كالشمس تحت الزبرج (١) المنقد

---

(١) الزبرج : الزينة من وشى أو جوهر .

صـدت بخد وجلت عن خـد * ثـم انثنت كالنفس المـرتد
عهدى بهـا سـقيا له من عهـد * تخلف وعـدا وتفى بوعـد
فنحن من جهد الهـوى فى جهد * وزاهـر من سـبط وجعـد
أهدى له الدهر ولم يستهد * أفـواف نـور الحبر المجـد
يلقى الضحى ريحانه بسـجد * بدلت من ذاك بكى لا يجـدى
وافق حظا من سـعى بجـد * ما ضر أهل النوك ضـعف الجـد
الحر يلحى والعصـا للعبـد * وليس للملحف مثـل الـرد
والنصف يكفيك من التعـدى * وصـاحب كالـدمل الممـد
حملته فى رقعـة من جلـدى * أرقب منه مثل يـوم الـورد
حتى مضى غير فقيد الفقـد * وما درى ما رغبتى من زهـد
اسـلم وحييت أبا الملـد * مفتاح باب الحـدث المنسـد
مشـترك النيـل ورى الزند * اغـر لبـاس ثيـاب الحمـد
ما كان منى لـك غير الـود * ثم ثنـاء مثـل ريح الورد
نسـجته فى محكمـات النـد * فالبس طـرازى غير مسـترد
لله أيامـك فى معـد * وفى بنى قحطـان غير عـد
يوما بذى طخفـة (١) عند الحـد * ومثـله أودعت أرض الهنـد
بالمرهفـات والحـديد السرد * والمقربات (٢) المبعـدات الجرد
اذا الحيـا أكدى بها لا تكدى * تلحم أمرا وأمـورا تسـدى
وابن حـكيم ان أتـاك يردى * أصم لا يسـمع صوت الرعد
حييتـه بتحفـة المعـد * فانهـد مثل الجبـل المنهـد
كل امرىء رهن بمـا يؤدى * ورب ذى تـاج كريم الجـد
كـآل كسرى وكـآل بـرد * أنكب جاف عن سبيل القصـد

* فصلته عن ماله والولد *

فطرب عقبة بن سلم وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزى وهرب من تحت ليلته فلم يعد اليه .

---

(١) طخفة : موضع بعد النباج وبعد امرة فى طريق البصرة الى مكة ، ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

(٢) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها .

قال الجاحظ : فانظر الى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضره وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلم خلق الله به ، لأنه قال له وقد فاخره بشعره : أنت يابني ذهبان الشعر ، اذا مت مات شعرك معك ، فلم يوجد من يرويه بعدك ، فكان كما قال له ، ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الاخبار عنه ، الدال على سخفه وسقوطه وسوء أدبه ٠

وقال بشار في هوى له كانت بالبصرة ، ثم خرجت مع زوجها الى عمان :

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت ※ وأشفى لقلبي أن تهب جنوب
وما ذاك الا أنهـا حين تنتهي ※ تناهي وفيهـا من عبيدة طيب
عـذيري من العـذال اذ يعذلونني ※ سفاها وما في العاذلين لبيب
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى ※ فقلت وهل للعاشقين قلوب
اذا نطق القوم الجلوس فانني ※ مكب كأني في الجميع غريب

جاء أبو الشمقمق الى بشار يشكو اليه الضيقة ويحلف له أنه ما عنده شيء ، فقال له بشار : والله ما عندي ما يغنيك ، ولكن قم معي الى عقبة بن سلم ، فقام معه ، فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ، فقال له بشار :

يا واحد العرب الذي ※ أمسى وليس له نظير
لو كان مثلك آخرا ※ ما كان في الدنيا فقير

فأمر لبشار بألفي درهم ، فقال أبو الشمقمق : نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ ، فجعل بشار يضحك ٠

دخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد ، وكانت فيه غفلة ، فقال : ياشيخ ، ما صناعتك ؟ فقال : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدي ، ثم قال لبشار : اغرب ويلك ! أتتنادر على خالي ؟ فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا ويسأله عن صناعته ٠

وقف على بشار بعض المجان ، وهو ينشد شعرا ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بيديه وغضب ثم قال له : ومن أنت ؟ ويلك ! قال : أنا ــ أعزك الله ــ رجل من باهلة ، وأخوالي سلول ، وأصهاري عكل ، واسمي كلب ،

ومولدي بأضاخ (١) ، ومنزلي بظفر بلال ، فضحك بشار ، ثم قال : اذهب ويلك ! فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد .

مر بشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكرا ، فقال له : بشار استزده يزدك . ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها ، فقال : ما لهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم .

رفع غلام بشار اليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

قال قدامة بن نوح : كان بشار يحشو شعره اذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوما شعرا له فقال فيه : « غنني للغريض يا بن قنان » فقيل له : من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغني البصرة ، قال : وما عليكم منه ؟ ألكم قبله دين فتطالبوه به ، أو ثأر تريدون أن تدركوه ، أو كفلت لكم به ، فاذا غاب طالبتموني باحضاره ، قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وانما أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي ، فقالوا له: الى متى ؟ فقال : مذ يوم ولد والى أن يموت . وذكر أيضا في هذه القصيدة « البردان » فقيل له : يا أبا معاذ ، أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة ، فقال : هو بيت في بيتي سميته بالبردان . أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه ؟ .

قالت امرأة لبشار : أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، قال : أما علمت أن بيض البزاة أشهر من سود الغربان ؟ فقالت له : أما قولك فحسن في السمع ، ومن لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع ؟ فكان بشار يقول : ما أفحمني قط غير هذه المرأة .

دعاه رجل الى منزله فأكل وشرب ، ولما أراد الانصراف قامت جارية للرجل وأخذت بيده ، فلما صار بالصحن أومأ اليها ليقبلها ، فأرسلت يدها من يده ، فجعل يجول في العرصة وخرج مولى الجارية فقال : مالك يا أبا معاذ ؟ فقال : أذنبت ذنبا ولا أبرح أو أقول شعرا ، فقال :

---

(١) من قرى اليمامة لبني نمير .

أتوب اليك من السيئات ❊ وأستغفر الله من فعلتي
تناولت ما لم أرد نيله ❊ على جهل أمرى وفي سكرتي
ووالله والله ما جئته ❊ اعمد ولا كان من همتي
والا فمت اذا ضائعا ❊ وعذبني الله في ميتتي
فمن نال خيرا على قبلة ❊ فلا بارك الله في قبلتي

لما كثر استهتار نساء البصرة وشبابها بشعر بشار ، وقال سوار بن عبد الله ومالك بن دينار : ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الأعمى ، وما زالا يعظانه وكان واصل بن عطاء يقول : ان من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد ، فلما كثر ذلك وانتهى خبره الى المهدى نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب ، وكان المهدى من أشد الناس غيرة ، فقال في ذلك :

يا منظرا حسنا رأيته ❊ في وجه جارية فديته
بعثت الى تسومني ❊ ثوب الشباب وقد طويته
والله رب محمد ❊ ما ان غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما ❊ عرض البلاء وما ابتغيته
ان الخليفة قد أبى ❊ واذا أبى شيئا أبيته
ومخضب رخص البنا ❊ ن بكى على وما بكيته
ويشوقني بيت الحبيـ ❊ ـب اذا ادكرت وأين بيته
قام الخليفة دونه ❊ فصبرت عنه وما قليته
ونهاني الملك الهما ❊ م عن النساء وما عصيته
لا بل وفيت فلم أضع ❊ عهدا ولا رأيا رأيته
وأنا المطل على العدا ❊ واذا غلا الحمد اشتريته
أصفى الخليل اذا دنا ❊ واذا نأى عني نأيته
وأميل في أنس النديـ ❊ ـم من الحياء وما اشتهيته

وكان الخليل بن أحمد ينشد هذه الأبيات ويستحسنها ويعجب بها .

وكان لبشار خمسة ندماء ، فمات منهم أربعة وبقى واحد يقال له : البراء ، فركب في زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق ، فكان بشار يقول : ما خير في الدنيا بعد الأصدقاء ، ثم رثى أصدقاءه بقوله :

يا بن موسى ماذا يقول الامام ☼ في فتاة بالقلب منها أوام
بت من حبها أوقر بالكأ ☼ س ويهفو على فؤادي الهيام
لم يكن بينها وبيني الا ☼ كتب العاشقين والأحلام
يابن موسى اسقني ودع عنك سلمى ☼ ان سلمى حمى وفي احتشام
رب كأس كالسلسبيل تعللـ ☼ ـت بها والعيون عني نيام
حبست للشراة في بيت (١) رأس ☼ عتقت عانسا عليها الختام
نفحت نفحة فهزت نديمي ☼ بنسيم وانشق عنها الزكام
وكأن المطول منها اذا را ☼ ح شج في لسانه برسام (٢)
صالمته الشمول حتى بعينيـ ☼ ـه انكسار وفي المفاصل خام
وهو باقي الأطراف حيت (٣) به الكأ ☼ س وماتت أوصاله والكلام
وفتى يشرب المدامة بالمـا ☼ ل ويمشي يروم ما لا يرام
أنفدت كأسه الدنانير حتى ☼ ذهب العين واستمر السوام
تركته الصهباء يرنو بعين ☼ نام انسانها وليست تنام
جن من شربة نهلن بأخرى ☼ وبكى حين سار فيه المدام
كان لي صاحبا فأودى به الدهـ ☼ ـر وفارقته عليه السلام
بقي الناس بعد هلك نداما ☼ ي وقوعا لم يشعروا ما الكلام
كجزور الأيسار (٤) لا كبد فيهـ ☼ ـا لباغ ولا عليها سنام
يابن موسى فقد الحبيب على العيـ ☼ ـن قذاة وفي الفؤاد سقام
كيف يصفو لي النعيم وحيدا ☼ والأخلاء في المقابر هام
نفستهم (٥) على أم المنايا ☼ فأنامتهم بعنف فناموا
لا يغيض انسجام عيني عليهم ☼ انما غاية الحزين السجام

وقال في نهي الخليفة اياه عن ذكر النساء :

---

(١) بيت رأس : قرية بالشام من قرى حلب ينسب اليها الخمر ٠

(٢) البرسام : علة يهذى فيها وهو ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء ثم يتصل الى الدماغ ٠

(٣) حيت بالادغام لغة فى حى كرضى ٠

(٤) الايسار : جمع يسر ، وهو اللاعب بالقداح ٠

(٥) نفستهم : حسدتهم ٠

والله لـولا رضـا الخليفـة مـا ❊ أعطيت ضـيما على فى شـجن
وربمـا خـير لابن آدم فى الـ ❊ ـكره وشـق الهـوى على البـدن
فأشرب على ابنـة الزمـان فما ❊ تلقى زمـانا صـفا من الأبـن
الله يعطيـك مـن فواضـله ❊ والمـرء يغضى عينـا على الكمن (١)
قـد عشت بين الريحان والراح والز ❊ هـر فى ظـل مجـلس حسـن
وقـد مـلأت البـلاد ما بين يغبـ ❊ ـور الى القـيروان فاليمـن
شـعرا تصـلى له العواتق والشـ ❊ ـيب صـلاة الغـواة للـوثن
ثم نهـانى المهـدى فانصرفت ❊ نفسى صـنيع المـوفق اللقـن
فالحمـد للـه لا شريـك لـه ❊ ليس ببـاق شىء عـلى الـزمن

وأنشد المهدى قصيدته التى أولها :

تجاللت عن فهر وعن جارتى فهر ❊ وودعت نعما بالسلام وبالبشر
وقالت سليمى فيك عنا جلادة ❊ محلك دان والزيارة عن عفر (٢)
أخى فى الهوى مالى أراك جفوتنا ❊ وقدكنتتقفونا على العسر واليسر
تثاقلت الا عن يد أستفيدها ❊ وزورة أملاك أشد بها أزرى
وأخرجنى من وزر خمسين حجة ❊ فتى هاشمى يقشعر من الوزر
دفنت الهوى حيا فلست بزائر ❊ سليمىولاصفراء ما قرقر القمرى
ومصفرة باتزعفران جلودها ❊ اذا اجتليت مثل المفرطحة الصفر
فرب ثقال الردف هبت تلومنى ❊ ولو شهدت قبرىلصلتعلىقبرى
تركت لمهدى الأنام وصـالها ❊ وراعيت عهدا بيننا ليس بالختر
ولولا أمير المؤمنين محمـد ❊ لقبلت فاها أو لكان بها فطرى
لعمرى لقد أوقرت نفسى خطيئة ❊ فما أنا بالمزداد وقرا على وقر
تسلى عن الأحباب صرام خلة ❊ ووصال أخرى ما يقيم على أمر
وكاضأفراس الصبابة والهوى ❊ جرتحججا ثماستقرت فلاتجرى
فأصبحن ما يركبن الا الى الوغى ❊ وأصبحت لايزرى على ولا أزرى
فهذا وانى قد شرعت مع التقى ❊ وماتتهمومىالطارقات فما تسرى

---

(١) الكمن واحدها كمنة وهى جرب وحمرة تبقى فى العين من رمد يساء علاجه .

(٢) العفر : قلة الزيارة ، يقال : ما تأتينا الا عن عفر أى بعد قلة زيارة وطول عهد .

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجرى بلحم ولا دم * قليلة شكوى الأين ملجمة الدبر
اذا ظعنت فيهـا الفلول تشـخصت * بفرسانها لا فى وعوث ولا وعر
وان قصدت زلت على متنصب * ذليل القوى لا شىء يفرى كما تفرى
تلاعب تيار (١) البحور وربما * رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
الى ملك من هاشـم فى نبوة * ومن حمير فى الملك والعدد الدثر (٢)
من المشترين الحمد تندى من الندى * يداه ويندى عارضاه من العطر
فالزمت حبلى حبـل من لا تغبـه * عفاة الندى من حيث يدرى ولا يدرى
بنى لـك عبـد الله بيت خـلافة * نزلت بهـا بين الفراقد والنسر
وعندك عهد من وصـاة محمد * فرعت به الأملاك من ولد النضر

ولما أنشد الوليد بن يزيد قول بشار :

أيها الساقيان صبا شرابى * واسقيانى من ريق بيضاء(٣)رود
ان دائى الظمـا وان دوائى * شربة من رضاب ثغر برود
ولها مضحك كغر الأقاحى * وحـديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القلـ * ـب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعد ليالى * والليـالى يبلين كل جديد
عندها الصبر عن لقائى وعندى * سماحاكما در السحاب مع الرعد

طرب الوليد وقال : من لى بمزج كأسى هذه من ريق سلمى ، فيروى ظمئى ، وتطفأ غلتى ، ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : ان فاتنا ذاك فهذا .

مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه :

لعمرى لقد اجدى على ابن برمك * وما كل من كان الغنى عنده يجدى
حلبت بشعرى راحتيه فدرتا * سماحا كما در السحاب مع الرعد
اذا جئته للحمد أشرق وجهـه * اليك وأعطاك الـكرامة بالحمد

---

(١) كان قد قال : نينان البحور ، فعابه بذلك سيبويه ، فجعله تيـار البحور .
(٢) الدثر : الكثير .
(٣) الرود : الشابة الحسنة الناعمة .

له نعم في القوم لا يستثيبها ❊ جزاء وكيل التــاجر المد بالمد
مفيد ومتلاف سبيل تراثه ❊ اذا ما غدا أو راح كالجزر والمد
أخالد ان الحمد يبقى لأهـــله ❊ جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد
فاطعم وكل من عارة مستردة ❊ ولا تبقهـــا ان العوارى تسترد

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفادة خمسة آلاف درهم ، وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذى كان يجلس فيه ، وقال ابنه يحيى بن خالد : آخر ما أوصانى به أبى العمل بهذين البيتين ٠

وكان اسحاق الموصلى يطعن على شعر بشار ويضع منه ، ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضا ، فقيل له : أتقول هذا لمن يقول :

اذا كنت في كل الأمـــور معاتبـــا ❊ صـــديقك لم تلـق الذى لا تعـــاتبه
فعش واحدا أو صـــل أخـاك فانه ❊ مقارف (١) ذنب مرة ومجـــانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى (٢) ❊ ظمئت وأى الناس تصفو مشــاربه

وهى من غرر قصائده ، مدح بها عمر بن هبيرة ، ومنها قوله :

يخاف المنايا ان ترحلت صاحبى ❊ كأن المنايا فى المقام تناسبـــه
فقلت لـــه ان العراق مقـــامه ❊ وخيم اذا هبت عليـــك جنائبه
لألقى بنى عيـــلان ان فعـــالهم ❊ تزيد على كل الفعـــال مراتبه
أولاك الأُلى شقوا العمى بسـيوفهم ❊ عن العين حتى أبصر الحق طالبه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا ❊ وبالشـــوك والخطى حمرا ثعالبه
غدونا له والشمس فى خدر أمها ❊ نطـالعنا والطل لم يجر ذائبه
بضرب يذوق المـوت من ذاق طعمـه ❊ وتدرك من نجى الفرار مثـــالبه
كأن مثار النقع فوق رءوسنـــا ❊ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــه
بعثنا لهم موت الفجـــاءة اننا ❊ بنو الموت خفـــاق علينا سبائبه (٣)
فراحوا فريق فى الاسار ومثله ❊ قتيل ومثـــل لاذ بالبحر هاربه

---

(١) مقارف ذنب : مخالطه ومرتكبه من قارف الخطيئة اذا خالطها ٠
(٢) القذى ٠ ما سقط فى الشراب من ذباب أو غيره ٠
(٣) السبائب : جمع سبيبة ، وهى شقة من الكتان رقيقة يريد بها الألوية ٠

ومنهـــا :

اذا الملك الجبار صــعر خده ✻ مشــينا اليه بالســيوف نعاتبه
رويدا تصــاهل بالعراق جيادنا ✻ كأنك بالضــحاك قد قام نادبه
وســام لمروان ومن دونه الشجا ✻ وهون كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنـــايا بنـــاتها ✻ بأسيافنا انا ردى من نحـــاربه
وكنا اذا دب العدو لســخطنا ✻ وراقبنـــا فى ظـــاهر لا نراقبه
ركبنــــا له جهرا بكل مثقف ✻ وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

ومنهـــا :

فلما تولى الحى واعتصر الثرى ✻ لظى الصيف من نجم توقد لاهبه
وطارت عصافير الشقائق واكتسى ✻ من الآل أمثال المجرة ناضبــه
غدت(١)عانة تشكو بأبصارها الصدى ✻ الى الجأب الا أنها لا تخاطبه

ومن حسن شعره :

لو كنت تلقين ما نلقى قســمت لنا ✻ يوما نعيش به منــكم ونبتهج
لا خير فى العيش ان كنا كذا أبدا ✻ ما فى التـــلاقى ولا فى قبلة حرج
من راقب النـــاس لم يظفر بحاجته ✻ وفاز بالطيبات الفـــاتك اللهج
أشكو الى الله هما ما يفارقنى ✻ وشرعا فى فؤادى الدهر تعتلج

وقال يهجو عبيد الله بن قزعة :

خليلى من كعب أعينا أخاكمـــا ✻ على دهره ان الـــكريم معين
كأن عبيد الله لم يلق ماجـــدا ✻ مخافة أن يرجو نداه حزين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه ✻ ولم يدر أن المكرمات تكون
فقل لأبى يحيى متى تدرك العلا ✻ وفى كل معروف عليك يمين
اذا جئته فى حاجة سد بابه ✻ فلم تلفه الا وأنت كمين

---

(١) العانة : القطعة من الحمير . والجاب : ذكرها ، ومعنى شكواها الصدى بابصارها ان العطش قد تبين فى أحداقها فغارت ، وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والاتن .

وفد على خالد بن برمك فأنشده :

أخاك لم أخبط (١) اليك بذمة ❊ سوى أننى عاف وأنت جواد
أخالد بين الأجر والحمد حاجتى ❊ فأيهما تأتى فأنت عماد
فان تعطنى أفرغ عليك مدائحى ❊ وان تأب لم يضرب على سداد
ركابى على حرف (٢) وقلبى مشيع ❊ ومالى بأرض الباخلين بلاد
اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها ❊ خرجت مع البازى على سواد

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس ، فوضع واحدا عن يمينه ، وواحدا عن شماله ، وآخر بين يديه ، وآخر خلفه ، وقال : يا أبا معاذ ، هل استقل العماد ؟ فلمس الأكياس ثم قال : استقل والله أيها الأمير .

قال أبان بن عبد الحميد : نزل فى ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس ابن عيلان ، وكان فيهم بيان وفصاحة ، فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التى يمدح بها قيسا ، فيجلونه لذلك ويعظمونه ، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن اليه وينشدهن أشعاره فى الغزل ، وكنت كثيرا ما آتى فى ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم ، فأتيتهم يوما فاذا هم ارتحلوا ، فجئت الى بشار فقلت : يا أبا معاذ : أعلمت أن القوم قد ارتحلوا ؟ قال : لا ، فقلت : فاعلم ، قال : قد علمت لا علمت ، ومضيت ، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس ينشدون :

دعا بفراق من تهوى ابان ❊ ففاض الدمع واحترق الجنان
كأن شرارة وقعت بقلبى ❊ لها فى مقلتى ودمى استنان
اذا أنشدت أو نسمت عليها ❊ رياح الصيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشار ، فأتيته فقلت : يا أبا معاذ ، ما ذنبى اليك ؟ قال : ذنب غراب البين ، فقلت : هل ذكرتنى بغير هذا ؟ قال : لا ، فقلت : أنشدك الله ألا تزيد ، فقال : امض لشأنك فقد تركتك .

مدح بشار المهدى فلم يعطه شيئا ، فقيل له : لم يستجد شعرك ، فقال : والله لقد قلت فيه شعرا لو قيل فى الدهر لم يخش صرفه على أحد ، ولكنا نكذب فى القول فيكذب فى الأمل .

---

(١) اى لم اطلب معروفك متوسلا اليك بعهد او قرابة .

(٢) الحرف : الناقة المهزولة .

مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وكان مقيما بحران وخرج اليه فأنشده قوله فيه :

نأتك على طول التجاور زينب * وما شعرت أن النوى سوف تشعب
يرى الناس ما تلقى بزينب اذ نأت * عجيبا وما تخفى بزينب أعجب
وقائلة لى حين جد رحيلنا * وأجفان عينيها تجود وتسكب
أغاد الى حران فى غير شيعة * وذلك شأو عن هواها مغرب
فقلت لها كلفتنى طلب الغنى * وليس وراء ابن الخليفة مذهب
سيكفى فتى من سعيه حد سيفه * وكور علافى (١) ووجناء (٢) ذعلب
اذا استوغرت دار عليه رمى بها * بنات الصوى منها ركوب ومصعب
فعدى الى يوم ارتحلت وسائلى * بزورك والرحال من جاء يضرب
لعلك أن تستيقنى أن زورتى * سليمان من سير الهواجر تعقب
أغر هشامى القناة اذا انتمى * نمته بدور ليس فيهن كوكب
وما قصدت يوما فحيلين خيله * فتصرف الا عن دماء تصبب

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان يبخل ، فلم يرضها وانصرف عنه مغضبا ، فقال :

ان أمس منقبض اليدين عن الندى * وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح على اللئام مسلطا * ثلج المقيل منعم الندمان
فى ظل عيش عشيرة محمودة * تندى يدى ويخاف فرط لسانى
أزمان خيبنى الشباب مطاوع * واذ الأمير على من حران
ريم بأحوية العراق اذا بدا * برقت عليه أكلة المرجان
فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى * ويوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وأنت متيم * أشفى لدائك من بنى مروان

قدم بشار على المهدى بالرصافة فدخل عليه فى البستان ، فأنشده مديحا فيه تشبيب حسن ، فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه ، فأنشده مديحا يقول فيه :

---

(١) العلافى : الرحل العظيم .

(٢) وجناء ذعلب أى ناقة شديدة سريعة .

كأنمـــا جئتـــه أبشره * ولم أجيء راغبا ومحتلبـــا
يزين المنبر الأشـــم بعطفيـ * ـه وأقـــواله اذا خطبـــا
تشم نعلاه فى الندى كما * يشـــم ماء الريحان منتهبا

قال : وقد طلب منه أن ينشده شيئا من غزله :

وقائل هات شوقنا فقلت له * أنائم أنت ياعمرو بن سـمعان
أما سمعت بما قد شاع فى مضر * وفى الحليفين من بكر وقحطان
قال الخليفة لا تنسب بجارية * اياك اياك أن تشـقى بعصيان

وقال له المهدى : قل فى الحب شعرا ولا تطل ، واجعل الحب قاضيا بين المحبين لا تسم أحدا ، فقال :

اجعـل الحب بين حبى وبينى * قاضـــيا اننى به اليوم راض
فاجتمعنـا فقلت يا حب نفسى * ان عينى قليلة الاغمـــاض
أنت عذبتنى وأنحلت جسمى * فارحم اليـــوم دائم الأمراض
قال لى لا يحل حكمى عليمـــا * أنت أولى بالسقــم والاعراض
قلت لما أجابنى بهـــواها * شمل الجور فى الهوى كل قاض

فبعث اليه المهدى : حكمت علينا ووافقنا ذلك ، فأمر له بألف دينار .

وقال بشار فى عشق السمع :

يا قوم أذنى لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهذى فقلت لهم * الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
هل من دواء لمشـغوف بجارية * يلقى بلقيانهـــا روحا وريحانا

وقال فى مثل ذلك :

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها * قلبى فاضحى به من حبها أثر
أنى ولم ترها تهذى فقلت لهم * ان الفؤاد يرى مالا يرى البصر
أصبحت كالحائم الحيران مجتنبا * لم يقض وردا ولايرجى له صدر

وقـــال :

بزهدني في حب عبـــدة معشر ※ قلوبهم فيهـــا مخـــالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ※ فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ※ ولا تســـمع الأذنان الا من القلب
وما الحسن الا كل حسن دعا الصبا ※ وألف بين العشق والعاشق الصب

وقـــال :

يا قلب مـــالي أراك لا تقر ※ اياك أعني وعنـــدك الخبر
أذعت بعد الألى مضـــوا حرقا ※ ما ضاع ما استودعوك اذ بكروا

وقـــال :

ان ســـليمى والله يكلؤها ※ كالســـكر يزداد على السكر
بلغت عنها شكلا فأعجبني ※ والسمع يكفيك غيبة البصر

وقال وقد مدح المهدي فحرمه :

خليلي ان العسر ســـوف يفيق ※ وان يســـارا في غد لخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صـــحا ※ صحوت وان ماق (١) الزمان أموق
أأدماء لا أســـتطيع في قـــلة الثرا ※ خزوزا ووشـــيا والقليل محيق
خذي من يدي ما قل ان زماننـــا ※ شموس ومعروف الرجـــال رقيق
لقد كنت لا أرضى بأدنى معيشـــة ※ ولا يشـــتكي بخلا على رفيق
خليلي ان المـــال ليس بنافع ※ اذا لم ينل منه أخ وصـــديق
وكنت اذا ضـــاقت علي محلة (٢) ※ تيممت أخرى ما علي تضـــيق
وما خاب بين الله والناس عامل ※ له في التقى أو في المحامد ســـوق
ولا ضـــاق فضـــل الله عن متعفف ※ ولكن أخـــلاق الرجـــال تضـــيق

هجا بشار يعقوب بن داود وزير المهدي فقال :

---

(١) ماق : حمق في غباوة .
(٢) المحلة : منزل القوم .

بنى أمية هبوا طــال نومــكم * ان الخليفــة يعقــوب بن داود (١)
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمســوا * خليفة الله بين النــاى والعــود

فاتهمه عند المهدى بالزندقة وقال : انه قد هجا المهــدى ، فأمر ، فضرب بالسياط حتى مات ·

٢ ـ حماد عجرد (٢)

« ولو (٣) أنى أحببت أن أشخص حمادا لوصفته قبل كل شيء بحدة الطبع ، وسوء الخلق ، وحب الانتقام ، والاسراع اليه ، ثم بالصراحة فى القول ، والملاءمة بينه وبين العمل ، وبكره النفاق والانصراف عنه ، لا يعنيه أرضى الناس عنه أم سخطوا عليه ، ثم بحدة اللسان ومضيه واقذاعه وكلفه بفاحش القول وبحثه عن أسوئه وأقبحه ، ثم بالسخرية من الناس وازدرائهم ، لا على أنه يتخذ ذلك فلسفة وأصلا من أصول الحياة كالوليد ومطيع وأبى نواس ، بل على أنه يتخذ ذلك وسيلة من وسائل الشعراء يتخلص بها كلما ضاقت عليه المذاهب وأخذت عليه ، أو دعته الى ذلك حاجة · لم يكن حماد يحفل بما يحفل به الناس من الوفاء والانصراف عن التناقض ، وانما كان صديقا مخلصا حتى تبدو له حاجة أو تسنح له فرصة أو تضطره ضرورة ، فاذا صداقته قد استحالت الى عداء ، واذا هو ليس أقل صدقا واخلاصا فى العداء منه فى المودة والحب : فقد مدح يحيى بن زياد واتخذه صديقا ونال جوائزه ، ثم كان الخلاف فهجاه · وصادق بشارا وصافاه . ثم اختصما فلم يعرفا فى الخصومة رحمة ولا رفقا · وصافى مطيعا وأحبه ومدحه وأكثر من الثناء عليه ، ثم اختصما فى امرأة مرة وفى غلام مرة أخرى ، فهجاه وأقذع فى هجائه · وكان على هذا كله يؤثر شعره وضروراته

---

(١) أصله من الموالى ، وقد استوزره الخليفة المهدى وسلمــه الأمور كلها واشتغل هو باللهو

(٢) هو حماد بن يحيى بن عمرو مولى عامر بن صعصعة · نشأ فى الكوفة ثم واسط · وعاصر الدولتين ، لكنه نبغ فى الدولة العباسية بعد أن نادم الوليد بن يزيد الأموى · وجاء بغـداد أيام المهدى ومعه مطيع بن اياس ويحيى بن زياد ، وكلهم من المتهمين فى دينهم · وحماد من الشـعراء المجيدين ، وكان ماجنا ظريفا خليعا متهما فى دينه مرميا بالزنـدقة · وأدرك بشـار بن برد وله معه اهاج فاحشة ، ولم يكن يهاب كبيرا ولا صغيرا ، عالما كان أو خليفة · توفى سنة ١٦١ هـ · وتجد ترجمته فى الأغانى (ج ١٣ ص ٧٣) وابن خلكان (ج ١ ص ١٦٥) والشعر والشـعراء (ص ٤٩٠) والفهرست (ص ٩١) ·

(٣) من بحوث صديقى الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية ·

على البر بالناس في معاملتهم : هجا ذات يوم رجلا يقال له حشيش وجعل اسمه قافيـة لهذا الشعر وأراد أن يبالغ فى ذمه فشبهه ببحيش ، وكان بحيش هذا رجـلا من أهل البصرة وادعا لا يعرف حمادا ولا يعرفه حماد ، فلما قرأ الرجل هذا الشعر جزع له وسافر من البصرة حتى بلغ الكوفة فعاتب حمادا ، فقال له حماد ضاحكا معتذرا : لا بأس عليك فان هذا من آثام القافية ولن أعود اليه » ٠

وكان السبب فى مهاجاة حمـاد وبشـار أن حماداً كان نديما لنافع بن عقبة ، فسأله بشار تنجيز حاجة له من نافع فأبطأ عنها ، فقال بشار فيه :

عواعيد حماد سماء مخيلة ❊ تكشف عن رعد ولكن ستبرق
اذا جئته يوما أحال على غد ❊ كما وعد الكمون ما ليس يصدق
وفى نافع عنى جفاء وانني ❊ لأطرق أحيانا وذو اللب يطرق
وللنقرى (١) قوم فلو كنت منهم ❊ دعيت ولكن دونى الباب مغلق
ومازلت أستانيك حتى حسرتنى ❊ بوعد كجارى الآل يخفى ويخفق

فغضب حماد وأنشد نافعا الشعر فمنع بشارا ، فقال بشار :

أبا عمر ما فى طلابيك حاجة ❊ ولا فى الذى منيتنا ثم أضجرا
وعدت فلم تصدق وقلت غدا غدا ❊ كما وعد الكمون شربا مؤخرا

فكان ذلك سبب التهاجى بين بشار وحماد ٠ وكان بشار يرمى حمادا بالزندقة ، وفى ذلك يقـول :

ابن نهبى رأس على ثقيـل ❊ واحتمال الرءوس خطب جليل
ادع غيرى الى عبـادة الاثنيـ ❊ ـن فانى بواحد مشـغول
يا بـن نهبـى برئت منـك الى الله جهـارا وذاك منى قليـل

فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار ، وجعل فيها مكان : « فانى بواحد مشغول » « فانى عن واحد مشغول » ليصح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى ٠ فمازالت الأبيات تدور فى الناس حتى انتهت الى بشار ٠ فاضطرب منها وجزع وقال : أشـاط

---

(١) النقرى : الدعوة الخاصة ٠

ابن الفاعلة بدمي ، والله ما قلت الا « فاني بواحد مشغول » فغيرها حتى شهرت في النـــاس ·

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاق منهما ورضا بأن ينقل الى كل واحد منهما وعنه الشعر ، فدخل يوما الى بشار فقال له : ايه يا فلان ، ما قال ابن الفاعلة ؟ فأنشده :

ان تاه بشار عليكم فقد ❊ أمكنت بشـــارا من التيه

فقال بشار : بأي شيء ويحك ؟ فقال :

وذاك اذ سميته باســـمه ❊ ولـــم يكن حرا نســـميه

قال : سخنت عينه ، فبأي شيء كنت أعرف ! ايه ، فقال :

فصار انســـانا بذكرى له ❊ ما يبتغي من بعـــد ذكريه !

فقال : ما صنع شيئا ، ايه ويحك ! فقال :

لم أهج بشـــارا ولكنني ❊ هجـــوت نفسي بهجائيـــه

فقال : على هذا المعنى دار وحوله حام · وتمام الأبيات :

لم آت شـــيئا قط فيما مضى ❊ ولست فيمـــا عشـــت آتيـــه
آســـوأ لي في الناس أحدوثة ❊ من خطـــأ أخطـــأته فيه
فأصبح اليوم لســـبي له ❊ أعظم شـــأنا من مواليه

وقال بشار لراوية حماد : ما هجاني به اليوم حماد ؟ فأنشده :

ألا من مبـــلغ عني الـ ❊ ـذي والـــده بـــرد

فقال : صدق ابن الفاعلة فما يكون ؟ فقال :

اذا ما نســـب النـاس ❊ فـــلا قبـــل ولا بعـــد

فقال : كذب ، أين هذه العرصات من عقيل ! فما يكون ؟ فقال :

واعمى قلطبـــان (١) ما ❊ عـــلى قاذفـــه حـــد

---

(١) القلطبان : الذي لا يغـار ·

فقال : كذب ، بل عليه ثمانون جلدة ، هيه ، فقال :

وأعمى يشـــبه القـــرد ✻ اذا مـــا عمـــى القـــرد

فقال : والله ما أخطأ حين شبهني بقرد ، حسبك حسبك ! ثم صفق بيده وقال : ما حيلتي ! يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه • وتمام الأبيات :

دنى لــم يـرح يـــوما ✻ الى مجـــد ولـــم يفـــد
ولم يحضر مع الحضـــا ✻ ر في خير ولـــم يبـــد
ولـــم يخش لـــه ذم ✻ ولم يـــرج لـــه حمـــد
جرى بالنحس مذ كـــان ✻ ولـــم يجر لـــه سـعد
هو الـــكلب اذا مـــات ✻ فلم يوجـــد لـــه فقـــد

وقال علي بن مهدي : أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار الا أربعون بيتا معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد • وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حماد وهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط ، حتى عرف مذهبه في الزندقة فقتل به •

ومن أغلظ ما هجا به حماد بشارا :

نهـــاره أخبث من ليـــله ✻ ويومه أخبث من أمســـه
وليس بالمقـــلع عن غيه ✻ حتى يواري في ثرى رمسه

كان حماد صديقا ليحيى بن زياد ، فأظهر يحيى تورعا وقراءة ونزوعا عما كان فيه وهجر حمادا وأشباهه ، فكان اذا ذكر عنده ثلبه ذكر تهتكه ومجونه ، فبلغ ذلك حمادا فكتب اليه :

هـــل تذكـــرن دلجي اليـــ ✻ ـك على المضمرة القلاص
أيـــام تعطيـــني وتـــأ ✻ خذ من أباريق الرصـاص
ان كان نسـكك لا يتـ ✻ ـم بغير شتمي وانتقاصي
أو كنت لســت بغير ذا ✻ ك تنال منزلة الخـلاص
فعليـــك فاشـــتم آمنـــا ✻ كل الأمان من القصـــاص
واقعـــد وقـم بي مـــا بـــدا ✻ لـــك في الأداني والأقاصي

فلطـــالما زكـــيتني ✻ وأنا المقيم على المعــاصي
أيــام أنت اذا ذكــر ✻ ت مناضل عني مناصي (١)
وأنا وأنت على ارتكــا ✻ ب الموبقــات من الحراص
وبنــا مواطن ما بنــا ✻ في البر آهــلة العراص

فاتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد ، فنسب حمادا الى الزندقة ورماه بالخروج عن الاسلام ، فقال حماد فيه :

لا مؤمن يعرف ايمــانه ✻ وليس يحيى بالفتى الكافر
منــافق ظاهره ناســك ✻ مخالف البــاطن للظــاهر

كان حماد صديقا لحريث بن أبي الصلت الثقفي ، وكان يعيبه بالبخل ، وفيه يقــول :

حريث أبو الفضل ذو خبرة ✻ بما يصلح المعد الفاســده
تخــوف تخمة أضــيافه ✻ فعــودهم أكــلة واحــده

ومن قــوله :

ألا قل لعبــد الله انك واحد ✻ ومثلك في هذا الزمــان كثير
قطعت اخــائي ظالمــا وهجرتني ✻ وليس أخي من في الاخاء يجور
أديم لأهل الــود ودي وانني ✻ لمن دام هجري ظالما لهجــور
ولو أن بعضي رابني لقطعتــه ✻ واني بقطع الرائبين جديـر
فلاتحسبن منحى لك الود خالصا ✻ لعز ولا أني اليــك فقير
ودونك حظي منك لست أريده ✻ طوال الليالي ما أقام ثبير (٢)

كان حماد صديقا لحفص بن أبي بردة . وكان حفص أعمش أفطس أعضب مقبح الوجه ، فاجتمعوا يوما على شراب وجعلوا يتناشدون ويتحدثون ، فأخذ حفص يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه ، فقال له حماد :

---

(١) مناص = مدافع ، من قولهم ناصاه مناصاة ، أخذ كل بناصية صاحبه .
(٢) ثبير : اسم جبل .

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل ※ وأنف كثيل (١) العود عما تتبع
تتبع لحنا في كلام مرقش ※ ووجهك مبني على اللحن أجمع
فأذناك أقواء وأنفك مكفأ ※ وعيناك ايطاء فأنت المرقع

ومن قوله :

انى أحبك فاعلمي ※ ان لم تكوني تعلمينا
حبا أقل قليله ※ كجميع حب العالمينا

وأنشد بشار قول حماد عجرد :

أخي كف عن لومي فانك لا تدري ※ بما فعل الحب المبرح في صدري
أخي أنت تلحاني وقلبك فارغ ※ وقلبي مشغول الجوانح بالفكر
دوائي ودائي عند من لو رأيته ※ يقلب عينيه لأقصرت عن زجري
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى ※ لأقصرت عن لومي واطنبت في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصح ※ وأنك لا تدري بأنك لا تدري

فطرب بشار ثم قال : ويلكم أحسن والله : من هذا ؟ قالوا : حماد عجرد ، قال : أوه وكلتموني والله بقية يومي لهم طويل ، والله لا أطعم بقية يومى طعاما ، ولأصومن غما بما يقول النبطي مثل هذا .

قال محمد بن الفضل السلولي : لقيت حماد عجرد بواسط وهو يمشي وأنا راكب ، فقلت له : انطلق بنا الى المنزل ، فانى الساعة فارغ لنتحدث ، وحبست عليه الدابة ، فقطع شغل عرض لي لم أقدر على تركه ، فمضيت وأنسيته ، فلما بلغت المنزل خفت شره فكتبت اليه :

أبا عمر اغفرها هديت فانني ※ قد اذنبت ذنبا مخطئا غير عامد
فلا تجدن فيه على فانني ※ أقر باجرامي ولست بعائد
وهبه لنا تفديك نفسي فانني ※ أرى نعمة أن كنت لست بواجد
وعد منك بالفضل الذى أنت أهله ※ فانك ذو فضل طريف وتالد

---

(١) الثيل : وعاء قضيب البعير ، والعود : البعير .

فأجابني عن الأبيات :

محمد يابا الفضل ياذا المحامد * ويابهجة النادى وزين المشاهد
وحقك ما أذنبت منذ عرفتني * على خطأ يوما ولا عمد عامد
ولو كان ما ألفيتني متسرعا * اليك به يوما تسرع واجد (١)
ولو كان ذو فضل يسمى لفضله * بغير اسمه سميت أم القلائد

فبينا رقعته في يدى وأنا أقرؤها اذ جاءني رسوله برقعة فيها :

قد غفرنا الذنب يابن الـ * ـفضل والذنب عظيم
ومسيء أنت يابن الـ * ـفضل في ذاك مليم
حين تخشاني على الذنـ * ـب كما يخشى اللئيم
ليس لى ان كان ما خفـ * ـت من الأمر حريم
أنا والله ولا أفـ * ـخر للغيظ كظوم
وبأصحابي ولا ريـ * ـبة بر ورحيم
وبما يرضيهم عنـ * ـى ويرضيني عليم

كان عثمان بن شيبة مبخلا وكان حماد يهجوه ، فجاء رجل كان يقول الشعر الى حماد فقال له :

أغنى من غناك ببيت شعر * على فقرى لعثمان بن شيبه

فقال :

فانك ان رضيت به خليلا * ملأت يديك من فقر وخيبه

فقال له الرجل : جزاك الله خيرا فقد عرفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه وصنت وجهي عنه .
لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقوله في أخته زينب من الشعر ، فعلم أنه لا عقام له معه بالبصرة ، فاستجار بقبر أبيه سليمان بن على وقال فيه :

---

(١) أى لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعا اليك بالمكافأة .

من مقر بالذنب لم يوجب اللـ ❊ ـه عليـــه بسيء اقرارا
ليس الا بفضـــل حلمك يعـ ❊ ـتد بـــلاء وما يعـد اغترارا
يا ابن بنت النبي أحمد لا أجـ ❊ ـعل الا اليـــك منـــك الفرارا
غير أني جعـــلت قبر أبي أيو ❊ ب لي من حـــوادث الدهر جارا
وحري من اســـتجار بذاك الـ ❊ ـقبر أن يأمن الردى والعثـارا
لم أجد لي من العبـــاد مجيرا ❊ فاستجرت التراب والأحجـــارا
لســـت أعتـاض منـــك في بغيـة ❊ العـــزة قحطـان كلهـــا أو نزارا
فانا اليوم جار من ليس في الأر ❊ ض مجير أعز منـــه جـــوارا
يا ابن بنت النبي يا خير من حطـ ❊ ـت اليه الغـــوارب الأكـــوارا
ان تكن مذنبـــا فانت ابن من كـــا ❊ ن لمن كـــان مذنبـــا غفـــارا
فاعف عني فقد قـــدرت وخير الـ ❊ ـعفو ما قلت : كن ، فكان اقتدارا
لو يطيل الأعمـــار جـــار لعز ❊ كان جـــاري يطـــول الأعمـــارا

فقال : والله لأبلن قبر أبي من دمه ، فهرب حماد الى بغداد ، فعاذ بجعفر بن المنصور فأجاره ، وقال : لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان ، فقال يهجوه :

قل لوجه الخصي ذي العار اني ❊ سوف أهدي لزينب الأشعارا
قد لعمري فررت من شدة الخو ❊ ف وأنكرت صاحبي نهارا
وظننت القبور تمنع جارا ❊ فاستجرت التراب والأحجارا
كنت عند استجارتي بأبي أيـ ❊ ـوب أبغي ضلالة وخسارا
لم يجرني ولم أجد فيه حظـا ❊ أضرم الله ذلك القبر نارا

فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال : والله لا يفلتني أبدا ، وانما يزداد حتفا بلسانه ! ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبدا ٠

ومن قـــوله :

ان الكريم ليخفي عنك عسرته ❊ حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمـــواله علل ❊ زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرمت أن تعطي القليل ولم ❊ تقدر على سعة لم يظهر الجود
أبرق بخير ترجى للنوال فما ❊ ترجى الثمار اذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعـــك قلته ❊ فكل ما سد فقرا فهو محمود

وقـــال أيضـــا :

كم من أخ لك لست تنـــكره ❊ ما دمت من دنيــاك في يسر
متصـــنع لك في مـــودته ❊ يلقـــاك بالترحيب والبشر
يطري الوفاء وذا الوفاء ويلـ ❊ ـحى الغدر مجتهدا وذا الغدر
فاذا عدا ، والدهر ذو غير ، ❊ دهر عليك عدا مع الدهر
فارفض باجمـــال مودة من ❊ يقـلى المقـل ويعشـــق المثرى
وعليك من حالاه واحـــدة ❊ في العسر اما كنت واليسر
لا تخلطنهـــم بغـــيرهم ❊ من يخلط العقيان بالصفر !

وهو القائل في محمد بن طلحة :

زرت امرأ في بيتـــه مرة ❊ لـــه حيـــاء ولـــه خـــير
يكره أن يتخم اخـــوانه ❊ ان أذى التخمـــة محذور
ويشتهي أن يؤجروا عنده ❊ بالصـــوم والصـــائم مأجور
يا ابن أبي شـــهدة أنت امرؤ ❊ بصـــحة الأبـــدان مسرور

وهو القائل في محمد بن أبي العباس السفاح : -

أرجوك بعد أبي العباس اذ بانا ❊ يا أكرم الناس أعراقا وأغصانا
لو مج عود على قوم عصارته ❊ لمج عودك فينـــا المسك والبانا

قيل : ان حمادا مضى الى الأهواز ، فاقام هناك مستترا ، وبلغ محمدا خبره فأرسل مولى له الى الأهواز ، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة · وقيل : انه خرج من الأهواز يريد البصرة ، فمر بشيراز في طريقه ، فمرض بها ، فاضطر الى المقام بسبب علته ، فاشتد مرضه فمات هناك ودفن على تلعة · وكان بشار بلغه أن حمادا عليل ، ثم نعي اليه قبل موته ، فقال بشـــار :

لو عاش حماد لهـــونا به ❊ لـــكنه صـــار الى النـــار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت وهو في السياق (١) ، فقال يرد عليه :

---

(١) السياق : الاحتضار ·

نبئت بشارا نعاني ولك ــموت براني الخالق الباري *
يا ليتني مت ولم أهجه نعم ولو صرت الى النار *
وأي خزى هو أخزى من أن * يقال لى يا سب (١) بشار

فلما قتل المهدى بشارا بالبطيحة اتفق أن حمل الى منزله ميتا ، فدفن مع حماد على تلك التلعة ، فمر بها أبو هشام الباهلى الشاعر البصرى الذى كان يهاجى بشارا ، فوقف على قبريهما فقال :

قد تبع الأعمى قفا عجرد * فأصبحا جارين في دار
قالت بقاع الأرض لا مرحبا * بقرب حماد وبشار
تجاورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك * فى النار والكافر فى النار

٣ ـ مروان بن أبى حفصة (٢)

« لم (٣) يكن مروان متصرفا فى فنون الشعر ، ولعله لم يعد منها فنا أو فنين ، فلسنا نعرف له غزلا الا هذا الغزل الذى تعود الشعراء أن يبدءوا به مدائحهم ، ولسنا نعرف له هجاء الا هذا النحو من الهجاء الذى يضطر اليه الشعراء السياسيون حين

---

(١) السب (بكسر السين وتشديد وفتح الباء) : الكثير السباب .

(٢) هو من الشعراء الموالى أصل جده من سبى اصطخر ، وكان غلاما اشتراه عثمان بن عفان ووهبه لمروان بن الحكم وأقام بعدئذ باليمامة ، وقد اختلفوا فى حقيقة نسبه . شب مروان على كره الشيعة لأنه من موالى بنى أمية وقد حارب معهم ، وكان شجاعا مجربا ، فلما نبغ فى الشعر قدم بغداد ومدح المهدى ثم الرشيد ، وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين ، وهو من الفحول المقدمين ، أول من شهره ونوه به معن ابن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها ، مطلعها :

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها (معن) مطلعها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود فى بطن خفان اشبل

فأجازه عليها بمال كثير ، فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحا . توفى سنة ١٨١ هـ . وتجد أخباره فى الأغانى (ج ٩ ص ٣٦) وابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٠) والشعر والشعراء (ص ٤٨١) وخزانة الأدب (ج ١ ص ٤٤٧) والفهرست لابن النديم (ص ١٦٠) .

(٣) من بحوث صديقى الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

يدافعون عن مذهبهم ويهاجمون خصومهم · على أن موقف مروان كان في هذا دقيقا جدا ، فهو لم يكن ينصر بني العباس على بني أمية فيبلغ منهم ما يريد ، ويهجوهم في حرية ، وانما كان السيف هو الذى انتصر للعباسيين من بني أمية ، وكان العباسيون في حاجة الى من ينصرهم على العلويين وأتباعهم من بني هاشم ، ولم يكن هجاء العلويين يسيرا ! كان الدين يأباه في ذلك الوقت ، وكانت كرامة الخلافة العباسية نفسها تأباه أيضا . فالعلويون من بني هاشم وهجاؤهم هجاء للعباسيين ، ومن هنا سلك مروان وأمثاله من الشعراء السياسيين الذين ناضلوا عن حقوق العباسيين مسلك الدفاع والمناظرة الشريفة البريئة من الشتم والقذف ، فكان دفاعهم أبلغ ، وكانت مناظراتهم أحسن وقعا من هجاء أولئك الشتامين المسرفين في الشتم ، ثم لا نعرف لمروان مجونا ولا عبثا ، فلم يكن كما قلنا ماجنا ولا عابثا وانما كان بخيلا ، والبخل والعبث شيئان لا يتفقان ، ومن ضن على نفسه باللحم وطيبات الطعام لم يستبح لنفسه خمرا ولا ما تستتبعه الخمر · ثم لا نعرف لمروان فخرا وما نحسب أنه فاخر أو مال الى الفخر ، فقد كان رجلا عمليا يعنيه أن يظفر بالمكانة والثروة وكان يضن بوقته وجهده على الفخر الذى لا يفيد · لم يعرض اذن الا لفنين اثنين : المدح والرثاء ، وهو في المدح أشعر منه في الرثاء وهذا طبعي ، فهو راغب حين يمدح ، يطلب المال ويحرص على أن يظفر به ، فمعقول أن يجيد وأن يبلغ من الاجادة حظا عظيما ، أما في الرثاء فهو لا يرغب ولا يطلب مالا وانما يفي بعهد ويشكر صنيعة · ومعقول أن موقفه هذا لا يدفعه الى الاجادة الا أن يكون حساسا دقيق الشعور راقي النفس ، ولم يكن مروان من هذا كله في شيء ، وانما كان كما قلت لك رجلا عمليا يريد المال · على أن رثاءه لمعن تبس بالرديء وكذلك رثاؤه للمهدى ، وهل نستطيع أن نعد رثاءه للمهدى رثاء ؟ هو مدح لأنه عزاء للخليفة الجديد ، ففيه ذكر للخليفة الراحل ، والثناء على وارثه ، وفيه المثوبة والعطاء · فهو الى المدح أقرب منه الى الرثاء ·

أما مدح مروان فمن آيات المدح العربي ، ونحن لا نحفظ منه الا متفرقات قليلة ولكنها تكفي لنحكم أن مروان كان قد أتقن المدح وبرع فيه ، بل نحسب أنه برز في هذا الفن على غيره من المعاصرين ، ولكن مدح مروان ينقسم الى قسمين متمايزين :

أحدهما المدح بالمعنى الشائع المعروف ، وهو موجه لمعن بن زائدة ، فهو يفتن في وصف معن بالجود والكرم والشجاعة والحب ، ثم يفتن في مدح بني شيبان الذين ينتمي اليهم معن ، وهو لا يخرج في مدحه هذا عن سنة الشعراء من قبله ، ولكنه جيد المعاني منتقاها ، حسن الألفاظ صافيها ·

وأما القسم الثاني فهو هذا المدح السياسي الذى كان ينشده الخلفاء من بني العباس ، وهو مدح ان شئت ولكنه يمتاز عن المدح المعروف بما فيه من هذا النضال السياسي الذى كان يحتاج الى مهارة وفطنة ودقة وخفة ، والذى كان يضطر صاحبه الى

أن يقهر العلويين دون أن يؤذيهم ، والى أن ينصر العباسيين دون أن يزدرى خصومهم ، وقد بلغ مروان من ذلك ما أراد ، فقد أغضب العلـــويين لا لأنه آذاهم أو هجاهم فيما نعتقد ، بل لأنه كان خصما قويا عنيدا ماهرا فى الخصام ·

ثم هناك شيئان لابد من الاشارة اليهما ليكمل رأينا فى مروان ، ولنستطيع أن نحكم على شعره حكما معللا ان صح هذا التعبير :

الأول : أن مروان لم يكن عراقيا ولم يرض الاقامة فى العراق ولم يطل عشرة العراقيين من أهل المجون والعبث ، وانما كان من أهل اليمامة أقام فيها لا يبرحها الا وافدا على أمير أو وزير أو خليفة · فاذا أنشد قصيدته وظفر بجائزته عاد الى اليمامة وأقام فيها عامه ثم استأنف الرحلة · ولهذا أثره فى شعر مروان ، فهو أقرب الى شعر الجاهليين والاسلاميين منه الى شعر المحدثين من شعراء الحضارة العباسية ، تقرؤه فتجد عليه هذه المسحة التى تخلو أو تكاد تخلو من الدعابة والخفة ، وتمتاز بشىء من الجلال والرصانة ، يمثل البادية تمثيلا صحيحا ، ولهذا أثره من وجهة أخرى ، فقد رضى علماء اللغة جميعا عن مروان وأحبوه من هذه الناحية ، وما أشك أنا فى أنهم كانوا يودون لو استطاعوا ايثاره على بشار وأبى نواس ، لأنه كان أقرب منهما الى الأسلوب البدوى القديم ، ولكن أنى لهم ذلك ! وقد سلط الله عليهم لسان بشار وأبى نواس فاضطروا الى أن يحابوا هذين الشاعرين ويتملقوهما ، وأجمعوا أو كادوا يجمعون على تقـديم بشار وايثاره على مروان · ومع ذلك فليس الى المقارنة سبيل بين الشاعرين اذا اتخذنا وجهة البحث والنقد ، هذه الوجهة التى كان يعنى بها علماء اللغة وهى وجهة المتانة والرصانة فى اللفظ والأسلوب ، لا يقاس الى مروان فى هذا أحد من شعراء العراق ، أما اذا اتخذنا وجهة أخرى للنقد ، اذا اتخذنا اختلاف الفنون التى طرقها الشاعر ، وقرب المأخذ ، والدنو من أذهان الناس والقــدرة على تمثيل حياتهم ، فليس مروان يقاس الى بشار ولا الى أبى نواس بنوع خاص ، على أن من علماء اللغة من استطاع أن يكون شـجاعا شريفـا فى فنـه لا يخاف ولا يهاب فصدق نفسه وصدق الناس ، وأثر مروان على غيره من الشعراء المعاصرين ، وهذا العالم اللغوى هو ابن الأعرابى الذى ختم الشعر بمروان وأبى أن يدون لأحد من المحدثين بعده ، والذى كان ينشد مع الاعجاب الشديد هذه الأبيات الجيدة من شعر مروان ، وهى :

بنو مطر يوم اللقــاء كأنهــم ※ أسود لها فى بطن خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما ※ لجارهم بين السـماكين منزل
لهاميم (١)فى الاسلام سادوا ولم يكن ※ كـأولهم فى الجـاهلية أول

(١) لهاميم واحدها لهموم ، وهو العظيم الكثير الخير ·

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا ❊ اجابوا وان أعطوا أطابوا واجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم ❊ وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا

وكان ابن الأعرابى يقول : لو أن (معن) أعطى مروان كل ما يملك بهذه الأبيات لما بلغ حقه ٠

الثانى : أن مروان لم يكن سريعا فى الشعر ولا متعجلا ولا مسترسلا مع الطبع وانما كان بطيئا متمهلا ٠ كان يجيد الشعر لأنه كان يجوده ٠ كان يسلك هذه الطريقة التى يزعم الرواة أن زهيرا كان يسلكها فى هذه القصائد التى يسمونها الحوليات ، كان ينفق أشهرا فى انشاء القصيدة وأشهرا فى اصلاحها وأشهرا فى عرضها حتى اذا استقام له هذا كله أنشد قصيدته لممدوحه خليفة كان أو وزيرا أو أميرا ، فليس عجيبا مع هذه الأناة أن يخلو شعره مما يستنكر وأن يبرأ من الضعف والوحشية معا ٠ ولقد يحدثنا الرواة بطائفة من أخبار مروان مع اللغويين والشعراء الذين كان يعرض عليهم شعره قبل أن ينشده الخلفاء ٠ ولست أشير الا الى سيرته مع بشار قلما معناها ٠ كان مروان يعرض القصيدة على بشار ويسأله رأيه فيها فلا يجيبه بشار بأنها جيدة أو بأنها رديئة ، بل يقدر له قيمة القصيدة ماليا ، فيقول : سيعطونك عليها كذا وكذا ٠٠٠ وقد صدق بشار مرتين فأظهر له مروان العجب من ذلك ، فقال بشار : ألم أقل لك انى أعلم الغيب ! ولم يكن يعلم الغيب ، وانما كان يفهم الخلفاء ويفهم الميول السياسية التى كان من شأنها أن تجزل حظ مروان من العطاء ٠

كان مروان متناقضا ولكنه تناقض مفهوم ، كان شديد الحرص على الاجادة ، فكان يشك فى شعره ، ويستشير فيه الشعراء والنحاة ، ولكنه كان مع ذلك معجبا بنفسه لا يقدم عليها أحدا بعد هؤلاء الشعراء الثلاثة : الأخطل والفرزدق وجرير ٠ واسمع رأيه فيهم وفى نفسه ، فقد عقده شعرا ليثبت كما يقول :

ذهب الفرزدق بالفخار وانما ❊ حلو القريض ومره لجرير
ولقد هجا فامض أخطل تغلب ❊ وحوى اللهى ببيانه المشهور
كل الثلاثة قد اجاد فمدحه ❊ وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت فقت غير مهلل ❊ بجراء لا قرف ولا مبهور
انى لآنف أن أحبر مدحة ❊ أبدا لغير خليفة ووزير
ما ضرنى حسد اللئام ولم يزل ❊ ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

أما رأى مروان فى النقد فبديع ، كان ينشد الشعر لامرىء القيس ويقول : هو أشعر الناس ، ثم ينشد شعر الأعشى ويقول : هو أشعر الناس ، ثم ينشد شعر زهير ويقول : هو أشعر الناس ، حتى اذا أنشد لطائفة كثيرة من الشعراء ، فرآهم جميعا

أشعر الناس ، قال ضاحكا : الناس أشعر الناس ! ولست أعرف رأيا كهذا الرأى يمثل الشك فى نقد الناقدين المعاصرين والسخرية بهذا النقد » .

وننتقل من ذاك الوصف الرائع الى ذكر نبذة صالحة من أخباره وأشعاره .

دخل مروان بن حفصة على المهدى بعد وفاة معن ، فأنشده مديحا فيه ، فقال له المهدى : ألست القائل :

أقمنا باليمامة بعد معن ※ مقاما لا نريد به زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن ※ وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال فيما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء ، وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء كل عام مرة ، فمثل بين يديه ، وأنشد ـ بعد رابع أو خامس من الشعراء :

طرقتك زائرة فحى خيالها ※ بيضاء تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها ※ قاد القلوب الى الصبا فامالها
فكانما طرقت بنفحة روضة ※ سحت بها ديم الربيع طلالها
باتت تسائل فى المنام معرسا ※ بالبيد أشعث لا يمل سؤالها
فى فتية هجعوا غرارا بعد ما ※ سئموا مراعشة السرى ومطالها
فكأن حشو ثيابهم هندية ※ نحلت وأغفلت القيون صقالها
وضعوا الخدود لدى سواهم جنح ※ تشكو كلوم صفاحها وكلالها
طلبت أمير المؤمنين فواصلت ※ بعد السرى بغدوها آصالها
نزعت اليك صواديا فتقاذفت ※ تطوى الفلاة حزونها ورمالها
يتبعن ناجية يهز مراحها ※ بعد النحول تليلها (١) وقذالها
هوجاء تدرع الربا وتشقها ※ شق الشموس اذا تراع جلالها
تنجو (٢) اذا دفع القطيع كما نجت ※ خرجاء (٣) بادرت الظلام رئالها (٤)
كالقوس ساهمة أتتك وقد ترى ※ كالبرج تملأ رحلها وحبالها

---

(١) التليل : العنق .
(٢) تنجو : تسرع .
(٣) الخرجاء : النعامة .
(٤) الرئال : فراخ النعامة واحدها رأل .

ومنهـــا :

أحيـــا أمير المؤمنين محمد * سنن النبى حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعة من هاشم * مد الاله على الأنام ظلالها
جبل لأمته تلـــوذ بركنه * رادى جبال عدوها فأزالها
لم يغشها مما يخاف عظيمة * الا أجال لها الأمـــور مجالها
حتى يفرجهـــا أغر مهذب * ألفى أباه منفرجا أمثـــالها
ثبت على زلل الحوادث راكب * من صرفهن لكل حال حالها
كلتا يديك جعلت فضل نوالها * للمســـلمين وللعـــدو وبالها
وقعت مواقعها بعفوك أنفس * أذهبت بعد مخافة أوجالها
ونصبت نفسك خير نفس دونها * وجعلت مالك واقيا أموالها
هل تعلمون خليفة من قبله * أجرى لغايته التى أجرى لها
طلع الدروب مشمرا عن ساقه * بالخيل منصلتا يجد نعالها
قود تريع الى أغر لوجهه * نور يضىء أمامهـــا وخلالها
قصرت حمـــائله عليه فقلصت * ولقد تحفظ قينهـــا فأطالها
حتى اذا وردت أوائل خيـــله * جيحان بث على العدو رعالها(١)
أحمى بلاد المسلمين عليهم * وأباح سهل بلادهم وجبالها
أدمت دوابر خيله وشكيمها * غاراتهن وألحقت أطالهـــا
لم يبق بعد مغارها وطرادها * الا نحائزهـــا (٢) والا آلهـــا
رفع الخليفة ناظرى وراشنى * بيد مباركة شـــكرت نوالها
وحسدت حتى قيل أصبح باغيا * فى المتنى مترف شيمة مختالها
ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى * نعلا ورثت عن النبى مثالها

فزحف المهدى من صدر مصلاه حتى صار على البســـاط اعجابا بما سمع ، ثم قال : كم هى ؟ قال : مائة بيت ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر فى أيام بنى العباس : وهكذا فعل معه الرشيد لما أنشده قصيدته التى يقول فيها :

لعمرك ما انسى غداة المحصب * اشارة سلمى بالبنان المخضب

---

(١) الرعال : القطيع من الخيل واحدها رعلة .
(٢) النحائز : الانساع .

وقد صــــدر الحجاج الا أقلهم ※ مصادر شتى موكبا بعد موكب

قال مروان : دخلت على المهدى فى قصر السلام ، فلما سلمت عليه وذلك بعقب سخطه على يعقوب بن داود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان يعقوب رجل رافضى ، وانه سمعنى أقول فى الوراثة :

أنى يكــون وليس ذاك بكائــن ※ لبنى البنات وراثــة الأعمـــام

فذلك الذى حمله على عداوتى ، ثم أنشدته :

كأن أمـــير المؤمنين محمـــدا ※ لرأفتــه بالنــاس للناس والد

فقال له المهدى : والله ما أعطيك الا من صلب مالى ، فاعذرنى ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم وكسانى جبة ومطرفا ، وفرض لى على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفا أخرى ·

لما قدم معن من اليمن دخل عليه مروان والمجلس غاص بأهله ، فأخذ بعضادتى الباب وأنشأ يقول :

أرى القلب أمسى بالأوانس مولعــا ※ وان كان من عهــد الصــبا قد تمتعا

ويقول فيها :

ولـما سرى الهم الغـــريب قريتـــه ※ قرى من أزال الشـــك عنه وأزمعا
عزمت فعجلت الرحيـــل ولم أكـن ※ كـذى لوثــة لا يطلع الهـم مطلعـــا
فأمت ركـــابى أرض معـــن ولم تزل ※ الى أرض معـــن حيثمـا كان نزعـــا
نجائب لولا أنهـــا ســـخرت لنـــا ※ أبت عـــزة من جهلهـــا أن تورعـــا
كسونا رحال الميس (١) منها غواربا ※ تدارك فيها النى (٢) صيفا ومربعـا
فمــا بلغت صــنعاء حتى تواضــعت ※ ذراهـــا وزال الجهل عنها وأقلعـــا

الى أن قال :

وما الغيث اذ عم البـــلاد بصـــوبه ※ على الناس من معروف معن بأوســعا
تدارك معـــن قبـــة الدين بعـــد ما ※ خشـــينا على أوتادهـــا أن تنزعـــا

---

(١) الميس : شجر عظيم تتخذ منه الرحال ·
(٢) النى : الشحم ·

أقام على الثغر المخوف وهاشم * تساقى سماما بالأسنة منقعا
مقام امرئ يأبى سوى الخطة التى * تكون لدى غب الأحاديث أنفعا
وما أحجم الأعداء عنك بقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
رأوا مخدرا قد جربوه وعاينوا * لدى غيله منهم مجرا ومصرعا
وليس بثانيه اذا شد أن يرى * لدى نحره زرق الأسنة شرعا
له راحتان الغيث والحتف فيهما * أبى الله الا أن تضرا وتنفعا
لقد دوخ الأعداء معن فأصبحوا * وأمنعهم لا يدفع الذل مدفعا
نجيب مناجيب وسيد سادة * ذرى المجد من فرعى نزار تفرعا
لبانت خصال الخير فيه وأكملت * وما كملت خمسا سنوه وأربعا
لقد أصبحت فى كل شرق ومغرب * بسيفك أعناق المريبين خضعا
وطئت خدود الحضرميين وطأة * لها هد ركن منهم فتضعضعا
فاقعوا على الأذناب اقعاء معشر * يرون لزوم السلم أبقى وأودعا
فلو مدت الأيدى الى الحرب كلها * لكفوا وما مدوا الى الحرب أصبعا

فقال له معن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم ، فقال معن : ربحنا عليك تسعين ألفا ، قال : أقلنى ، قال : لا أقال الله من يقيلك .

لما مات المهدى وفدت العرب على موسى الهادى يهنئونه بالخلافة ويعزونه عن المهدى ، فدخل مروان فأخذ بعضادتى الباب وقال :

لقد أصبحت تختال فى كل بلدة * بقبر أمير المؤمنين المقابر
ولو لم تسكن بابنه فى مكانه * لما برحت تبكى عليه المنابر

مرض عمرو بن مسعدة فدخل عليه مروان وقد أبل من مرضه ، فأنشأ يقول :

صح الجسم يا عمرو * لك التمحيص والأجر
ولله علينا الحمـ * ـد والمنة والشكر
فقد كان شكا شوقا * اليك النهى والأمر

قال موسى بن يحيى : أوصلنا الى مروان بن أبى حفصة فى وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع اليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم وأودعها يزيد بن مزيد ، فبينا نحن عند يحيى بن خالد اذ دخل يزيد بن مزيد ، وكانت فيه

دعابة ، فقال : يا أبا علي ، أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم ، وهو يشتري الخبز من البقال ، فغضب يحيى ثم قال : علي بمروان ، فأتي به ، فقال له : قد أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تبتاعه من البقال ، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضر من الفقر لو كان بك • ويروى أنه قال له : والله للبخل أسوأ عليك أثرا من الفقر لو صرت اليه فلا تبخل • وقال عمر بن شبة قال مروان : ما فرحت بشيء قط فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي ، فوزنتها فزادت درهما ، فاشتريت به لحما • وقال جهم بن خلف : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمرا وأرسل غلامه بفلس وسكرجة ليشتري زيتا ، فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خنتني ، قال : من فلس ! كيف أخونك ؟ قال : أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت • وقال التوزي : مر مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد مغنى امرأة من العرب ، فأضافته ، فقال : لله علي ان وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهما ، فاعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاها اربعة دوانق • وقال أبو دعامة : اشترى مروان لحما بنصف درهم فلما وضعه في القدر وكاد ينضج دعاه صديق له ، فرده على القصاب بنقصان دانق ، فشكاه القصاب وجعل ينادي هذا لحم مروان ، وظن أنه يأنف لذلك ، فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فقال : أكره الاسراف •

دخل مروان على موسى الهادي فأنشده قوله فيه :

تشـــابه يوما بأســـه ونـــواله ❊ فما أحـــد يدري لأيهما الفضـــل

فقال له الهادي : أيهما أحب اليك ؟ أثلاثون ألفا معجلة ، أم مائة ألف تدور في الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنت تحسن ما هو خير من هذا ، ولكنك أنسيته ، فتأذن لي أن أذكرك ؟ قال : نعم ، قال : تعجل لي الثلاثين ألفا وتدور المائة في الدواوين ، فضحك وقال : بل يعجلان جميعا ، فحمل اليه المال أجمع •

قال محمد النوفلي : اجتاز مروان برجل من باهلة من أهل اليمامة ، وهو ينشد قوما كان جالسا اليهم شعرا مدح به مروان بن محمد ، وأنه قتل قبل أن يلقاه وينشده اياه ، أوله :

مـــروان يا بن محمـــد أنت الذي ❊ زيـدت بـه شرفا بنـــو مـــروان

فأعجبته القصـــيدة فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : اني سمعت قصيدتك وأعجبتني ، ومروان قد مضى ومضى أهله ، وفاتك ما قدرت عنده ، أفتبيعني القصيدة حتى أنتحلها ، فانه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بثلثمائة درهم ، قال : قد ابتعتها ، فأعطاه الدراهم

وحلفه بالطلاق ثلاثا وبالأيمان المحرجـة ألا ينتحلها أبدا ،ولا ينسبها الى نفسه ولا ينشدها ، وانصرف بها الى منزله فغير منها أبياتا وزاد فيها وجعلها في معن ، وقال في ذلك البيت :

معن بن زائـدة الذى زيـدت بـه * شرفا على شرف بنـو شيبـان

ووفد بها الى معن حتى أثرى واتسعت حاله ، فكان معن أول من رفع ذكره وتوه به ٠ وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراث حسنة ٠ قال مروان : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبا شديدا وجعل فيه مالا ، فحدثنى معن باليمن أنه اضطر لشدة الطلب الى أن قام في الشمس حتى لوحت وجهه ، وخفف عارضيه ولحيته ، ولبس جبة صوف غليظة ، وركب جملا من الجمال النقالة يمضى الى الباديه فيقيم بها ، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسنا غاظ المنصور وجد في طلبه ، قال معن : فلما خرجت من باب حرب تبعنى أسود متقلدا سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملى فأناخه وقبض على ، فقلت له : مالك ؟ قال : أنت طلبة أمير المؤمنين ، قلت : ومن أنا حتى يطلبنى أمير المؤمنين ؟ قال : معن بن زائدة ، قلت : يا هذا ، اتق الله ، وأين أنا من معن ؟ قال : دع هذا عنك ، فأنا والله أعرف بك منك ، فقلت له : فان كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معى يفى بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بى ، فخذه ولا تسفك دمى ، قال : هاته ، فأخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت فى قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فان صدقتنى أطلقتك ، فقلت : قل ، قال : ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرنى ، هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ، قال . فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر ، فاستحييت ، فقلت : أظن أنى قد فعلت هذا ، فقال : ما أراك فعلته ، انا والله راجل ورزقى من أبى جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أن فى الدنيا أجود منك فلا تعجبك نفسك ، ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد فى حجرى وخلى خطام البعير وانصرف ، فقلت : يا هذا ، قد والله فضحتنى ولسفك دمى أهون على مما فعلت ، فخذ ما دفعته اليك فانى غنى عنه ، فضحك وقال : أردت أن تكذبنى فى مقامى هذا ، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمنا أبدا ومضى ، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءنى به ما شاء ، فما عرفت له خبرا وكأن الأرض ابتلعته ٠ وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية (١) ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا

(١) مدينة بناها السفاح بالكوفة وذلك أنه لما ولى الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية ، فكان الناس ينسبونها الى ابن هبيرة على العادة ، فقال : ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها فرفضها وبنى حيالها مدينة سماها الهاشمية ونزلها ٠

يقتلونه ، وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسنا وذب القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد ، ثم جاء والمنصور راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع فقال له : تنح فانى أحق باللجام منك فى هذا الوقت وأعظم فيه غنـاء ، فقال له المنصور : صدق فادفعه اليه ، فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال ، فقال له المنصور : من أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، قال : قد أمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع ، ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وزينه ، ثم دعا به يوما فقال له : انى قد أملتك لأمر فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين ، قال : قد وليتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينقض حلف ربيعة واليمن ، وابلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين ، فولاه اليمن وتوجه اليها فبسط السيف فيهم حتى أسرف • قال مروان : وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور ، فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك ، قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : اعطاؤك مروان بن أبى حفصة ألف دينار لقوله فيك :

معن بن زائـدة الـذى زيدت به * شرفا على شرف بنـو شـيبان
ان عـد أيام الفعـال فانمـا * يومـاه يـوم نـدى ويـوم طعـان

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بلغك لهذا الشعر ، وانما أعطيته لقوله :

ما زلت يـوم الهاشـمية معلنـا * بالسـيف دون خليفـة الرحمـن
فمنعت حـوزته وكنت وقـاءه * من وقـع كل مهنـد وسـنان

فاستحيا المنصور وقال : انما أعطيته ما أعطيته لهذا القول ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، والله لولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته اياها ، فقال له المنصور : لله درك من أعرابى ! ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحزم !

وأختم هذه الترجمة بموت مروان يقصه قاتله • روى صاحب الأغانى عن رجل يقال له صالح بن عطية الأضجم أنه قال :

لما قال مروان :

أنـى يـكون وليس ذاك بكائـن * لبنى البنـات وراثـة الأعمـام

لزمته وعاهدت الله أن أغتـاله فأقتـله أى وقت أمكننى ، وما زلت ألاطفـه وأبره ، وأكتب أشعاره حتى خصصت به فأنس بى جدا ، وعرفت ذلك بنو حفصـة جميعا

فأنسوا بى ، ولم أزل أطلب غرة حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل اظهر له الجزع عليه وألازمه وألاطفه حتى خلا لى البيت يوما ، فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقته حتى مات ، فخرجت وتركته فخرج اليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا وارتفعت الصيحة ، فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن وما فطن لما فعلت أحد ولا اتهمنى به ٠

٤ ـ ابو دلامــة (١)

كان أول ما حفظ من شعره ومنحت الجوائز السنية له به ، قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم يقول فيها :

أبا مسلم (٢) خوفتنى القتل فانتحى * عليــك بما خوفتنى الأســد الورد
أبا مســلم ما غــير الله نعمــة * على عبــده حتى يغيرهــا العبــد

أنشدها المنصــور فى محفل من الناس فقال له : احتكم ، فطلب عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها ، فلما خلا قال له : ايه ، أما والله لو تعديتها لقتلتك ٠

أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق ويكتبوا على ظهورهم : (**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**) فقال أبو دلامة :

وكنــا نرجى من امــام زيــادة * فجــاد (٣) بطول زاده فى القلانس
تراهــا على هــام الرجال كأنهــا * دنــان يهــود جللــت بالبــرانس

---

(١) هو زند بن الجون ، وسمى أبا دلامة نسبة الى ابنه دلامة ، وهو كوفى المنشأ أسود اللون مولى لبنى أسد ، وكان أبوه عبدا لرجل منهم فاعتقه ٠ أدرك ابو دلامة أواخر الدولة الأموية ، ولكنه نبغ فى الدولة العباسية ، وانقطع الى ابى العباس السفاح والمنصور والمهدى ، وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون محاسنه ونوادره ، وفيه دعابة وظرف ، لا يخلو حديثه من نكتة أو ملحة ، وكان مع ذلك معدودا فى جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين ، وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضا ٠ توفى سنة ١٦١ هـ ٠ وأخباره فى الأغانى (ج ٩ ص ١٢٠) وابن خلكان طبع بولاق (ج ١ ص ٢٦٧) والشعر والشعراء (ص ٤٨٧) والدميرى (ج ١ ص ١٣٢) والمستطرف (ج ٢ ص ٤٣) ٠

(٢) فى الشعر والشعراء : « أبا مجرم » ٠

(٣) فى الطبرى ج ٢ ص ٢٧١ طبع أوربا « فزاد الامام المصطفى » ٠

ودخل الى المنصور مرة فأنشده :

إن الخليط أجد البين فانتجعوا * وزودوك خبالا ، بئسما صنعوا
والله يعلم أن كادت لبينهم * يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
عجبت من صبيتي يوما وأمهم * أم الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة * هبت تلوم عيالى بعد ما هجعوا
ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا * سود قباح وفي أسمائنا شنع
اذا تشكت الى الجوع قلت لها * ما هاج جوعك الا الرى والشبع
لا والذى يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة فى أسبابها الرفع
ما زلت أخلصها كسبى فتأكله * دونى ودون عيالى ثم تضطجع
شوهاء مشناة فى بطنها بجر (١) * وفى المفاصل من أوصالها فدع
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا * ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرنطمت (٢) ثم قالت وهى مغضبة * أأنت تتلو كتاب الله يا لكع
اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة * كما لجيراننا مال ومزدرع
واخدع خليفتنا عنا بمسألة * ان الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك أبو جعفر وكتب له بضيعة •

كان واقفا بين يدى السفاح فقال له : سلنى حاجتك ، قال : كلب أتصيد به ، قال : أعطوه اياه ، قال : ودابة أتصيد عليها ، قال : أعطوه دابة ، قال : وغلام يصيد بالكلب ويقوده ، قال : أعطوه غلاما ، قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه ، قال : أعطوه جارية ، قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك ، فلا بد لهم من دار يسكنونها ، قال : أعطوهم دارا تجمعهم ، قال : فان لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أعطيتك مائة جريب عامرة ، ومائة جريب غامرة ، قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نبات فيه ، فقال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد ، فضحك وقال : اجعلوها عامرة ، قال : فأذن لى أن أقبل يدك ، قال : أما هذه فدعها ، قال : والله ما منعت عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها ، قال الجاحظ : فانظر الى حذقه ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهل القصة به وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه •

---

(١) البجر : خروج السرة ونتوؤها وغلظ أصلها • والفدع : اعوجاج فى الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف والقدم الى انسيها •

(٢) أى غضبت •

قال علي بن سلام : كنت أسقى أبا دلامة والسندى اذ خرجت بنت لأبى دلامة ، فقال فيها أبو دلامة :

فما ولدتـك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمـان الحـكيم

أجز يا أبا عطاء ، فقال :

ولكن قد تضـمك أم سـوء * الى لبـاتهـا وأب لئيـم

فضحك لذلك ، ثم غدا أبو دلامة الى المنصور فألفاه فى الرحبة يصلح فيها شيئا يريده ، فأخبره بقصة ابنته وأنشده البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدهما :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعـدوا يا آل عبـاس
ثم ارتقوا فى شـعاع الشـمس كلكم * الى السـماء فأنتم أظهـر النـاس
وقدموا القـائم المنصـور رأسـكم * فالعـين والأنف والأذنان فى الراس

فاستحسنها وقال : بأى شيء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه ؟ فأخرج خريطة كان قد خاطها من الليل ، فقال : تملأ لى هذه دراهم ، فملئت فوسعت أربعة آلاف درهم .

لما توفى أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

أمسيت بالأنبـار يا ابن محمـد * لم تسـتطع عن عقرهـا تحـويلا
ويلى عليـك وويـل أهـلى كلهـم * ويـلا وعـولا فى الحيـاة طـويلا
فلتبـكين لك النسـاء بعبـرة * وليبـكين لك الرجـال عـويلا
مات النـدى اذ مت يا ابن محمـد * فجعلتـه لك فى التـراب عديـلا
انى سـألت النـاس بعدك كلهم * فوجدت أسـمح من سـألت بخيلا
ألشـقوتى أخـرت بعـدك للتى * تـدع العزيز من الرجـال ذليـلا
فلأحـلفن يمـين حـق بـرة * بالله ما أعطيت بعـدك سـولا

فأبكى الناس قوله ، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال : لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مكرما ، وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء الله باخوة يوسف اليه فقل كما

قال يوسف لاخوته : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فسرى عن المنصور وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسل حاجتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ، ولم أقبضها • فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار الى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن خالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة نحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ : يا سليمان ، ادفعها اليه وسيره الى هذا الطاغية « يعنى عبد الله بن على » وقد كان خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين انى أعيذك بالله أن أخرج معهم ، فوالله انى لمشئوم ، فقال المنصور : امض ، فان يمنى يغلب شؤمك فاخرج ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر ، فانى لا أدرى أيهما يغلب ، أيمنك أم شؤمى ، الا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ، قال : دعنى من هذا فمالك من الخروج بد ، فقال : انى أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها ، فان شئت الآن على بصـــيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستغرب أبو جعفر ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة •

قال أبو دلامة : أتى بى المنصور أو المهدى وأنا سكران ، فحلف ليخرجنى فى بعث حرب ، فأخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى لقتال الشراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك اليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما الى ودعا بغيرهما فاستبدل بهما ، فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنى حلاوة الطمع قلت له : أيها الأمير هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت أبياتا فاسمعها ، قال : هات ، فأنشدته :

انى اســـتجرتك أن اقدم فى الوغى * لتطـــاعن وتنـــازل وحـــراب (١)
فهب الســيوف رأيتهـا مشـــهورة * فتركتهـــا ومضيت فى الهـــراب
ماذا تقـول لمــا يجىء ومـا يـرى * من واردات المـوت فى النشـــاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم ، وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة : فقال : اخرج اليه يا أبا دلامة ، فقلت : أنشدك الله أيها الأمير فى دمى ، قال : والله لتخرجن ، فقلت : أيها الأمير فانه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله

---

(١) الحراب بمعنى المحاربة فى الأغانى « ضراب » •

جائع ما شبعت مني جارحة من الجوع ، فمر لي بشيء آكله ثم أخرج ، فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف ، فلما رآني الشاری أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فانفعل (١) وعيناه تقدان ، فأسرع الى ، فقلت له : على رسلك يا هذا ، كما أنت ، فوقف ، فقلت : أتقتل من لا يقاتلك ؟ قال : لا ، قلت : أتقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحل ذلك قبل ان تدعو من تقاتله الى دينك ؟ قال ، فاذهب عني الى لعنة الله ، قلت : لا أفعل أو تسمع مني ، قال : قل ، قلت : هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة أو تعرفني بحال تحفظك على أو تعلم بيني وبين أهلك وترا ، قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله أضمر لك الا جميل الرأى ، وانى لأهواك وأنتحل مذهبك ، وأدين دينك ، وأريد السوء لمن أراده لك ، قال : يا هذا جزاك الله خيرا فانصرف ، قلت : ان معى زادا أحب أن آكله معك وأحب مواكلتك لتتأكد المودة بيننا ويرى أهل العسكر هوانهم علينا . قال ، فافعل ، فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناق دوابنا ، وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكا ، فلما استوفينا ودعني ، ثم قلت له ، ان هذا الجاهل ان أقمت على طلب المبارزة ندبني اليك فتتعبني وتتعب نفسك ، فان رأيت ألا تبرز اليوم فافعل ، قال : قد فعلت ، ثم انصرف وانصرفت فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرنى ، فقل لغيرى أن يكفيك قرنه كما كفيتك ، فأمسك ، وخرج آخر يدعو الى البراز (المبارزة) ، فقال لى : اخرج اليه ، فقلت :

انى أعوذ بروح أن يقدمني ※ الى البراز فتخزى بي بنو أسد
ان البراز الى الأقران أعلمه ※ مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا ان صمدت لها ※ وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
ان المهلب حب الموت أورثكم ※ وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها ※ لكنها خلقت فردا فلم أجد

فضحك وأعفاني .

قال أبو أيوب الموريانى لأبي جعفر وكان يشنأ أبا دلامة : ان أبا دلامة معتكف على الخمر ، فما يحضر صلاة ولا مسجدا وقد أفسد فتيان العسكر ، فلو أمرته بالصلاة معك لأجرت فيه وفي غيره من فتيان عسكرك بقطعه عنهم ، فلما دخل عليه أبو دلامة قال له : ما هذا المجون الذي يبلغني عنك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبرى ! ، قال : دعني من استكانتك وتضرعك ، واياك أن تفوتك الظهر

---

(١) هكذا بالأصل ولعلها : اقفعل ، من قولهم اقفعلت يده : تقبضت .

والعصر في مسجدي ، فلئن فاتتـاك لأحسنن أدبك ولأطيلن حبسـك ، فوقع في شر ولزم المسجد أياما ، ثم كتب قصة ودفعها الى المهدى فأوصلها الى أبيه وكان فيها :

ألم تعلمـا أن الخليفـة لزني (١) * بمسـجده والقصر ، مـالي وللقصر
أصـلي به الأولى جميعا وعصرهـا * فويـلي من الأولى وويـلي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسـجدي * فمالي في الأولى ولا العصر من أجـر
لقد كان في قـومي مسـاجد جمة * ولم ينشرح يوما لغشيانها صـدري
يكلفني من بعـد ما شـبت خطـة * يحط بهـا عني الثقيـل من الوزر
ومـا ضره والله يغفـر ذنبـه * لو ان ذنـوب العـالمين على ظهري

فقال : صدق ، ما يضرني ذلك ، والله لا يصلي هذا أبدا ، فدعوه يعمل ما يشاء .

وقال الهيثم في خبره : قد أعفيناك من هذا الحال ، ولكن على ألا تدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظل ، فقال : أفعل ، قال : فانك ان تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك والله لئن فعلت لأحدنك ، فقال أبو دلامة : البلية في شهر أخف منها في طول الدهر ، سمعا وطاعة ، فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد ، وكان المهدى يبعث اليه في كل ليلة حارسا يجيء به ، فشق ذلك عليه وفزع الى الخيزران والى أبي عبيد الله وكل من يلوذ بالمهدى ليشفعوا له في الاعفاء من القيام ، فلم يجبهم ، فقال له أبو عبيد الله : الدال على الخير كفاعله ، فكيف شكرك ؟ قال : أتم شكر ، قال : عليك بريطة فانه لا يخالفها ، قال : صدقت ، ثم رفع اليها رقعة يقول فيها :

أبلغـا ريطـة أني * كنت عبـدا لأبيهـا
فمضى يرحمـه اللـ * ـه وأوصى بي اليهـا
وأراهـا نسـيتني * مثـل نسـيان أخيهـا
جاء شهر الصـوم يمشي * مشـية ما أشـتهيها
قائـدا لي ليـلة القـد * ر كـأني أبتغيهـا
تنـطح القبـلة شـهرا * جبهـتي لا تأتليهـا
ولقـد عشت زمانـا * في فيـافي وجيهـا
في ليـال من شـتاء * كنت شيخا أصطليهـا
قـاعدا أوقـد نـارا * لضـباب أشـتويها

---

(١) لزه بالشيء : ألزمه اياه .

وصـــبوح وغبـــوق ✽ فى عـــلاب أحتسيهـــا
ما أبـالى ليـــلة القد ✽ ر ولا تســــــــمعنيها
فاطلبى لى فرجـــا منـ ✽ ـــها وأجرى لك فيهـــا

فلما قرأت الرقعة ضحكت وأرسلت اليه : اصطبر حتى تمضى ليلة القدر ، فكتب اليها : انى لم أسألك أن تكلميه فى اعفائى عاما قابلا ، واذا مضت ليلة القدر فقد فنى الشهر ، وكتب تحتها أبياتا :

خافى الهك فى نفس قـد احتضرت ✽ قامت قيـــامتهـــا بين المصـــلينـــا
ما ليـــلة القدر من همى فاطلبهـــا ✽ انى أخـاف المنـــايا قبل عشرينـــا
يا ليـلة القدر قد كسرت أرجلنـــا ✽ يا ليـــلة القـدر حقـا ما تمنينـا
لا بارك الله فى خـــير أؤمـــله ✽ فى ليـــلة بعـد ما قمنـا ثلاثينـــا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ودخلت الى المهدى فشفعت له اليه وأنشدته الأبيات ، فضحك حتى استلقى ودعا به وريطة معه فى الحجلة ، فدخل ، فأخرج رأسه اليه وقال : قد شفعنا ريطة فيك وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم ، فقال : أما شفاعة سيدتى فى حتى أعفيتنى فأعفاها الله من النار ، وأما سبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته اما أن تتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة أو تنقصنى منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فانى لا أحسن حساب السبعة ، فقال : قد جعلتها خمسة ، فقال : أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنت ، فعبث به المهدى ساعة ، ثم تكلمت فيه ريطة ، فأتمها له عشرة آلاف درهم .

شرب أبو دلامة فى بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل ، فلقيه العسس ، فأخذوه وقالوا له : من أنت ، وما دينك ؟ فقال :

دينى عـلى ديـن بنـى العبـــاس ✽ ما ختـم الطـــين على القرطـــاس
انى اصـــطحبت أربعـــا بالكـاس ✽ فقـــد أدار شربهـــا بـــراسى

✽ فهـل بمـا قلت لكـم من باس ✽

فأخذوه ومضوا وخرقوا ثيابه وساجه (١) ، وأتى به أبو جعفر ، وكان يؤتى

---

(١) الساج : الطيلسان الأخضر ، وقيل الأسود .

بكل من أخذه العسس ، فحبسه مع الدجاج في بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة ، فلم يجبه أحد ، وبينما هو في ذلك اذ سمع صوت الدجاج وزقاء الديوك ، فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : في الحبس وأنا فلان السجان ، قال : من حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين ، قال : ومن خرق طيلستاني ؟ قال : الحرس ، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل ، فكتب الى أبى جعفر :

أمـــير المؤمنـــين فدتـــك نفسى * عـــلام حبستنى وخرقت ســـاجى
أمـن صـــفراء صافيـــة المزاج * كـــأن شـــعاعهـــا لهب السراج
وقـــد طبـــخت بنـــار الله حتى * لقد صـــارت من النطف النضـــاج
تهش لهـــا القلـــوب وتشتهيهـــا * اذا برزت ترقـــرق فى الزجـــاج
أقـاد الى الســـجون بغير جـــرم * كـأنى بعض عمـــال الخـــراج
ولـــو معهـــم حبست لكان ســـهلا * ولـكنى حبست مـــع الدجـــاج

فدعا به وقال : أين حبست يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج ، قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أقوق معهن حتى أصبحت ، فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة ، فلما خرج قال له الربيع : انه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله : وقد طبخت بنار الله ، يعنى الشمس ؟ فأمر برده ، ثم قال : يا خبيث ، شربت الخمر ؟ قال : لا . قال : أفلم تقل : طبخت بنار الله تعنى الشمس ؟ قال : لا والله ما عنيت الا نار الله الموقدة التى تطلع على فؤاد الربيع ، فضحك وقال : خذها يا ربيع ولا تعاود .

صام الناس فى سنة شديدة الحر على عهد المهدى ، وكان أبو دلامة يتنجز (يتعجل) جائزة أمر له المهدى بها ، فكتب اليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحر والصوم ، وهى :

أدعـــوك بالرحـــم التى قد جمعت * فى القـــرب بين قريبنـــا والأبعـــد
الا ســـمعت وأنت أكـــرم من مشى * من منشـــد يرجـــو جـــزاء المنشـــد
جـــاء الصـــيام فصـــمته متعبـــدا * أرجـــو رجـــاء الصـــائم المتعبـــد
ولقيت من أمـــر الصـــيام وحـــره * أمرين قيســـا بالعـــذاب المؤصـــد
وســـجدت حتى جبهتى مشـــجوجة * مما ينـــاطحنى الحصـــا فى المسجد
فامنـــن بتسريحـــى بمطلك بالـــذى * أســـلفتنيه من البـــلاء المرصـــد

فلما قرأ المهدى رقعته وقال : أى قرابة بينى وبينك ؟ قال : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما ، وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه ، وأنشده أيضا فى ذم الصوم :

هل في البلاد لرزق الله مفترش * أم لا ففي جلده من خشنة برش (١)
أضحى الصيام منيخا وسط عرصتنا * ليت الصيام بأرض دونها جرش
ان صمت أوجعني بطني وأقلقني * بين الجوانح مس الجوع والعطش
وان خرجت بليل نحو مسجدهم * أضرني بصر قد خانه العمش

دخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج مولى بني تميم فقال :

اذا جئت الأمير فقل سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قبح من غريم
غريم لازم بفناء بيتي * لزوم الكلب أصحاب الرقيم
له مائة علي ونصف أخرى * ونصف النصف في صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم
أتوني بالعشيرة يسألوني * ولم أك في العشيرة باللئيم

فأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد دفأتك عن قومك وزدتك مائة ·

دخل أبو دلالة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة :

أتاني ، بغلة يستام مني ، * عريق في الخسارة والضلال
فقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك ان بيعي غير غال
فأقبل ضاحكا نحوي سرورا * وقال أراك سمحا ذا جمال
هلم الي يخلو بي خداعا * وما يدري الشقي لمن يخالي
فقلت بأربعين ، فقال أحسن * الي فان مثلك ذو سجال
فاترك خمسة منها لعلمي * بما فيه يصير من الخبال

فقال المهدي : لقد أفلت من بلاء عظيم ، قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها ، ثم أنشده :

فأبدلني بها يارب طرفا * يكون جمال مركبه جمالي

فقال لصاحب دوابه : خيره من الاصطبل بين مركبين ، قال : يا أمير المؤمنين ان كان الاختيار لي وقعت في شر من البغلة ، ولكن مره أن يختار لي ، فاختار له ·

---

(١) البرش : نقط بيض في الجلد ·

خاصم رجل أبا دلامة فى داره فارتفعا الى عافية القاضى ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

لقد خاصمتنى دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما أدحض الله لى حجة * ولا خيب الله لى قافيه
ومن خفت من جوره فى القضاء * فلست أخافك يا عافيه

فقال له عافية : والله لأشكونك الى أمير المؤمنين ، ولأعلمنه أنك هجوتنى ، قال : اذن يعزلك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك لا تعرف المديح من الهجاء ، فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبى دلامة بجائزة ٠

دخل أبو دلامة على المهدى وعنده اسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس ابن محمد ومحمد بن محمد بن ابراهيم الامام وجماعة من بنى هاشم فقال له : أنا أعطى الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن فى البيت لأقطعن لسانك ، فنظر اليه القوم ، فكلما نظر الى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ، قال أبو دلامة : فعلمت أنى قد وقعت وأنها عزمة من عزماته لابد منها ، فلم أر أحدا أحق بالهجاء منى ، ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسى ، فقلت :

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه ٠

خرج المهدى وعلى بن سليمان الى الصيد ، فسنح لهما قطيع من الظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدى ظبيا بسهم فصرعه ، ورمى على بن سليمان ، فأصاب بعض الكلاب فقتله ، فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدى ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل امرىء يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة سنية ، فلقب على بن سليمان صائد الكلب ، وعلق به ٠

أنشد أبو دلامة المنصور يوما :

هاتيك والدتى عجوز همة (١) * مثل البلية درعها فى المشجب (٢)
مهزولة اللحيين من يرها يقل * أبصرت غولا أو خيال القطرب (٣)
ما ان تركت لها ولا لابن لها * مالا يؤمل غير بكر أجرب
ودجائجا خمسا يرحن اليهم * لما يبضن وغير عنز مغرب (٤)
كتبوا الى صحيفة مطبوعة * جعلوا عليها طينة كالعقرب
فعلمت أن الشر عند فكاكها * ففككتها عن مثل ريح الجورب
واذا شبيه بالأفاعى رقشت * يوعدننى بتلمظ وتشؤب
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم * لزبا تهل لك فى عيال لزب
لا يسألونك غير طل سحابة * تغشاهم من سيلك المتحلب
يا باذل الخيرات يا بن بذولها * وابن الكرام وكل قرم منجب
أنتم بنو العباس يعلم أنكم * قدما فوارس كل يوم أشهب
احلاس (٥) خيل الله وهى مغيرة * يخرجن من خلل الغبار الأكهب

فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم ، وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر أن تزاد فى قصره بعد ذلك لحاجة دعته اليها ، فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله :

يا بن عم النبى دعوة شيخ * قد دنا هدم داره ودماره
فهو كالماخض التى اعتادها الطلـ * ـق فقرت وما يقر قراره
ان تحز عسرة بكفيك يوما * فبكفيك عسره ويساره
أو تدعه فللبوار وأنى * ولماذا وأنت حى بواره
هل يخاف الهلاك شاعر قوم * قدمت فى مديحهم أشعاره
لكم الأرض كلها فأعيروا * شيخكم ما احتوى عليه جداره
فكأن قد مضى وخلف فيكم * ما أعرتم وأقفرت منه داره

---

(١) همة : هرمة .

(٢) المشجب : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر .

(٣) القطرب : ذكر الغيلان .

(٤) المغرب : الأبيض من كل شىء .

(٥) يقال : فلان من أحلاس الخيل ، اى من راضتها وساستها والملازمين ظهورها .

فاستعبر المنصور وأمر بتعويضه دارا خيرا منها ووصله ٠

دخل على المهدى يوما وعنده محرز ومقاتل ابنا ذؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويعيبانه عنده فقال :

ألا أيهـــا المهـدى هل أنت مخبرى ❊ وان انت لم تفعل فهل أنت سـائل
ألم ترحـــم اللحيين من لحيتيهمـــا ❊ وكلتاهمـا فى طولهـا غـير طائـل
وان أنت لم تفعل فهل أنت مكرمى ❊ بحلقهمـــا من محـــرز ومقـــاتل
فان يأذن المهـــدى لى فيهمـا اقـل ❊ مقالا كوقـع السـيف بين المقـاتل
والا تدعنى والهمـــوم تنـــوبنى ❊ وقلبـى من العلجين جم البـــلابل

فقال : أو آخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بهما أعراضهما منك ، قال : ذلك الى أمير المؤمنين ، فأخذها له منهما وأمسك عنهما ٠

دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع اليها رقعـة قد كتبهـا الى الخيزران فيها :

أبلغـى ســـيدتى باللـــ ❊ ـــه يا أم عبيـــــده
أنهـــا أرشـــدها اللـــ ❊ ـــه وان كانت رشـــيده
وعـــدتنى قبـــل أن تخـــ ❊ ـــرج للحـــج وليـــده
فتـــأنيت وارســــــلـ ❊ ـــت بعشريـن قصـــيده
كلمـــا أخــلقن أخلفـــ ❊ ـــت لهـــا أخـرى جـديده
ليس فى بيتـــى لتمهيـــ ❊ ـــد فـراشى من قعيـــده
غـــير عجفـــاء عجـــوز ❊ ســاقهـا مثـــل القـــديده
وجههـــا أقبـــح من حـــو ❊ ت طـــرى فى عصـــيده
مـــا حيـــاة مـــع أنثى ❊ مثـــل عرسى بســـعيده

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت واستعادتها منه لقوله : « حوت طرى فى عصيدة » وجعلت تضحك ووهبت له جارية ٠

دخل يوما على المهدى فحادثه ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقى أحد من اهلى لم يصلك ؟ قال : ان آمنتنى أخبرتك وان أعفيتنى فهو أحب الى ، قال : بل تخبرنى وأنت آمن ، قال : كلهم قد وصلنى الا حاتم بنى العباس ، قال : ومن هو ؟

قال : عمك العباس بن محمد ، فالتفت الى خادم على رأسه وقال : جأ عنقه ، فلما دنا منه صاح به أبو دلامة : تنح يا عبد السوء لا تحنث مولاك وتنكثه عهده وأمانه ، فضحك المهدى وأمر الخادم فتنحي عنه ، ثم قال لأبى دلامة : ويلك ! والله عمى أبخل الناس ، فقال أبو دلامة : بل هو أسخى الناس ، فقال له المهدى : والله لو مت ما أعطاك شيئا ، قال : فان أنا أتيته فأجازني ؟ قال : لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم ، فانصرف أبو دلامة فحبر للعباس قصيدة ، ثم غدا بها عليه وأنشده :

قف بالديـــار وأى الدهـــر لم تقف * على المنـــازل بين الظهـــر والنجف
وما وقوفـــك فى أطـــلال منـــزلة * لولا الذى استدرجت من قلبك الكلف
ان كنت أصبحت مشغوفا بساكنها * فـلا وربـك لا تشـــفيك من شغف
دع ذا وقل فى الذى قد فاز من مضر * بالمكرمـــات وعـــز غـــير مقتـــرف
هذى رســـالة شيخ من بنى اســـد * يهدى السلام الى العباس فى الصحف
تخطهـــا من جـــوارى المصر كاتبـــة * قـــد طالمـــا ضربت فى الـلام والألف
وطالمـــا اختلفت صـــيفا وشـــاتية * الى معلمهـــا باللـــوح والكتف (١)
حتى اذا نهـد الثـديان وامتـــلا * منهـــا وخيفت على الاسراف والقـــرف
صينت ثـلاث ســنين ما ترى احدا * كما يصـــون تجار درة الصـــدف
فبينما الشيخ يهـــوى نحو مجلســـه * مبـادرا لصلاة الصبح بالسدف (٢)
حانت له لمحـــة منهـــا فابصرهـــا * مطلة بين سجفيهـــا من الغـــرف
فخـــر والله ما يـــدرى غداتئـــذ * أخر منكشـــفا أم غـــير منكشـــف
وجـاءه النـاس أفواجـا بمائهـــم * ليغســـلوا الرجـــل المغشى بالنطف
ووســوســوا بقـــران فى مســـامعه * فخـــافه الجن والانســـان لم يخف
شـــيئا ولكنـــه من حب جارية * أمسى وأصـــبح موقوفا على التلف
قالوا لك الويل ما أبصرت قلت لهم * تطلعت من أعالى القصر ذى الشرف
فقـــلت أيـــكم والله يأجـــــره * يعين قـــوته فيهـــا على ضـــعف
فقـــام شـــيخ بهى من رجـــالهم * قـــد طالمـــا خـدع الأقـــوام بالحلف
فابتـــاعهـــا لى بالفـــى درهم فاتى * بهـــا الى فالقـــاهـــا على كتفـــى

---

(١) الكتف : عظم عريض يكون فى أصل كنف الحيوان كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس .

(٢) السدف : الضوء واقبال الصبح .

فبين ذاك كذا اذ جاء صاحبها ※ يبغى الدراهم بالميزان ذى الكفف
وذكر حق على زند وصاحبه ※ والحق فى طرف والطين فى طرف
وبين ذاك شهود لا يضرهم ※ أكنت معترفا أم غير معترف
فان يكن منك شيء فهو حقهم ※ أو لا فانى مدفوع الى التلف

فضحك العباس وقال : ويحك ! أصادق أنت ؟ قال : نعم والله ، قال : يا غلام ادفع اليه ألفى درهم ثمنها ، فأخذها ثم دخل على المهدى فأخبره القصة وما احتال له ، فأمر له المهدى بستة آلاف درهم ، وقال له المهدى : كيف لا يضرهم ذلك ؟ قال : لأنى معدم لا شيء عندى ·

دخل على اسحاق الأزرق يعوده ، وكان اسحاق قد مرض مرضا شديدا ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفا وعند اسحاق طبيب يصف له أدوية تقوى بدنه ، فقال أبو دلامة للطبيب : أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ؟ ما أردت والله الا قتله ، ثم التفت الى اسحاق فقال : اسمع أيها الأمير منى ، قال : هات ما عندك يا أبا دلامة ، فأنشأ يقول :

نح عنك الطبيب واسمع لنعتى ※ اننى ناصح من النصاح
ذو تجاريب قد تقلبت فى الصحـ ※ ـة دهرا وفى السقام المتاح
غاد هذا الكباب كل صباح ※ من متون الفتية السحاح
فاذا ما عطشت فاشرب ثلاثا ※ من عتيق فى الشم كالتفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا ※ وعلى ذا بأعظم الأقداح
فتقوى ذا الضعف منك وتلقى ※ عن ليال أصح هذى الصحاح

فضحك اسحق وعواده وأمر لأبى دلامة بخمسمائة درهم ، وكان الطبيب نصرانيا فقال : أعوذ بالله من شرك يا ركل « يريد يا رجل » وقال الطبيب : اقبل منى أصلحك الله ولا تسألنى عن شيء قدامه ، فقال أبو دلامة : أما وقد أخذت أجرة صفقتى وقضيت الحق فى نصح صديقى فانعت له الآن أنت ما أحببت ·

دخل على المهدى وبين يديه سلمة الوصيف واقفا ، فقال : انى أهديت اليك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله ، فان رأيت أن تشرفنى بقبوله ، فأمر بادخاله اليه ، فخرج وأدخل اليه دابته التى كانت تحته ، فاذا برذون محطم أعجف هرم ،

فقــال له المهدى : أى شيء هذا ؟ ألم تزعم أنه مهــر ؟ قال له : أوليس هذا سلمــــة الوصيف بين يديك قائما ، تسميه الوصيف وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيف ؟ فاذا كان سلمة وصيفا فهذا مهر . فجعل سلمة يشتمه والمهدى يضحك ، ثم قال المهدي لسلمة : ويلك ! ان لهذه منه أخوات ، وان أتى بها فى محفل فضحك ، فقال أبو دلامة : والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين ، فليس من مواليك أحد الا وقد وصلنى خيره ، فانى ما شربت له الماء قط ، قال : فقد حكمت عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك ، قال : قد فعلت على ألا يعاود ، فقال له : ما ترى ؟ قال : أفعل ، فلولا أنى ما أخذت منه شيئا قط ما فعلت معه مثل هذه ، فمضى سلمة فحملها اليه .

٥ - أبان بن عبد الحميد اللاحقى (١)

ذكرنا فى المجلد الأول أن أبان كان صديقا للبرامكة متصلا بهم أشد اتصال ، يستشيرونه ويعتمدون عليه فى تدبير أمورهم ، جدها وهزلها ، صعبها وهينها • وكانوا قد اتخذوه أديبهم الرسمى ، وبالغوا فى ذلك حتى جعلوا اليه امتحان الشعراء وتقدير ما يستحقون من الجوائز والصلات • فغضب الشعراء لذلك ، وكان أشدهم غضبا أبو نواس الذى كان يكره البرامكة كرها شديدا ، وكانت بينه وبين أبان مهاجاة ذكرها صاحب الأغانى •

وكان أبان صديقا للمعذل بن غيلان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء ، فيهجوه المعذل بالكفر وينسبه الى الشؤم • ويهجوه أبان وينسبه الى الفساد الذى تهجى به عبد القيس وبالقصر ، وكان المعذل قصيرا • فسعى فى الاصلاح بينهما أبو عيينة المهلبى ، فقال له أخوه عبد الله وهو أسن منه : يا أخى ان فى هذين شرا كثيرا ولابد من أن يخرجاه ، فدعهما ليكون شرهما بينهما والا فرقاه على الناس •

ومن قوله يهجو أبا النضير :

اذا قامت بواكيـــك * وقد هتكن أستارك
أيثنين علـى قبـر * ك أم يلعن أحجارك
وما تترك فى الدنيـا * اذا زرت غدا نارك
ترى فى سقر المثوى * وابليس غدا جارك
بل تترك باكيـك * ودنيـاك وأوتارك
وخمسا من بنات الليـ * ـل قد ألبسن أطمارك
تعالى الله ما أقبـ * ـح اذ وليت أدبارك

خرج أبان من البصرة طالبا للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائبا فقصده ، فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل اليه ، فتوسل الى من وصل له شعرا اليه ، وقال له :

---

(١) تجد ترجمته فى الجزء الأول من هذا الكتاب وقد ذكرناه هنا لمناسبة ذكر ما عثرنا عليه من منظومته لكتاب كليلة ودمنة • وقد أضفنا هنا ما لم نذكره فى ترجمته هناك •

يا عزيز الندى ويا جوهر الجو * هر من آل هاشم بالبطاح
ان ظني ، وليس يخلف ظني * بك في حاجتي سبيل النجاح
ان من دونها لمصمت باب * أنت من دون قفله مفتاحي
تاقت النفس يا خليل السماح * نحو بحر الندى مجاري الرياح
ثم فكرت كيف لي واستخرت الله عند الامساء والاصباح
وامتدحت الأمير أصلحه الله بشعر مشهر الأوضاح

فقال : هات مديحك ، فأعطاه شعرا في هذا الوزن وقافيته ، ترى فيه أن الرجل معجب بنفسه ، مدل بعلمه وأدبه ، تياه لا حد لتيهه وغروره :

أنا من بغية الأمير وكنز * من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب * ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريـ * ـشة مما يكون عند الجناح

وهي طويلة ذكرناها في المجلد الأول .

وكان أبان شديد الحرص على المال يضحي في سبيله بأشياء كثيرة ، منها العقيدة والرأي . وكان يحسد مروان بن أبي حفصة لمكانه من الرشيد ولظفره بالصلات الضخمة والجوائز السنية ، فقد انتهى الأمر ببني العباس مع مروان بن أبي حفصة الى أن كانوا يمنحونه بالبيت ألف درهم ، فغاظ ذلك أبان وأراد أن يصيب من أموال الرشيد ما كان يصيب مروان ، فعاتب أبان البرامكة على تركهم ايصاله للرشيد وايصال مديحه اليه ، فقالوا له : ما تريد من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة ، فقالوا : ان لذلك مذهبا في هجاء آل أبي طالب وذمهم ، به يحظى وعليه يعطى ، فاسلكه حتى تفعل . قال : لا أستحل ذلك ، قالوا : فما تصنع ، لا يجيء طلب الدنيا الا بما لا يحل ! فقال أبان :

نشدت بحق الله من كان مسلما * أعم بما قد قلته العجم والعرب
أعم رسول الله أقرب زلفة * لديه أم ابن العم في رتبة النسب
وأيهما أولى به وبعهده * ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عباس أحق بتلكم * وكان علي بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس هم يرثونه * كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهي طويلة .

فقال الفضل : ما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب من أبياتك . فركب فأنشدها الرشيد ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم . ثم اتصـــل مدحه للرشيد بعد ذلك وخص به .

وكان أبان هجاء قبيح اللسان ، وكان مع هذا شريرا قاسيا يؤثر الشر ويجد فيه لذة . وقد روى له أبو الفرج قصة تمثل نصيبه من القسوة وحب الشر ، كما أنها تعطينا صورة من شعره ومن الحياة في عصره . قالوا : كان يقيم بالقرب من أبان رجل ثقفي يقال له : محمد بن خالد ، وكان عدوا لأبان ، فتزوج محمد هذا ثقفية معروفة هي عمارة (بتشديد مع فتح الميم) بنت عبد الوهاب ، وكانت عمارة موفورة الثروة ، فاغتاظ أبان لهذا الزواج ، وقال هذه القصيدة التى بلغت عمارة فأفسدت زواجها :

لمـــا رأيت البز والشـــاره * والفرش قد ضـاقت به الحاره
واللـــوز والسـكر يرمي بـه * من فوق ذى الدار وذى الداره
وأحضروا الملهين لـــم يتركـــوا * طبـــلا ولا صـــاحب زمـــاره
قلت : لماذا قيل : أعجـــوبة * محمـــــد زوج عمـــــاره
ماذا رأت فيـــه ومـــاذا رجت * وهي من النســـوان مختـــاره
أســـود كالسـفود ينسى التـــ * ـنور بل محراك قيـــاره (١)
يجـــرى على أولاده خمســـة * أرغفـــــة كالريش طيـــــاره
وأهـــله في الأرض من خوفه * ان أفرطـــوا في الأكل سياره
ويحـــك فرى واعصى ذا بـــه * فهـــــذه أختـــــك فـــراره
اذا غفـــا بالليـــل فاستيقظى * ثم اطفرى (٢) انـــك طفـــاره
فصـــعدت نائـــلة ســــلما * تخـــاف أن تصـــعده الفـــاره
« سرور » غرتها فـــلا أفلحت * فانهـــــا اللخنـــــاء غـــــراره
لو نلت ما أبعدت من ريقهـــا * ان لهـــــا نفثـــــة ســـحاره

فلما بلغت هذه القصيدة عمارة هربت ، فحـــرم من جهتها مالا عظيما . وثلاثة الأبيات الأخيرة التى أولها * فصعدت نائلة سلما * زادها فى القصـــيدة بعد أن هـــربت .

جلس أبان ليلة فى قوم فثلب أبا عبيدة فقال : يقدح فى الأنساب ولا نسب له . فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال فى مجلسه : لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ

---

(١) القيارة : محل اسالة القار .

(٢) طفر : وثب فى ارتفاع .

الجزية من أبان اللاحقى ، وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف ، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلى به • فبلغ ذلك أبان فقال :

لا تثمن عن صديق حديثا * واستعذ من تسرر النمام
واخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل الكلام

قال عيسى بن اسماعيل : كنا فى مجلس أبى زيد الأنصارى فذكروا أبان بن عبد الحميد ، فقالوا : كان كافرا ، فغضب أبو زيد وقال : كان جارى فما فقدت قراءته فى ليلة قط •

وكان أبان يفوق الشعراء فى شىء نحسب أنه هو الذى سبق اليه ، فقد ابتكر فى الأدب العربى فنا لم يتعاطه أحد من قبله ، وهو فن الشعر التعليمى ، طرق فيه فنونا مختلفة من العلم والحكمة والدين • وقد تحدث أبو الفرج أنه نظم للبرامكة كتاب « كليلة ودمنة » ليسهل عليهم حفظه ، فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف واكتفى جعفر بأن يكون راويته • وروى أبو الفرج أبياتا أربعة من هذا النظم ، وقد عثرنا على قطعة من كتاب مخطوط يوجد فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩٤) تاريخ ، وهو كتاب « الأوراق » للصولى • وفى هذا الكتاب قطعة صالحة من نظم أبان لكليلة ودمنة ، فرأينا أن نثبتها هنا ، لأن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا الأبيات الأربعة التى رواها أبو الفرج • وها هى ذى :

هذا كتاب كذب ومحنه * وهو الذى يدعى كليله دمنه
فيه دلالات وفيه رشد * وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم * حكاية عن ألسن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله * والسخفاء يشتهون هزله
وهو على ذاك يسير الحفظ * لذ على اللسان عند اللفظ
يا نفس لا تشاركى الجهالا * فى حب ملموم كان قد زالا
يا نفس لا تشقى ولا تعنى * فى طلب الدنيا ولا تمنى
ما لم ينله أحد الا ندم * اذا تولى ذاك عنه وسدم (١)
دنياك بالأحباب والاخوان * كثيرة الآلام والأحزان
وهى وان نيل بها السرور * آفاتها وغمها كثير

---

(١) ندم وحزن •

يا نفس لا يحملك حب أهك * ولا أدانيك على أن تهلكي
في جمع ما يرضيهم فانه * يضرب من أمثال ذاك الدخنة (١)
ينال قوم عرفها وتحترق * رأى به يرضى أخو الرأى الحمق
وجدت ذا النسك الذى قد فكرا * فزاده تفكيره توقرا
وقل لما رضى اهتمامه * ونم من سروره تمامه
وترك الدنيا لمن يشقى بها * ومن يقاسى الكد من أنصابها
فعندها نجا من الشرور * ونال أقصى غاية السرور
ثم سخت عن كل فان نفسه * فلقى السعد وغاب نحسه
وأبصر الثواب فى القيامه * فأمن الحسرة والندامه
ومثل الدنيا كبرق الخلب * من يغترر منه بسقى يكذب
وهو قياسا مثل نوم النائم * تفرحه أضغاث حلم الحالم
حتى اذا استيقظ صار هما * ما كان فى النوم به ألما
فكيف بالصبر على أيام * عما قليل هن لانصرام
وكيف والدنيا بلاء كلها * لا يأمن الآفات فيها أهلها
أشهد أن الله فرد واحد * أقر أو أنكر ذاك جاحد
ليس له كفوا ولا ندا أحد * لم يلد الله ولا له ولد
وانني بما عملت مرتهن * ما كان منه من قبيح وحسن

من باب الأسد والثور

من كان دنى النفس * يرضى من الأرفع بالأخس
كمثل الكلب الشقى البائس * يفرح بالعظم العتيق اليابس
وان أهل الفضل لا يرضيهم * شيء اذا ما كان لا يغنيهم
كالأسد الذى يصيد الأرنبا * ثم الى العير (٢) المجد هربا
فيرسل الأرنب من أظفاره * ويتبع العير على أدباره
والكلب من رقته ترضيه * بلقمة تقذفها فى فيه

---

(١) الدخنة : نحو يدخن به الثياب أو البيت وفى الأصل : « الدجنة » بالجيم وهو تحريف ٠
(٢) فى الأصل : « ثم للعير » ، والعير : الحمار ٠

فمن يعش ما عاش غير خامل * لـه سرور دائـم ونائـل
فهو وان كـان قصير العمر * أطـول عمرا من حليف فقر
ومن يعش فى وحشة وضيق * وقلة المعروف فى الصديق
فهو وان عمر طـول دهره * ليس بمغبوط بطـول عمره
وقيل أيضا انه قد ينبغى * المرجل الفاضل فيما يبتغى
ألا يرى الا مع الأملاك (١) * أو يعبد الله مع النساك
كالفيل لا يصلح الا مركبا * لملك أو راعيا مسيبا
قال له السبع لقد سمعت * وكل ما تقول قد فهمت
لكننى لست أظن ما تظن * بالثور من غش بلى ظنى حسن (٢)
قال له دمنة من ثم أتى * وهذه من حاله هى التى
رفعته حتى تعدى طوره * وكان هذا لك منه شكره
وتلك أخلاق اللئيم الفاجر * الكافر المغرور غير الشاكر
ما ان يزال ناصحا نفاعا * حتى يرى من حاله ارتفاعا
فعندها يسمو الى ما فوقها * الى التى لا تستطيع أوقها (٣)
وربما كان هلاك الشجر * فى حسن الغصن وطيب الثمر
وذنب الطاووس فهو زينه * كذاك أحيانا وفيه حينه
وباذل النصح لمن لم يشكره * كطارح فى سبخ ما يبذره
لا خير للعاقل فى ذى المنظره * ان هو لم يحمده عند المخبره
وليس فى الصديق ذى الصفاء * خير اذا لم يك ذا وفاء
الرجل العاقل من لا تسكره * كاس سمو واقتدار يبطره (٤)
فالجبل الثابت فى أصوله * لا تقدر الريح على تحويله
والناقص العقل الذى لا رأى له * يطغى اذا ما نال أدنى منزله
مثل الحشيش أيما ريح جرت * مالت به فاقبلت وأدبرت
الأهل والاخوان والأعوان * عند ذوى الأموال حيث كانوا

---

(١) الأملاك : الملوك .

(٢) كذا فى الأصل ولعله : « بل الظن الحسن » .

(٣) أوقها : ثقلها .

(٤) فى الأصل هكذا « منظر » .

والمـــال هـــادى الرأى والمروه * وهو على كل الأمـور قـوه
والمـــال فيه العز والجمـــال * والذل حيث لا يكون المـــال
وربمـــا دعـــا الفقـــير فقره * الى التى يحبـــط فيهـــا أجره
فيخسر الدين كمـــا كان خسر * دنيـــاه والخسران ما لا ينجبر
وليس من شيء يكون مدحـــا * لذى الغنى الا يـــكون برحـــا
على الفقـــير ويـــكون ذمـــا * كـــذاك يدعى وبـــه يســـمى
فان يكن نجدا يقولوا أهـــوج (١) * كـــذاك عنـــد الحرب لا يعرج
وهو اذا كان جـــوادا ســـيدا * ســـمى المفقر مضـــيعا مفســـدا
أو يك ذا حلم يقل ضـــعيف * أو يك بســـاما يقل ســـخيف
الرجل العـــاقل فيما يســـدى * مغتبـــط بكســـبه للحمـــد
لأنـــه بـــاع قليـــلا فانيـــا * واعتاض من ذاك كثيرا باقيـــا
فأغبـط النـــاس الكثير نائـــله * ومـــدرك النجح لديه ســـائله
فـــلا تعـــدن ذا غنى غنيـــا * حتى يـــكون ماجـــدا سريـــا
وأعلم بأن الملـــك المشـــاورا * ذا العقـــل فيمـــا نابه المؤازرا
فـــانه يعضـــد بالتأيـــيـــد * يغنى بـــه عن كثرة الجنـــود
والحـــازم التابع أمر الحـــزمه * النصـــحاء غير أهـــل التهمـــه
يزداد حزمـــا بهـــم ورشـــدا * زيـــادة البحـــر اذا ما مـــدا
بمـــا يصـــب فيـــه من أنهـــاره * حتى يهيج المـــوج من تيـــاره
والموت من مات كريما صـــابرا * خير من العيش ذليـــلا صـــاغرا

ولم ينقل لنا الصولى فى كتابه الا هذه القطعة • ويعد أبان فى هذا ناظما لكتاب معروف ، ولكنه قد تجاوز نظم الكتب المعروفة الى تأليف كتب منظومة ، فنظم قصيدة طويلة فى الصوم والزكاة ، روى منها الصولى طرفا •

فقيل لأبان بعد أن نظم كليلة ودمنة : ألا تعمل شعرا فى الزهد ؟ فعمل قصيدة مزدوجة فى الصيام والزكاة • وترجمتها :

« قصـــيدة الصـــيام والزكاة * نقـــل أبـــان من فـــم الرواة »

---

(١) الهوج : الحمق • وفى الأصل : « لهوج » باللام وهو تحريف •

وها هي ذي القصيدة :

هذا كتاب الصـــوم وهو جامع * لــكل ما قامت بـــه الشرائع
من ذلـــك المنزل في القــرآن * فضـــلا على من كان ذا بيـــان
ومنـــه مـــا جـــاء عن النبي * من عهـــده المتبــــع المرضي
صـــلى الاله وعليـــه سـلما * كمـــا هـــدى الله به وعلمـــا
وبعضه على اختـــلاف الناس * من أثر مـــاض ومن قيـــاس
والجامع الذي اليـــه صـــاروا * رأى أبي يوسف ممـــا اختـــاروا
قـــال أبو يوسف أما المفترض * فرمضـــان صـــومه اذا عرض
والصـــوم في كفـــارة الأيمـــان * من حيث ما يجرى على اللسان
ومعه الحج وفي الظهـــار (١) * الصـــوم لا يـــدفع بالانـــكار
وخطـــأ القتل وحـــلق المحرم * لرأســـه فيه الصـــيام فافهـــم
فرمضـــان شـــهره معـــروف * وصومه مفترض موصـــوف (٢)
والصـــوم في الظهار ان لم يقدر * مظـــاهر يوما على محـــرر
والقتل ان لم يك عمدا قتله * فان ذاك في الصـــيام مثـــله
شهران في العـــدة كامـــلان * متصـــــلان لا مفـــــرقان
والحنث في روايـــة مقبـــوله * ثـــلاثة أيامهـــا موصـــوله
ومثلهـــا في عـــدة الأيـــام * للمحـــرم الحـــالق في الاحرام
ثـــلاثة بصـــومها ان حلقـــا * لا بأس ان تابعهـــا أو فرقـــا
والصوم في المتعة ان لم يجد * هدايا وكان بالصيام يفتـــدى
صـــيام أيـــام مؤقتـــات * ثلاثة في الحج مفروضـــات
وبعد ما يرجع صـــوم سبعه * عشـــرة كاملة في المتعـــه
أما الثـــلاثة التي في الحج * فكان من أدركت من محتج
أو غيره ممن يرى أن يرويه * يقول يوما قبـل يوم الترويه
ويومها وصـــوم يوم عـــرفه * مؤتلفات الصـــوم لا مختلفـــه
قـــالوا وان أحـــب أن يفـــرقا * فذاك ما ليس عليـــه ضـــيقا

---

(١) الظهار مصدر ظاهر الرجل من امرأته اذا قال لها : أنت على كظهر أمي ، فكنى بالظهر عن البطن تادبا .

(٢) في الأصل : « موطوف » .

ان كان ذاك الصوم منه بعدما * يكون في عمـــرته قد أحرما
ولو أراد الصـــوم في شوال * من بعـــد أن يوجب بالهـلال
عمـــرته لكان ذاك مجزيا * بذاك يفتى من أتى مستفتيا

وهي طويلة جدا ·

ونحسب أن مكانه من البرامكة هو الذى حمله على اختراع هذا الفن ، فقد كان مكانة منهم مكان المؤدب لصبيانهم وشبابهم ، وكان من الحق عليه أن يسهل لهم العلم تسهيلا · وليس من شك في أن هذه الأموال التى أصابها من البرامكة حينما نظم كلية ودمنة قد أطمعته ، فنظم القصائد الأخرى ليصيب مثل ما أصاب ·

أخبار حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان ومختار من شعره

قال أبو بكر الصولى : حدثنى محمد بن زياد قال : كانت فى عبد الصمد بن المعذل عربدة اذا سكر . فعربد يوما فى مجلس فيه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان ، وكان ايدا (١) ، فقال لهم : كلوه الى وحدى ، وأخذه وكتفه وجعله فى بيت وأغلق بابه ، ثم قال : اذا أصبحتم فأطلقوه ، وانصرف ، فبلغه أن عبد الصمد حلف ليهجونه سنة ، فقال حمدان يهجوه :

قل لعبد الصـمد الأحـ * ـمق لا تغضـب عليـه
وعلى أمك فاغضـــب * واكوهـــا فى الهن كيـه
أمك العفـــلاء جاءتـ * ـنـى بســـلمى ورقيه
وهى ســاقت ليـلة فا * طمـــة أخــرى اليـه
فقضـــينا فيهـــم الحق * وقلبنـــا الســـويه

وقد ذكر الصولى فى كتابه الأوراق ما اختاره من قصيدة حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان فى وصف الحب وأهله وهى طويلة ، قال :

ما بـال أهـل الأدب * منـــا وأهـــل الكتب
قـد وضـعوا الآدابـا * وأتعبـــوا الكتـــابا
لكل فـــن دفتـــر * منقـــط محبـــر

(١) ايدا : قويا ·

ففرقت أجناسا * وعلموها الناسا
بالحيل الرقيقه * والفطن الدقيقه
فارشدوا الضلالا * وعلموا الجهالا
سوى المحبين فلم (١) * يرعوا لهم حق الذمم
فى علم ما قد جهلوا * وما به قد ابتلوا
قد غلقت رهونهم * واستعبرت عيونهم
وحالفوا السهادا * وخالفوا الرقادا
فليلهم طويل * ونومهم قليل
أبدانهم نحيله * متعبة عليله
نفوسهم حزينه * مشغوفة رزينه
ظاهرة غمومهم * باطنة كلومهم
باكية عيونهم * قريحة جفونهم
ان ظلموا لم يظلموا * وان شكوا لم يرحموا
أحبابهم فى لعب * وفى دوام الطرب
صافية ألوانهم * ضاحكة أسنانهم
قد سكنوا القصورا * قارنوا السرورا
تفرغوا للهجر * وللنوى والغدر
بعاشق يهواهم * بالله ما أقساهم
وعدهم وعيد * اقرارهم جحود
بؤسى لأهل العشق * أهل الضنا والرق
ليس لهم وسيلة * ولا وجوه وحيله
رأيت لما خذلوا * وفى هواهم وحملوا
أن أرشد المغفلا * الجاهل المضللا
الى الطريق الواضح * عند البلاء الفادح
وابتدى كتابا * للوصف بابا بابا (٢)
يا أيها الناس فعوا * وصيتى واستمعوا

---

(١) فى الأصل : « فكم » .
(٢) فى الأصل : ★ لوصف باب بابا ★

ففي صفاتي عجب * وفي كتابي أدب
قصيدتي مقومه * ألفاظها منظمه
فيها هوى العشاق * ومنية المشتاق
وصفت أهل العشق * ولم أمل عن حق
فاسمع مقالا صادقا * يا من يبيت عاشقا
للحب خلتان * هما هما اللتان
الصبر والرفق معا * يوما اذا ما اجتمعا
في عاشق مهجور * مباعد مغرور
قضى قريبا وطرا * وبلغاه الوطرا
ما الحسن والاحسان * والملك والسلطان
يعدل وصل الالف * وكسره للطرف
ما حسن في العين * أحسن من الفين
يوما اذا ما التقيا * في مجلس فاشتفيا
مداومين للنظر * قد أمنا كل حذر
يبادران الخلوه * ويظهران الصبوه
مساعدين اتفقا * باتا ولم يفترقا
هواهما مخزون * سرهما مدفون
مدارين أصبحا * للناس لم يفتضحا
من جرب الحب عرف * ما بين ملك وأسف
لن يبلغ الصب المنى * الا بصبر وعنا
ان الهوى ضروب * وأمره عجيب
وأهله أطوار * فيه لهم أوطار
للعاقل الشريف * والأحمق السخيف
فمنهم مرزوق * محبب معشوق
على اضطراب الخلق * منه وسوء الخلق
تقضى له الأوطار * وتعمل الأشعار
مقرب ما يقصي * مطاوع ما يعصي

ومنهم محروم * محارف (١) مشئوم
على جمال هيئته * وحسنه وبهجته
ومنهم من يبتدا * ينال عيشا رغدا
من غير سعي وطلب * وغير كد ونصب
فجد ذاك الأسعد * والبخت منه أجود
اذ فاز باللذات * ودرك الحاجات
ومنهم من يتعب * في حبه ويدأب
أسقمه طول الهوى * وشفه وجد الجوى
فذاك صب قد شقي * بؤسى له ماذا لقي
ومنهم البصير * العاقل النحرير
يحتمل الهجرانا * ويحمل الأحزانا
فلا يزال مبتلى * حتى ينال أملا
ومنهم العميد * الجاهل البليد
يحب بالتضجر * والجهل والتكبر
يلقى الحبيب باهتا * فلا يزال ساكتا
ومنهم من يهوى * بالغيب يأتي عفوا
فيزرع الغموما * مستجلبا هموما
فذاك حب الغيب * ليس به من عيب
من دونه حجاب * ودونه أبواب
فما لذاك لبث * وليس منه مكث
حتى يرى مقهورا * في حبه محسورا
ومنهم جبار * في حبه ازورار
يزهى اذا ما عشقا * ورهنه قد غلقا

---

(١) محارف : محروم محدود اذا طلب لا يرزق .

يلتزم اللجاجه	فليس يبدى الحاجه
فذاك حب الفوت	وفيه كرب الموت
ومنهم من للنظر	يهوى ولم يعد البصر
اذا رأى خليله	داوى به غليله
يكتم ما يقاسي	من اعين الجلاس
ومنهم من اقتصر	على الحديث والنظر
غايته السلام	واللحظ والكلام
مدافع عن حبه	يكتم وجد قلبه
ينفى الهوى وينكره	وبالتبرى يستره
فذاك حب العاقل	حب أديب كامل
وبعضهم لا يقنعه	الا عمود يودعه
قد طلب الحراما	والتمس الآثاما
فذاك حب النهم	الماجن المغتلم
حق له الحرمان	والمنع والخذلان
وبعضهم مذاق	معانت ملاق
مستعمل للكذب	محرف فى الكتب
فذاك حب الزور	يلسع كالزنبور
وبعضهم عميد	غاية ما يريد
خلوة من يهواه	في مشهد يلقاه
لحظته مسارقه	مبيته معانقه
مكاتم لحبه	فى بعده وقربه
فذاك حب يكمد	نيرانه لا تخمد
ومنهم من يهتف	بالحب حين يشغف
اذا الحبيب صدا	ولم ينله ودا
تاه عليه وحزق (١)	وصد عنه وحمق

---

(١) حزق : ضن عليه وبخل .

وقال في آخرها :

قد تـم مني وصف * ولم يخني الرصـف
وانقضـت القصيده * محبـوبة حميـده
والحمـد للرحمـن * ذي العز والسلطـان
والـذم للشيطـان * ذي العرم (١) والطغيان

٦ ـ منصور النمري (٢)

كان ذا حيلة سياسية ، فأدرك أن الرشيد يسره أن يمدح بنفي الامامة عن علي والطعن عليه ، لما كان يراه من تقديم مروان بن أبي حفصة بسبب ذلك ، فسلك مذهبه ونحا نحوه ـ والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب ـ لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ، ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

أمير المؤمنين اليك خضـنا * غمـار الهول من بلد شـطير
بخـوص كالأهلة خافقـات * تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليـك احمالا ثقـالا * ومثـل الصخرة الدر النثير
فقـد وقف المديح بمنتهاه * وغايته وصـار الى المصـير
الى من لا تشـير الى رسول * اذا ذكر النـدى كف المشير

---

(١) العرم : الشدة والشراسة · وفي الأصل : « العزم » ·

(٢) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة الربعي ، من النمر بن قاسط ، ثم من ربيعة بن نزار · شاعر من شعراء الدولة العباسية · من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته عنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبه · وصفه العتابي للفضل بن يحيى بن خالد وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما في هلاك صاحبه ، وكان النمري قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها العتابي اليه واسترفده له وسأله استصحابه ، فأذن له في القدوم · فحظي عنده ، وعرف مذهب الرشيد في الشعر وارادته أن يصل مدحه اياه بنفي الامامة عن ولد علي ابن أبي طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصه وتفضيله اياه على الشعراء في الجوائز ، فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه ، ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع وأومأ ولم يحقق ، لانه كان يتشيع ، وكان مروان شديد العداوه لآل أبي طالب وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذر · وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٢ ص ١٦ و ج ١٧ ص ٣٢ و ١٤١) ·

وذكر فى القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال :

يذلل من رقاب بنى على * ومن ليس بالمن الصغير
مننت على ابن عبد الله يحيى * وكان من الحتوف على شفير

ولقد تخلص الى شىء ليس عليه فيه شىء وهو قوله :

فان شكروا فقد أنعمت فيهم * والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق * وردوا ما يناسب للذكور
وما لبنى بنات من تراث * مع الأعمام فى ورق الزبور

ومنها :

بنى حسن ورهط بنى حسين * عليكم بالسداد من الأمور
فقد ذقتم قراع بنى أبيكم * غداة الروع بالبيض الذكور
أحين شفوكم من كل وتر * وضموكم الى كنف وثير
وجادوكم على ظمأ شديد * سقيتم من نوالهم الغزير
فما كان العقوق لهم جزاء * بفعلهم وآدى للثئور
وانك حين تبلغهم أذاة * وان ظلموا لمحزون الضمير

فقال له : صدقت والا فعلى وعلى ، وأمر له بثلاثين ألف درهم . وأنشد الرشيد يوما قصيدته التى أولها :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتنى بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفى شبابى كنه غرته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فقال الرشيد : أحسن ! والله لا يتهنى أحد بعيش حتى يخطر فى رداء الشباب .

ومن قوله فيها يمدح الرشيد :

أى امرىء بات من هارون فى سخط * فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع (١)

(١) رواية الأغانى : « تتسع » .

اذا رفعت امـــرءا فالله يرفعـــه * ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسي فـداؤك والأبطـــال معلمـــة * يوم الوغى والمنايا صابها ثرع

ومن قوله يمدح الرشيد :

يامنزل الحي ذا المغـــاني * انعم صـــباحا على بـــلاكا
هارون ياخـــير من يرجى * لم يطع الله مـــن عصــــاكا
في خير دين وخير دنيـــا * مـــن اتقى الله واتقـــاكا

وناهيك بقصيدته التي رفعت السيف عن ربيعة بنصيبين بعد أن جرده فيهـا الرشيد وهى التي يقول فيها :

وقد علم العدوان والجـــور والخنا * بأنـــك عيـــاف تهن مزايـــل
ولو عملـــوا فينـــا بأمـرك لم يكن * ينـــال بريـــا بالأذى متنـــاول
لنا منك أرحـــام ونعتد طاعة * وبأسا اذا اصطك القنا والقنابل (١)
وما يحفظ الاحســـان مثلـــك حافظ * ولا يصـــل الأرحام مثلك واصـــل
جعلنـــاك فامنعنا معاذا ومفزعا * لنا حين عضـــتنا الخطوب الحـــلائل
لأنت اذا عاذت بوجهك عـــوذ * تطامن خـــوف واستقرت بلابل

اجتمع جماعة من الشعراء ببغداد وفيهم منصور النمرى ، وكانوا على نبيذ ، فأبى منصور أن يشرب معهم ، فقالوا له : انما تعاف الشراب لأنه رافضي ، وتسمع وتصغي الى الغناء ، وليس تركك النبيذ من ورع ، فقال :

خلا بين ندماني موضع مجلسي * ولم يبق عندى للوصال نصيب
وردت على الساقي تفيض وربما * رددت عليه الكأس وهو سليب
وأى امرىء لايستهش اذا جرت * عليـــه بنـــان كفهن خضيب

قال النمرى : كنت واقفا على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشـــام ، وقد وخطني الشيب يومئذ ، وعبيد الله شـــاب حديث السن ، فاذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت ، فجعلت أنظر اليها وهى تنظر الى عبيد الله ثم انصرفت ، وقلت فيها :

لما رأيت سـوام الشيب منتشرا * في لمتي وعبيـــد الله لم يشـــب
سللت سهمين من عينيك فانتضلا * على سبية ذى الأذيال والطرب

(١) مفرده قنبل بفتح فسكون ثم فتح : الطائفة من الناس .

كـذا الغوانى نرى منهن قاصـــدة ✻ الى الفـــروع معـراة عن الخشب
لا أنت أصبحت تعقد بيننا آربا (١) ✻ ولا وعيشـك ما أصبحت من أربى
احدى وخمسين قد آنضيت جدتها ✻ تحول بينى وبـين اللهو واللعب
لاتحسبينى وان أغضيت عن بصرى ✻ غفلت عنك ولا عن شأنك العجب

غضب الرشيد على منصور النمرى لما أنشد قصيدته فى مدح العلويين وأولها :

شـاء من الناس راتع هامل ✻ يعللون النفوس بالباطـــل

وفيها يقول :

ألا مساعير (٢) يغضبون لها ✻ بسلة البيض والقنـا الذابل

فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة ، فبعث الفضل فى ذلك ، فوجده قد توفى ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه .

واليك قصيدته فى مدح العلويين نقلا عن الشعر والشعراء لابن قتيبة ، لأن صاحب الأغانى أغفلها ولم يذكر منها الا البيتين السابقين :

شـــاء من الناس راتع هامل ✻ يعللون النفوس بالباطـــل
تقتـــل ذرية النبى ويـــر ✻ جون جنان الخلود للقاتـل
ويلك يا قاتل الحســـين لقد ✻ نـؤت بحمـل ينـــوء بالحـامل
أى حبـــاء حبـوت أحمد فى ✻ حفرته من حـــرارة الثاكل
بأى وجه تلقى النبى وقد ✻ دخلت فى قتله مع الداخـل
هلم فاطلب غـــدا شـفاعته ✻ أولا فرد حوضه مع الناهل
ما الشك عندى فى حال قاتله ✻ لكننى أشـــك فــى الخاذل
نفسى فداء الحسين حين غدا ✻ الى المنـايا غـدو لا قافل
ذلك يـــوم انحى بشفرته ✻ على سنام الاسلام والكاهل
حتى متى أنت تعجبين ألا ✻ تنزل بالقوم نقمـــة العاجل

---

(١) كذا فى الأصل ولعله : ★ لا أنت أصبحت يعقد بيننا أرب ★ بتسكين الفعل يعقد للضرورة وتسكين الفعل فى الضرورة وارد ومنه قول امرىء القيس : فاليوم اشرب غير مستحقب ★ اثما من الله ولا واغل .

(٢) فى الشعر والشعراء « مصاليت » .

لا يعجل الله ان عجلت وما * ربك عما يريد بالغافل
وعاذلى أننى أحب بنى * احمد فالترب فى فم العاذل
قد ذقت ما دينكم عليه فما * وصلت من دينكم الى طائل
دينكم جفوة النبى وما الـ * جافى لآل النبى كالواصل
مظلومة والنبى والدها * تدير أرجاء مقلة حافل
ألا مصاليت يغضبون لها * بسلة البيض والقنا الذابل

وقال أيضا :

آل النبى ومن يحبهم * يتطامنون مخافة القتل
أمنوا النصارى واليهود وهم * من أمة التوحيد فى أزل (١)

وأنشد الرشيد هذا بعد موته فقال : لقد هممت أن أنبشه ثم أحرقه .

من جيد شعره قوله فى الرشيد :

يا زائرينا من الخيام * حياكما الله بالسلام
يحزننى أن أطفتما بى * ولم تنالا سوى الكلام
لم تطرقانى وبى حراك * الى حلال ولا حرام
هيهات للهو والتصابى * وللغوانى وللمدام
أقصر جهلى وثاب حلمى * ونهنه الشيب من عرامى (٢)
عمر أبيها لقد تولت * سالة الخد من عذامى (٣)
لله حبى وترب حبى * ليلة أعياهما مرامى
آذنتانى بطول هجر * وغرتانى مع السوام
وانطوتا لى على ملام * والشيب شر من الملام
بورك هارون من امام * بطاعة الله ذى اعتصام
له الى ذى الجلال قربى * ليست لعدل ولا امام

---

(١) الأزل : الضيق والشدة .

(٢) العرام : الحدة .

(٣) العذم بالشفة كالعض بالاسنان .

يسعى على أمة تمنى * أن لو تقيه من الحمام
لو استطاعت لقاسمته * أعمارها قسمة السهام
يا خير ماض وخير باق * بعد النبيين في الأنام
ما استودع الدين من امام * حامى عليه كما تحامى
يؤنس من رأيه برأى * أصدق من سلة الحسام

وقال :

أعمير كيف لحاجة * طلبت الى صم الصخور
لله در عداتكم * كيف انتسبن الى الغرور
ان الليالى ضمنني * ووسمنني سمة الكبير
أطفأن نور شبيبتى * وفرشنني كنف الغيور
ولقد تبيت أناملى * يجنين رمان النحور

٧ ــ السيد الحميرى (١)

« لم يكن (٢) السيد الحميرى من أنصار الحسن والحسين ، أو بعبارة أصح لم يكن من أنصار ولد الحسن والحسين ، وانما كان من الكيسانية الذين كانوا ينصرون الابن الثالث من أبناء علي : محمد بن خولة الحنفية ، والذين كانوا يدينون بأنه لم يمت وانما تغيب عن الناس واحتجب عنهم حينا وسيعود فيملأ الأرض عدلا

(١) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى والسيد لقبه ويكنى أبا هاشم ، كان شاعرا متقدما مطبوعا ، يقال ان أكثر الناس شعرا في الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار وأبو العتاهية والسيد ، فانه لا يعلم ان احدا قدر على تحصيل شعر احد منهم اجمع ، وانما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره ويستعمله فى قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفا وترقبا ، وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقارب ، ولا يعرف له من الشعر كثير ، وليس يخلو من مدح بنى هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم • توفى سنة ١٧٣ هـ • وتجد ترجمته وأخباره فى الأغاني (ج ص ٢) وفوات الوفيات (ج ١ ص ١٩) •

(٢) من بحوث صديقى الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية •

كما ملئت جورا ، فلم يكن على السيد الحميرى بأس أن يمدح بنى العباس ويتقرب منهم مادام صاحبه محمد بن الحنفية لم يعد من غيبته بعد • ثم نستطيع أن نميز هذا الشاعر بخصلة لم نرها فى شاعر من الذين تحدثنا عنهم ، وهى أنه كان سخيفا ضعيف العقل شديد الايمان بالخرافات والأوهام ، ويظهر أن هذه الخصلة جاءته من مذهبه نفسه فى الرجعة ، فقد أسرف فى هذا المذهب كما أسرف فى مدح العلويين والايمان بهم حتى وصفهم من الخير والكرامة بما يقبل وما لا يقبل ، فكان كل خير يمكن أن ينسب الى العلويين ، رضيه العقل أم لم يرضه ، وكان كل شر يمكن أن ينسب الى خصوم العلويين ، رضيه العقل أم لم يرضه ، وكان يكفى أن يسمع رجلا من أهل القصص ورواة الأساطير يروى كرامة من الكرامات يضيفها الى أحد العلويين حتى ينظم فيها قصيدة طويلة جيدة ، ويتخذ هذه القصيدة وسيلة الى ذم السلف والنعى عليه •

وخصلة أخرى تقربه من الزنادقة الذين عاصروه ولكنها تجعل الصلة بينه وبينهم ضعيفة واهية فى الوقت نفسه •

وهى أنه كان يستبيح ضروبا من اللهو والمنكر ، ويسرف فى شرب الخمر وغير ذلك من ألوان العبث ، لا لأنه كان يجحد الدين أو يزدريه بل لأنه كان يدل على صاحب الدين . كان يحب النبى صلى الله عليه وسلم وآله ويمنحهم مودته ونصره ، ويعتقد أنهم سيعرفون له ذلك وسيشفعون له فى ذنوبه وآثامه لما قدم بين يديه من مدح العلويين ونصرهم على خصومهم ، وكان بنو هاشم وبنو على خاصة يطمعونه فى ذلك ويعترفون له به ، فاذا ذكر لهم أنه يلهو ويشرب الخمر قالوا : وأى ذنب يعظم على الله أن يغفره لرجل من أنصار أهل البيت ! بل قال أحدهم : ان من أحب آل على لم تزل له قدم الا ثبتت له أخرى ، وعلى هذا كان السيد الحميرى يلهو آمنا فى دينه ودنياه ، يعتمد فى دينه على العلويين ، ويعتمد فى دنياه على العباسيين ، يقدر أن العلويين سيشفعون له عند الله ، ويعلم أن العباسيين يتقون شره ويؤثرون مدحه على هجائه ، وكان من معاصريه من يكره ذلك ويمقته كل المقت ، ويضمر للسيد عداء وحقدا لايعدلهما عداء ولا حقد ، ومن هؤلاء سوار بن عبد الله العنبرى قاضى البصرة للمنصور ، فقد كان العداء بينه وبين السيد شديدا ، وكان قد أجمع ألا يقبل للسيد شهادة ، وكان قد سعى بالسيد عند المنصور غير مرة ، وكان السيد قد هجاه فأسرف فى هجائه ، فشكا ذلك الى المنصور فنهاه المنصور عنه وأمره أن يذهب الى القاضى فيعتذر اليه ، وأبى القاضى أن يقبل معذرته ، فاستأنف السيد الهجاء وألح فيه • ويقال ان سوارا أعد شهودا يشهدون على السيد بالسرقة ليقطع يده ، فعلم السيد ذلك فجزع وفزع الى المنصور ، فعزل المنصور سوارا من القضاء للسيد أو عليه ، ولم يلبث سوار أن مات فتبعه السيد بعدائه وبغضه وهجائه » •

قال أبو جعفر الأعرج : كان السيد أسمر نام القامة ، أشنب ذا وفرة حسن الألفاظ جميل الخطاب ، اذا تحدث فى مجلس قوم أعطى كل رجل فى المجلس نصيبه من حديثه ، وقال الفرزدق : ان ههنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنا معهما فى شيء : السيد الحميرى وعمران بن حطان السدوسى ، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول فى مذهبه ، وقال الاصمعي لما أنشد شيئا من شعره: ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ، ولولا ما فى شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته ، وكان أبو عبيدة يقول : أشهر المحدثين السيد الحميرى وبشار ٠

وكان السيد يذهب مذهب الكيسانية ويقول بامامة محمد بن الحنفية ، وله فى ذلك شعر كثير ٠

وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر ، فأقبل عليه وقال :

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدى العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج نفع المنزل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه * وتسمى البخيل باسم الجواد

قال بشار : من هذا ؟ فعرفه ، فقال : لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بنى هاشم لشغلنا ، ولو شاركنا فى مذهبنا لتعبنا ٠

ومن قول السيد :

أتعرف رسما بالثويين قد دثر * عفته أهاضيب السحائب والمطر
وجرت به الأذيال ريحان خلفة * صبا ودبور بالعشيات والبكر
منازل قد كانت تكون بجوها * هضيم الحشى ريا الشوى سحرها النظر
قطوف الخطا خمصانة بخترية * كأن محياها سنا دارة القمر
رمتنى ببعد بعد قرب بها النوى * فبانت ولما أقض من عبدة الوطر
ولما رأتنى خشية البين موجعا * أكفكف منى أدمعا بيضها درر
أشارت بأطراف الى ودمعها * كنظم جمان خانه السلك فانتثر
وقد كنت مما أحدث البين حاذرا * فلم يغن عنى منه خوفى والحذر

لما استقام الأمر لبنى العباس قام السيد الى أبى العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال :

دونكموها يا بنى هاشـــم * فجددوا من عهدها الدارسـا
دونكموها لا علا كعـب مـن * كان عليكم ملكهـا نافسـا
دونكموها فالبسوا تاجهـا * لاتعدموا منكم له لابسـا
لو خـير المنبر فرسـانه * مـا اختـار الا منكم فارسـا
قد ساسها قبلكم ساسـة * ثم يتركوا رطبا ولا يابسا
ولست من أن تملكوها الى * مهبط عيسى فيكم آيسـا

وبعث بهذه الأبيات الى المهدى يسأله ألا يعطى آل بكر وعمر من مال الدولة :

قل لابن عبـاس سمي محمد * لاتعطين بني عدى درهمـا
احرم بنى تيم بن مرة انهـم * شر البرية آخرا ومقـدما
ان تعطهم لن يشكروا لك نعمة * ويكافئوك بأن تذم وتشتما
وان ائتمنتهم أو استعملتهم * خانوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهم لقـد بدءوكم * بالمنع اذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تـراث محمد أعمامه * وبنيه وابنيه عديلة مريمـا
وتأمروا من غير أن يستخلفوا * وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
لم يشكروا لمحمـد انعـامه * أفيشـكرون لغيره ان أنعما
والله من عليهمو بمحمـد * وهداهم وكسا الجنوب وأطعما
ثم انبروا لوصيه ووليـه * بالمنـكرات فجرعوه العلقما

أنشد السيد جعفر بن محمد هذه الأبيات يذكر فيها قبر الحسين :

امرر على جـدث الحسيـ * ـن فقـل لأعظمـه الزكية
أأعظمـا لا زلـت مـن * وطفـاء ساكبـة رويه
واذا مـررت بقبـره * فأطـل به وقف المطيـه
وابـك المطهـر للمطـ * ـهر والمطهـرة النقيـه
كبكـاء معـولة أتـت * يـوما لواحـدها المنيـه

فانحدرت دموع جعفر على خديه وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتى أمره بالامساك فأمسك ٠

ومن قول السيد في امامة ابن الحنفية :

ألا يا أيها الجدل المعنى ❊ لنا ما نحن ويحك والعناء
أتبصر ما تقول وأنت كهل ❊ تراك عليك من ورع رداء
ألا ان الأئمة من قريش ❊ ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه (١) ❊ هم أسباطه والأوصياء
فأنى في وصيته اليهم ❊ يكون الشك منا والمراء
بهم أوصاهم ودعا اليه ❊ جميع الخلق لو سمع الدعاء
فسبط سبط ايمان وحلم ❊ وسبط غيبته كربلاء
سقى جدثا تضمنه ملث ❊ هتوف الرعد مرتجز رواء
تظل مظلة منها عزال (٢) ❊ عليه وتغتدى أخرى دلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ❊ يقود الخيل يقدمها اللواء
من البيت المحجب في سراة ❊ شراة لف بينهم الاخاء
عصائب ليس دون أغر أجلى ❊ بمكة قائم لهم انتهاء

وأنشد العنبى قصيدته اللامية التى أولها :

هل عند من أحببت تنويل ❊ أم لا فان اللوم تضليل
أم فى الحشى منك جوى باطل ❊ ليس تداويه الأباطيل
علقت يا مغرور خداعة ❊ بالوعد منها لك تخييل
ريا رداح النوم خمصانة ❊ كأنها أدماء عطبول
يشفيك منها حين تخلو بها ❊ ضم الى النحر وتقبيل
وذوق ريق طيب طعمه ❊ كأنه بالمسك معلول
فى نسوة مثل المها خرد ❊ تضيق عنهن الخلاخيل

يقول فيها :

---

(١) هم الحسن والحسين ومحمد .

(٢) العزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها ، ويقال : أنزلت السماء عزاليها اشارة الى شدة وقوع المطر على الشبيه بنزوله من أفواه المزادات .

أقســـــم بالله وآلائه * والمرء عما قال مسئول
ان علي بن أبي طالب * على التقى والبر مجبول

فقال : أحسن والله ما شاء ، هذا والله الشعر الذى يهجم على القلب بلا حجاب ٠
قيل للسيد : مالك لا تستعمل فى شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه ، خير من أن أقول شيئا معقدا تضل فيه الأوهام ٠

تقدم السيد الى سوار القاضي ليشهد عنده ، فلم يرض به ، فقام مغضبا من مجلسه ، وكتب رقعة يقول فيها :

يـــا أمين اللـه يامنـ * ـصـــور يا خير الولاة
ان ســـوار بن عبـد الـــــه من شر القضـــــاة
نعثـــلى جمـــلى * لكم غـــير مــواتٍ
جــده ســارق عنز * فجــرة من فجــرات
لرســـول الله والقـا * ذفــه بالمنـــكرات
وابن من كان ينادى * من وراء الحجـــرات
ياهنـــاة اخرج الينا * اننا أهـل هنـــات
مدحنا المدح ومن نر * م يصـــب بالزفرات
فاكفنيـــــه لاكفـــاه اللـــــــه شر الطـــارقات

قيل : فلما قرأها سوار وثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور ، وهو يومئذ نازل بالجسر ، فسبقه السيد اليه فأنشده :

قل للامام الذى ينجى بطاعته * يوم القيامة من بحبوحة النار
لاتستعن وجزاك الله صالحة * يا خـير من دب فى حكم بسوار
لاتستعن بخبيث الرأى ذى صلف * جم العيوب عظيم الكبر جبـار
يضحى الخصوم لديه من تجبره * لايرفعون اليه لحظ أبصـار
تيها وكبرا ولولا ما رفعت له * من ضبعه كان عين الجائع العارى

ودخل سوار ، فلما رآه المنصور تبسم وقال : أما بلغك خبر اياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد فى الشهود ؟ فما أحوجك للتعرض للســـيد ولسانه ! ثم أمر السيد بمصالحته ٠

دخل السيد على المهدى لما بايع لابنيه موسى وهارون ، فانشأ يقول :

ما بال مجرى دمعك الساجم * أمن قذى بات بها لازم
أم من هوى أنت له ساهر * صبابة من قلبك الهائم
آليت لا أمدح ذا نائل * من معشر غير بنى هاشم
أوليتهم عندى يد المصطفى * ذى الفضل والمن أبى القاسم
فانها بيضاء محمودة * جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبى جعفر * خليفة الرحمن والقائم
وطاعة المهدى ثم ابنه * موسى على ذى الاربة الحازم
وللرشيد الرابع المرتضى * مفترض من حقه اللازم
ملكهم خمسون معدودة * برغم أنف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقوا غيرهم * فى هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها الى هابط * عليه عيسى منهم ناجم

ومن شعر السيد :

ما جرت خطرة على القلب منى * فيك الا استترت عن أصحابى
من دموع تجرى فان كنت وحدى * خاليا أسعدت دموعى انتحابى
ان حبى اياك قد سل جسمى * ورمانى بالشيب قبل الشباب
لو منحت اللقا شفى بك صبا * هائم القلب قد ثوى فى التراب

ومما قاله فى الحبس :

قف بالديار وحيها يا مربع * واسأل وكيف يجيب من لايسمع
ان الديار خلت وليس بجوها * الا الضوابح والحمام الوقع
ولقد تكون بها أوانس كالدمى * جمل وعزة والرباب وبروع
حور نواعم لا ترى فى مثلها * أمثالهن من الصيانة اربع
فعرين بعد تألف وتجمع * والدهر صاح مشتت ما يجمع
فاسلم فانك قد نزلت بمنزل * عند الأمير تضر فيه وتنفع
تؤتى هواك اذا نطقت بحاجة * فيه وتشفع عنده فتشفع
قل للأمير اذا ظفرت بخلوة * منه ولم يك عنده من يسمع

هب لى الذى أحببته فى أحمد * وبنيه انـك حاصـد ما تزرع
يختص آل محمـــد بمحبة * فى الصدر قد طويت عليها الأضلع

وقال يهجو امرأة وارث موسر من خلانه ، وكانت تعذل زوجها على اسرافه :

أقول ياليت ليلى فى يدى حنق * من العداوة من أعدى أعاديهـا
يعلو بها فوق رعن(١) ثم يحدرها * فى هوة فتدهدى يومهـا فيها
أوليتها فى غمار البحر قد عصفت * فيه الرياح فهاجت من أواذيها(٢)
أوليتها قد دنت يوما الى فرسى * قد شد منه الى هاديه هاديها
حتى يرى لحمها من حضرة زيما(٣) * وقد أتى القوم بعد الموت ناعيها
فمن بكاها فلا جفت مدامعـه * لا أسخن الله الا عين باكيهـا

وقيل : ان آخر قصيدة له هى قوله :

أشاقتك المنازل بعد هند * وتربيها وذات الدل دعـد
منازل أقفرت منهن محت * معالمهن من سـيل ورعد
وريح حرجف تستن فيهـا * بسافى الترب تلحم ما تسدى
ألم يبلغك والأنبـاء تنمى * مقال محمـد فيما يؤدى
الى ذى علمـه الهـادى على * وخولة خادم فى البيت تردى
ألم تر أن خولة سوف تأتى * بوارى الزند صافى الخيم نجد
يفوز بكنيتى واسمى لأنى * نحلتهما هو المهدى بعدى
يغيب عنهـم حتى يقولـوا * تضمنه بطيبـة بطن لحـد
سنين وأشهرا ويرى برضـوى * بشعب بين أنمـار وأسـد
مقيـم بـين آرام وعـين * وحفان (٤) تروح خـلال ربد

---

(١) الرعن : أنف يتقدم الجبل جمعه رعون ورعان ، والجبل : الطويل ودهدى الحجر فتدهدى أى دحرجه فتدحرج .
(٢) الأواذى : أمواج البحر مفردها آذى .
(٣) الزيم : المتفرق من اللحم .
(٤) الحفان : صغار النعام .

تراعيها السباع وليس منها * ملاقيهن مفترسا بجد
أمن به الردى فرتعن طورا * بلا خوف لدى مرعى وورد
حلفت برب مكة والمصلى * وبيت طاهر الأركان فرد
يطوف به الحجيج وكل عام * يحل لديه وقد بعد وفد
لقد كان ابن خولة غير شك * صفاء ولايتي وخلوص ودي
فما أحد أحب الى فيما * أسر وما أبوح به وأبدى
سوى ذى الوحى أحمد أو على * ولا أزكى وأطيب منه عندى
ومن ذا يابن خولة اذ رمتني * بأسهمها المنية حين وعدى
يذبب عنكم ويسد مما * تثلم من حصونكم كسدى
وما لى أن أمر به ولكن * أؤمل أن يؤخر يوم فقدى
فأدرك دولة لك لست فيها * بجبار فتوصف بالتعدى
على قوم بغوا فيكم علينا * لتعدى منكم ياخير معد
لتعل بنا عليهم حيث كانوا * بغور من تهامة أو بنجد
اذا ما سرت من بلد حرام * الى من بالمدينة من معد
وماذا عزهم واتخير منهم * بأشوس أعصل الأنياب ورد
وأنت لمن بغى وعدا وأذكى * عليك الحرب واسترداك مرد

٨ ــ سلم بن عمرو الخاسر (١)

كان منقطعا الى البرامكة والى الفضل بن يحيى خصوصا من بينهم ، وفيه يقول أبو العتاهية :

---

(١) هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو أحد موالى أبى بكر الصديق ، نشأ فى البصرة ، وكان شاعرا مطبوعا متصرفا فى فنون الشعر ، وكان متظاهرا بالخلاعة والفسوق والمجون ، وزاد شاعرية وتمرسا بالشعر على يد بشار ، لأنه كان راويته وتلميذه ، أخذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله ، وكثيرا ما كان يأخذ أقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فجعله :

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشارا فغضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يفيده ما دام حيا ، فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضى ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده . وكان صديقا لابراهيم الموصلى المغنى المشهور ولأبى العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصا الفضل بن يحيى . توفى سنة ١٨٦ هـ . وتجد ترجمته فى الأغانى ج ٢١ ص ١١٠ وابن خلكان ج ١ ص ١٩٨ .

انمــا الفضـــل لسلم وحده * ليس فيه لسوى سلم درك

وكان هذا أحد الأسباب الى فساد ما بينه وبين أبى العتاهية • ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عتبة :

والله والله ما ابـالى متـى * ما مت ياسلم بعد ذا السفر
أليس قد طفت حيث طافت وقبـ * ـلت الذى قبلت من الحجر

وله يقول أبو العتاهية وقد حبس ابراهيم الموصلى :

ســـلم يا ســـلم ليس دونك سر * حبس الموصـــلى فالعيش مـــر
ما استطاب اللذات ، مذ سكن المطـ * ـبق رأس اللـذات والله ، حـــر
ترك الموصلى من خلق اللـــ * ـه جميعا وعيشـــهم مقشـــعر

لما قال بشار قصيدته الميمية فى عمر بن العلاء وهى التى يقول فيها :

اذا نبهتك صعاب الأمـور * فنبــه لهـــا عمـرا ثم نـم
فتى لا يبيت على دمنـــة (١) * ولا يشرب المـــاء الا بـــدم

بعث بها مع سلم الى عمر بن العلاء ، فوافاه ، فأنشده اياها ، فأمر لبشـــار بمائة ألف درهم ، فقال له سلم : ان خادمك ـ يعنى نفسه ـ قد قال فى طريقه فيك قصيدة ، قال : فانك لهناك ! قال : تسمع ثم تحكم ، قال : هات ، فأنشده :

قد عزنى الداء فمـا لى دواء * مما ألاقى من حسان النساء
قلب صحيح كنت اسطو به * أصبح من سلمى بداء عيـــاء
أنفاسها مسك وفى طرفها * سحر وما لى غيرها من دواء
وعدتنى وعـــدا فأوفى به * هل تصلح الخمرة الا بماء

ويقول فيها :

---

(١) الدمنة : الحقد •

كم كربـة قد مسنى ضرها * ناديت فيها عمر بن العلاء

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أول عطية سنية وصلت اليه .

ومن قوله يرثى باقونة بنت المهدى :

أودى بباقـونة ريب الزمـــان * مؤنسـة المهـدى والخيزران
لم تنطو الأرض على مثلهـــا * مولودة حـن لهـــا الوالدان
باقون يا بنت امام الهدى * أصبحت من زينة أهل الجنان
بكت لك الأرض وسكانهـا * فى كل أفق بين انس وجان

دخل سلم على الفضل بن يحيى فى يوم نيروز والهدايا بين يديه ، فأنشد :

أمـن ربـع تســـائله * وقد أقوت منـــازله
بقلبى من هوى الأطلا * ل حـــب مـــا يزايله
رويدكم عن المشـــغو * ف ان الحـب قاتله
بلابل صـــدره تسرى * وقـــد نامـــت عواذله
أحق الناس بالتفضيـ * ـل من ترجى فواضله
رأيـت مكارم الأخـلا * ق ما ضـمت حمائله
فلست أرى فتى فى النا * س الا الفضل فاضله
يقول لســـانه خيرا * فان الفضـــل فاعـله

وكان ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق حاضرين ، فقال لابراهيـم : كيف ترى وتسمع ؟ قال : أحسن مرئى ومسموع ، وفضل الأمير أكثر منه ، فقال : خذوا جميع ما أهدى الى اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثا الا ذلك التمثال ، فاني أريد أن أهديه اليوم الى دنانير ، ثم قال : لا والله ما هكذا تفعل الأحرار ، يقوم ويدفع اليهم ثمنه ثم نهديه، فقوم بألفى دينار ، فحملها الى القوم من بيت ماله واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

كان المهدى يعطى مروان وسلما الخاسر عطية واحدة ، فكان سلم يأتي باب المهدى على البرذون الفاره ، قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام مفضضين ، ولباسه الخز والوشى وما أشـبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحة المسـك والطيب الغاليـة تفوح منـــه ، ويجىء مروان بن أبى حفصـــة عليـه فرو كبل (١) وقميص

(١) كبل (بفتحتين) : قصير .

كرابيس (١) وعمامة كرابيس وخفا كبل (٢) وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم اليه بخلا ، فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا وأكله ، فقال له قائل : آراك لا تأكل الا الرأس ، قال : نعم أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا أشترى لحما فيطبخه فيأكل منه ، والرأس آكل منه ألوانا : اكل من عينيه لونا ومن غلصمته (٣) لونا ومن دماغه لونا .

كان سلم قد بلى بالكيمياء ، فكان يذهب بكل شيء له باطـلا ، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا ، وأنه لا يصل اليه أحد الا ليلا . فسأل عنه ، فدلوه عليه . قال : فدخلت اليه الى موضع معور (٤) ، فدققت الباب فخرج الى ، فقال : من أنت عافاك الله ؟ فقلت : رجل معجب بهذا العلم، قال : فلا تشهرنى فانى رجل مستور انما أعمل القوت ، قلت : انى لا أشهرك انما أقتبس منك ، قال : فاكتم ذلك ، وبين يديه كوز شبه (٥) صغير ، فقال لى : اقلع عروته ، فقلعتها ، فقال : اسبكها في البوتقة (٦) ، فسبكتها ، فأخرج شيئا من تحت مصلاه فقـال : ذره عليه ، ففعلت ، فقـال : افرغه ، فأفرغته ، فقال : دعه معك ، فاذا أصبحت فاخرج فبعه وعد الى ، فأخرجته الى باب الشام فبعت المثقال بأحد وعشرين درهما ورجعت اليه فأخبرته ، فقال : اطلب الآن ما شئت ، قلت : تفيـدنى ؟ قال : بخمسمائة درهم على ألا تعلمه أحدا ، فأعطيته وكتب لى صـفة فامتحنتهـا فاذا هى باطلة . فعدت اليه ، فقيل لى : قد تحول واذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه ، والكوز شبه ، ولذلك كان يدخل اليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه ، فانصرفت وعلمت أن الله عز وجل أراد بى خيرا وأن هذا كله باطل .

قال أبو المستهل : دخلت يوما على سلم واذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثى ببعضها أم جعفر ، وببعضها جارية غير مسماة ، وببعضها أقواما لم يموتوا ، وأم جعفر يومئذ باقية ، فقلت له : ويحك ما هذا ؟ فقال : تحـدث الحـوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد ، فنعد لهم هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديما على أنه قيل فى الوقت .

---

(١) الكرابيس . جمع كرباس وهو القطن .

(٢) أى خفا فرو كثير الصوف غليظه .

(٣) الغلصمة : أصل اللسـان .

(٤) معور : مخوف .

(٥) الشبه : النحاس الأصفر .

(٦) البوتقة : الوعاء الذى يذيب فيه الصائغ .

دخل سلم على الرشيد فأنشده : * حي الأحبة بالسلام * فقال الرشيد : حياهم الله بالسلام ، فقال سلم : * أعلى وداع أم مقام * فقال الرشيد : حياهم الله على أي ذلك كان . فأنشده :

لـم يبق منـك ومنهـم * غير الجلود على العظـام

فقال له الرشيد : بل منك ، وأمر باخراجه ، وتطير منه ومن قوله ، فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء ٠

استوهب اسحاق الموصلي من الرشيد تركة سلم ، وكان قد مات عن غير وارث . فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث ، فحصل منها على خمسين ألف دينار ، وروى أنه رفع الى الرشيد أن سلما قد توفي وخلف مما أخذه منه خاصة ومن زبيدة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سـوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتقده (١) قديما ، فقبضه الرشيد وتظلم اليه مواليه من آل أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ، فقال : هذا خادمي ونديمي ، والذي خلفه من مالي فأنا أحق به ٠ فلم يعطهم الا شيئا يسيرا من قديم أملاكه ٠

٩ ــ ربيعـة الرقي (٢)

كان منقطعا عن الحضارة ، بعيدا عن مجالسة الخلفاء ، فأخمل ذكره بسبب ذلك ، لكنهم كانـوا يستقدمونه اليهم ٠ وأول من فعـل ذلك المهدي ، فمدحه ونال جوائزه ، وكان ابن المعتز يرى ربيعة أشـعر غزلا من أبي نواس ، لأن في غزل أبي نواس بردا كثيرا ، وغزل هذا سليم عذب سهل ، ولذلك فان شهرته بلغت الى بلاط الخليفة ٠ وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده ، وان قصر أحد في اعطائه هجاه ، وله في ذلك حديث مع العباس بن محمد بن علي من أمراء بني العباس ٠

---

(١) امتلكه ٠

(٢) هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت من موالي سليم ، ويكنى أبا شبابة ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه فأشخصه المهدي اليه ، فمدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثوابا كبيرا ، وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريرا وانما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ٠ ومع ذلك فما عدم مفضلا مقدما له ٠ وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٨) وخزانة الأدب للبغدادي (ج ٣ ص ٥٥) ٠

حلفت يمينــا غير ذى مثنوية (١) * يمين امرئ آلى بهـا غير آثم
لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سـليم والأغر ابن حاتم
يزيد (٢) سليم سالم المال ، والفتى * أخو الأزد للأموال غير مسـالم
فهم الفتى الأزدى اتـلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنى هجوته * ولكننى فضـلت أهل المـكارم

قال رجل لربيعة : يا أبا أسامة ، ما حملك على أن هجوت رجلا من قومك وفضلت عليه رجلا من الأزد ؟ فقال : أخبرك ، أملقت فلم يبق لى الا دارى ، فرهنتها على خمسمائة درهم ، ورحلت اليه الى أرمينية ، فأعلمته بمكانى ومدحته ، وأقمت عنده حولا ، فوهب لى خمسمائة درهم ، فتحملت وصرت بها الى منزلى ، فلم يبق معى كبير شيء ، فنزلت فى دار بكراء ، فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت : هذا ابن عمى فعل بى هذا الفعل فكيف بغيره ! ثم حملت نفسى على أن آتيه ، فأعلم بمكانى ، فتركنى أشهرا حتى ضجرت ، فأكريت نفسى من الحمالين • وكتبت بيتا فى رقعة فألقيته فى دهليزه ، والبيت :

أرانى ولا كفـران لله راجعـا * بخفى حنين من يزيد بن حاتم

فوقعت الرقعة فى يد حاجبه ، فأوصلها اليه من غير علمى ولا أمرى ، فبعث خلفى ، فلما دخلت عليه قال : هيه أنشـدنى ما قلت ، فتمنعت ، فقال : والله لتنشدنى ، فأنشـدته ، فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خفيه ، فنزعا فحشـاهما دنانير وأمر لى بغلمان وجوار وكسى ، ألا ترى لى أن أمدح هذا وأهجو ذاك ؟ قلت : بلى والله ، وسـار شـعرى حتى بلغ المهدى ، فكـان سبب دخـولى اليه •

قيل لأبى زيد النحوى : ان الأصمعى قال : لا يقال شتان ما بينهما ، وانما يقال : شتان ما هما ، وأنشد قول الأعشى : * شتان ما يومى على كورها * فقال : كذب الأصمعى ، يقال : شتان ما هما وشتان ما بينهما ، وأنشد لربيعة الرقى : « لشتان ما بين اليزيدين » وفى استشهاد مثل أبى زيد على دفع قول مثل الأصمعى بشعر ربيعة كفاية له فى تفضيله •

---

(١) أى لا استثناء فيها •

(٢) هو يزيد بن أسيد (بضم الهمزة) من بهثة بن سليم ، وأخو الأزد هو يزيد بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب •

امتدح ربيعة العباس بن محمد بن على بقصيدة لم يسبق اليها حسنا ، وهى طويلة ، يقول فيها :

لو قيل للعباس يابن محمد * قل « لا » وأنت مخلد ما قالها
ما ان أعد من المكارم خصلة * الا وجدتك عمها أو خالها
واذا الملوك تسايروا فى بلدة * كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة * حتى حللت براحتيك عقالها

فبعث اليه بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر الى الدينارين كاد يجن غيظا وقال للرسول : خذ هذين الدينارين فهما لك على أن ترد الرقعة الى من حيث لا يدرى العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة وأمر من كتب فى ظهرها :

مدحتك مدحة السيف المحلى * لتجرى فى الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعا * كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاء * كأنى ان مدحتك قد زنيت

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعها فى الموضع الذى أخذتها منه ، فردها الرسول ، فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته فركب الى الرشيد ، وكان أثيرا (١) عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد هم أن يخطب اليه ابنته ، فرأى الكراهة فى وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : هجانى ربيعة الرقى ، فأحضر ، فقال له الرشيد : تهجو عمى وآثر الخلق عندى ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : والله يا امير المؤمنين لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت فى الثناء وأكثرت فى الوصف ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأمره باحضارها ! فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر الى القصيدة ، فأمر العباس باحضار الرقعة ، فتلكأ عليه العباس ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين الا أمرت باحضارها ، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر باحضارها ، فأحضرت ، فأخذها الرشيد واذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها وقال : والله ما قال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبر ، ثم قال للعباس : بم أثبته عليها ؟ فسكت العباس وتغير لونه وجرض (٢) بريقه ، فقال ربيعة : أثابنى عليها يا أمير

---

(١) أثيرا : مكرما .
(٢) جرض بريقه : ابتلعه بالجهد على هم وحزن

المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس ، فقال : بحيـــاتى يا رقى بكم أثابك ؟ قال : وحيـــاتك يا أمير المؤمنين ما أثابنى عليهـــا الا بدينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا ونظر فى وجه العباس وقال : سوءة لك ! أى حال قعدت بك عن اثابته ؟ الأموال ؟ فوالله لقد مولتك جهدى ، أم انقطاع المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعت ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شئ ، أم نفسك فعلت ذلك بك حتى فضحت آباءك وأجدادك وفضحتنى ونفسك ؟ فنكس العباس رأسه ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة واحمله على بغلة ، فلما حمل المال بين يديه وألبس الخلعة قال : بحياتى يارقى لا تذكره فى شعرك لا تعريضا ولا تصريحا ، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج اليه ، وظهر له منه بعد ذلك جفاء كثير واطراح له .

قال أبو بشر : كنت حاضرا ربيعة الرقى يوما وجاءته امرأة فقالت : تقول لك فلانة ان بنت مولاى محمومة فان كنت تعـرف لها عوذة (١) فافعل ، فقال اكتب لهـا أبا بشر هذه العوذة :

ثقوا ثقوا باســـم الهى الذى * لا يعرض الســـقم لمن قد شفى
أعيـــذ مـــولاتى ومولاتهـــا * وابنتهـــا بعـــوذة المصـــطفى
من شر ما يعرض من عـــلة * فى الصبح والليل اذا أســـدفا

فقلت له : يا أبا ثابت ، لست أحسن أن أكتب ثقوا ثقوا ، فكيف أكتبها ؟ قال انضح المداد من رأس القلم فى موضعين حتى يكون كالنفث (٢) ، وادفع العوذة اليها فانها نافعة ، ففعلت ودفعتها اليها ، فلم تلبث أن جاءت الجارية وهى لا تتمالك ضحكا ، فقالت له : يامجنون ما فعلت بنا ! كدنا نفتضح بما صنعت ! قال : فما أصنع ! أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ ! .

واتفق للرقى أيضا مثل ذلك مع معن بن زائدة ، وقد لقيه فى بعض قدماته الى العراق ، فمدحه ، فلم يهش له ، فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يا معن يابن زائدة الكلـ * ـب الذى فى الذراع لا فى البنان
لا تفـــاخر اذا فخـــرت بآبا * ئك وافخر بعمك الحوفزان (٣)

(١) العوذة : الرقية يرقى بها الانسان من فزع أو جنون أو مرض .
(٢) النفث البصاقى اليسير ينفثه الراقى فى العقدة عند الرقية .
(٣) الحوفزان هو الحارث بن شريك الشيبانى ، سمى بذلك لأن قيس بن عاصم بن التميمى حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ، وقد فخر بذلك سوار بن حيان المنقرى فقـال :

ونحن حفـــزنا الحوفزان بطعنـــة * ســـقته نجيعا من دم الجوف اشـكلا

ومن غزله أبيات يغنى بها ، وهى :

وتزعم انى قد تبدلت خلة (١) ❊ سواها وهذا الباطل المتقول
لحا الله من باع الصديق بغيره ❊ فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل
ستصرم انسانا اذا ما صرمتنى ❊ بحبك فانظر بعده من تبدل

١٠ - الرقاشي (٢)

كان سهل الشعر مطبوعا ، وكان منقطعا الى آل برمك ، مستغنيا بهم عن سواهم ، وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويروون أولادهم أشعاره ، ويدونونها القليل والكثير منها ، تعصبا له ، وحفظا لخدمته ، وتنويها باسمه ، وتحريكا لنشاطه . فحفظ ذلك لهم . فلما نكبوا صار اليهم فى حبسهم ، فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر من رثائهم ، فمن ذلك قوله فى جعفر :

كم هاتف بك من باك وباكية ❊ يا طيب الضيف اذ تدعى وللجار
ان يعدم القطر كنت المزن بارقه ❊ لمع الدنانير لا ما خيل السارى

وقوله :

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ❊ اذا لم تصبه فى الحياة المعاير (٣)
وما أحد حى وان كان سالما ❊ بأسلم مما غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ❊ فلابد يوما أن يرى وهو صابر
وليس الذى عيش عن الموت مقصر ❊ وليس على الأيام والدهر غابر
وكل شباب أو جديد الى البلى ❊ وكل امرئ يوما الى الله صائر
فلا يبعدنك الله عنى جعفرا ❊ بروحى ولو دارت على الدوائر
فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت ❊ على فنن ورقاء أو طار طائر

---

(١) الخلة : الخليلة .

(٢) هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش ، وهو من أهل البصرة . توفى سنة ٢٠٠ هـ . وتجد ترجمته فى الأغانى (ج ١٥ ص ٣٥) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ١٢) والشعر والشعراء (ص ٥١٥) .

(٣) المعاير : المعايب .

ومن ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشى وهو مصلوب على الجذع ، فوقف يبكى ثم قال :

أما والله لولا خوف واش * وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يابن يحيى * حساما حتفه السيف الحسام
على اللذات ، والدنيا جميعا * ودولة آل برمك السلام

فكتب أهل الأخبار بذلك الى الرشيد ، فأحضره فقال : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين كان الى محسنا ، فلما رأيته على الحال التى هو عليها حركنى احسانه فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلتـه ، قال : وكم كان يجرى عليك ؟ قال : ألف دينار فى كل سنة ، قال : انا قد أضعفناها لك ·

ومن قوله يصف جارية :

صفات وحسن أورثا القلب لوعة * تضرم فى أحشاء قلب متيم
تمثلها نفسى لعينى فأنثنى * عليها بطرف الناظر المتبسم
يحملنى حبى لها فوق طاقتى * من الشوق دأب الحائر المتقسم

١١ ـ أبو العتاهية (١)

قال أحمد بن زهير : سمعت مصعب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعر الناس ، فقلت له : بأى شىء استحق ذلك عندك ؟ فقال بقوله :

---

(١) هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد ، أطبع أهل زمانه شعرا وأكثرهم قولا وأسهلهم لفظا ، وأسرعهم بديهة وارتجالا ، وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد فى الدنيا والنهى عن الاغترار بها ، وأكثر من الحكمة ·

ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة فى عمل أهله · وكانوا باعة جرار ، الا أنه ربأ بنفسه عن عمله وقال الشعر فى صباه وامتزج بلحمه ودمه حتى صار كما قال هو عن نفسه « لو شئت أن أجعل كلامى كله شعرا لفعلت » فذاع صيته وسلك طريق خلعاء الكوفة · ثم قدم بغداد ومدح المهدى وتعرف ببعض خدم قصر الخلافة وجواريه فتعشق منهن فتاة تدعى عتبة ، ولما يئس منها لها عنها بعض الشىء · =

تعـــــلقت بآمـــــال * طـــوال أى آمـــال
وأقبــلت عـــلى الدنيـــا * ملحـــا أى اقبـــال
أيـــا هـــذا تجهـــز لـ * ـفراق الأهـــل والمـــال
فـــلابد مـــن المـــوت * على حـــال من الحـــال

ثم قال مصعب : هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويقربه الجاهل . وكان الأصمعي يستحسن قوله :

أنت ما إستغنيت عن صا * حبـــك الـــدهر أخـــوه
فـــاذا احتجت اليـــه * ســـاعة مجـــك فـــوه

وأنشد له سلم الخاسر :

ســـكن يبقى له ســـكن * ما بهـــذا يؤذن الـــزمن
نحـــن في دار يخبرنـــا * ببـــلاها ناطـــق لســـن
دار ســـوء لم يدم فرح * لامرىء فيهـــا ولا حـــزن
في سبيل الله أنفســـنا * كلنـــا بالمـــوت مرتـــهن
كل نفس عنـــد ميتتهـــا * حظهـــا من مالها الـــكفن
ان مال المـــرء ليس له * منـــه الا ذكره الحســـن

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمرى : أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضر من جعل التراب مهاده * ألا ينام على الحرير اذا قنع

= ودرس كثيرا من مذاهب المتكلمين والشيعة والجبرية والزهاد فكان يسلك كل مذهب منها مدة ثم ينتقل عنه الى الآخر حتى اختار له من كل ذلك عقيدة مختلطة أفضت به الى العبادة والزهد فى الدنيا قولا ومعيشة على افراط منه فى حب المال والجمع له والبخل به على الأهل والولد والخدم .

ولم يأت عصر الرشيد حتى أضرب عن الغزل وقصر قوله على الزهد فى الدنيا والتذكير بالموت وأهله ، وهو فى خلال ذلك يمدح الخليفة وملوك الدولة ويأخذ جوائزهم ، ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر البتة حتى حبسه الرشيد لعدم تلبيته ما اقترحه عليه من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته ، وعاد الى قول الشعر على عاداته فيه وترك الغزل والهجاء ، وبقى على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون . توفى سنة ٢١١ هـ .

وله ديوان مطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٧ وتجد أخباره فى الأغانى ج ٣ ص ١٢٦ وج ٦ ص ١٨٦ وج ٨ ص ٢٤ وابن خلكان ج ١ ص ٧١ وطبقات الشعراء ص ٤٩٧ والفهرست ص ١٦٠ .

وقيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما اردته قط الا مثل لى ، فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد • وكان يقول : لو شئت أن أجعل كلامى شعرا كله لفعلت •

حم الرشيد فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع برقعة فيها :

لو علم الناس كيف أنت لهم ❊ ماتوا اذا ما أتت أجمعهم
خليفة الله أنت ترجح بالنا ❊ س اذا ما وزنت أنت وهم
قد علم الناس أن وجهك يغـ ❊ ـنى اذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد ، فأمر باحضار أبى العتاهية ، فمازال يسامره ويحدثه الى أن برىء ، ووصل اليه بذلك السبب مال جليل • وقد حدث ابن الأعرابى بهذا الحديث ، فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر بمستحق لما قلت ، قال : ولم ؟ قال : لأنه ضعيف ، فقال ابن الأعرابى ، وكان أحد الناس . الضعيف والله عقلك لا شعر أبى العتاهية ، ألأبى العتاهية تقول انه ضعيف الشعر ! فوالله ما رأيت شاعرا قط أطبع ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه الا ضربا من السحر ، ثم أنشده له :

قطعت منك حبائل الآمال ❊ وحططت عن ظهر المطى رحالى
ويئست أن أبقى لشيء نلت مما فيك يا دنيا وأن يبقى لى
فوجدت برد اليأس بين جوانحى ❊ وأرحت من حل ومن ترحال
يأيها البطر الذى هو من غد ❊ فى قبره متمزق الأوصال
حذف المنى عنه المشمر فى الهدى ❊ وأرى مناك طويلة الأذيال
حيل ابن آدم فى الأمور كثيرة ❊ والموت يقطع حيلة المحتال
مالى أراك لحر وجهك مخلقا ❊ أخلقت يا دنيا وجوه رجال
قست السؤال فكان أعظم قيمة ❊ من كل عارفة جرت بسؤال
فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا ❊ فابذله للمتكرم المفضال
واذا خشيت تعذرا فى بلدة ❊ فاشدد يديك بعاجل الترحال
واصبر على غير الزمان فانما ❊ فرج الشدائد مثل حل عقال

ثم قال للرجل : هل تعرف أحدا يحسن أن يقول مثل هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلنى الله فداءك ، انى لم أردد عليك ما قلت ، ولكن الزهد مذهب أبى العتاهية ، وشعره فى المديح ليس كشعره فى الزهد ، فقال : أفليس هو الذى يقول فى المديح :

وهارون ماء المزن يشفى من الصدى ❊ اذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
وأوسط بيت في قريش لبيته ❊ وأول عز في قريش وآخره
وزحف له تحكى البروق سيوفه ❊ وتحكى الرعود القاصفات حوافره
اذا حميت شمس النهار تضاحكت ❊ الى الشمس فيه بيضه ومغافره
اذا نكب الاسلام يوما بنكبة ❊ فهارون من بين البرية ثائره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك ❊ كذا لم يفت هارون ضد ينافره

فتخلص الرجل من شر ابن الأعرابى بأن قال له : القول كما قلت ، وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه •

قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه ❊ تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالى الذى أنا منفق ❊ وليس لى المال الذى أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذى ❊ يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت وأمضيت » • فقلت له : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا معن ، والله ان ما قلت لهو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة الى الناس ، فقلت : وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جواب كلامى كله ، ثم قال لى : والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته ، فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام •

زار مرة عمرو بن مسعدة فحجب عنه ، فلزم منزله ، فاستبطأه عمرو ، فكتب اليه :

كسلنى اليأس عنك فما أر ❊ فع طرفى اليك من كسل
انى اذا لم يكن أخى ثقة ❊ قطعت منه حبائل الأمل

وكتب اليه مرة أخرى :

مالك قـد حلت عن اخائك واسـ ❊ ـتبدلت يا عمرو شـيمة كدره
انى اذا البـاب تاه حاجبـه ❊ لم يك عنـدى فى هجره نظره (١)
لستم ترجـون للحسـاب ولا ❊ يـوم تكون السـماء منفطره
لكن لدنيـا كالظل بهجتهـا ❊ سريعـة الانقضـاء منشـمره
قد كان وجهى لديك معرفـة ❊ فاليوم اضحى حرفا من النكره

جلس المهدى للشعراء يوما فأذن لهم ، وفيهم بشار وأشجع ، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه ، وكان فى القوم غير هذين أبو العتاهية ، قال أشجع : فلما سمع كلام أبى العتاهية قال : يا أخا سليم ، أهذا ذلك الـكوفى الملقب ؟ قلت : نعم ، قال : لا جزى الله خيرا من جمعنا معه ، ثم قال له المهدى : أنشد ، فقال : ويحك ! أويستنشد أيضا قبلنا ؟ فقلت : قد ترى ، فأنشد :

ألا ما لسـيدتى ما لها ❊ أدلا فاحمـل ادلالهـا
والا ففيـم تجنت ومـا ❊ جنيت سقى الله أطلالهـا
ألا ان جـارية للامـا ❊ م قد أسـكن الحسن سربالها
مشت بين حور قصار الخطا ❊ تجاذب فى لمشى أكفالهـا
وقد أتعب الله نفسى بها ❊ وأتعب باللـوم عذالهـا

فقال بشار لأشجع : ويحك يا أخا سليم : ما أدرى من أى أمريه أعجب ، أمن ضعف شعره ، أم من تشبيبه بجارية الخليفة وهو يسمع ذلك بأذنه ؟ حتى أتى على قوله :

أتتـه الخـلافة منقـادة ❊ اليـه تجـرر أذيالهـا
فلم تـك تصـلح الا له ❊ ولم يك يصـلح الا لهـا
ولو رامهـا أحـد غيره ❊ لزلزلت الأرض زلزالهـا
ولو لم تطعه بنات القلوب ❊ لمـا قبـل الله أعمـالها
وان الخليفة من بغض « لا » ❊ اليـه ليبغض من قالهـا

---

(١) النظرة : التأخير والامهال .

فقال بشار لأشجع وقد اهتز طربا : ويحك يا أخا سليم ، أترى الخليفة لم يطر عن فراشه طربا لما يأتي به هذا الكوفى !

ولما اتهمه منصور بن عمار بالزندقة ، لأنه لا يذكر فى شعره الجنة والنار وانما يذكر الموت ، قال فيه :

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا أنت تاتيها
كالملبس الثوب من عرى وعورته * للناس بادية ما ان يواريها
فأعظم الاثم بعد الشرك نعلمه * فى كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها * منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

وقيل له : زعم الناس أنك زنديق ، فقال : والله ما دينى الا التوحيد ، فقيل له قل شيئا يتحدث به عنك ، فقال :

ألا اننا كلنا بائد * وأى بنى آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم * وكل الى ربه عائد
فياعجبا كيف يعصى الالـ * ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

وسمع الجاحظ مرة من ينشد أرجوزة أبى العتاهية التى سماها « ذوات الأمثال » حتى أتى على قوله :

يالشباب المرح التصابى * روائح الجنة فى الشباب

فقال للمنشد : قف ، ثم قال : انظروا الى قوله : «روائح الجنة فى الشباب » فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الألسنة الا بعد التطويل وادامة التفكير ، وخير المعانى ما كان القلب الى قبوله أسرع من اللسان الى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أبى العتاهية ، ويقال : ان فيها أربعة آلاف مثل ، منها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا * من اتقى الله رجا وخافا
هى المقادير فلمنى أو فذر * ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر
لكل ما يؤذى وان قل ألم * ما أطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله * وخير ذخر المرء حسن فعله

ان الفساد ضده الصلاح ❊ ورب جد جره المزاح
من جعل النمام عينا هلكا ❊ مبلغك الشر كباغيه لكا
ان الشباب والفراغ والجده ❊ مفسدة للمرء أى مفسده
يغنيك عن كل قبيح تركه ❊ يرتهن الرأى الاصيل شكه
ما عيش من آفته بقاؤه ❊ نغص عيشة كله فناؤه
يارب من أسخطنا بجهده ❊ قد سرنا الله بغير حمده
ما تطلع الشمس ولا تغيب ❊ الا لأمر شأنه عجيب
لكل شيء معدن وجوهر ❊ وأوسط وأصغر وأكبر
من لك بالمحض وكل ممتزج ❊ وساوس فى الصدر منه تعتلج
وكل شيء لاحق بجوهره ❊ أصغره متصل بأكبره
مازالت الدنيا لنا دار أذى ❊ ممزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها أزواج ❊ لذا نتاج ولذا نتاج
من لك بالمحض وليس محض ❊ يخبث بعض ويطيب بعض
لكل انسان طبيعتان ❊ خير وشر وهما ضدان
انك لو تستنشق الشحيحا ❊ وجدته أنتن شيء ريحا
والخير والشر اذا ما عدا ❊ بينهما بون بعيد جدا
عجبت حتى غمنى السكوت ❊ صرت كأنى حائر مبهوت
كذا قضى الله فكيف أصنع ❊ الصمت ان ضاق الكلام أوسع

ومن قول أبى العتاهية فى الوحدة والتبرم بالناس :

برمت بالناس وأخلاقهم ❊ فصرت أستأنس بالوحده
ما أكثر الناس لعمرى وما ❊ أقلهم فى حاصل العده

قال الأصمعى : شعر أبى العتاهية كساحة الملوك ، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى .

كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد فى سفر ولا حضر الا فى طريق الحج ، وكان يجرى عليه فى كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون ، فلما قدم الرشيد الرقة لبس أبو العتاهية الصوف وتزهد ، وترك حضور المنادمة والقول فى الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه فحبس ، فكتب اليه من وقته :

أنا اليوم لى والحمد لله أشهر ❊ يروح على الهم منكم ويبكر
تذكر أمين الله حقى وحرمتى ❊ وما كنت توليني كذلك يذكر
ليالى تدنى منك بالقرب مجلسى ❊ ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة ❊ الى بها فى سالف الدهر تنظر

فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك ، فكتب اليه :

أرقت وطار عن عينى النعاس ❊ ونام السامرون ولم يواسوا
أمين الله أمنك خير أمن ❊ عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل بر ❊ وأنت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح ❊ له جسد وأنت عليه راس
أمين الله ان الحبس باس ❊ وقد أرسلت : ليس عليك باس

وكتب اليه أيضا فى الحبس :

وكلفتنى ما حلت بينى وبينه ❊ وقلت سأبغى ما تريد وما تهوى
فلو كان لى قلبان كلفت واحدا ❊ هواك وكلفت الخلى لما يهوى

فأمر باطلاقه :

كان الهادى واجدا على أبى العتاهية لملازمته أخاه هارون فى خلافة المهدى ، فلما ولى موسى الخلافة قال أبو العتاهية يمدحه :

يضطرب الخوف والرجاء اذا ❊ حرك موسى القضيب أو فكر
ما أبين الفضل فى مغيب وما ❊ أورد من رأيه وما أصدر
فكم ترى عز عند ذلك من ❊ معشر قوم وذل من معشر
يثمر من مسه القضيب ولو ❊ يمسه غيره لما أثمر
من مثل موسى ومثل والده الـ ❊ ـمهدى أو جده أبى جعفر

فرضى عنه - فلما دخل عليه أنشده :

لهفى على الزمن القصير ❊ بين الخورنق والسدير
اذ نحن فى غرف الجنا ❊ ن نعوم فى بحر السرور

في فتيـــة ملكوا عنـــا * ن الدهر أمثـــال الصـقور
ما منهـــم الا الجســـو * ر على الهوى غير الحصور
يتعـــاورون مدامـــة * صهباء من حلب العصـــير
عـــذراء رباهـــا شـــعا * ع الشمس في حر الهجير
لم تدن من نـــار ولـــم * يعلق بهـــا وضر القـدور
ومقرطـــق يمشي أمـــا * م القوم كالرشـــا الغرير
بزجـــاجة تســـتخرج الـ * ـسر الدفـــين من الضـمير
زهراء مثل الـــكوكب الـ * ـدرى في كـــف المـدير
تـــدع الـــكريم وليس يد * رى ما قبيـــل مـــن دبير
ومخصـــرات زرنـنـــا * بعد الهـــدو من الخـــدور
ريـــا روادفهـــن يلـ * ـبسن الخواتم في الخصـــور
غر الوجـــوه محجبـــا * ت قاصرات الطرف حـــور
متنعمـــات في النعـــ * ـيم مضـــمخات بالعبـــير
يرفلن في حلـــل المحـــا * ســـن والمجاســـد والحرير
ما ان يـــرين الشـــمس الا القـــرط من خلـــل الســـتور
والى أمـــين اللـــه مهـــ * ـربنـــا من الدهـــر العثـــور
واليـــه أتعبنـــا المطـــا * يا بالـــرواح وبالبـــكور
صـــعر الخـــدود كأنمـــا * جنحن أجنحـــة النســـور
متسربـــلات بالظـــلا * م على الســـهولة والوعور
حتى وصـــلن بنـــا الى * رب المـــدائن والقصـــور
مازال قبـــل فطـــامه * في ســـن مكتهـــل كبير

استنشده المأمون أحسن ما قال في الموت فأنشده :

أنســـاك محيـــاك المماتا * فطلبت في الدنيـــا الثباتا
أوثقـــت بالدنيـــا وأنـ * ـت ترى جماعتها شـــتاتا
وعزمت منك على الحيـــا * ة وطولهـــا عزما بتـــاتا
يـــا مـــن رأى أبـــويه فيــ * ـمن قد رأى كانا فماتا
هل فيهمـــا لـــك عبرة * أم خلت أن لك انفـــلاتا
ومن الـــذى طلب التفلـ * ـت من منيتـــه ففـــاتا

كـــل تصـــبحه المنيـ ❊ ـة أو تبيتـــه بيـــاتا

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسن الدنيا واقبالها ❊ اذا أطاع الله من نالهـــا
من لم يواس الناس من فضلها ❊ عرض لـــلادبار اقبالهـــا

فقال له المأمون : ما أجود البيت الأول ، فأما الثاني فما صنعت فيه شيئا ، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها ، وانما توجب السماحة بها الأجر والضن بها الوزر ، فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل وأهل النقص أولى بالنقص ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافل أودى به الموت ❊ لم يأخذ الأهبـــة للفـــوت
من لم تزل نعمته قبـــله ❊ زال عن النعمـــة بالمـــوت

فقال له : أحسنت ، طيبت المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

كان أبو العتاهية يحج كل سنة ، فاذا قدم أهدى الى المأمون بردا ومطرفا ونعلا سوداء ومساويك أراك ، فيبعث اليه بعشرين ألف درهم ، فأهدى مرة له كما كان يهدى كل سنة اذا قدم ، فلم يثبه ولا بعث اليه بالوظيفة ، فكتب اليه أبو العتاهية :

خبروني أن من ضرب السنه ❊ جددا بيضا وصفرا حسنه
أحدثت لكنني لم أرهـــا ❊ مثـل ما كنت أرى كل سـنه

فأمر المأمون بحمل العشرين ألفا وقال : أغفلناه حتى ذكرنا .

أنشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلما الخاسر :

تعالى الله ياسلم بن عمرو ❊ أذل الحرص أعنـاق الرجـــال

فقال المأمون : ان الحرص لمفسد للدين والمروءة ، والله ما عرفت من رجل قط حرصا ولا شرها فوجدت فيه مصطنعا ، فبلغ ذلك سلما فقال : ويلي على الجرار الزنديق جمع الأموال وكنزها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مراءاة ونفاقا ، فأخذ يهتف بي اذا تصديت للطلب .

كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات اذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد

كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء : يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه ، فقيل : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس ، فوجه اليه الرشيد : قل شعرا حتى أسمعه منهم ، ولم يأمر باطلاقه ، فغاظه ذلك وقال : والله لأقولن شعرا يحزنه ولا يسر به ، فعمل شعرا ودفعه الى من حفظه من الملاحين ، فلما ركب الحراقة سمعه وهو :

خانك الطرف الطموح * أيها القلب الجموح
لدواعي الخير والشر * دنو ونزوح
هل لمطلوب بذنب * توبة منه نصوح
كيف اصلاح قلوب * انما هن قروح
أحسن الله بنا * ان الخطايا لا تفوح
فاذا المستور منا * بين ثوبيه فضوح
كم رأينا من عزيز * طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيل * صائح الدهر الصدوح
موت بعض الناس في الأر * ض على قوم فتوح
سيصير المرء يوما * جسدا ما فيه روح
بين عيني كل حي * علم الموت يلوح
كلنا في غفلة وال * موت يغدو ويروح
لبني الدنيا من الدن * يا غبوق وصبوح
رحن في الوشي وأصبح * ن عليهن المسوح
كل نطاح من الده * ر له يوما نطوح
نح على نفسك يا مس * كين ان كنت تنوح
لتموتن وان عم * رت ما عمر نوح

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة ، وأشدهم عسفا في وقت الغضب والغلظة ، فلما رأى الفضل ابن الربيع كثرة بكائه أومأ الى الملاحين أن يسكتوا ٠

لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة : الأمين والمأمون والمؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رحلت عن الربع المحيل قعودي * الى ذي زحوف جمة وجنود
وراع يراعي الليل في حفظ أمة * يدافع عنها الشر غير رقود

بألوية جبريل يقدم أهلها * ورايات نصر حوله وبنود
تجافى عن الدنيا وأيقن أنها * مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الاسلام منه بفتية * ثلاثة أملاك ولاة عهود
هم خير أولاد لهم خير والد * له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفى هارون حول سريره * فخير قيام حوله وقعود
تقلب ألحاظ المهابة بينهم * عيون ظباء فى قلوب أسود
جدودهم شمس أتت فى أهلة * تبدت لراء فى نجوم سعود

فوصله الرشيد بصلة ما وصل مثلها شاعرا قط ٠

١٢ ــ مسلم (١) بن الوليد

أحد الشعراء المفلقين والبلغاء المبدعين

قال الشعر فى صباه ، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء ، مكتفيا بما يناله من قليل العطاء ، وينفقه على ملاذه مع اخوانه من خلعاء الشعراء ، ثم انقطع الى يزيد ابن مزيد الشيبانى قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة هارون الرشيد وعد من شعرائه ، ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ٠ ولما أصبح الحل والعقد بيد ذى الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون فى أول خلافته قربه وأدناه : لأنه كان من خاصته قبل وزارته ، وولاه أعمالا بجرجان اكتسب منها ألف ألف درهم ثم لزم منزله الى أن أنفقها فى اللذات ، وعاد الى الفضل فقلده الضياع بأصبهان فاكتسب منها ألف ألف أيضا ٠ ولما قتل الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحدا الى أن مات بجرجان ٠

---

(١) هو مسلم بن الوليد مولى الأنصار يلقب « صريع الغوانى » ، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة ٠ وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى ، فانه جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفا فى شعره ٠ قال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعرا حسن النمط ، جيد القول فى الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى الظريفة واستخرجها ٠ وقال القاسم بن مهرويه : أول من أفسد الشعر مسلم ابن الوليد ، جاء بهذا الفن الذى سماه الناس البديع ثم جاء الطائى بعده فتفنن فيه ٠ توفى بجرجان سنة ٢٠٨ هـ وله ديوان مطبوع فى ليدن سنة ١٨٧٥ م ٠ وتجد أخباره فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٢٨) والعقد الفريد (ج ١ ص ١٤٢) ٠

ومسلم أول من تكلف البديع فى شعره واستكثر منه فى قوله ، وسبقه بشار الى ذلك الا أنه لم يبلغ شأو مسلم فيه • وقد عد العلماء هذا التصنع والتكلف افسادا للشعر ، اذ قد تبعه فى ذلك الشعراء مثل البحترى وأبى تمام وابن المعتز وغيرهم •

وقد مزج مسلم كلام البدويين بكلام الحضريين ، فضمنه المعانى اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ، ورقة الحضريين •

لقى مسلم أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا الا فيه سقط ، قال له : فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ما شئت حتى أريك سقطك فيه ، فأنشد :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا ❊ وأمله ديك الصباح صياحا

فقال له مسلم : فلم أمله وهو الذى أذكره وبه أرتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى شيئا من شعرك ليس فيه خلل ، فأنشده مسلم :

عاصى الشباب فراح غير مفند ❊ وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقيما فى حالة واحدة وبيت واحد ، فتشاغبا وتسابا ساعة • وكلا البيتين صحيح المعنى •

اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما ، فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلا :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ❊ فطيب تراب القبر دل على القبر

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها ❊ والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال :

قبحت مناظره فحين خبرته ❊ حسنت مناظره لقبح المخبر

وتغازل فقال :

هوى يجد وحبيب يلعب ❊ أنت لقى بينهما معذب

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره •

قال يزيد بن مزيد : أرسل الى الرشيد يوما فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى ، فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لأمر ان أراده منى ، فلما رآنى ضحك الى ثم قال : يا يزيد ، خبرنى من الذى يقول فيك :

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
ضافى العنان طموح العين همته * فك العناة وأسر الفاتك الخطل

فقال : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم ابن الوليد ! فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته .

وروى أنه دخل على الرشيد فقال له : يا يزيد ، من الذى يقول فيك :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل
اذا انتضى سيفه كانت مسالكه * مسالك الموت فى الأبدان والقلل
وان خلت بحديث النفس فكرته * حى الرجاء ومات الخوف من وجل
كالليث ان هجته فالموت راحته * لا يستريح الى الأيام والدول

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له هارون : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ! فخرج من عنده خجلا ، فلما صار الى منزله دعا حاجبه فقال له : من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد قال : وكيف حجبته عنى ، فلم تعلمنى بمكانه ! فقال : أخبرته أنك مضيق ، وأنه ليس فى يديك شىء تعطيه اياه ، وسألته الامساك والمقام أياما الى أن تتسع ، فأنكر ذلك وقال : أدخله ، فأدخله اليه ، فانشده قوله فيه :

أجررت (١) حبل خليع فى الصبا غزل * وشمرت همم العذال فى عذل
هاج البكاء على العين الطموح (٢) هوى * مفرق بين توديع ومحتمل
كيف السلو لقلب راح مختبلا * يهذى بصاحب قلب غير مختبل
عاصى العزاء غداة البين منهمل * من الدموع جرى فى اثر منهمل
لولا مداراة دمع العين لانكشفت * منى سرائر لم تظهر ولم تخل (٣)

---

(١) أجررت فلانا رسنه : تركته وشأنه ، والخليع : الذى خلع عذاره فى الصبا .

(٢) الطموح : المرتفعة فى النظر الى الأحبة . ومفرق : مقسم .

(٣) أى لم تظن بى .

أما كفى البين أن أرمى بأسهمه * حتى رمانى بلحظ الأعين النجل
مما جنى لى وإن كانت منى صدقت * صبابة خلس التسليم بالمقل
ماذا على الدهر لو لانت عريكته * ورد فى الرأس منى سكرة الغزل
جرم الحوادث عندى أنها اختلست * منى بنات غذاء الكرم والكلل (١)
ورب يوم من اللذات محتضر * قصرته بلقاء الراح والخلل (٢)
وليلة خالست للعين من سنة * هتكت فيها الصبا عن بيضة الحجل
قد كان دهرى وما بى اليوم من كبر * شرب المدام وعزف القينة العطل
اذا شكوت اليها الحب خفرها (٣) * شكواى فاحمر خداها من الخجل
كم قد قطعت وعين الدهر راقدة * أيامه بالصبا واللهو والجذل
وطيب الفرع أصفانى مودته * كافأته بمديح فيه منتخل (٤)
وبلدة لمطايا الركب منضية (٥) * أنضيتها بوجيف الأينق الذلل
فيم المقام وهذا النجم (٦) معترضا * دنا النجاء وحان السير فارتحل
يا مائل الرأس ان الليث مفترس * ميل الجماجم والأعناق فاعتدل
حذار من أسد ضرغامة بطل * لا يولغ السيف الا مهجة البطل
لولا يزيد لأضحى الملك مطردا (٧) * أو مائل السمك أو مسترخى الطول
سل الخليفة سيفا من بنى مطر * أقام قائمه من كان ذا ميل
كم صائل فى ذرا تمهيد مملكة * لولا يزيد بنى شيبان لم يصل
ناب الامام الذى يفتر عنه اذا * ما افترت الحرب عن أنيابها العصل
من كان يختل قرنا عند موقفه * فان قرن يزيد غير مختتل
سد الثغور يزيد بعد ما انفجرت * بقائم السيف لا بالختل والحيل
كم قد أذاق حمام الموت من بطل * حامى الحقيقة لا يؤتى من الوهل
أغر أبيض يغشى البيض أبيض لا * يرضى لمولاه يوم الروع بالفشل

---

(١) يريد الخمر والجوارى .
(٢) محتضر ، أى حضرته اللذات . والخلل : جمع خلة وهى الصديقة .
(٣) خفرها ، أى ولد عليها الخفر وهو شدة الحياء .
(٤) أى مختار .
(٥) منضية : متعبة . والوجيف : ضرب من السير . والذلل : الضامرات .
(٦) يريد بالنجم : الثريا . ومعترضا : منتصبا .
(٧) مطردا ، أى مخذولا . وضرب السمك والطول مثلا .

يغشى الوغى وشهاب الموت في يده * يرمي الفوارس والأبطال بالشعل
يفتر عند اقتراب الحرب مبتسما * اذا تغير وجه الفـارس البطل
موف على مهج واليوم ذو رهج * كأنه أجـل يسـعى الى أمل
ينال بالرفق ما يعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتي على مهل
لا يلقـح الحرب الا ريث ينتجهـا * من هالـك وأسـير غـير مختتـل
ان شـيم بارقه حالت خلائقه * بين العطيـة والامسـاك والعلـل
يغشى المنايا المنـايا ثم يفرجها * عن النفوس مطـلات على الهبل (١)
لا يرحل النـاس الا نحـو حجرته * كالبيت (٢) يضحي اليه ملتقى السبل
يقرى المنية أرواح الكماة كما * يقري الضيوف شحوم الكوم والبزل (٣)
يكسو السيوف دماء الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
يغدو فتغدو المنـايا في أسنته * شـوارعا تتحدى الناس بالأجل
اذا طغت فئة عن غب طاعتها * عبى لها الموت بين البيض والأسل
قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنـه في كل مرتحـل
تراه في الأمن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجـل
ضافي العنان طموح العين همته * فك العناة (٤) وأسر الفاتك الخطل
لا يعبق الطيب خديه ومفرقـه * ولا يمسـح عينيه من الكحل
اذا انتضى سيفه كانت مسالكه * مسالك الموت في الأبدان والقلل
وان خلت بحديث النفس فكرته * حي الرجاء ومات الخوف من وجل
كالليث ان هجته فالموت راحته * لا يستريح الى الأيام والدول
ان الحوادث لما رمن هضـبته (٥) * أزمعن عن جار شيبان بمنتقل
فالـدهر يغبط أولاه أواخـره * اذا لم يكن كان في أعصاره الأول
اذا الشريكي (٦) لم يفخر على أحد * تكلم الفخر عنـه غير منتحل
لا تكذبن فان الحـلم معدنه * وراثة في بني شيبان لم تزل

---

(١) الهبل : الفقدان .
(٢) يعنى البيت الحرام .
(٣) الكوم : العظام الأسنمة واحدها كوماء . والبزل : جمع بازل وهو ما له تسعة أعوام .
(٤) جمع عان وهو الأسير : والخطل : ذو الخطل وهو الخطأ .
(٥) هذا مثل ، يريد لما رمت الحوادث من استخبار به .
(٦) نسبة الى شريك ، وهو أحد أجداه يزيد .

سلوا السيوف فأغشوا من يحاربهم * خبطا بهـا غـير ما نـكل ولا وكل
الزائديون قـوم في رماحهـم * خوف المخيف وأمن الخائف الوجل
كبيرهم لا تقوم الراسـيات له * حلما وطفلهم في هدى مكتهل
اسلم يزيد فمـا في الدين من أود * اذا سلمت وما في الملك من خلل
أثبت سوق بني الاسلام فاطأدت (١) * يوم الخليج وقد قامت على زلل
لولا دفاعك بأس الروم اذ بـكرت * عن (٢) عترة الدين لم تأمن من الثكل
ويوسف(٣)البرم قد صبحت عسكره * بعسكر يلفظ الأقدار ذى زجل
غافصـته (٤) يوم عبر النهر مهلته * وكان محتجزا في الحرب بالمهل
والمارق ابن طريف (٥) قد دلفت له * بعسـكر للمنايا مسـبل هطل
لما رآك مجـدا في منيتـه * وأن دفعك لا يسـطاع بالحيل
شام النزال فابرقت اللقاء له * مقدم الخطـو فيها غير متكل
ماتوا وأنت غليل في صدورهم * وكان سيفك يستشفى من الغلل
لو أن غير شريكى أطـاف به * فاز الوليد بقدح الناضل (٦) الخصل
وقمت بالدين يوم الرس (٧) فاعتدلت * منه قوائم قد أوفت على ميل
ما كـان جمعهم لمـا لقيتهم * لآب جيشـك بالأسرى وبالنفل
تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهم * الا كمثل نعـام ريع منجفل
كم آمـن لك نائى الدار ممتنع * أخرجته من حصون الملك والخول
يأبى لك الذم في يوميك ان ذكرا * عضب حسام وعرض غير مبتذل
ومارقين غـزاة من بيوتهـم * لاينكلون ولا يؤتـون من نكل
خلفت أجسادهم والطير عاكفة * فيها وأقفلتهم هـاما مع القفل

---

(١) هكذا في الأصل • وعندنا أن الكلمة محرفة عن (اتطدت) أى ثبتت • وهى وزان افتعل من وطد • وكانت أوتطد ثم قبلت فاء الافتعال تاء وأدغم المثل في المثل •

(٢) عترة الدين : جماعة الاسلام •

(٣) أحد الخوارج على الرشيد •

(٤) غافصه : فاجاه على غرة

(٥) هو الوليد بن طريف الشارى •

(٦) الناضل : المصيب • والخصل مثله •

(٧) الرس : وادى أذربيجان •

فافخر فما لك فى شيبان من مثل * كذاك ما لبنى شيبان من مثل
كم مشهد لك لا تحصى مآثره * قسمت فيه كرزق الانس والخبل
لله من هاشم فى أرضه جبل * وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل
قد اعظموك فما تدعى لهينة * الا لمعضلة تستن (١) بالعضل
يا رب مكرمة أصبحت واحدها * أعيت صناديد راموها فلم تنل
تشاغل الناس بالدنيا وزخرفها * وأنت من بذلك المعروف فى شغل
أقسمت ما ذب عن جدواك طالبها * ولا دفعت اعتزام الجد بالهزل
يأبى لسانك منع الجود سائله * فما يلجلج بين الجود والبخل
صدقت ظنى وصدقت الظنون به * وحط جودك عقد الرحل عن جملى

فقال له يزيد : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذر ، فخرج الحاجب فقال لمسلم : قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم : خمسون ألفا منها لك وخمسون ألفا لنفقته ، فأعطاه اياها • وكتب صاحب الخبر بذلك الى الرشيد ، فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال : اقض الخمسين ألفا التى أخذها الشاعر وزده مثلها ، وخذ مائة ألف لنفقتك ، فافتك ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفا أخرى • ولما أنشده : « لا يعبق الطيب » البيت • قال لجاريته : حرم علينا مسلم الطيب •

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء فى السنة مجلسا واحدا ، فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه ، فوجه اليه مسلم راويته بقصيدته التى أولها : « لا تدع بى الشوق » فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجهم عنه ، فتقدم الى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ، ثم قال له : استأذن لى على الأمير ، قال : ومن أنت ؟ قال : شاعر ، قال : قد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام ، فقال له : ويحك ! انى قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله ، وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع ، فقال : هات حتى أسمع ، فان كان الأمر كما ذكرت أوصلتك اليه ، فأنشده بعض القصيدة ، فسمع شيئا يقصر عنه الوصف ، فدخل على داود فقال له : قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيك مثله ، فقال : أدخل قائله ، فلما مثل بين يديه سلم وقال : قدمت على الأمير — أعزه الله — بمدح يسمعه فيعلم تقدمى على غيرى ممن امتدحه ، فقال : هات ، فلما افتتح القصيدة وقال : « لاتدع بى الشوق » استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه اليه فقال : أهذا شعرك ؟ قال : نعم أيها الأمير ، قال : فى كم قلته يافتى؟

(١) تستن بالعضل : تتابع بالعسر • والمعضلة : الداهية •

قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله ، قال : لو قلته فى ثمانية أشهر لكنت محسنا ، وقد اتهمتك ، لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثله ، وأمرت بالاجراء عليك ، فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم والا حرمتك ، فقال : أو الاقالة أعز الله الأمير ، قال : قد أقلتك ، قال : الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره ،فقال : أنا ابن حاتم ، انك لما افتتحت شعره فقلت : « لاتدع بى الشوق انى غير معمود » سمعت كلام مسلم ينادينى ، فأجبت نداءه واستويت جالسا ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، واحمل الساعة الى مسلم مائة ألف درهم . وهذه هى القصيدة :

لا تدع بى الشوق انى غير معمود ✻ نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد (١)
لو شئت لا شئت راجعت الصبا ومشت ✻ فى العيون وفاتتنى بمجلود (٢)
سل ليلة الخيف هل أمضيت آخرها ✻ بالراح تحت نسيم الخرد الغيد
شججتها بلعاب المزن فاغتزلت (٣) ✻ نسجين من بين محلول ومعقود
كلا الجديدين قد أطعمت حبرته (٤) ✻ لو آل حى الى عمر وتخليد
أهلا بوافدة للشيب واحدة ✻ وان تراءت بشخص غير مودود
لا أجمع الحلم والصهباء قد سكنت ✻ نفسى الى الماء عن ماء العناقيد
لم ينهنى فند (٥) عنها ولا كبر ✻ لكن صحوت وغصنى غير مخضود
أوفى بى الحلم واقتاد النهى طلقا ✻ شأوى وعفت الصبا من غير تفنيد
اذا تجافت بى الهمات عن بلد ✻ نازعت أرضا ولم أحفل بتمهيد
لا تطبينى (٦) المنى عن جهد مطلب ✻ ولا أحول لشىء غير موجود
ومجهل كاطراد السيف محتجز ✻ عن الأدلاء مسجور الصياخيد
تمشى الرياح به حسرى مولهة ✻ حيرى تلوذ بأطراف الجلاميد

---

(١) لا تدع بى الشوق ، أى لا تدعنى مشتاقا . وسأله دعبل عن معنى ذلك فقال : لا تدعنى صريع الغوانى فلست كذلك ، وكان لهذا اللقب كارها . ومعمود : عاشق . والهيف : الضامرات الخصور .

(٢) أى ذهبت بتجلدى .

(٣) اغتزلت : اختلطت ، ويريد بالنسجين : ما ولى الماء من الخمر أسرع فيه الماء فحله ، وما ولى منها القاع بقى على حاله لم يحله الماء بعد .

(٤) الحبرة : النعيم .

(٥) الفند : اللوم . والمخضود : الواهن .

(٦) أى لا تدعونى الى نفسها .

موقف المتن لا تمضى السبيل به * الا التخلل ريثا بعد تجهيد
قريته الوخد من خطارة سرح (١) * تفرى الفلاة بارقال وتوخيد
اليك بادرت اسفار الصباح بها * من جنح ليل رحيب الباع ممدود
وبلدة ذات غول لا سبيل بها * الا الظنون والا مسرح السيد
كأن أعلامها والآل يركبها * بدن توافى بها نذر الى عيد
تلفت أهوالها عينا مؤرقة * اليك لولاك لم تكحل بتسهيد
حتى أتتك بى الآمال مطلعا * لليسر عندك فى سربال محسود
من بعد ما ألقت الأيام لى عرضا * ملقى رهين (٢) لحد السلف مصفود
وساورتنى بنات الدهر فامتحنت * ربعى بممحلة (٣) شهباء جارود
الى بنى حاتم أدى ركائبنا * خوض الدجى وسرى المهرية القود
تطوى النهار فان ليل تخمطها (٤) * باتت تخمط هامات القراديد
مثل السمام (٥) بعيدات المقيل اذا * ألقى الهجير يدا فى كل صيخود
حلت بداود فامتاحت وأعجلها * حذو النعال على أين وتحريد (٦)
أعطى فأفنى المنى أدنى عطيته * وأرهق الوعد نجحا غير منكود
والله أطفأ نار الحرب اذ سعرت * شرقا بموقدها فى الغرب داود
لم يأت أمرا ولم يظهر على حدث * الا أعين بتوفيق وتسديد
موحد الرأى تنشق الظنون له * عن كل ملتبس منها ومعقود
تمنى الأمور له من نحو أوجهها * وان سلكن سبيلا غير مورود
اذا أباحت حمى قوم عقوبته * غادى له العفو قوما بالمراصيد
كالليث بل مثله الليث الهصور اذا * غنى الحديد غناء غير تغريد
يلقى المنية فى أمثال عدتها * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود
ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو عرد السيف لم يهمم بتعريد

---

(١) الخطارة : الناقة تحرك ذنبها · والسرح الخفية ·
(٢) الرهين : الأسير · والمصفود : الموثق بالحديد ·
(٣) المحلة : السنة الجدبة · والجارود المنجردة من النبات ·
(٤) تخمطها : سال بها · والقراديد : جمع قرددة ، وهو المرتفع من الجبال ·
(٥) السمام : طائر يشبه القطا · والصيخود : شدة الحر ·
(٦) التحريد من الحرد ، وهو داء يصيب الابل فى قوائمها · والأين : التعب ·

اذا رعى بـلـدا دانى مناهـــله * وان بنين على شـــــحط وتبعيد
جـرى فأدرك لم يعنف بمهلتـه * واستودع البهر (١) أنفاس المجاويد
آل المهلب قوم لا يـزال لهـــم * رق الصريح (٢) وأســلاب المذاويد
مظفرون تصيب الحرب انفسهم * اذا الفرار تمطى بالحــايد (٣)
نجــل مناجيب لم يعدم تلادهم * فتى يرجى لنقض أو لتوكيـــد
قوم اذا هدأة (٤) شـامت سيوفهم * فانهــا عقــل الكوم المقاحيد
نفسي فداؤك يـا داود اذ علقت * أيدى الردى بنواصي الضمر القود
داويت من دائها كرمان وانتصفت * بـك المنــون لأقــوام مجاهيـد
ملأتهـــا فزعا أخـلى معاقلهـا * من كل أبلخ (٥) سامي الطرف صنديد
لما نـزلت على أدنى بلادهـم * ألقى اليـك الأقاصى بالمقاليـد
لستهم بيـد للعفو متصـــل * بها الردى بين تليين وتشـديد
أتيتهم من وراء الأمن مطلعـــا * بالخيل تـردى بأبطـال مناجيـد
وطار في اثر من طار الفرار به * خـوف يعارضـه في كل أخدود
فاتوا الردى وظبات الموت تنشدهم * وأنت نصب المنـايا غير منشود
ولـو تلبث ديـان لهـا رويت * منه ولكن شـآها عـدو مزءود (٦)
أحرزه أجـل ما كاد يحـرزه * قمر يطـوى على أحشـاء مفئود (٧)
ورأس مهران قد ركبت قلتـه * لدنا كفاه مكان الليت والجيـد
قد كان فى معزل حتى بعثت له * أم المنية فى أبنائهـا الصيد
أجن أم أسلمتـه الفاضحات الى * حد من السيف من يعلق به يود
ألحقته صاحبيه فاســتمر بهـم * ضرب يفرق ضـبات (٨) القماحيد

---

(١) البهر : هو ما يعترى الانسان عند العدو من اللهث وتتابع النفس .

(٢) رق الصريح ، أى استعباد الحر . والمذاويد : الاتجاد واحده مذود .

(٣) المحاييد : الجبناء جمع محياد .

(٤) الهدأة : الفترة .

(٥) الأبلخ : المتكبر .

(٦) شآها : سبقها . ومزءود : مرعوب .

(٧) المفئود : الذى أصيب فؤاده .

(٨) الضبات : أوصال الرأس . والقماحيد : جمع قمحودة وهى العظم الناتىء فى مؤخرة الرأس بين القفا وأعلى الرأس .

أعذر (١) من فى من حرب صبرت لها * يوم الحصين شعار غير مجحود
يوم استضبت سجستان (٢) طوائفها * عليك من طالب وترا ومحقود
ناهضتهم ذائد الاسلام تقرعهم * عنه ثلاث ومثنى بالمواحيد
تجود بالنفس اذ أنت الضنين بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود
تلك الأزارق اذ ضل الدليل بها * لم يخطها القصد من أسياف داود
كان الحصين يرجى أن يفوز بها * حتى أخذت عليه بالأخاديد
ما زال يعنف بالنعمى ويغمطها * حتى استقل به عود على عود
وضعته حيث ترتاب (٣) الرياح به * وتحسد الطير فيه أضبع البيد
تغدو الضوارى فترميه بأعينها * تستنشق الجو أنفاسا بتصعيد
يتبعن أفياءه (٤) طورا وموقعه * يلغن فى علق منه وتجسيد
فكان فارط قوم حان مكرعهم * بأرض زادان شتى فى المواريد
يوم جراشة اذ شيبان موجفة (٥) * ينجون منك بشلو منه مقدود
زاحفته بابن سفيان فكان له * ثناء يوم بظهر الغيب مشهود
نجا قليلا ووافى زجر عائفه * بيومه طير منحوس ومسعود
ولى وقد جرعت منه القنا جرعا * حى المخافة ميتا غير مودود
زالت حشاشته عن صدر معتدل * دانى الكعوب بعيد الصدر أملود (٦)
اذا السيوف أصابته تقطع فى * سرادق بحوامى الخيل ممدود
يفدى بما نحلته من خلافته * حشاشة الركض من جرداء (٧) قيدود
حل اللواء وخال الخدر عاتقه * فعاذ بالخدر ترب الكاعب الرود
وان يكن شبهها حربا وقد خملت * فنائيا حيث لا هيد ولا هيد (٨)
كل مثلت به فى مثل خطته * قتلا وأضجعته فى غير ملحود

(١) أعذر : جاء بما يعذر عليه .
(٢) أى أغرت طوائفها .
(٣) ترتاب : أى تستنكر .
(٤) الأفياء : جمع فىء وهو الظل آخر النهار . والجسد : الدم .
(٥) موجفة : سريعة .
(٦) أملود : أملس .
(٧) الجرداء : قصيرة الشعر . والقيدود : الناقة الطويلة الظهر .
(٨) كلمتان يزجر بهما الابل .

عاقوا رضاك فعاقتهم بعقوتهم (١) * عن الحياة منایاهم لموعود
وأنت بالسند اذ هاج الصريخ بها * واستنفدت حربها كيد المكاييد
واستغزر القوم كأسا من دمائهم * وأحدق الموت بالكرار والحيد
رددت أهمالها (٢) القصوى مخيسة * وشمت بالبيض عورات المراصيد
كنت المهلب حتى شك عالمهم * ثم انفردت ولم تسبق بتسويد
لم تقبل السلم الا بعد مقدرة * ولا تألفت الا بعد تبديد
حتى أجابوك من مستأمن حذر * راج ومنتظر حتفا ومثمود
أهدى اليك على الشحناء ألفتهم * موت تفرق فى شتى عباديد
وفى يديك بقايا من سراتهم * هم لديك على وعد وتوعيد
أن تعف عنهم فأهل العفو أنت وان * تمض العقاب فأمر غير مردود
اسمع فانك قد هيجت ملحمة * وفدت منها بأرواح الصناديد
اقذف أبا مالك فيها يكنك بها * ويسع فيها بجد منك مجدود
يمضى بعزمك أو يجرى بشأوك أو * يفرى بحدك كل غير محدود
لا يعدمنك حمى الاسلام من ملك * أقمت قلته من بعد تأويد
كفيت فى الملك حتى لم يقف أحد * على ضياع ولم يحزن لمفقود
أعطيتهم منك نصحا لا كفاء له * وأيدوك بركن غير مهدود
لم يبعث الدهر يوما بعد ليلته * الا انبعثت له بالبأس والجود
أجرى لك الله أيام الحياة على * فعل حميد وجد غير منكود
لا يفقد الدين خيلا أنت قائدها * يعهدن فى كل ثغر غير معهود
مجملات اذا آبت غنائمها * ومقدمات على نصر وتأييد
هناك أنك مغدى كل ملتمس * جودا وأنك مأوى كل مطرود
تستأنف الحمد فى دهر أوائله * موسومة بفعال منك محمود
اذا عزمت على أمر بطشت به * وان أنلت فنيلا غير تصريد
عودت نفسك عادات خلقت لها * صدق الحديث وانجاز المواعيد

---

(١) بعقوتهم ، أى بفنائهم .

(٢) الأهمال . جمع همل ، وهو الشىء المسيب ، ويراد به الصعب . ومخيسة : مذللة .

دخل الوليد على الفضل بن سهل لينشـــده شعرا ، فقــال له : أيها الكهل ، انى أجلك عن الشعر فسل حاجتك ، قال : بل تستتم اليـــد عندى بأن تســـمع ، فأنشـــده :

دموعهــا من حذار البين تنسكب ✻ وقلبهــا مغــرم من حــرها يجب
جد الرحيل به عنها ففارقهـــا ✻ لبينـه اللهو واللذات والطـــرب
يهـــوى المسـير الى مــرو ويحزنه ✻ فراقهــا فهو ذو نفسين يرتقب

فقال له الفضل : انى لأجلك عن الشعر ، قال : فأغننى بما أحببت من عملك ، فولاه البريد بجرجان (١) ٠

هجا مسلم قريشا وفخر بالأنصار بشعر يمثل لك ناحية من نواحى العصبية بين القبائل وهو يعتبر ، الى حد ما ، من الشعر السياسى ، فقال :

قل لمن تاه اذ بنــا عز جهــلا ✻ ليس بالتيه يفخر الأحرار
فتناهوا وأقصروا فلقد جا ✻ رت عن القصد منكم الأبصار
أيكم حـــاط ذا جوار بعز ✻ قبل أن تحتويه منا الدار
أو رجا أن يفوت قوما بوتر ✻ لم تـزل تمتطيهـــم الأوتار
لم يكن ذاك فيكم فدعوا الفخـ ✻ ـر بما لا يسـوغ فيه افتخار
ونزارا ففاخـــروا تفضلوهم ✻ ودعــوا مــن له عبيد نزار
فبنا عز منكم الذل والدهـ ✻ ـر عليكم بريبـــــه كرار
حاذروا دولة الزمان عليكم ✻ انه بـين أهــله أطــوار
فتردوا ونحن للحـــالة الأو ✻ لى وللأوحد الأذل الصـــغار
فاخرتنا لما بسطنا لها الفخـ ✻ ـر قريش وفخـرها مستعار
ذكرت عزها وما كان فيهـــا ✻ قبـل أن تستجيرنا مستجار
انما كان عزها فى جبـــال ✻ ترتقيها كمـــا ترقى الوبـار
أيها الفاخرون بالعز والعـ ✻ ـز لقوم ســـواهم والفخار
أخبرونا من الأعـــز أألنـ ✻ ـصـــور حتى أم الأنصـــــار
فلنــــا العز قبل عز قريش ✻ وقريش تلك الدهــور تجـــار

(١) بلدة عظيمة كانت بالقرب من بحر قزوين الى الجنوب الشرقى منه ٠

فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال :

الا امثــل أمير المؤمنين بمســلم * وأقلق به الأحشاء من كل مجرم
ولا ترجعن عن قتــله باستتابة * فما هو عن شتم النبى بمحرم
ولا عن مســاواة له ولقومه * قريشــا بأصـداء لعاد وجرهم
ويفخر بالأنصار جهلا على الذى * بنصرته فازوا بحظ ومغنــم
وسموا به الأنصار لا عز قائل * أراد قريشـــا بالمقــام المذمم
ومنهم رسول الله أزكى من انتمى * الى نسب زاك ومجـد مقــدم
وما كانت الأنصار قبل اعتصامها * بنصر قريش فى المحــل المعظم
ولا بالألى يعلون أقدار قومهــم * صــداء وخولان ولخم وسلهم
ولكنهــم بالله عاذوا ونصــرهم * قريشا ومن يستعصم الله يعصم
فعزوا وقد كانوا وقطيون فيهم * من الذل فى باب من العز مبهم
يسومهم القطيون مالا يســامه * كريم ومن لا ينـكر الظــلم يظـلم
وان قريشـــا بالمآثر فضلت * على الخلق طرا من فصيح وأعجـم
فما بال هذا العلج ضل ضلاله * يمد اليهم كف أجــذم أعســم
يسامى قريشــا مسلم وهم هم * بمـولى يمــانى وبيت مهــدم
اذا قام فيه غيرهم لم يكن لهم * مقــام به من لؤم مبنى ومدعــم
جعاسيس (١) أشباه القرود لو انهم * يباعــون ما ابتيعوا جميعا بدرهم
وما مســلم من هؤلاء ولا آلى * ولكنــه مــن نســل علج ملكم
تـولى زمانا غيرهم ثمت ادعــى * اليهــم فلم يـكرم ولما يــكرم
فان يك منهم فالنضــير ولفهم * مواليــه لا مــن يدعى بالتزعم
وان تدعه الأنصــار مولى أسـمهم * بقافية تســتكره الجــلد بالدم
عقابا لهــم فى افكهم وادعائهــم * لأقلف منقوش الذراع موشــم
فلا تدعــوه وانتفـوا منه تسلموا * بنفيكموه مــن مقــال ومأثــم
والا فغضوا الطرف وانتظروا الردى * اذا اختلفت فيكم صوارد أسهمى
ولم تجــدوا عنهــا مجنا يجنكم * اذا اطلعت من كل فج ومعــلم
وأنتم بنــو أذناب من أنتم له * ولستم بأبنــاء الســنام المقدم
ولا بنى الرأس الرفيــع محله * فيسمو بكم مولى مســام وينتمى

(١) الجعاسيس : اللئام فى الخلق والخلق .

فكيف رضيتم أن يسامى نبيكم * ببيتكم الرث القصير المهدم
سأحطم من سامى النبى تطاولا * عليه وأكوى منتماه بميسمى
أيعدل بيت يثربى بكعبة * ثوتها قريش فى المكان المحرم
قريش خيار الله والله خصهم * بذلك فاتعس أيها العلج وارغم
ومن تدعى منه الولاء مؤخر * اذا قيل للجارى الى المجد أقدم

وكان مسلم قال قصيدته فى قريش وكتمها ، فوقعت الى ابن قنبر وأجابه عنها ، فاستعلى عليه وهتكه وأغرى به السلطان ، فلم يكن عند مسلم فى هذا جواب أكثر من الانتفاء منها ونسبتها الى ابن قنبر والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها اليه ليعرضه للسلطان وخافه ، فقال ينتفى من هذه القصيدة :

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن * هناك ولكن من يخف يتجشم
وانك اذ تدعو الخليفة ناصرا * لكالمترقى فى السماء بسلم
كذاك الصدى تدعوه من حيث لاترى * وان تتوهمه تمت فى التوهم
هجوت قريشا عامدا ونحلتنى * رويدك يظهر ما تقول فيعلم
اذا كان مثلى فى قبيلى فانه * على ابن لؤى قصرة غير متهم
سيكشفك التعديل عما قذفتنى * به فتأخر عارفا أو تقدم
فان قريشا لا يغادر ودها * ولا يستمال عهدها بالترحم
مضى سلف منهم وصلى بعقبهم * لنا سلف فى الأول المتقدم
جروا فجرينا سابقين بسبقهم * كما اتبعت كف نواشر معصم
وان الذى يسعى ليقطع بيننا * كملتمس اليربوع فى حجر أرقم
أضلك قرع الآبدات طريقها * فأصبحت من عميائها فى تهيم
وخانتك عند الجرى لما اتبعتها * تميم فحاولت العلا بالتقحم
فأصبحت ترمينى بسهمى وتتقى * يدى بيدى أصليت نارك فاضرم

ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها :

قل لعبد النضير مسلم الوغـ * ـد الدنى اللئيم سنخ النصاب
اخس يا كلب اذ نبحت فانى * لست ممن يجيب نبح الكلاب
أفأرضى ومنصبى منصب العـ * ـز وبيتى فى ذروة الأحساب
أن أحط الرفيع من سمك بيتى * بمهاجاة أوشب الأوشاب

من اذا سيل من أبوه بدا منـ * ـه حيـاء يحميه رجع الجواب
واذا قيل حين يقبل من أنـ * ـت بذكرى فخرا لدى النساب
قلت هاجى ابن قنبر فتسربلـ * ـت ومن تعتزيه فى الأنساب

وهي قصيدة طويلة فلم يجبه عنها مسلم بشيء فقال فيه ابن قنبر أيضا :

لست أنفيك ان سواى نفاكا * عن أبيك الذى له منتماكا
ولماذا أنفيك يا بن الوليد * من أب ان ذكرته أخزاكا
ولو انى طلبت ألأم منه * لم أجده ان لم تكن أنت ذاكا
لو سواه أبوك كان جعلنا * ه اذا الناس طاوعونا أباكا
حاك دهرا بغير حنق لبرد * وتحوك الأشعار أنت كذاكا

ثم هجاه بشعر أقذع فيه ، فمشى اليه قوم من مشـايخ الأنصار واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوى الفضل والعلم ، فمشوا معهم اليه ، فقالوا : ألا تستحى من أن تهجو من لا يجيبك ! أنت بدأت الرجل فأجابك ، ثم عدت فكف ، وتجاوزت ذلك الى ذكر أعراض الأنصار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذب عنها ويصونها لغير حال أحلت ذلك منهم ، فما زالوا به يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم فانقطعت .

ولمسلم بن الوليد :

وانى واسماعيل يوم وداعه * لكالغمد يوم الروع فارقه النصل
أما والحبالات الممرات بيننا * وسائل أدتها المودة والوصل
لما خنت عهدا من اخـاء ولا نأى * بذكرك نأى عن ضميرى ولا شغل
وانـى فى مالى وأهلى كأننى * لنأيك لا مال لدى ولا أهل
يذكرنيك الدين والفضل والحجا * وقيل الخنا والحلم والعلم والجهل
فألقاك عن مذمومها متنزها * وألقاك فى محمودها ولك الفضل
وأحمد من أخلاقك البخل انه * بعرضك لا بالمال حاشا لك البخل
أمنتجعا مروا بأثقـال همة * دع الثقل واحمل حاجة ما لها ثقل
ثناء كعرف الطيب يهدى لأهله * وليس له الا بنى خالد أهل
فان أغش قوما بعدهم أو أزورهم * فكالوحش يستدنيه للقنص المحل

وله يرثي يزيد بن مزيد :

أحــق انــه أودى يزيــد * تأمـل أيهــا الناعي المشــيد
أتدرى مــن نعيت فكيف فاهت * به شــفتاك كان به الصــعيد
أحامي المجد والاســلام أودى * فما للأرض ويحـك لا تميــد
تأمل هل ترى الاســلام مالت * دعائمــه وهل شــاب الوليــد
وهل شيمت سيوف بني نزار * وهل وضعت عن الخيــل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * بدرتهــا وهــل يخضر عــود
أمــا هــدت لمصرعه نــزار * بــلى وتقوض المجــد المشــيد
وحل ضريحه اذ حــل فيــه * طريف المجد والحسب التليــد
أمــا والله ما تنفــك عينــى * عليك بدمعهــا أبــدا تجــود
فان تجمــد دموع لئيــم قوم * فليس لدمع ذى حسب جمــود
أبعــد يزيد تختزن البــواكى * دموعا أو تصان لها خــدود
لتبكك قبــة الاســـلام لمــا * وهت أطنابهــا ووهى العمــود
ويبــكك شــاعر لم يبــق دهــر * له نشــبا وقد كســد القصيد
فمن يدعــو الامام لكل خطــب * ينــوب وكــل معضــلة تئود
ومن يحمى الخميس اذا تعــايا * بحيلة نفســه البطــل النجيــد
فان تهلك يزيــد فكل حــى * فريس للمنيــــة أو طــــريد
ألــم تعجب لــه أن المنــايا * فتكن به وهــن لــه جنــود
لقد عزى ربيعــة أن يــوما * عليها مثــل يومك لا يعــود

١٣ ـ العباس بن الأحنف (١)

قال ابراهيم بن العباس يصفه : كان والله ممن اذا تكلم لم يحب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحا جميلا ظريف اللسان ، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت ٠

وقال صالح بن عبد الوهاب : كان العباس من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد ، ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين ، ولا تزال قد ترى له الشيء البارع جدا حتى تلحقه بالمحسنين ٠

وقال الجاحظ : لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم ، وأوسعهم كلاما وخاطرا ، ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه ، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر ٠

انشد الحرمازى للعباس بن الأحنف :

لا جزى الله دمع عيني خيرا ✻ وجزى الله كل خير لساني
نم دمعي فليس يكتم شيئا ✻ ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي ✻ فاستدلوا عليه بالعنوان

ثم قال : هذا والله طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه ٠

---

(١) كان العباس شاعرا غزلا مطبوعا من شعراء الدوله العباسيه ، وله مذهب حسن ، ولديباجة شعره رونق ، ولمعانيه عذوبة ولطف ، ولم يكن يتجاوز الغزل الى مديح ولا هجاء ، ولا يتصرف فى شيء من هذه المعانى ٠ وقدمه أبو العباس المبرد فى كتاب الروضة على نظرائه وأطنب فى وصفه ، وقال : رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه ، قال : وكان العباس من الظرفاء ٠ ولم يكن من الخلعاء ، وكان غزلا ولم يكن فاسقا ، وكان ظاهر النعمة ملوكى المذهب شديد الترف ، وذلك بين فى شعره ، وكان قصده الغزل وشغله النسيب ، وكان حلوا مقبولا غزلا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف فى الغزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مداحا ٠ وله ديوان طبع مع ديوان ابن مطروح بالاستانة سنة ١٢٩٨ هـ وتجد أخباره وأشعاره فى الاغانى (ج ٨ ص ١٥) وابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٦) والشعر والشعراء (ص ٥٢٥) ٠

وكان ابو الهذيل العلاف يبغضه ويلعنه لقوله :

اذا أردت سلوا كان ناصركم * قلبي وما أنـا من قلبي بمنتصر
فأكثروا أو أقلوا من اساءتكم * فكل ذلك محمول علي القدر

فكان أبو الهذيل يلعنه ويقول : يعقد الكفر والفجور في شعره ، فقال العباس ـ وقال محمد يحيى : وأظن أنه يهجو به أبا الهذيل وما سمعت للعباس هجاء غيره :

يا من يكذب أخبـار الرسول لقد * أخطأت فـي كل ما تأتي وما تذر
كذبت بالقدر الجاري عليك فقد * أتاك مني بمـا لا تشتهي القدر

قيل للأصمعي : ما أحسن ما تحفظ للمحدثين ؟ قال : قول العباس بن الأحنف :

لو كنت عاتبـة لسكن روعتي * أملي رضـاك وزرت غـير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة * صد الملول خـلاف صد العاتب

ومما أنشده له ابراهيم بن العباس :

قالت ظلوم سـمية الظلم * مالي رأيتك ناحل الجسـم
يا من رمى قلبـي فاقصـده * أنت العليم بموضـع السهم

ولشعره الغزلي وقع في النفس ، فانهم كانوا يغنون كثيرا منه كقوله :

لو كنت عاتبـة لسـكن روعتي * أملي رضـاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيـلة * صد الملول خلاف صـد العاتب

وأنشد له الأصمعي :

أتأذنون لصـب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

فقال : ما زال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئا حتى أدخلها فأخرج هذا ، ومن أدمن طلب شيء ظفر ببعضه .

وقال سعيد بن جنيد : ما أعـرف أحسن من شعر العباس في اخفاء أمره حيث يقول :

أريدك بالسلام فأتقيهم * فأعمد بالسلام الى سواك
وأكثر فيهم ضحكي ليخفى * فسني ضاحك والقلب باك

ومما تمثل به الواثق في شر كان بينه وبين بعض جواريه :

عدل من الله أبكاني وأضحكها * فالحمد لله عدل كل ما صنعا

اليوم أبكى على قلبي وأندبه * قلب ألح عليه الحب فانصدعا

ومما تمثل به أيضا في مثل ذلك :

أما تحسبيني أرى العاشقين * بلى ثم لست أرى لي نظيرا
لعل الذي بيديه الأمور * سيجعل في الكره خيرا كثيرا

وقال الزبير : ابن الأحنف أشعر الناس في قوله :

تمتل بالشغل عنا ما تكلمنا * الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ويقول : لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرها وشرها الا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير .

وقال اسحاق : لقد ظرف ابن الأحنف في قوله ـ يصف طول عهده بالنوم ـ :

قفا خبراني أيها الرجلان * عن النوم ان الهجر عنه نهاني
وكيف يكون النوم أم كيف طعمه * صفا النوم لي ان كنتما تصفان

على قلة اعجابه بمثل هذه الأشعار .

قال أحمد بن ابراهيم : رأيت سلمة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف ، وقلت مثلك أعزك الله يحمل هذا ! فقال : ألا أحمل شعر من يقول :

أسأت اذ أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس
يقلقني الشوق فآتيكم * والقلب مملوء من الياس

وقال أحمد بن ابراهيم : أتاني أعرابي فصيح ظريف ، فجعلت أكتب عنه أشياء حسانا ، ثم قال : أنشدني لأصحابكم الحضريين ، فأنشدته للعباس بن الأحنف :

ذكرتك بالتفاح لما شممته * وبالراح لما قابلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منك سوالفا * وبالراح طعما من مقبلك العذب

فقال : هذا عندك وأنت تكتب عني ! لا أنشدك حرفا بعد هذا .

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل : ما أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف :

سبحان رب العلا ما كان أغفلني * عما رمتني به الأيام والزمن
من لم يلق فرقة الأحباب ثم يرى * آثارهم بعدهم لم يدر ما الحزن

قال حسين بن الضحاك : لو جاء العباس بقول ما قاله في بيتين في أبيات لعذر ، وهو قوله :

لعمرك ما يستريح المحب حتى يبوح بأسراره
فقد يكتم المرء أسراره * فتظهر في بعض أشعاره

ثم قال : أما قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدمه فيه أحد فهو :

الحب أملك للفؤاد بقهره * من أن يرى للستر فيه نصيب
واذا بدا سر اللبيب فانه * لم يبد الا والفتى مغلوب

وقال أبو العتاهية : ما حسدت أحدا الا العباس بن الأحنف في قوله :

اذا امتنع القريب فلم تنله * على قرب فذاك هو البعيد

وقال الكندي : العباس بن الأحنف مليح ظريف حكيم جزل في شعره ، وكان قليلا ما يرضيني الشعر ، فكان ينشد له كثيرا :

ألا تعجبون كما أعجب * حبيب يسيء ولا يعتب
وأبغي رضاه على سخطه * فيأبى على ويستصعب
فياليت حظي اذا ما أسا * ت أنك ترضى ولا تغضب

وكان ابراهيم الموصلي مشغوفا بشعر العباس فيغني في كثير من شـعره ، فمما غنى فيه :

وقد ملئت ماء الشـباب كأنها * قضيب من الريحان ريان أخضر
هم كتموني سيرهم حين أزمعوا * وقالوا اتعـدنا للرواح وبكروا

ومنـه :

تمنى رجـال ما أحبوا وانما * تمنيت أن أشـكو اليك وتسـمعا
أرى كل معشـوقين غيري وغيرهـا * قد اسـتعذبا طول الهوى وتمتعا

ومنـه :

بكـت عينـي لأنـواع * مـن الحزن وأوجـاع
وانـي كـل يـوم عنـ * ـدكم يحظى بي السـاعي
أعيش الدهـر ان عشت * بقلـب منـك مرتـاع
وان حـل بـي البعـد * سـينعاني لك النـاعي

وقال الواثق لجلسائه : أريد أن أصنع لحنا في شعر معناه أن الانسان كائنا من كان لايقدر على الاحتراس من عدوه ، فهل تعرفون في هذا شيئا ؟ فأنشدوه ضروبا من الأشعار ، فقال : ما جئتم بشيء مثل قول العباس بن الأحنف :

قلبي الى ما ضرني داعي * يكثر أسـقامي وأوجـاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عـدوي بين أضـلاعي
أسلمني للحـب أشـياعي * لما سعى بي عندها الساعي
لقلما أبقى على كل ذا * يوشك أن ينعاني الناعي

ومما غنى فيه من شعره :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا

وقال ابراهيم بن العباس : ما رأيت كلاما محدثا أجزل في رقة ، ولا أصعب في سهولة ، ولا أبلغ في ايجاز ، من قول العباس بن الأحنف :

تعالي نجدد دارس العهد بيننا * كلانا على طول الجفاء ملوم

وأنشد ابراهيم بن العباس للأحنف :

ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بعصياني ولو قال لى * لا تشرب البارد لم أشرب
اليك أشكو رب ما حل بى * من صد هذا المذنب المغضب

ثم قال : هذا والله الكلام الحسن المعنى ، السهل المورد ، القريب المتناول ، المليح اللفظ ، العذب المستمع ·

ومما غنى فيه من شعره :

نام من أهدى لى الأرقا * مستريحا سامنى قلقا
لو يبيت الناس كلهم * بسهادى بيض الحدقا
كان لى قلب أعيش به * فاصطلى بالحب فاحترقا
انا لم أرزق مودتكم * انما للعبد ما رزقا

وقال ابن المعتز : لو قيل : ما أحسن شيء تعرفه لقلت : شعر العباس بن الأحنف:

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالحب غيركم * وصادق ليس يدرى أنه صدقا

ومما تمثل به الفضل بن الربيع فى أمر كان بينه وبين احدى جواريه :

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك الا تغفر الذنب فى الهوى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

أنشد مخلد الموصلى قصيدته التى يقول فيها :

كل شيء أقوى عليه ولكن * ليس لى بالفراق منك يدان

فجعل يستحسنه ويردده ، فقال له عبد الله بن ربيعة الرقى · أنت الفداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول ــ وهو العباس بن الأحنف ــ :

سلبتني من السرور ثيابا * وكستني من الهموم ثيابا
كلما أغلقت من الوصل بابا * فتحت لى الى المنية بابا
عذبيني بكل شيء سوى الصد فما ذقت كالصدود عذابا

قال الرياشي ــ وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف ــ : والله لو لم يقل من الشعر الا هذين البيتين لكفيا :

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت * تضيء للناس وهي تحترق

ألف الرشيد العباس بن الأحنف ، فلما خرج الى خراسان طال مقامه بها ، ثم خرج الى أرمينية والعباس معه ، فاشتاق الى بغداد ، فعارضه في طريقه ، فأنشده :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا
ما أقدر الله أن يدني على شحط * سكان دجلة من سكان جيحانا
مضى الذي كنت أرجوه وآمله * أما الذي كنت أخشاه فقد كانا
عين الزمان أصابتنا فلا نظرت * وعذبت بصنوف الهجر ألوانا

فقال له الرشيد : قد اشتقت يا عباس ، وأذنت لك خاصة ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

وقال مصعب الزبيري : العباس بن الأحنف وعمر بن أبي ربيعة ما ابتذلا شعرهما في رغبة ولا رهبة ، ولكن فيما أحباه ، فلزما فنا واحداً لو لزمه غيرهما ممن يكثر اكثارهما لضعف فيه .

١٤ ــ ابن مناذر (١)

كان ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ، ويميل اليه ويقدمه ، وقد مدح آل برمك وغيرهم . ولما نكبت البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل بن الربيع أصبح شعراء البرامكة في خطر ، فأراد ابن مناذر أن يتقرب الى الرشيد طلبا للرزق ، فاغتنم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة ، فلاح البشر في وجه الرشيد ، فقال الفضل بن الربيع للرشيد : هذا شاعر البرامكة ! فعبس الرشيد ، فقال الفضل : مره أن ينشدك قوله فيهم : أتانا بنو الأملاك من آل برمك . فأمره ، فاعتذر ، فألح عليه ، فأنشده هذه القصيدة التي يطري بها البرامكة :

---

(١) هو محمد بن مناذر ، مولى لبني يربوع ، ويكنى أبا جعفر ، شاعر فصيح ، مقدم في العلم باللغة وامام فيها ، حتى اخذ عنه أكابر أهلها . وكان في اول أمره يتعبد ثم عدل عن ذلك ، فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفي عنها الى الحجاز ، فمات هناك سنة ١٩٨ هـ . وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٧ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٥٢) .

أتانا بنو الأملاك من آل برمك * فياطيب أخبار ويا حسن منظر
اذا وردوا بطحــاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجى * بمكة ما حجــوا ثلاثة أقمــر
فما صلحت الا لجود أكفهــم * وأرجلهــم الا لأعــواد منبر
اذا راض يحيى الأمر ذلت صعابه * وحسبك مــن راع له ومدبـر
ترى الناس اجــلالا له وكأنهم * غرانيق(١) ماء تحت باز مصرصر (٢)

ولما فرغ منها اتبع ذلك قوله : « كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين لما مدحتهم » فأمر الرشيد أن يلطم ، فلطموه ، وأمر أن يسحب ، فسحبوه وخرج لا يلوى على شيء ، فلقيه أبو نواس فدفع اليه صرة فيها ثلثمائة دينار ، وقال له : استعن بهذه واعذرنى • ولم يعد ابن مناذر يرى خيرا بعد البرامكة •

قال الحسن بن على كنا عند باب ســفيان بن عيينــة وقد هرب منـا وعنده الحسن بن على التختاخ ورجل من أصــحاب الرشيد ، فخلا بهم وليس يأذن لنــا ، فجاء ابن مناذر فقرب من الباب ثم رفع صوته فقال :

بعمرو وبالزهرى والســلف الألى * بهم ثبتت رجــلاك عند المقادم
جعلت طوال الدهـر يوما لصالح * ويوما لصــباح ويــوما لحاتم
وللحسن التختاخ يوما ودونهم * خصصت حسينا دون أهل المواسم
نظرت وطال الفكر فيك فلم أجد * رحــاك جرت الا لأخـذ الدراهم

فخرج سفيان وفي يده عصا وصـــاح : خذوا الفاســق ، فهرب ابن مناذر منه وأذن لنا فدخلنا •

كان الرشيد قد وصل ابن مناذر مرات صــلات سنية ، فلما مات الرشــيد رثاه بقوله :

مــن كان يبكى للعــلا * ملــكا وللهمم الشريفــة
فليبــك هــارون الخليـ * ـفة المخليفــة المخليفــة

---

(١) الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائى أسود وقيل أبيض يشبه الكركى •
(٢) مصرصر : صائح بشدة •

قال علي بن محمد النوفلي : رأيت ابن مناذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة وهو قد كف بصره تقوده جويرية حسرة وهو واقف يشتري ماء قربة ، فرأيته وسخ الثوب والبدن ، فلما صرنا الى البصرة أتتنا وفاته في تلك الأيام ٠

كان يحيى بن زياد يرمي بالزندقة ، وكان من أظرف الناس وأنظفهم ، فكان يقال : أظرف من الزنديق ، وكان الحارثي ، واسمه محمد بن زياد ، يظهر الزندقة تظارفا ، فقال فيه ابن مناذر :

يا ابن زياد يا أبا جعفر * أظهرت دينا غير ما تخفي
مزندق الظاهر باللفظ في * باطن اسلام فتى عف
لست بزندق ولكنما * أردت أن توسم بالظرف

ومن قوله يرثي سفيان بن عيينة :

يجني من الحكمة نوارها * ما تشتهي الأنفس ألوانا
يا واحد الأمة في علمه * لقيت من ذي العرش غفرانا
راحوا بسفيان على نعشه * والعلم مكسوين أكفانا
ان الذي غودر بالمنحني * هد من الاسلام أركانا
لايبعدنك الله من ميت * ورثتنا علما وأحزانا

خطب أبو أمية امرأة من ثقيف فردت عنها ، وتصدى للقاضي أن يضمنه مالا من أموال اليتامى فلم يجبه الى ذلك ولم يثق به ، فقال فيه ابن مناذر :

أبا أمية لا تغضب علي فما * جزاء ما كان فيما بيننا الغضب
ان كان ردك قوم عن فتاتهم * ففي كثير من الخطاب قد رغبوا
قالوا عليك ديون ما تقوم بها * في كل عام بها تستحدث الكتب
وقد تقحم من خمسين غايتها * مع أنه ذو عيال بعد ما انشعبوا
وفي التي فعل القاضي فلا تجدن * فليس في تلك لي ذنب ولا ذنب
أردت أموال أيتام تضمنها * وما يضمن الا من له نشب

قال له جعفر بن يحيى قل في وفي الرشيد شعرا تصف فيه الألفة بيننا ، فقال :

قد تقطع الرحم القريب وتكفر النـ * ـعمى ولا كتقارب القلبين
يدني الهوى هذا ويدني ذا الهوى * فاذا هما نفس ترى نفسين

١٥ ـ صالح بن عبد القدوس (١)

كان متهما بالزندقة ، فبلغ الى المهدى خبر زندقته ، فبعث اليه يستقدمه من دمشق ، وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن فى السن ، فلما جاء بغداد ومثل بين يدى المهدى قال له المهدى : ألست القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه ✻ حتى يوارى فى ثرى رمسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين ! قال : وأنت لا تترك أخلاقك حتى تموت ، فأمر به ، فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ • وأكثر شعره فى الحكم الفلسفية •

من أحاسن أقواله القصيدة التى منها ذلك البيت ، وهو يقول فيها :

لا يبلغ الأعداء من جاهل ✻ ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه ✻ حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله ✻ كذى الضنا عاد الى نكسه
وان من أدبته فى الصبا ✻ كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا ✻ بعد الذى أبصرت من يبسه

وقوله :

لا يعجبنك من يصون ثيابه ✻ حذر الغبار وعرضه مبذول
ولربما افتقر الفتى فرأيته ✻ دنس الثياب وعرضه مغسول

وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ، ومن ذلك قوله :

---

(١) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، من حكماء الشعراء ، متهم بالزندقة ، قوى الحجة ، له منزلة سامية عند أهل مذهبه • نشأ فى البصرة ، وكان يقص على الناس ويعظهم • توفى سنة ١٦٧ هـ • وتجد أكثر اخباره فى فوات الوفيات (ج ١ ص ١٩١) والدميرى (ج ١ ص ٢٦) •

أنست بوحدتي ولزمت بيتي * فتم العز لى ونما السرور
وأدبني الزمان فليت أني * هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بقائل ما دمت حيا * أقام الجند أم نزل الأمير

وهو القائل :

اذا لم تستطع شيئا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

وله قصيدة حكمية أخلاقية بديعة ، وهي التي يقول فيها :

المرء يجمع والزمان يفرق * ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولأن يعادي عاقلا خير له * من أن يكون له صديق أحمق
فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقا * ان الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام اذا نطقت فانما * يبدي عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت أخلاقهم * من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل واد قلبه * فيرى ويعرف ما يقول فينطق
لا ألفينك ثاويا في غربة * ان الغريب بكل سهم يرشق

وله منها :

ما الناس الا عاملان فعامل * قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم * ألفيت أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم * هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا * ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذي تبع العروس مبهتا * ورأيت من تبع الجنازة ينطق
بقي الذين اذا يقولوا يكذبوا * ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا ..

وله من قصيدته المعروفة بالزينبية :

وابدأ عدوك بالتحية ولتكن * منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما * فالليث يبدو نابه اذ يغضب

ان العـدو وان تقـادم عهـده * فالحقد باق في الصـدور مغيب
واذا الصديق لقيتـه متملقـا * فهو العـدو وحقـه يتجنب
لا خـير في ود امـرئ متملـق * حلو اللسـان وقلبـه يتلهب
يلقـاك يحلف أنه بك واثـق * واذا توارى عنك فهو العقـرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كمـا يروغ الثعلب
وصل الكرام وان رموك بجفوة * فالصفح عنهـم والتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخـرا * ان القرين الى المقـارن ينسـب
ان الغنى من الرجـال مكرم * وتـراه يرجـى ما لديه ويرهب
ويبش بالترحيب عنـد قدومه * ويقـام عند سـلامه ويقـرب
والفقر شـين الرجـال فانه * حقـا يهون به الشريف الأنسب
واخفض جناحك للأقارب كلهـم * بتذلل واسـمح لهم ان اذنبـوا
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا * ان الكذوب يشين حـرا يصحب
وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن * ثرثـارة في كل نـاد تخطـب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه * فالمرء يسـلم باللسـان ويعطب
والسر فاكتمـه ولا تنطق به * ان الزجاجـة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطـوه * نشرته ألسـنة تزيد وتـكذب
لا تحرصـن فالحرص ليس بزائد * في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
وارع الأمانة والخيـانة فاجتنـب * واعـدل ولا تظلـم يطب لك مكسب
واذا أصـابك نكبـة فاصبر لها * مـن ذا رأيت مسلمـا لا ينكب
واذا رميت مـن الزمان بريبـة * أو نالك الأمر الأشـق الأصعب
فاضرع لربـك انه ادنـى لمـن * يدعوه من حبـل الوريد وأقرب
واحذر مصاحبـة اللئيم فانه * يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا * واعلم بأن دعـاءه لا يحجـب
ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي * والنصح أغلى ما يبـاع ويوهب

١٦ ـ سعيد بن وهب (١)

كان شاعرا مطبوعا ومات فى أيام المأمون ، وأكثر شعره فى الغزل والتشبيب بالمذكر ، وكان مشغوفا بالغلمان والشراب ، ثم تنسك وتاب وحج راجلا على قدميه ومات على توبة واقلاع ومذهب جميل ، ومات وأبو العتاهية حى وكان صديقه فرثاه .

أخبر على بن سليمان الأخفش عن محمد بن مزيد قال : حدثت عن بعض أصحاب أبى العتاهية قال : جاء رجل الى أبى العتاهية ونحن عنده ، فساره فى شىء ، فبكى أبو العتاهية ، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا اسحاق فأبكاك ؟ فقال ـ وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعرا ـ :

قال لى مات سعيد بن وهب ❊ رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عينى ❊ يا أبا عثمان أوجعت قلبى

قال : فعجبنا من طبعه ، وانه يحدث فكان حديثه شعرا موزونا .

وكان سعيد بن وهب الشاعر البصرى مولى بنى سامة قد تاب وتزهد وترك قول الشعر ، وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات ، فكان اذا وجد شيئا من شعره خرقه وأحرقه ، وكان امرأ صدق ، كثير الصلاة ، يزكى فى كل سنة عن جميع ما عنده ، حتى انه ليزكى عن فضة كانت على امرأته .

وكان سعيد بن وهب يتعشق غلاما يتشطر يقال له سعيد ، فبلغه أنه توعده أن يجرحه ، فقال فيه :

من عذيرى من سمى ❊ من عذيرى من سعيد
أنا باللحم أجاه ❊ ويجانى (٢) بالحديد

ونظر سعيد بن وهب الى قوم من كتاب السلطان فى أحوال جميلة ، فأنشأ يقول :

---

(١) هو سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بنى سامة بن لؤى بن نصر ، مولده ومنشؤه بالبصرة ثم صار الى بغداد فأقام بها . وكانت صناعته ، فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه وتقدم عندهم . وتجد أخباره فى الأغانى (ج ٢١ ص ١٠٤-١٠٠) .

(٢) وجاه يوجأه وبجأه : ضربه باليد أو بالسكين . وخففت الهمزة هنا للشعر .

من كان في الدنيا له شارة ❊ فنحن من نظارة الدنيا
نرمقها من كثب حسرة ❊ كأننا لفظ بلا معنى
يعلو بها الناس وأيامنا ❊ تذهب في الأرذل والأدنى

وحدث حماد بن اسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لي صديقا ، وكان له ابن يكنى أبا الخطاب من آكيس الصبيان ، وأحسنهم وجها وادبا ، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال ، لشدة شغفه به ورقته عليه ، فمات وله عشر سنين ، فجزع عليه جزعا شديدا وانقطع عن لذاته ، فدخلت اليه يوما لأعاتبه على ذلك وأستعطفه ، فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه ، ثم انتحب حتى رحمته ، وأنشدني :

عين جودي على أبي الخطاب ❊ اذ تولى غضا بماء الشباب
لم يقارب ذنبا ولم يبلغ الحنـ ❊ ـث مزجى مطهر الأثواب
فقدته عيني اذا ما سعى أتـ ❊ ـرابه من جماعة الأتراب
ان غدا موحشا لداري فقد أصـ ❊ ـبح أنس الثرى وزين التراب
أحمد الله يا حبيبي فاني ❊ بك راج منه عظيم الثواب

ثم ناشدني ألا أذاكره بشيء مما جئت اليه ، فقمت ولم أخاطبه بحرف .

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء ، فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد ، فالتفت الى سعيد بن وهب كالمستنطق ، فقال له : أيها الوزير ، اني ما كنت استعددت لهذه الحال ، ولا تقدمت لها عندي مقدمة فأعرفها ، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما ، فرب قليل أبلغ من الكثير ، فقال سعيد :

مدح الفضل نفسه بالفعال ❊ فعلا عن مديحنا بالمقال
أمروني بمدحه قلت كلا ❊ كبر الفضل عن مديح الرجال

قال : فطرب الفضل وقال له : أحسنت والله وأجدت ، ولئن قل القول ونزر ، لقد اتسع المعنى وكثر ، ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أنشده مديحا يومئذ ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتيك ، وقام من المجلس ، وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما .

وحدث الخريمي قال : كان الفضل بن يحيى ينافس أخـاه جعفرا وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخ خاصا بجعفر ، ينادمه ويأنس به في خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل ، فدخلت يوما الى جعفر ودخل اليه سعيد بن وهب فحدثه وأنشده وتنادر له ، وحكى عن المتنادرين وأتى بكل ما يسر ويطرب ويضحك ، وجعفر ينظر اليه لايزيد على ذلك ، فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه وقلت له : من هذا الرجـل الكثير الهذيان ؟ قال : أو ما تعـرفه ؟ قلت : لا ، قـال : هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وخلصانه وعشيقه ، قلت : وأي شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيء والله الا القذر والبرد والغثاثة ، ثم دخلت بعد ذلك الى الفضل ، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث وندر وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة ، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد ، فقلت له بعد أن خرج من حضرته : من هذا المبرم ؟ قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هذا أنس بن أبي شـيخ صديق أخي الفضل وعشيقه وخاصته ، قلت : وأي شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله الا القذر والبرد وسوء الاختيار ، قال : وأنا والله أعـرف بسعيد وأنس من النـاس جميعا ، ولكني تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما •

وحدث عمرو بن بانة قال : كان في جواري رجـل من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة ظريفة يقال لها حسناء ، يدخل اليها الشعراء ويسألونها عن المعاني ، فتأتي بكل مستحسن من الجواب ، فدخل اليها سعيد بن وهب يوما وجلس اليهـا فحادثها طويلا ثم قال لها بعد ذلك :

حاجيتك يـا حسـنا ء في جنس من الشعر * وفيما طـوله شبر وقد يوفي على الشبر
له في رأسـه شق نطوف بالندى يجري * اذا ما جف لم يجر لدى بـر ولا بحـر
وان بل أتي بالعـ ـجب العاجب والسحر * أجيبي لم أرد فحشا ورب الشفع والوتـر
ولكن صغت أبيـاتا لها حظ من الزجـر

قال : فغضب مولاها وتغير لونه وقال : أتفحش على جاريتي تخاطبها بالخنى ؟ فقالت له : خفض عليك ، فما ذهب الى ما ظننت وانما يعنى القلم ، فسرى عنـه ، وضحك سعيد وقال : هي أعلم منك بما سمعت •

١٧ ـ الحسن بن وهب

حدث ميمون بن هارون : قال : كنا عند الحسن بن وهب فقال لبنان : غنيني :

أتأذنون لصب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

قال فضحكت ، ثم قالت : فأي خير فيه ان كان كذا أو أي معنى ؟ فخجل الحسن من بادرتها عليه ، وعجبنا من حدة جوابها وفطنتها ٠

وحدث محمد بن عيسى قال : جاء عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع الى الحسن بن وهب ، وعنده بنان جارية محمد بن حماد ، وهي نائمة سكرى وهو يبكي عندها ، فقال له : مالك ؟ قال : قد كنت نائما فجاءتني فأنبهتني وقالت : اجلس حتى تشرب فجلست ، فوالله ما غنت عشرة أصوات حتى نامت ، وما شربت الا قليلا ، فتذكرت قول أشعر الناس وأظرفهم العباس بن الأحنف :

أبكي الذين اذاقوني مودتهم * حتى اذا ايقظوني للهوى رقدوا

فأنا أبكي وأنشد هذا البيت ٠

وحدث محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسن بن وهب ابراهيم بن العباس فقال له : اركب وأجيئك عشيا فلا تنتظرني بالغداة ، فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكر ونام ، وجاء ابراهيم فرآه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رحنا اليك وقد راحت بك الراح * وأسرعت فيك أوتار وأقداح

وحدث أيضا محمد بن موسى قال : نظر ابراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :

عيناك قد حكتا مبيـ * ـتك كيف كنت وكيف كانا
ولرب عين قد أرتـ * ـك مبيت صاحبها عيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا وطالبه بمثلها ، فكتب اليه أربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتا • وأبيات ابراهيم :

أأبـــا علي خـير قولك ما * حصـلت أنجمـه ومختصره
ما عندنا في البيع من غبن * للمستقل بواحد عشـــره
أنا أهل ذلك غير محتشم * أرضى القديم وأقتفي أثـره
ها نحـن وفينـاك أربعـة * والأربعـون لديك منتظـــره

وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكتاب أشعر من أبي اسحاق وأبي علي (يعني عمه الحسن بن وهب) •

حدث علي بن يحيى قال : قلت لاسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكا كم كان يساوي ؟ فقال : أخبرك عن ذلك ، انصرفت ليلة من دار الواثق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب فدخلت اليه ، فاذا أحمد عنده ، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب : وكم يســـاوي أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يســـاوي عشرين ألف دينار • قال : ثم رجع فغنى صـــوتا ، فقال لي الحسن بن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها • قال : ثم تغنى صـــــوتا آخـر ، فقلت للحسن : يا أبا علي أضعفها ، ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد غنني :

لولا الحياء وأن الستر من خلقي * اذا قعدت اليك الدهر لم أقم
أليس عندكم سكر للتي جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

فغناه أحمد بن يحيى المكي فأحسن فيه كل الاحسان ، فلما قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا علي ، أضعف الجميع ، فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعكما تقولانه ولست أدري ما معناه ؟ قال نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري •

وحدث محمد بن موسى قال : كان أبو تمام يعشق غلاما خزريا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاما روميا لأبي تمام ، فرآه أبو تمـــام يوما يعبث بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقت (١) الى الروم لنركضن الى الخزر ، فقـــال له الحسن : لو شئت حكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام : أنا أشبهك بداود عليه السلام وأشبه نفسي بخصمه ، فقال الحسن : لو كان هذا منظوما خفناه ، فأما وهو منثور فلا ، لأنه عارض لا حقيقة له ، فقال أبو تمام :

---

(١) أعنقت : اسرعت •

أبـا عـلى بصرف الدهـر والغير * وبالحـوادث والأيام فاعتبر (١)
أذكرتنى أمـر داود وكنت فتى * مصرف القلـب فى الأهواء والفكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها * وأنت مضطرب الأحشـاء للقمر
ان أنت لم تترك السـير الحثيث الى * جآذر الروم أعنقنـا الى الخزر
ان القطوب له منى محـل هوى * يحل منى محل السـمع والبصر
ورب أمنع منـه جانبـا وحمى * أمسى وتكتـه منـى على خطـر
جردت فيه جنـود العزم فانكشفت * عنـه غيابتـه عن فجـرة هدر
سـبحان من سـبحته كل جارحة * ما فيك مـن طمحان العين بالنظر
أنت المقيم فما تغدو رواحـله * وفعـله أبدا منه على سـفر

وحدث وهب بن سعيد قال : جاء دعبل الى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام ، فقال له رجل فى المجلس : يا أبا على ، أنت الذى تطعن على من يقول :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد
وأنجدتم من بعـد اتهام داركم * فيـا دمع أنجدنى على سـاكنى نجد

فصاح دعبل : أحسن والله ! وجعل يردد :

* فيا دمع انجدنى على ساكنى نجد *

ثم قال : رحمه الله ، لو كان ترك لى شيئا من شعره لقلت : انه أشعر الناس ·

وحدث أحمد بن عبيد الله بن ناصح قال : قلت لدعبل وقد عرض على قصيدة له يمدح بها الحسن بن وهب أولها :

* أعاذلتى ليس الهوى من هوانيا *

فقلت له : ويحك أتقول فيه هذا بعد قولك :

أين محـل الحى يـا حادى * خبر سـقاك الرائح الغادى

---

(١) وردت هذه الابيـات فى الأغانى وفيها بعض ألفاظ تخل بالاداب ، فاثبتناها كما وردت فى ديوان أبى تمام ·

وبعد قولك :

قالت سلامة أين المال قلت لها * المال ويحك لاقى الحمد فاصطحبا

وبعد قولك :

فعلى أيماننا يجرى الندى * وعلى أسيافنا تجرى المهج

والله انى أراك لو أنشدته اياها لأمر لك بصفع ، فقال : صدقت والله ، ولقد نبهتني وحذرتني ، ثم مزقها •

وحدث محمد بن موسى قال : أنشدني الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتا يرثي بها سكرانه أم ابنه عمر ، وجعل الحسن يتعجب من جودتها ويقول :

يقول لى الخلان لو زرت قبرها * فقلت هل غير الفؤاد لها قبر

على حين لم أحدث فأجهل قدرها * ولم أبلغ السن التى معها الصبر

وحدث محمد بن يزيد قال : دامت الأمطار ب « سر من رأى » ، فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير والحسن يكتب له ، فاستبطأه محمد ، فكتب اليه الحسن يقول :

أوجب العذر فى تراخي اللقاء * ما توالى من هذه الأنواء

لست أدرى ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء

غير أنى أدعو على تلك بالثكـ * ـل وأدعو لهذه بالبقاء

فسلام الاله اهديه غضا * لك منى ياسيد الوزراء

وحدث محمد بن موسى قال : اعتل الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة ، فلم يأته رسوله ، ولا تعرف خبره ، فكتب اليه الحسن قوله :

أيهذا الوزير أيدك اللـ * ـه وأبقاك لى بقاء طويلا

أجميلا تراه يا أكرم النا * س لكيما أراه أيضا جميلا

اننى قد أقمت عشرا عليلا * ما ترى مرسلا الى رسولا

ان يكن موجب التعهد فى الصـ * ـحة منا على منك طويلا

فهو أولى ياسيد الناس برا * وافتقادا لمن يكون عليلا

فلماذا تركتني عرضــة الظـ * ن من الحاسدين جيلا فجيلا
ألذنب ؟ فما علمت سوى الشكـ * ـر قرينـا لنيتي ودخيـلا
أم ملال ؟ فما علمتك للصا * حب مثـلى على ألزمان ملولا
قد أتى الله بالشفاء فما أعـ * ـرف مما أنكرت الا قليـلا
وأكلت الدراج وهو غذاء * أفلـت علتي عليـه أفولا
بعد ما كنت قد جهلت من العـ * لة عبئـا على الطبـاع ثقيـلا
ولعـلى قد ظننت قبلك آتيـ * ـك غدا ان وجدت فيه سبيلا

فأجابه محمد بن عبد الملك :

دفـع الله عنك نائبـة الدهـ * ـر وحاشاك أن تكون عليلا
اشـهد الله ما علمت وما ذا * ك من العذر جائزا مقبـولا
ولعمـرى ان لو علمت فلازمـ * ـتك حـولا لكان عندى قليلا
انني أرتجي وان لم يكن ما * كان ممـا نقمت الا جليـلا
أن أكون الذى اذا أضمر الاخـ * ـلاص لم يتلمس عليه كفيلا
ثم لا يبـذل المـودة حتى * يجعـل الجهد دونهـا مبذولا
فاذا قال كان ما قال اذ كا * ن بعيدا من طبعـه أن يقولا
فاجعلن لى الى التعلق بالعذ * ر سـبيلا ان لم أجد لى سـبيلا
فقديما ما جاد بالصفح والعفـ * ـو وما سامح الخليل الخليلا

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه :

قالوا جفـاك فلا عهد ولا خبر * ماذا تراه دهـاه قلت أيلول
شهر تجذ حبال الوصل فيه فما * عقد من الوصل الا وهو محلول

وكان محمد قد ندبه لأن يخرج فى أمر مهم فأجابه الحسن فقال :

اني بحول امرىء أعليت رتبته * فحظه منـك تعظيم وتبجيـل
وأنت عدته في نيـل همتـه * وأنت في كل ما يهواه مأمول
ما غالنى عنك أيلول بلذته * وطيبـه ولنعم الشهر أيـلول
الليل لا قصر فيه ولا طول * والجو صاف وظهر الكأس مرحول

والعود مستنطق عن كل معجبة * يضحى بها كل قلب وهو متبول
لكن توقع وشك البين عن بلد * تحله فوكاء العين محلول
ما لى اذا شمرت بى عنك مبتكرا * دهم البغال أو الهوج المراسيل
الا رعاياتك اللاتى يعود بها * حد الحوادث عنى وهو مفلول

وكان الحسن بن وهب يساير محمدا على مسناة (١) ، فعدل عن المسناة لئلا يضيق لمحمد الطريق ، فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسناة ، فعدل عنها ولم يساعده على طريقه ، وظن بنفسه أن يصيبها ما يصيبه ، فقال له محمد :

قد رأيناك اذ تركت المسنا * ة وحاذيتنى يسار الطريق
ولعمر ما ذاك منك وقد جد * بك الجد من فعال الشفيق

فقال له الحسن :

ان يكن خوفى الحتوف أرانى * أن ترانى مشبها بالعقوق
فلقد جارت الظنون على المشـ * ـفق والظن مولع بالشفيق
عذر السيد الأجل وقد سا * ر على الخوف من يمين الطريق
فأخذت الشمال بقيا على السـ * ـيد اذ هالنى سلوك المضيق
ان عندى مودة لك حازت * ما حوى عاشق من المعشوق
طود عز خصصت منه ببر * صار قدرى به مع العيوق
بنفسى واخوتى وأبى البـ * ـر وعمى وأسرتى صديقى
من اذا ما روعت أمن روعى * واذا ما شرقت سوغ ريقى

وحدث المبرد قال : استسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك ببلد الروم وهو المعتصم ، فسقاه وكتب اليه :

لم تلق مثلى صاحبا * أندى يدا وأعم جودا
يسقى النديم بقفزة * لم يسق فيها الماء عودا

---

(١) المسناة : ما يبنى فى وجه السيل .

صـــــفراء صـــافية كـــان بكاسهـــا دررا نضـــيدا

وأجود حين أجود لا * حصرا بذاك ولا بليدا
واذا استقل بشكرها * أوجبت بالشكر المزيدا
خذها اليـك كأنمـا * كسيت زجاجتها عقودا
واجعل عليك بأن تقو * م بشكرها أبدا عهودا

ومن جيد شعره قوله :

بأبي كرهت النار لما أوقدت * فعرفت ما معناك في ابعادها
هي ضرة لك بالتماع ضيائها * وبحسن صورتها لدى ايقادها
وأرى صنيعك بالقلوب صنيعهـا * بسيالهـــا وأراكها وعـرادها
شركتك في كل الأمور بحسنها * وضيائها وصلاحهـــا وفسادها

ومات الحسن بن وهب فرثاه أخوه سليمان بن وهب :

مضى مذ مضى عز المعالي وأصبحت * لآلى الحجا والقول ليس لها نظم
وأضحى نجي الفكر بعد فراقه * اذا هم بالافصاح منطقه كظم

وكتب الحسن بن وهب يشكر :

من شكرك على درجة رفعته اليها ، أو ثروة أقدرته عليها ، فان شكرى لك على مهجة أحييتها ، وحشاشـة أبقيتهـا ، ورمق أمسكت به ، وقمت بين التلف وبينـه ، فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي اليه ، ومدى يوقف عنده ، وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي فاقت الوصف ، وأطالت الشكر وتجاوزت قدره ، وأنت من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، فنحن نلجأ منك الى ظل ظليل ، وكنف كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهده المجتهد ، ـ.

١٨ ــ أشجع السلمي (١)

كان متصلا بالبرامكة وله فيهم أشعار كثيرة ، منها قوله في يحيى بن خالد وكان قد غاب :

قد غاب يحيى فما أرى أحدا * يأنس الا بذكـــره الحسن
أوحشت الأرض حين فارقها * من الأيادي العظـــام والمنن
لولا رجاء الأيـاب لانصدعت * قلوبنـا بعـده مـن الحزن

وقال فيه أيضا :

رأيت بغـاة الخـير في كل وجهـة * لغيبـة يحيى مستكينين خضعا
فان يمس من في الرقتين مؤملا * لأوبة يحيى نحـوها متطلعـا
فما وجه يحيى وحده غاب عنهم * ولكن يحيى غاب بالخير اجمعـا

وقال فيه أيضا :

اذا غـاب يحيى عن بـــلاد تغيرت * وتشرق ان يحتلهــا فتطيب
وان فعال الخير في كل بلدة * اذا لم يكن يحيى بها لغريب

وقال فيه حين اعتل :

لقد قرعت شـكاة أبي علي * قلوب معاشر كانت صحـاحا
فان يدفع لنا الرحمن عنه * صروف الدهر والأجل المتاحا

---

(١) هو أشجع بن عمرو من ولد الشريد بن مطرود السلمي ، وكان يكنى أبا الوليد ، شاعر اسلامي عباسي ، نشأ بالبصرة ، وقال الشعر وأجاد فيه حتى عد من الفحول ، وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر ، فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس ٠ وانقطع الى البرامكة ومدحهم واختص بجعفر فأصفاه مدحه ، فأعجب به جعفر ووصله الى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضا وأمده بالمال فأثرى وحسنت حاله في أيامه ، وتقدم عنده ، وله فيه المدائح المختارة ، والقصائد السائرة ٠ وتجد أشعاره وأخباره في الأغاني (ج ١٧ ص ٣٠) والشعر والشعراء (ص ٥٦٢) ٠

فقد أمسى صلاح أبي علي * لأهل الأرض كلهم صلاحا
اذا ما الموت أخطأه فلسنا * نبالي الموت حيث غدا وراحا

وهو القائل :

ليس للحاجات الا * من له وجه وقاح
ولسان طرمذار (١) * وغدو ورواح
ان أكن أبطأت الحا * جة عني فالنجاح
فعلي الجهد فيها * وعلى الله النجاح

ويستجاد له في مدح الرشيد :

وصلت يداك السيف يوم تقطعت * أيدي الرجال وزلت الأقدام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الأحلام

ويستجاد له أيضا قوله :

غدا يتفرق أهل الهوى * ويكثر باك ومسترجع
وتختلف الأرض بالظاعنين * وجوها تشذ (٢) ولا تجمع
وتفنى الطلول ويبقى الهوى * ويصنع ذو الشوق ما يصنع
وأنت تبكي وهم جيرة * فكيف يكون اذا ودعوا
أتطمع في العيش بعد الفراق * فبئس لعمرك ما تطمع

وفيها يقول في جعفر بن يحيى :

بديهته مثل تدبيره * متى هجته فهو مستجمع
اذا هم بالأمر لم يثنه * هجوع ولا شادن أفرع
ففي كفه للغنى مطلب * وللسر في صدره موضع

---

(١) الطرمذار : المتكثر بما لا يفعل .

(٢) تفرق .

وكم قائل اذ رأى بهجتى * وما فى فضول الغنى أصنع
غدا فى ظلال ندى جعفر * يجر ثياب الغنى أشجع
وما خلفه لامرىء مطمع * ولا دونه لامرىء مقنع

وهو القائل فى محمد بن منصور بن زياد يرثيه :

أنعى فتى الجود الى الجود * ما مثل من أنعى بموجود
أنعى فتى أصبح معروفه * منتشرا فى البيض والسود
أنعى فتى مص الثرى بعده * بقية الماء من العود
قد ثلم الدهر به ثلمة * جانبها ليس بمسدود
أنعى فتى كان ومعروفه * يملأ ما بين ذرى البيد
فأصبحا بعد تساميهما * قد جمعا فى بطن ملحود
ألآن نخشى عثرات الندى * وعدوة البخل على الجود

ويستجاد له قوله فى ابراهيم بن عثمان بن نهيك وكان صاحب شرط الرشيد وكان جبارا عبوسا :

فى سيف ابراهيم خوف واقع * بذوى النفاق وفيه أمن المسلم
ويبيت يكلأ والعيون هواجع * مال المضيع ومهجة المستسلم
جعل الخطام بأنف كل مخالف * حتى استقام له الذى لم يخطم
لا يصلح السلطان الا شدة * تغشى البرى بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحم لا يتقى * والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها * بالأمر تكرهه وان لم تعلم

وقال لأخيه :

أبت غفلات قلبك أن تروحا * وكأس لا تزايلها صبوحا
كأنك لا ترى حسنا جميلا * بعينك يا أخى الا قبيحا

ويستجاد له قوله فى الرشيد :

لا زلت تنشر أعيادا وتطويها * تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلا جدة الدنيا وبهجتها * أيامها لك نظم فى لياليها

العيد والعيد والأيـام بينهما * موصولة لك لا تفنى وتفنيهـا
وليهنك النصر والأيـام مقبلة * اليك بالفتح معقودا نواصيها

ويستجاد له قوله يمدح اسماعيل بن صبيح :

له نظر لا يغمض الأمر دونه * تكاد ستور الغيب عنه تمزق

وهو القـــائل :

وما تـــرك المداح فيك مقالة * ولا قال الا دون ما فيك قائل

وقال أيضــــا :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق * ولا مغـــرب الا له فيـــه مادح
وما كنت أدرى ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح (١)
فأصبح فى لحد مـــن الأرض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح(٢)
سأبكيك ما فاضت دموعى فان تغض * فحسبك منى ما تجـن الجوانـح (٣)
فما أنا من رزء وان جـــل جـازع * ولا بسرور بعـد موتـــك فارح
كأن لم يمت حى سواك ولم يقم * على أحـد الا عليـك النـوائح
لئن حسنت فيـــك المراثى وذكرهـا * لقد حسنت من قبـل فيك المدائـح

---

(١) الصفائح : احجار عراض تغطى بها القبور .
(٢) الصحاصح : جمع صحصح : وهى الأرض الجرداء المستوية الواسعة ذات حصى صغار .
(٣) الجوانح : الضلوع .

١٩ ـ علي بن الجهم (١)

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع ، فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل · فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد كتب بها الى المتوكل ، فأطلقه بعد سنة ثم نفاه بعد ذلك الى خراسان · فقال أول ما حبس قصيدة كتب بها الى أخيه ، أولها قوله :

توكلنا على رب السماء * وسلمنا لأسباب القضاء
ووطنا على غير الليالي * نفوسا سامحت بعد الاباء
وأفنية الملوك محجبات * وباب الله مبذول الفناء
هي الأيام تكلمنا وتأسو * وتأتي بالسعادة والشقاء
وما يجدي الثراء على غني * اذا ما كان محظور العطاء
حلبنا الدهر أشطره ومرت * بنا عقب الشدائد والرخاء
وجربنا وجرب أولونا * فلا شيء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياء لمس ضر * وبعض الضر يذهب بالحياء
ولم نحزن على دنيا تولت * ولم نسبق الى حسن العزاء
توق الناس يابن أبي وأمي * فهم تبع المخافة والرجاء
ولا يغررك من وغد اخاء * لأمر ما غدا حسن الاخاء
ألم تر مظهرين على عتبا * وهم بالأمس اخوان الصفاء

---

(١) هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع ، وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية اليه بندمائه فكان اذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه ويثلبونه ، فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه الى خراسان بعد أن حبسه مدة · وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان ابن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب ولمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب رضوى * امام ، خاب ذلك من امام
امام من له عشرون ألفا * من الأتراك مشرعة السهام

وله أقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ، توفي سنة ٢٤٩ هـ · وتجد أخباره في الأغاني (ج ٩ ص ١٠٤) وابن خلكان (ج ١ ص ٤٩٧) ·

فلما أن بليت غدوا وراحوا ❊ على أشد أسباب البلاء
أبت أخطارهم أن ينصروني ❊ بمال أو بجاه أو ثراء
وخافوا أن يقال لهم خذلتم ❊ صديقا فادعوا قدم الجفاء
تظافرت الروافض والنصارى ❊ وأهل الاعتزال على هجائي
وعابوني وما ذنبي اليهم ❊ سوى علمي بأولاد الزناء
فبختيشوع يشهد لابن عمرو ❊ وعزون لهارون المرائي
وما الجلماء بنت أبي سمير ❊ بجلماء اللسان على الخناء
اذا ما عد مثلكم رجالا ❊ فما فضل الرجال على النساء
عليكم لعنة الله ابتداء ❊ وعودا في الصباح وفي المساء
اذا سميتم للناس قالوا ❊ أولئك شر من تحت السماء
أنا المتوكلي هوى ورأيا ❊ وما بالواثقية من خفاء
وما حبس الخليفة لي بعار ❊ وليس بمؤيسي منه التنائي

كان سبب حبس المتوكل على بن الجهم أن جماعة من الجلساء سعوا به اليه وقالوا له : انه يخمش الخدم ويغمزهم ، وإنه كثير الطعن عليك والعيب لك والازراء على أخلاقك ، ولم يزالوا به يوغرون صدره عليه حتى حبسه ، ثم أبلغوه عنه أنه هجاه ، فنفاه الى خراسان وكتب بأن يصلب اذا وردها يوما الى الليل ، فلما وصل الى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أخرج فصلب يوما الى الليل مجردا ثم أنزل ، فقال في ذلك :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الاثنين مسبوقا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم ❊ شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد الا رفعة بنكوله ❊ وازدادت الأعداء عنه نكولا
هل كان الا الليث فارق غيله ❊ فرأيته في محمل محمولا
لا يأمن الأعداء من شداته ❊ شدا يفصل هامهم تفصيلا
ما عابه أن بز عنه لباسه ❊ فالسيف أهول ما يرى مسلولا
ان يبتذل فالبدر لا يزرى به ❊ ان كان ليلة تمه مبذولا
أو يسلبوه المال يحزن فقده ❊ ضيفا ألم وطارقا ونزيلا
أو يحبسوه فليس يحبس سائر ❊ من شعره يدع العزيز ذليلا
ان المصائب ما تعدت دينه ❊ نعم وان صعبت عليه قليلا

والله ليس بغافل عن أمـــره * وكفى بربك ناصرا ووكيـــلا
ولتعلمن اذا القلوب تكشفت * عنها الأكنة من أضـل سبيلا

وكتب المتوكل الى طاهر بن عبد الله باطلاق على بن الجهم ، فلما أطلقه قال :

أطاهر انى عن خراسان راحل * ومستخبر عنها فما أنا قائل
أأصدق أم أكنى عن الصدق أيما * تخيرت أدته اليــك المحافل
وسارت به الركبان واصطفقت به * أكف قيـــان واجتبته القبائل
وانى بعالى الحمد والذم عالم * بما فيهما نامى الرمية ناضل
وحقا أقول الصدق انى لمائل * اليك وان لم يحظ بالود مائل
ألا حرمة ترعى ألا عقد ذمة * لجار ألا فعــل لقول مشاكل
ألا منصف ان لم نجد متفضلا * علينا ألا قاض من الناس عادل
فلا تقطعن غيظـا على أناملا * فقبلك ما عضت على الأنامل
أطاهر ان تحسن فانى محسن * اليك وان تبخل فانى باخل

فقال له طاهر : لا تقل الا خيرا ، فانى لا أفعل بك الا ما تحب ، فوصله وحمله وكســـاه .

وقال على بن الجهم للمتوكل :

عفا الله عنـــك ! الا حرمة * تجود بعفــوك أن أبعدا
لئن جل ذنب ولم أعتمد * لأنت أجـــل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طـــوره * ومولى عفا ورشـــيدا هدى
ومفســـد أمـــر تلافيتـــه * فعاد فاصلـح ما أفســـدا
أقلنى أقالـــك من لـــم يزل * يقيك ويصرف عنـك الردى

وأحسن شعر قاله فى الحبس قصيدته التى أولها :

قالوا حبست فقلت ليس بضـائرى * حبسى وأى مهنـــد لا يغمـــد
او ما رأيت الليث يألف غيـــله * كبرا وأوباش الســـباع تـــردد
والشمس لولا أنهـــا محجـــوبة * عن ناظريك لما أضـــاء الفرقد

والبـــدر يدركه السرار فتنجلي * أيامـــه وكـــأنه متجـــدد
والغيث يحصره الغمام فما يرى * الا وريقـــه يراع ويرعـــد
والزاعبيـــة لا يقيـــم كعـــوبها * الا الثقـــاف وجـــذوة تتوقد
والنـــار فى أحجارها مخبـــوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الأزند
والحبس ما لم تغشـــه لدنية * شـــنعاء نعـــم المنزل المتـــودد
بيت يجـــدد للـــكريم كرامـــة * ويزار فيه ولا يزور ويحمـــد
لو لم يكن فى الحبس الا أنه * لا يســـتذلك بالحجـــاب الأعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجـــا ومات طبيبه والعـــود
يا أحمـــد بن أبى دواد انمـــا * تدعى لـــكل عظيمة يا أحمـــد
أبلغ أمـــير المؤمنين ودونـــه * خوض الردى ومخاوف لا تنفد
أنتم بنـــو عم النبى محمـــد * أولى بما شرع النبى محمـــد
ما كـــان من كرم فأنتـــم أهـــله * كرمت مغارســـكم وطاب المحتد
أمن الســـوية يابن عم محمد * خصـــم تقربـــه وآخر تبعـــد
ان الذين ســـعوا اليك بباطل * حســـاد نعمتك التى لا تجحد
شـــهدوا وغبنا عنهم فتحكموا * فينا ، وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك مجلس * يوما لبان لك الطريق الأقصـــد
فبأى جرم أصبحت أعراضـــنا * نهبا تقســـمها اللئيم الأوغـــد

خرج على بن الجهم الى الشام فى قافلة فخرجت عليهم الأعراب فى خساف (١) ، فهرب من كان فى القافلة من المقاتلة وثبت على بن الجهم ، فقاتلهم قتالا شديدا وثاب الناس اليه فدفعهم ولم يحظوا بشىء . فقال فى ذلك :

صبرت ومثلى صبره ليس ينكر * وليس على ترك التقحم يعـــذر
غريزة حـــر لا اختـــلاق تكلـــف * اذا خـــام (٢) فى يوم الوغى المتصبر
ولما رأيت الموت تهفو بنـــوده * وبانت علامات له ليس تنـــكر
واقبلت الأعراب من كل جانب * وثار عجاج اســـود اللون أكدر
بكل مشيح (٣) مستميت مشـــمر * يجول به طرف أقب مشـــمر

---

(١) برية بين بالس وحلب .
(٢) خام : نكص وجبن .
(٣) المشيح : المانع لما وراء ظهره . والأقب من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن .

بأرض خسـاف حين لم يـك دافـع * ولا مانع الا الصـفيح المذكر
فقلل في عيني عظيم جموعهم * عزيمة قلب فيه ما جل يصغر
بمعترك فيه المنـايا حـواسر * ونار الوغى بالمشرفيـة تسعر
فما صنت وجهي عن ظبات سيوفهم * ولا انحزت عنهم والقنا تتكسر
ولم أك في حر الكريهة محجما * اذا لم يكن في الحرب للورد مصدر
اذا ساعد الطرف الفتي وجنانه * وأسـمر خـطي وأبيض مبتر
فذاك وان كان الكريم بنفسه * اذا اصطلت الأبطال في النقع عسكر
منعتهم من أن ينالوا قـلامة * وكنت شجاهم والأسـنة تقطر
وتلك سجايانا قـديما وحادثا * بها عرف المـاضي وعز المؤخر
أبت لي قـروم أنجبتني أن أرى * وان جل خطب خاشعا اتضجر
أولئك آل الله فهر بن مالـك * بهم يجبر العظم الكسير ويكسر
هم المنكب العـالي على كل منكب * سـيوفهم تغنى وتغنى وتفقـر

كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي ، وكانوا يتقاينون ببغداد ويلزمون منزل مغن بالكرخ يقال له المفضل ، فقال فيه علي بن الجهم :

نزلنا بباب الكرخ أطيب منزل * على محسنات من قيان المفضل
فلابن سريج والغريض ومعبـد * بدائـع في أسماعنا لم تبدل
أوانس ما للضيف منهن حشـمة * ولا ربهن بالجليـل المبجـل
يسر اذا ما الضيف قل حياؤه * ويغفل عنـه وهو غير مغفـل
ويكثر من ذم الوقار وأهـله * اذا الضيف لم يانس ولم يتبذل
ولا يدفع الأيدى المريبـة غيرة * اذا نال حظا من لبوس ومأكل
ويطرق اطراق الشجاع مهابة * ليطـلق طرف النـاظر المتأمل
أشر بيد واغمز بطرف ولا تخف * رقيبـا اذا ما كنت غير مبخل
وأعرض عن المصـباح والهج بمثله * فان خمد المصـباح فادن وقبل
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت * ونم غـير مذعـور وقم غـير معجـل
لك البيت مادامت هداياك جمة * وكنت مليـا بالنبيذ المعسـل
فبادر بأيام الشـباب فانهـا * تقضي وتفني والغـواية تنجلي
ودع عنك قول النـاس أتلف ماله * فلان فأضـحى مدبرا غير مقبل

هل الدهر الا ليلة طرحت بنا * أواخرها فى يوم لهــو معجل
سقى الله باب الكرخ من متنزه * الى قصر وضـــاح فبركة زلزل
مساحب أذيال القيان ومسرح الـ * ـحسان ومثوى كل خرق معذل
لو أن امرأ القيس بن حجر يحلهـــا * لأقصر عن ذكر الدخول وحومل
اذا لرأى أن يمنــح الود شـــادنا * مقصر أذيال القنا غير مســـبل
اذا الليــل أدنى مضجعى منه لم أقل * « عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل »

دخل على بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر فى غداة من غدوات الربيع وفى السماء غيم رقيق ، والمطر يجيء قليلا ويسكن قليلا ، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح فغاضبته حظية له ، فتنغص عليه عزمه وفتر ، فخبر على بن الجهم بالخبر وقيل له : قل فى هذا المعنى لعله ينشط للصبوح ، فدخل عليه فأنشده :

أما ترى اليوم ما احلى شمائله * صــحو وغيم وابراق وارعـــاد
كأنه أنت يا من لا شـــبيه له * وصل وهجر وتغريب وابعــاد
فباكر الراح واشربهـــا معتقـــة * لم يدخر مثلها كسرى ولا عـــاد
واشرب على الروض اذ لاحت زخارفه * زهـــر ونـــور وأوراق واوراد
كأنما يومنا فعل الحبيب بنـــا * بذل وبخل وايعـــاد وميعـــاد
وليس يذهب عنى كل فعلكم * غى ورشــد واصلاح وافســـاد

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار وحمله وخلع عليه .

لما أطلق عبد الله بن طاهر على بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدة ، فخرجوا يوما الى الصيد . واتفق لهم مرج كثير الطير والوحش وكانت أيام الزعفران ، فاصطادوا صيدا كثيرا حسنا ، وأقاموا يشربون على الزعفران ، فقال على بن الجهم يصف ذلك :

وطئنا رياض الزعفران وأمسكت * علينا البزاة البيض حمر الدرارج (١)
ولم تحمها الأدغال منا وانمـــا * أبحنا حماها بالكلاب البـــوارج
بمســـتروحات ســـابحات بطونها * على الأرض أمثال السهام الزوالج (٢)

---

(١) واحده دراج (بضم الدال وتشديد الراء) وهو طائر على خلقة القطا الا أنه ألطف .
(٢) الزالج من السهام : الذى يمشى على وجه الأرض ثم يمضى .

ومستشرفات بالهــوادى كأنهــا ❊ وما عقفت منها رؤوس الصوالج
ومن دائعــات الســنا فكأنها ❊ نحى من رجال خاضعين كواسج
فلينا بها الغيطان فليا كأنهــا ❊ أنامل احدى الغانيــات الحوالج
فقل لبغاة الصيد، هل من مفاخر ❊ بصيد وهل من واصف أو مخارج
قرنا بزاة بالصــقور وحــومت ❊ شواهيننا من بعد صيد الروامج (١)

لما فلج ابن أبى دواد شمت به على بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه :

لم يبق منك سوى خيالك لامعا ❊ فوق الفراش ممهدا بوساد
فرحت بمصرعك البرية كلها ❊ من كان منهم موقنــا بمعــاد
كم مجلس لله قد عطلتــه ❊ كى لا يحــدث فيه بالاســناد
ولكم مصابيح لنا أطفأتها ❊ حتى نزول عن الطريق الهادى
ولكم كريمة معشر أرملتها ❊ ومحدث أوثقت فى الأقيــاد
وغدا لمصرعك الطبيب فلم يجد ❊ شيئا لدائك حيــلة المرتاد
فذق الهوان معجــلا ومؤجــلا ❊ والله رب العرش بالمرصاد
لازال فالجك الذى بك دائبــا ❊ وفجعت قبل الموت بالأولاد

ومن جيد شــعره قوله :

نطق الهوى بجوى هو الحق ❊ وملكتنى فليهنــك الرق
رفقا بقلبى يا معــذبه ❊ رفقــا وليس لظــالم رفق
واذا رأيتــك لا تكلمنى ❊ ضاقت على الأرض والأفق

وله أيضــا :

يا رحمــة للغريب بالبلد النـا ❊ زح ماذا بنفســه صــنعا
فارق أحبابه فمــا انتفعوا ❊ بالعيش من بعده وما انتفعا

(١) الرامج : الملواح الذى يصاد به الصقور ونحوها من جوارح الطير .

٢٠ ـ علي بن جبلة (١)

قال المأمون يوما لبعض جلسائه : أقسم على من حضر ومن يحفظ قصيدة على ابن جبلة الأعمى فى القاسم بن عيسى الا أنشدنيها ، فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ولابد من ابرار قسمه ، وما أحفظها ولكنها مكتوبة عندى ، قال : ثم فجئنى بها ، فمضى وأتاه بها وأنشده اياها ، وهى :

ذاد رد الغي عن صدره * وارعوى واللهو من وطره
وأبت الا البكاء له * ضحكات الشيب في شعره
ندمي أن الشباب مضى * لم أبلغه مدى أشره
وانقضت أيامه سلما * لم أجد حولا على غيره
حسرت عني بشاشته * وذوى المحمود من ثمره
ودم أهدرت من رشأ * لم يرد عقلا على هدره
فأتت دون الصبا هنة * قلبت فوقي على وتره
جارتا ليس الشباب لمن * راح محنيا على كبره
ذهبت أشياء كنت لها * صارها (٢) حلمي الى صوره
دع جدا قحطان أو مضر * في يمانيه وفي مضره
وامتدح من وائل رجلا * عصر الآفاق في عصره

---

(١) هو علي بن جبلة الأنبارى والعكوك لقبه ، وهو من الموالي أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد ، ولد فى الحربية منها ونشأ فيها ، وكان ضريرا منذ ولادته مثل بشار بن برد ، وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، وقد استنفد شعره في مدح ابى دلف العجلي وأبى غانم حميد بن عبد الحميد الطوسى ، وزاد فى تفضيلهما وتفضيل أبى دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر ، فاستاء المأمون من ذلك وبلغه أبيات قالها العكوك فى أبى دلف منها :

كل من في الأرض من عرب * بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة * يكتسيها يوم مفتخره

توفى سنة ٢١٣ هـ . وتجد أكثر أخباره فى الأغانى (ج ١٨ ص ١٠٠) وابن خلكان طبع بولاق (ج ١ ص ٤٩٥) والشعر والشعراء (ص ٥٥٠) .

(٢) صارها : أمالها .

المنـــايا فى مناقبــــه * والعطـايا فى ذرا حجــره
ملــك تنـــدى أناملـــه * كانبـــلاج النوء عن مطره
مســـتهل عن مواهبــــه * كابتسام الروض عن زهره
جبـــل عـــزت مناكبـــه * أمنت عـــدنان فى ثغـــره
انمـــا الدنيـــا أبو دلف * بـــين مبـــداه ومحتضره
فـــاذا ولى أبـــو دلـــف * ولت الدنيـــا على أثـــره
لست أدرى ما أقـــول له * غير أن الأرض فى خفـــره
يادواء الأرض ان فســـدت * ومديـــل اليسر من عسره
كل من فى الأرض من عـرب * بـــين باديـــه الى حضره
مســـتعير منـــك مكرمـــة * يكتســـيها يـــوم مفتخره

وفيهـــا يقـــول :

وزحـــوف فى صـــواهله * كصـــيام الحشر فى أثره
قـــدته والمـــوت مكتمن * فى مذاكيـــه ومشـــتجره
فرمت حقـــويه منـــه يد * طوت المنشـــور من نظره
زرته والخيـــل عابســـة * تحمل البـــؤسى على عقره
خارجـــات تحت رايتهـــا * كخروج الطير من وكـــره
وعلى النعمـــان عجت به * عوجة ذادته عن صـــدره
غمط النعمـــان صـــفوتها * فرددت الصـــفو فى كـــدره
ولقرقـــور أدرت رحـــا * لم تكن ترتد فى فـــكره
قد تأنيت البقـــاء لـــه * فأبى المحتـــوم من قـــدره
وطـــغى حتى رفعت لـــه * خطـــة شـــنعاء من ذكره

فغضب المأمون واغتاظ ، وقال : لست لأبى ان لم أقطع لسانه أو أسفك دمه ٠

وكان يمدح حميد بن عبد الحميد ، فلما سمع حميد هذا فى أبى دلف قال : أى شىء بقيت لنا بعد هذا من مدحك ؟ فقال :

انمـــا الدنيـــا حميـــد * وأياديـــه الجســـام
فـــاذا ولى حميـــد * فعـــلى الدنيـــا السلام

وهو القائل فى حميد :

دجلة تسقى وأبو غانم * يطعم من تسقى من الناس
والناس جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين فى الراس

وقال للحسن بن سهل :

اعطيتنى يا ولى الحق مبتدئا * عطية كافأت مدحى ولم ترنى
ما شمت برقك حتى نلت ريقه * كأنما كنت بالجدوى تبادرنى

وهو القائل فى حميد :

الى أكرم قحطان * وصلنا السهب بالسهب
الى مجتمع النيل * وملقى أرحل الركب
حميد مفزع الأمـ * ـة فى الشرق وفى الغرب
كأن الناس جسم وهـ * ـو منه موضع القلب
اذا سالم أرضا غـ * ـنيت آمنة السرب
وان حاربها جلت * بها راغية السقب
اذا لاقى رعيل المو * ت بالشطبة والشطب
وبالماذية الخضر * وبالهندية القضب
غدا مجتمع القلب * له جند من الرعب
فيا فوز الذى والى * ويابؤسى أخى الذنب
أيا ذا الجود فاسلم ما * جرت حقب الى حقب
فأنت الغيث فى السلم * وأنت الموت فى الحرب
وأنت الجامع الفار * ق بين البعد والقرب
بك الله تلافى النا * س بعد العثر والنكب
ورد البيض والبيض * الى الأغماد والحجب
باقدامك فى الحرب * واطعامك فى اللزب
فكم أمنت من خوف * وكم اشبعت من شغب
وكم أصلحت من خطب * وكم أيمت من خطب
وما تمهرها الا * دراك الطعن والضرب
تناهت بك قحطان * الى الغاية والحسب

ففـــاتت شرف الأحيـــا ء * فوت الرأس للعجب (١)

ومما أسرف فيه فكفر أو قارب الكفر قوله فى أبى دلف :

أنت الذى تنزل الأيام منزلهـــا * وتنقل الدهر من حال الى حـــال
وما مددت مدى طرف الى أحد * الا قضـــيت بأرزاق وآجـــال
تزور سخطا فتمسى البيض راضيـة * وتســتهل فتبكى أوجـه المـال

وقـــال فيهـــا :

كأن خيلك فى آثنـــاء غمرتها * أرسال قطر تهامى فوق أرسـال
يخرجن من غمرات الموت ســامية * نشر الأنامل من ذى القرة الصـالى

وقـــال أيضـــا :

جـــلاء مشـــيب نـــزل * وأنس شـــباب رحـــل
طـــوى صـــاحب صاحبا * كـــذاك اختـــلاف الـــدول
أعاذلـــتى أقصـــرى * كفـــاك المشـــيب العـــذل
بـــدا بـــدلا بالشـــبا * ب ليت الشـــباب البـدل
جـــلال ولكنـــــه * تحـــاماه حـــور المقـــل

وقد كان حميد ركب يوم عيد فى جيش عظيم لم ير مثله ، فقال على بن جبلة يصف ذلك :

غدا بأمـــير المؤمنين ويمنـــه * أبو غانم غدو الندى والسحائب
وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب * أحاط به مســـتعليا المـــواكب
كأن سمو النقع والبيض فوقهم * سماوة ليل قرنت بالـــكواكب
فكان لأهل العيد عيد بنســـكهم * وكان حميـــد عيدهم بالمواهب
ولولا حميد لم تبلج عن الندى * يمين ولم يدرك غنى كسب كاسب

---

(١) العجب (بفتح فسكون) : أصل الذنب ٠

ولو ملك الدنيا لما كان سائل * ولا اعتام فيها صاحب فضل صاحب
له ضحكة تستـــغرق المال بالندى * على عبســة تشـجى القنا بالترائب
ذهبت بأيام العلا فاردا بهـــا * وصرمت عن مســعاك شاو المطالب
وعدلت ميل الأرض حتى تعدلت * فلم ينأ منها جانب فوق جانب
بلغت بأدنى الحزم أبعـــد قطرهـــا * كأنك منها شـــاهد كل غائب

شخص على بن جبلة الى عبد الله بن طاهر الى خراسان ، وقد مدحه فأجزل صلته ، واستأذنه فى الرجوع فسأله أن يقيم ، وكان بره يتصل عنده ، فلما طال مقامه اشتاق الى أهله فدخل اليه فأنشده :

راعـــه الشـــيب اذ نزل * وكفـــاه من العـــذل
وانقضـــت مدة الصـــبا * وانقضى اللهـــو والغـــزل
قـــد لعمـــرى دملتـــه * بخضـــاب فمـــا اندمـــل
فابـــك للشـــيب اذ بدا * لا على الربـــع والطلـــل
وصـــــل الله للأميـــ * ـــر عرى الملـــك فاتصـــل
ملـــك عزمـــه الزمـــا * ن وأفعـــاله الـــدول
كســـروى ، بمجـــده * يضرب الضـــارب المثـــل
والى ظـــل عـــزه * يلجـــأ الخـــائف الوجـــل
كل خلق ســـوى الامـــا * م لانعـــامه خـــول
ليتـــه حـــين جـــاد لى * بالغـــنى جـــاد بالقفـــل

فضحك وقال : أبيت الا أن توحشنا ، وأجزل صلته وأذن له ٠

. دخل على بن جبلة العكوك على حميد الطوسى فى أول يوم من شهر رمضان ، فأنشـــده :

جعل الله مدخل الصوم فوزا * لحميد ومتعة فى البقـــاء
فهو شـــهر الربيع للقراء * وفراق الندمان والصـــهباء
وأنا الضامن الملى لمن عا * فرها مفطرا بطول الظمـــاء
وكأنى أرى الندامى على الخســـ * ـــف يرجون صبحهم بالمساء
قد طوى بعضـــهم زيارة بعض * واستعاضوا مصاحفا بالغناء

وفيهـــا يقـــول :

بحميد ـ واين مثل حميد ـ * فخرت طيىء على الأحيـــاء
جوده أظهر السماحة فى الأر * ض وأغنى المقوى عن الاقـواء
ملك يأمل العبـــاد نداه * مثل ما يأملون قطر السماء
صاغه الله مطعم الناس فى الأر * ض وصاغ الســحاب للاسقاء

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك ، ثم دخل اليه ثانى شوال فأنشده :

عللانى بصفو ما فى الدنان * واتركا ما يقـــوله العاذلان
واسبقا فاجع المنية بالعيـ * ـش فكان على الجديدين فانى
عللانى بشربة تذهب الهـ * ـم وتنفى طوارق الأحزان
والقيا فى مسامع سدها الصو * م رقى الموصـــلى او دحمـان
قد أتانا شوال فاقتبل العيـ * ـش واعدى قسرا على رمضان
نعم عون التى على نوب الدهـ * ـر سماع القيان والعيدان
وكؤوس تجرى بماء كروم * ومطى الكؤوس أيدى القيان
من عقار تميت كل احتشام * وتسر النـــدمان بالنـــدمان
وكأن المزاج يقدح منهـــا * شررا فى سبائك العقيان
فاشرب الراح واعص من لام فيها * انها نعم عـــدة الفتيـــان
واصحب الدهر بارتحال وحل * لا تخف ما يجـــره الحـــادثان
حسب مستظهر على الدهر ركنا * بحميد ردءا من الحـــدثان
ملك يقتنى المـــكارم كنزا * وتراه من آكرم الفتيـــان
خلقت راحتاه للجود والبأ * س وأمواله لشكر اللســـان
ملكته على العبـــاد معـــد * وأقرت له بنـــو قحطـــان
أريحى الندا جميل المحيا * يده والســـماح معتقـــدان
وجهـــه مشرق الى معتفيه * ويـــداه بالغيث تنفجـــران
جمل الدهر بين يوميـه قسميـ * ـن بعرف جزل وحر طعان
فاذا ســـار بالخميس لحرب * كل عن نص جريه الخافقـــان
واذا ما هزتـــه لنـــوال * ضاق عن رحب صدره الأفقان
غيث جدب اذا أقام ربيع * يتغشى بالسيب كل مكان
يا أبا غـــانم بقيت على الدهـ * ـر وخلـــدت ما جرى العصران

ما نبالي اذا عدتك المنايا ❊ من أصابت بكلكل وجران
قد جعلنا اليك بعث المطايا ❊ هربا من زماننا الخوان
وحملنا الحاجات فوق عتاق ❊ ضامنات حوائج الركبان
ليس جود وراء جودك ينتا ❊ ب ولا يعتفي لغيرك عاني

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال : تلك كانت للصوم فخففت وخففنا ، وهذه للفطر فقد زدتنا وزدناك •

ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة التي تعد من نادر الشعر وبديعه ، وهي :

أللدهر تبكي أم على الدهر تجزع ❊ وما صاحب الأيام الا مفجع
ولو سهلت عنك الأسى كان في الأسى ❊ عزاء معز للبيب ومقنع
تعز بما عزيت غيرك انها ❊ سهام المنايا حائمات ووقع
أصبنا بيوم في حميد لو انه ❊ أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع
وأدبنا ما أدب الناس قبلنا ❊ ولكنه لم يبق للصبر موضع
ألم تر للأيام كيف تصرمت ❊ به ، وبه كانت تذاد وتدفع
وكيف التقي مثوى من الأرض ضيق ❊ على جبل كانت به الأرض تمنع
ولما انقضت أيامه انقضت العلا ❊ وأضحى به أنف الندى وهو أجدع
وراح عدو الدين جذلان ينتحي ❊ أماني كانت في حشاه تقطع
وكان حميد معقلا ركعت به ❊ قواعد ما كانت على الضيم تركع
وكنت أراه كالرزايا رزئتها ❊ ولم أدر أن الخلق تبكيه أجمع
حمام رماه من مواضع أمنه ❊ حمام ، كذاك الخطب بالخطب يقدع
وليس بغرو أن تصيب منية ❊ حمى أختها أو أن يذل المنع
لقد أدركت فينا المنايا بثارها ❊ وحلت بخطب وهيه ليس يرقع
نعاء حميدا للسرايا اذا غدت ❊ تذاد بأطراف الرماح وتوزع
وللمرهق المكروب ضاقت بأمره ❊ فلم يدر في حوماتها كيف يصنع
وللبيض خلتها البعول ولم يدع ❊ لها غيره داعي الصباح المفزع
كأن حميدا لم يقد جيش عسكر ❊ الى عسكر أشياعه لا تروع
ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحى ❊ مراحا ولم يرجع بها وهي ظلع
رواجع يحملن النهاب ولم تكن ❊ كتائبه الا على النهب ترجع

هوى جبل الدنيا المنيع وغيثها الـ * ـمريع وحاميها الكمى المشيع
وسيف أمير المؤمنين ورمحه * ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع
فأقنعه من ملكه ورباعه * ونائله قفر من الأرض بلقع
على أى شجو تشتكى النفس بعده * الى شجوه أو يذخر الدمع مدمع
الم تر أن الشمس حال ضياؤها * عليه وأضحى لونها وهو أسفع
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها * وأجدب مرعاها الذى كان يمرع
وقد كانت الدنيا به مطمئنة * فقد جعلت أوتادها تتقلع
بكى فقده روح الحياة كما بكى * نداه الندى وابن السبيل المدفع
وفارقت البيض الخدور وأبرزت * عواطل حسرت بعده لا تقنع
وأيقظ أجفانا وكان لها الكرى * ونامت عيون لم تكن قبل تهجع
ولكنه مقدار يوم ثوى به * لكل امرىء منه نهال ومشرع
وقد رأب الله الملا بمحمد * وبالأصل ينمى فرعه المتفرع
أغر ، على أسيافه ورماحه * تقسم أنفال الخميس وتجمع
حوى عن أبيه بذل راحته الندى * وطعن الكلى والزعبية شرع

ملحـــــق

الكتـــاب الثـــالث

بـــاب المنثـــور

(أ) نصـــوص كتب الأمين والمأمـــون

١ ـ نص كتاب الأمين الى المأمون ، وهو الكتاب الذى أشرنا اليه فى الجزء الأول ٠

اذا ورد عليك كتـــاب أخيك ـ أعاذه الله من فقدك ـ عند حلول ما لا مرد له ولا مدفع ، مما قد أخلف وتناسخ الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، بما عزاك الله به ٠ واعلم أن الله جل ثناؤه ، قد اختار لأمير المؤمنين أفضل الدارين ، وأجزل الحظين ، فقبضـــه الله طاهرا زاكيا ، قد شكر سعيه ، وغفر ذنبه ، ان شاء الله ٠ فقم فى أمرك قيام ذى الحزم والعزم ، والناظر لأخيه ونفسه ، وسلطانه وعامة المسلمين ٠ واياك أن يغلب عليك الجزع ، فانه يحبط الأجر ، ويعقب الوزر ، وصلوات الله على أمير المؤمنين حيا وميتا ، وانا لله وانا اليه راجعون ٠ وخذ البيعة على من قبلك ، من قوادك وجندك ، وخاصتك وعامتك ، لأخيك ثم لنفسك ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ، على الشريطة التى جعلها لك أمير المؤمنين : من نسخها له واثباتها ، فانك مقلد من ذاك ، ما قلدك الله وخليفته ٠

وأعلم من قبلك رأيى فى صلاحهم ، وسد خلتهم ، والتوسعة عليهم ، فمن أنكرته عند بيعته ، أو اتهمته على طاعته ، فابعث الى برأسه مع خبره ٠ واياك واقالته ، فان النار أولى به ٠ واكتب الى عمال ثغورك ، وأمراء أجنادك ، بما طرقك من المصيبة بأمير

المؤمنين ، وأعلمهم أن الله لم يرض الدنيا له ثوابا ، حتى قبضه الى روحه وراحته وجنته ، مغبوطا محمودا ، قائدا لجميع خلفائه الى الجنة ان شاء الله • ومرهم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم ، وخواصهم وعوامهم ، على مثل ما أمرتك به ، من أخذها على من قبلك ، وأوعز اليهم فى ضبط ثغورهم ، والقوة على عدوهم ، انى متفقد حالاتهم ، ولام شعثهم ، وموسع عليهم ، ولا آن فى تقوية أجنادى وأنصارى • ولتكن كتبك اليهم كتبا عامة لتقرأ عليهم ، فان ذلك ما يسكنهم ، ويبسط أملهم • واعمل بما نامر به لمن حضرك ، أو نأى عنك من أجنادك على حسب ما ترى وتشاهد • فان أخاك يعرف حسن اختيارك ، وصحة رأيك . وبعد نظرك ، وهو يستحفظ الله لك ، ويسأله أن يشد بك عضده ، ويجمع بك أمره ، انه لطيف لما يشاء • وكتب بكر بن المعتمر بين يدى واملائى فى شوال سنة ١٩٢ هـ •

٢ ــ وهذا كتاب محمد الأمين الى أخيه صالح •

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا ورد عليك كتابى هذا ، عند وقوع ما قد سبق فى علم الله ، ونفذ من قضائه ، فى خلفائه وأوليائه ، وجرت به سنته فى الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين ، فقال : **(كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون)** • فاحمدوا الله على ما صار اليه أمير المؤمنين ، من عظيم ثوابه ومرافقة أنبيائه ، صلوات الله عليهم ، انا اليه راجعون ، واياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم • وقد كان لهم عصمة وكهفا ، وبهم رءوفا رحيما •

فشمر فى أمرك ، واياك أن تلقى بيديك ، فان أخاك قد اختارك لما استنهضك له ، وهو متفقد مواقع فقدانك ، فحقق ظنه ، ونسأل الله التوفيق • وخذ البيعة على من قبلك ، من ولد أمير المؤمنين ، وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد أمير المؤمنين ، ثم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ، على الشريطة التى جعلها أمير المؤمنين ــ صلوات الله عليه ــ من فسخها على القاسم أو اثباتها • فان السعادة واليمن فى الأخذ بعهده والمضى على مناهجه •

وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيى فى استصلاحهم ، ورد مظالمهم ، وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم ، وأعطياتهم عليهم • فان شغب شاغب ، أو نعر ناعر ، فاسط به سطوة تجعله نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين • واضمم الى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ، ومره بالمسير معهم

فيمن معه ، وجنده ورابطته ، وصير الى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ، فانه ثقة على ما يلى ، مقبول عند العامة ، واضـــمم اليه جميع جند الشرط ، من الروابط وغيرهم ، الى من معه من جنده ، ومره بالجد والتيقظ ، وتقديم الحزم فى أمره كله ، ليله ونهاره ٠ فان أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل حلول هذه المصيبة ، وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، ومره بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ، فانه ممن لا يعـــرف الا بالطـاعة ، ولا يدين الا بهـا ، بمعاقد من الله ، مما قدم له من حـال أبيـه المحمـود عند الخلفــاء ، ومن الخدم باحضار روابطهم ، من يسد بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكرك ، فانهم حد من حدودك ، وصير مقدمتك الى أسد بن يزيد بن مزيد ، وساقتك الى يحيى بن معاذ ، فيمن معه من الجنود ، ومرهما بمناوبتك فى كل ليلة ٠

والزم الطريق الأعظم ، ولا تعدون المراحل ، فان ذلك أرفق بك ، ومر أسد بن يزيد ، أن يتخير رجلا من أهل بيته أو قواده ، فيصير الى مقدمته ، ثم يصير أمامه ، لتهيئة المنازل ، أو بعض الطريق ، فان لم يحضرك فى عسـكرك بعض من سـميت ، فاختر لمواضعهم من تثق بطاعته ، ونصيحته وهيبته ، عند العوام ، فان ذلك لن يعوزك ، من قوادك وأنصارك ، ان شاء الله ٠

وأياك أن تنفذ رأيا ، أو تبرم أمرا ، الا برأى شيخك ، وبقية آبائك ، الفضل ابن الربيع ، وأقرر جميع الخدم على ما فى أيديهـــم من الأموال والسـلاح والخزائن وغير ذلك ، ولا تخرجن أحدا منهم ، من ضـــمن ما يلى ، الى أن تقدم على ٠ وقد أوصيت بكر بن المعمر بما سيبلغكه ، واعمل فى ذلك بقدر ما تشاهد وترى ٠ وان أمرت لأهل العسكر بعطاء أو رزق فليكن الفضــل بن الربيع المتــولى لاعطائهم ، على دواوين يتخذها لنفســه ، بمحضر من أصــحاب الدواوين ، فان الفضل بن الربيع لم يزل مثل ذلك لمهمات الأمور ٠ وأنفذ الى عند وصـــول كتابى هذا اليك اسماعيل ابن صبيح ، وبكر بن المعتمر ، على مركبيهما من البريد ، ولا يكون لك عرجة ولا مهلة ، بموضعك الذى أنت فيه ، حتى توجه الى بعسكرك بما فيه من الأموال والخزائن ان شاء الله ٠ أخوك يستدفع الله عنك ، ويسأله لك حسن التأييد برحمته ٠ وكتب بكر ابن المعتمر بين يدى واملائى فى شوال سنة ١٩٢ هـ ٠

(ب) القول بخلق القرآن

وهاك مثلا مما كتبه المأمون الى ولاته فى الأخذ بمذهبه فى القول بخلق القرآن ، وهو ما أرسله الى عامله اسحاق بن ابراهيم وما يرويه لنا الطبرى مما حصل ٠

أما الكتاب فهو :

أما بعد ، فان حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في اقامة دين الله الذي استحفظهم ، ومواريث النبوة التي أورثهم . وأثر العلم الذي استودعهم ، والعمل بالحق في رعيتهم ، والتشمير لطاعة الله فيهم ، والله يسأل أمير المؤمنين ، أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريمته ، والاقساط فيما ولاه الله من رعيته ، برحمته ومنته ، وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم ، والسواد الأكبر ، من حشو الرعية ، وسفلة العامة ، ممن لا نظر له ولا روية ، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته ، ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه ، في جميع الأقطار والآفاق ، أهل جهالة بالله وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والايمان به ، ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله ، وقصور أن يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا بينه وبين خلقه ، لضعف آرائهم ، ونقص عقولهم ، وجفائهم عن التفكير والتذكر ، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى ، وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا مجتمعين ، واتفقوا غير متعاجمين ، على أنه قديم أول ، لم يخلقه الله ، ويحدثه ويخترعه ، وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه ، الذي جعله لما في الصدور شفاء ، وللمؤمنين رحمة وهدى : **(انا جعلناه قرآنا عربيا)** • فكل ما جعله الله فقد خلقه ، وقال : **(الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)** • وقال عز وجل : **(كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق)** • فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها ، وتلا به متقدمها ، وقال : **(الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)** • وكل محكم مفصل ، فله محكم مفصل ، والله محكم كتابه ومفصله ، فهو خالقه ومبتدعه ، ثم هم الذين جادلوا بالباطل ، فدعوا الى قولهم ، ونسبوا أنفسهم الى السنة ، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته ، مبطل قولهم ، ومكذب دعواهم ، يرد عليهم قولهم ونحلتهم ، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة ، فاستطالوا بذلك على الناس ، وغروا به الجهال ، حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب ، والتخشع لغير الله ، والتقشف لغير الدين الى موافقتهم عليه ومواطأتهم على سيىء آرائهم ، تزينا بذلك عندهم ، وتصنعا للرياسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق الى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة الى ضلالتهم ، فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم ، على دغل دينهم ، ونغل أديمهم ، وفساد نياتهم ويقينهم ، وكان ذلك غايتهم التي اليها جروا ، واياها طلبوا في متابعتهم ، والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ، ألا يقولوا على الله الا الحق ، ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمهم الله ، وأعمى أبصارهم ، **(أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها)** • فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ، ورءوس الضلالة المنقوصون من التوحيد حظا ، والمخسوسون من الايمان نصيبا ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ، ولسان ابليس الناطق في أوليائه ، والهائل على أعدائه ، من أهل دين الله ، وأحق من يتهم في

صدقه ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فانه لا عمل الا بعد يقين ، ولا يقين الا بعد استكمال حقيقة الاسـلام ، واخلاص التوحيد ، ومن عمى عن رشده وحظه ، من أهل الايمان بالله وبتوحيـده ، كان عما سـوى ذلك من عمله ، والقصد فى شهادته ، أعمى وأضل سبيلا ، ولعمر أمير المؤمنين أن أحجى الناس بالكذب فى قوله ، وتخرص الباطل فى شهادته من كذب على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وأن أولاهم برد شهادته ، فى حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله ، فاجمع من بحضرتك من القضـاة ، واقرأ عليهم كتـاب أمير المؤمنين هذا اليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون ، وتكشيفهم عما يعتقدون ، فى خلق الله القرآن واحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله ، ولا واثق فيما قلده الله ، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه ، وخلوص توحيده ويقينه ، فاذا أقروا بذلك ، ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة ، فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس ، ومسألتهم عن علمهم فى القرآن ، وترك اثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره ، والامتناع من توقيعها عنده ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يأتيك ، عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك ، ثم أشرف عليهم ، وتفقد آثارهم ، حتى لا تنفذ أحكام الله ، الا بشهادة أهل البصائر فى الدين ، والاخلاص للتوحيد ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون فى ذلك ان شاء الله • وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ •

وكتب المأمون ، الى اسحاق بن ابراهيم ، فى اشخاص سبعة نفر ، منهم : محمد ابن سـعد كاتب الواقدى ، وأبـو مسلم مستملى يزيد بن هارون ، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب أبو خيثمة ، واسماعيل بن داود ، واسماعيل بن أبى مسعود ، وأحمد بن الدورقى ، فاشخصوا اليه فامتحنهم ، وسألهم عن خلق القرآن ، فأجابوا جميعا أن القرآن مخلوق ، فأشخصهم الى مدينة السلام ، وأحضرهم اسحاق بن ابراهيم داره ، فشهر أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء ، والمشايخ من أهل الحديث ، فاقروا بمثل ما أجابوا به المأمون فخلى سبيلهم ، وكان ما فعل اسحاق بن ابراهيم من ذلك بأمر المأمون •

وكتب المأمون بعد ذلك الى اسحاق بن ابراهيم :

أما بعد ، فان من حق الله على خلفائه فى أرضه ، وأمنائه على عباده ، الذين ارتضاهم لاقامة دينه ، وحملهم رعاية خلقه ، وامضاء حكمه وسنته ، والائتمام بعدله فى بريته ، أن يجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم ، ويدلوا عليه ـ تبارك اسمه وتعالى ـ بفضل العلم الذى أودعهم ، والمعرفة التى جعلها فيهم ، ويهدوا اليـه من زاغ عنه ، ويردوا من أدبر عن أمره ، وينهجوا لرعاياهم سمت نجاتهم ، ويقفوهم على حدود ايمانهم ، وسبيل فوزهم وعصمتهم ، ويكشفوا لهم عن مغطيات

أمورهم ، ومشتبهاتها عليهم ، بما يدفعون الريب عنهم ، ويعود بالضياء والبينة على كافتهم ، وأن يؤثروا ذلك من ارشادهم وتبصيرهم ، اذ كان جامعا لفنون مصانعهم ، ومنتظما لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم ، ويتذكروا أن الله مرصد من مساءلتهم عما حملوه ، ومجازاتهم بما أسلفوه ، وقدموا عنده ، وما توفيق أمير المؤمنين ، الا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به • ومما بينه أمير المؤمنين برويته ، وطالعه بفكره ، فتبين عظيم خطره ، وجليل ما يرجع في الدين من وكفه وضرره ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله اماما لهم ، وأثرا من رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم ، واشتباهه على كثير منهم ، حتى حسن عندهم ، وتزين في عقولهم ، ألا يكون مخلوقا ، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله ، الذي بان به عن خلقه ، وتفرد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته ، وانشائها بقدرته ، والتقدم عليها بأوليته ، التي لا يبلغ أولاها ، ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه ، خلقا من خلقه ، وحدثا هو المحدث له ، وان كان القرآن ناطقا به ، ودالا عليه ، وقاطعا للاختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى ، في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق ، اذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : **(انا جعلناه قرآنا عربيا)** • وتأويل ذلك : انا خلقناه ، كما قال جل جلاله : **(وجعل منها زوجها ليسكن اليها)** • وقال : **(وجعلنا الليـل لباسا وجعلنا النهار معاشا)** • **(وجعلنا من الماء كل شيء حي)** • فسوى عز وجل ، بين القرآن ، وبين هذه الخلائق ، الذى ذكرهـا فى شية الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : **(بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ)** • فقال ذلك على احاطة اللوح بالقرآن ، ولا يحاط الا بمخلوق ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : **(لا تحرك به لسانك لتعجل به)** • وقال : **(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)** • وقال : **(فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته)** • وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم ، أنهم قالوا : **(ما أنزل الله على بشر من شيء)** • ثم أكذبهـم على لسان رسوله ، فقال لرسوله : **(قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى)** • فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرا ، وايمانا ونورا وهدى ومباركا وعربيا وقصصا ، فقال : **(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينـا اليك هذا القـرآن)** • وقال : **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)** • وقال : **(قل فأتـوا بعشر سـور مثله مفتريات)** • وقال : **(لا يأتيـه الباطـل من بين يديه ولا من خلفـه)** • فجعل له أولا وآخـرا ، ودل عليه ، أنه محدود مخلوق ، وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن ، الثلم في دينهم ، والحرج في أمانتهم ، وسهلوا السبيل لعدو الاسلام ، واعترفوا بالتبديل والالحاد على قلوبهم حتى عرفوا ، ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به ، والاشباه أولى بخلقه ، وليس يرى أمير المؤمنين ، لمن قال بهذه المقالة حظا في الدين ، ولا نصيبا من الايمان واليقين ، ولا يرى أن يحل أحدا منهم محل الثقة فى أمانة ولا عدالة ولا شهادة ، ولا صدق فى قول ولا حكاية ، ولا تولية لشيء من أمر الرعية ، وان ظهر قصد بعضهم ، وعرف بالسداد مسدد فيهم ، فان الفروع مردودة الى أصولها ، ومحمولة فى الحمد والذم عليها ، ومن

كان جاهلا بأمر دينه ، الذى أمره الله به ، من وحدانيته ، فهو بما سواه أعظم جهلا ، وعن الرشد في غيره أعمى وأضل سبيلا ·

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن اسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين ، بما كتب به اليك ، وانصصهما عن علمهما فى القرآن ، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شيء من أمور المسلمين ، الا بمن وثق باخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق ، فان قالا بقول أمير المؤمنين فى ذلك فتقدم اليهما فى امتحان من يحضر مجالسهما ، بالشهادات على الحقوق ، ونصهم عن قولهم فى القرآن ، فمن لم يقل منهم انه مخلوق ، أبطلا شهادته ، ولم يقطعا حكما بقوله ، وان ثبت عفافه بالقصد والسداد في أمره ، وافعل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة ، وأشرف عليهم عليهم اشرافا يزيد الله به ذا البصيرة فى بصيرته ، ويمنع المرتاب من اغفال دينه ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك ان شاء الله ·

ثم لننظر ما حصل بعد ذلك مما يرويه لنا الطبرى قال :

فأحضر اسحاق بن ابراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وأحضر أبا حسان الزيادى ، وبشر بن الوليد الكندى ، وعلى بن أبى مقاتل ، والفضل بن غانم ، والذيال بن الهيثم ، وسجادة ، والقواريرى ، وأحمد بن حنبل ، وقتيبة ، وسعدويه الواسطى ، وعلى بن الجعد ، واسحاق بن أبي اسرائيل ، وابن الهرش ، وابن علية الأكبر ، ويحيى بن عبد الرحمن العمرى ، وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب ، كان قاضى الرقة وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعى ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح المضروب ، وابن الفرخان ، وجماعة منهم النضر بن شميل ، وابن على ابن عاصم ، وأبو العوام البزاز ، وابن شجاع ، وعبد الرحمن بن اسحاق ، فأدخلوا جميعا على اسحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتين ، حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ما تقول فى القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقالتى لأمير المؤمنين غير مرة ، قال : فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أمخلوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال : ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال : فمخلوق ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس أسألك عن هذا ، أمخلوق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه ، وليس عندى غير ما قلت لك ، فأخذ اسحاق بن ابراهيم رقعة كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقفه عليها ، فقال : أشهد أن لا اله الا الله أحدا فردا لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه ، فى معنى من المعانى ، ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم ، وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكاتب : اكتب ما قال ·

ثم قال لعلي بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمير المؤمنين في هذا غير مرة ، وما عندي غير ما سمع ، فامتحنه بالرقعة ، فأقر بما فيها ، ثم قال : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله وان أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا ، فقال للكاتب : اكتب مقالته ٠

ثم قال للذيال نحوا من مقالته لعلي بن أبي مقاتل ، فقال له مثل ذلك ٠ ثم قال لأبي حسان الزيادي : ما عندك ؟ قال : سل عما شئت ، فقرأ عليه الرقعة ، ووقفه عليها فاقر بما فيها ٠ ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كل شيء ، وما دون الله مخلوق ، وأمير المؤمنين امامنا وبسببه سمعنا عامة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلده الله أمرنا ، فصار يقيم حجنا وصلاتنا ، ونؤدي اليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى امامته امامة ، وان أمرنا ائتمرنا ، وان نهانا انتهينا ، وان دعانا أجبنا ، قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مقالته ، قال : ان هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكون مقالة أمير المؤمنين ولا يأمر بها الناس ، ولا يدعوهم اليها ، وان أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول قلت ما أمرتني به ، فانك الثقة ، المأمون عليه ، فيما أبلغتني عنه من شيء ، فان أبلغتني عنه بشيء صرت اليه ، قال : ما أمرني أن أبلغك شيئا ، قال علي بن أبي مقاتل : قد يكون قوله كاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفرائض والمواريث ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندي الا السمع والطاعة ، فمرني آتمر ، قال : ما أمرني أن آمرك ، وانما أمرني أن أمتحنك ٠

ثم عاد الى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتحنه بما في الرقعة ، فلما أتى الى (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) وأمسك عن لا يشبهه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر ، فقال ــ أصلحك الله ــ : انه يقول : سميع من أذن ، بصير من عين ، فقال اسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله سميع بصير ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدري هو كما وصف نفسه ، ثم دعا بهم رجلا رجلا كلهم يقول : القرآن كلام الله ، الا هؤلاء النفر : قتيبة ، وعبيد الله بن محمد بن الحسن ، وابن علية الأكبر ، وابن البكاء ، وعبد المنعم بن ادريس ابن بنت وهب بن منبه ، والمظفر ابن مرجا ، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه ، ولا يعرف بشيء منه الا أنه دس في ذلك الموضع ، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة ، وابن الأحمر ، فأما ابن البكاء الأكبر فانه قال : القرآن مجعول لقول الله تعالى : (**انا جعلناه قرآنا عربيا**) ،

والقرآن محدث لقوله : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) قال له اسحاق : فالمجعول مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا اقول مخلوق ولكنه مجعول ، فكتب مقالته ، فلما فرغ من امتحان القوم وكتب مقالاتهم اعترض ابن البكاء الأصغر فقال — أصلحك الله — : ان هذين القاضيين أئمة ، فلو أمرتهما فأعادا الكلام ! قال له اسحاق : هما من يقوم بحجة أمير المؤمنين ، قال : فلو أمرتهما أن يسمعانا مقالتهما لنحكى ذلك عنهما ! قال له اسحاق : ان شهدت عندهما بشهادة فستعلم مقالتهما ان شاء الله ، فكتب مقالة القوم رجلا رجلا ووجهت الى المأمون ، فمكث القوم تسعة أيام ثم دعا بهم • وقد ورد كتاب المأمون ، جواب كتاب اسحاق بن ابراهيم فى أمرهم • وهاك هو ما نجعله ختاما لكلمتنا •

بسم الله الرحمن الرحيم • أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه ، كان اليك فيما ذهب اليه متصنعة أهل القبلة ، وملتمسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة ، من القول فى القرآن ، وأمرك به أمير المؤمنين ، من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم ، واحلالهم محالهم ، تذكر احضارك جعفر بن عيسى ، وعبد الرحمن بن اسحاق ، عند ورود كتاب أمير المؤمنين ، مع من أحضرت ممن كان ينسب الى الفقه ، ويعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعا كتاب أمير المؤمنين ، ومسألتك اياهم عن اعتقادهم فى القرآن ، والدلالة لهم على حظهم ، واطباقهم على نفى التشبيه ، واختلافهم فى القرآن ، وأمرك من لم يقل منهم انه مخلوق بالامساك عن الحديث والفتوى ، فى السر والعلانية ، وتقدمك الى السندى ، وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدمت به فيهم الى القاضيين بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين ، من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود ، وبث الكتب الى القضاة فى النواحى من عملك بالقدوم عليك ، لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين ، وتثبيتك فى آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم ، وفهم أمير المؤمنين ما اقتصصت ، وأمير المؤمنين يحمد الله كثيرا كما هو أهله ، ويسأله أن يصلى على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويرغب الى الله فى التوفيق لطاعته ، وحسن المعونة ، على صالح نيته برحمته •

وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن ، وما رجع اليك فيه كل امرىء منهم ، وما شرحت من مقالتهم ، فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد فى نفى التشبيه ، وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق ، وادعى من تركه الكلام فى ذلك واستعهاده أمير المؤمنين ، فقد كذب بشر فى ذلك وكفر ، وقال الزور والمنكر ، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه فى ذلك ، ولا فى غيره ، عهد ولا نظر أكثر من اخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الاخلاص والقول بأن القرآن مخلوق ، فادع به اليك ، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك ، وانصصه عن قوله فى القرآن ، واستتبه منه ، فان أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقالته اذ كانت تلك المقالة

الكفر الصراح والشرك المحض عند أمير المؤمنين ، فان تاب منها فأشهر أمره ، وأمسك عنه ، وان أصر على شركه ، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره والحاده ، فاضرب عنقه ، وابعث الى أمير المؤمنين برأسه ، ان شاء الله ، وكذلك ابراهيم بن المهدى فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا ، فانه كان يقول بقوله ، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ ، فان قال ان القرآن مخلوق ، فأشهر أمره واكشفه ، والا فاضرب عنقه ، وابعث الى أمير المؤمنين برأسه ان شاء الله ٠

وأما على بن أبى مقاتل فقل له : ألست القائل لأمير المؤمنين انك تحلل وتحرم والمكلم له بمثل ما كلمته به مما لم يذهب عنه ذكره ، وأما الذيال بن الهيثم ، فاعلمه أنه كان فى الطعام الذى كان يسرقه فى الأنبار ، وفيما يستولى عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبى العباس ما يشغله ، وأنه لو كان مقتفيا آثار سلفه ، وسالكا مناهجهم ، ومحتذيا سبيلهم ، لما خرج الى الشرك بعد ايمانه ، وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبى العوام ، وقوله انه لا يحسن الجواب فى القرآن ، فأعلمه أنه صبى فى عقله ، لا فى سنه ، جاهل ، وأنه ان كان لا يحسن الجواب فى القرآن فسيحسنه ، اذا أخذه التأديب ، ثم ان لم يفعل كان السيف من وراء ذلك ان شاء الله ٠

وأما أحمد بن حنبل ، وما تكتب عنه ، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة ، وسبيله فيها ، واستدل على جهله ، وآفته بها ، وأما الفضل بن غانم ، فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما اكتسب من الأموال فى أقل من سنة ، وما شجر بينه وبين المطلب بن عبد الله فى ذلك ، فانه من كان شأنه شأنه ، وكانت رغبته فى الدينار والدرهم رغبته ، فليس بمستنكر أن يبيع ايمانه طمعا فيهما ، وايثارا لعاجل نفعهما ، وانه مع ذلك القائل لعلى بن هشام ما قال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ، فما الذى حال به عن ذلك ، ونقله الى غيره ، وأما الزيادى ، فأعلمه أنه كان منتحلا لأول دعى كان فى الاسلام خولف فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جديرا أن يسلك مسلكه فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزياد ، أو يكون مولى لأحد من الناس ، ــ وذكر انه انما نسب الى زياد لأمر من الأمور ــ وأما المعروف بأبى نصر التمار ، فان أمير المؤمنين شبه خساسة عقله بخساسة متجره ، وأما الفضل بن الفرخان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذى قاله فى القرآن أخذ الودائع التى أودعها اياه عبد الرحمن بن اسحاق وغيره ، تربصا بمن استودعه ، وطمعا فى الاستكثار لما صار فى يده ، ولا سبيل عليه عن تقادم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقل لعبد الرحمن بن اسحاق لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا ، وائتمانك اياه ، وهو معتقد للشرك ، منسلخ من التوحيد ٠

وأما محمد بن حاتم ، وابن نوح ، والمعروف بأبى معمر ، فأعلمهم أنهم مشاغيل بأكل الربا ، عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم فى

الله ومجاهدتهم ، الا لاربائهم ، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم ، لاستحل ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الارباء شركا ، وصاروا للنصارى مثلا ، وأما أحمد بن شجاع ، فأعلمه أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذى كان استحله من مال على بن هشام ، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه ، وأما سعدويه الواسطى فقل له : قبح الله رجلا بلغ به التصنع للحديث ، والتزين به ، والحرص على طلب الرياسة فيه ، أن يتمنى وقت المحنة فيقول بالتقرب بها : متى يمتحن فيجلس للحديث ، وأما المعروف بسجادة ، وانكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث ، وأهل الفقه ، القول بأن القرآن مخلوق ، فأعلمه أنه فى شغله باعداد النوى ، وحكه لاصلاح سجادته ، وبالودائع التى دفعها اليه على بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وألهاه ، ثم سله عما كان يوسف بن أبى يوسف ، ومحمد ابن الحسن ، يقولانه ان كان شاهدهما وجالسهما ، وأما القواريرى ففيما تكشف من أحواله ، وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه ، وسوء طريقته ، وسخافة عقله ودينه ، وقد انتهى الى أمير المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسنى مسائله ، فتقدم الى جعفر بن عيسى فى رفضه ، وترك الثقة به ، والاستنامة اليه .

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمرى ، فان كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف ، وأما محمد بن الحسن بن على بن عاصم فانه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه لم ينتحل النحلة التى حكيت عنه ، وانه بعد صبى يحتاج الى تعلم ، وقد كان أمير المؤمنين وجه اليك المعروف بأبى مسهر ، بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته فى القرآن ، فجمجم عنها ، ولجلج فيها ، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف ، فأقر ذميما ، فانصصه عن اقرارة ، فان كان مقيما عليه فأشهر ذلك وأظهره ان شاء الله ، ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمير المؤمنين فى كتابك ، وذكره أمير المؤمنين لك ، أو أمسك عن ذكره فى كتابه هذا ، ولم يقل ان القرآن مخلوق ، بعد بشر بن الوليد ، وابراهيم بن المهدى ، فاحملهم أجمعين ، موثقين الى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم ، وحراستهم فى طريقهم ، حتى يؤديهم الى عسكر أمير المؤمنين ، ويسلمهم الى من يؤمر بتسليمهم اليه ، لينصهم أمير المؤمنين ، فان لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف ان شاء الله ، ولا قوة الا بالله ، وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابته هذا فى خريطة بندارية ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية معجلا به ، تقربا الى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ، ورجاء ما اعتمد ، وادراك ما أمل ، من جزيل ثواب الله عليه ، فأنفذ لما أتاك من أمر أمير المؤمنين ، وعجل اجابة أمير المؤمنين بما يكون منك فى خريطة بندارية مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه ان شاء الله . وكتب سنة ٢١٨ هـ .

(ج) عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبد الله ابنه هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرىء عليه ، وقال : ما أبقى أبو الطيب شيئا من الدين والدنيا ، والتدبير والرأى ، واصلاح الملك والرعية، وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه ، وأوصى به ، وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال فى نواحى الأعمال . ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التى لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية آثرنا ذكره على ما فيه من طول رغبة منا فى ألا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم القيمة والخطر ، وهاكه :

« عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيتك ، والزم ما ألبسك الله فى العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر اليه ، وموقوف عليه ، ومسئول عنه ، والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ، فان الله قد أحسن اليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريتهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وادخال الراحة عليهم فى معايشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك ، ولا يذهلك عنه ذهل ، ولا يشغلك عنه شغل ، فانه رأس أمرك وملاك شأنك ، وأول ما يوفقك الله به لرشدك ، وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك فى مواقيتها على سننها فى اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل فى قراءتك ، وتمكن فى ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وادأب عليها فانها كما قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله فى كتابه ، من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت ، لقريب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به ، فان أفضل ما تزين به المرء الفقه فى دين الله ، والطلب له والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به الى الله ، فانه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهى عن المعاصى والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله ، عز وجل ، واجلالا له ودركا للدرجات العلى فى المعاد ، مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لأمرك

والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك والثقة بعدلك · وعليك بالاقتصاد فى الأمور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا أحضر أمنا ولا أجمع فضلا من القصد ، والقصد داعية الى الرشد ، والرشـــد دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد الى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فآثره فى دنياك كلها ، ولا تقصر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعـروفة ومعالم الرشـــد ، فلا غاية للاســتكثار من البر والسعى له ، اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه ، فى دار كرامتـــه ·

واعلم أن القصـــد فى شـأن الدنيا يورث العز ، ويحصن من الذنوب وأنك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك ، بأفضـــل منه ، فأته ، واهتد به تتم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل ، تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة اليه فى الأمور كلها ، تستدم به النعمة عليك ، ولا تنهض أحدا من الناس ، فيما توليه من عملك ، قبـل تكشف أمره بالتهمة ، فان إيقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهـم مأثم ، واجعـل من شـأنك ، حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغمزا ، فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم ، فى سوء الظن ، ما ينغص عليك لذاذة عيشك ، واعلم أنك تجد بحسن الظن ، قوة وراحة ، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس الى محبتك ، والاستقامة فى الأمور كلهـا لك · ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك ، والرأفة برعيتك ، أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية ، والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية ، والنظر فى حوائجهم ، وحمل مؤوناتهم ، آثر عندك مما سوى ذلك ، فانه أقوم للدين ، وأحيـا للسـنة ، وأخلص نيتك فى جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك ، تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ، ومجزى بما أحسن ، فان الله جعل الدين حرزا وعزا ، ورفع من اتبعه وعززه ، فاســـلك بمن تسوسه وترعاه ، نهج الدين ، وطريقة الهدى ، وأقم حدود الله فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم ،وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فان فى تفريطك فى ذلك ، لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الشبه والبدعات ، يسلم لك دينك ، وتقم لك مروءتك ، واذا عاهدت عهدا فف به ، واذا وعدت الخير فأنجزه ، واقبل الحسنة ، وادفع بها ، وأغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وأبغض أهله ، وأقص أهل النميمة ، فان أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها ، تقريب الكذوب ، والجرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ، لأن النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لمطيعها أمر ، وأحب أهل الصدق والصـــلاح ، وأعن الأشراف بالحق ، وواصل

الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله ، وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر من ذلك لرعيتك ، وأنعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، واياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، واياك أن تقول : انى مسلط أفعل ما أشاء فان ذلك سريع فيك الى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة ، وحلول النقمة ، الى أحد أسرع منه ، الى حملة النعمة ، من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم فى الدولة ، اذا كفروا بنعم الله واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز ، البر والتقوى ، والمعدلة ، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمورهم ، والحفظ لدمائهم ، والاغاثة لملهوفهم ، واعلم أن الأموال اذا كثرت وذخرت فى الخزائن ، لا تثمر ، واذا كانت فى اصلاح الرعية ، واعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، نمت وربت ، وصلحت به العامة ، وتزينت به الولاة ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العز والمنفعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الاسلام وأهله ، ووفر منة على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيتك من ذلك حصصهم ، وتعهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله ، وكنت بذلك على جبـاية خراجـك ، وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب نفسا بكل ما أردت ، فاجهد نفسك ، فيما حددت لك فى هذا الباب ، ولتعظم حسبتك فيه ، فانما يبقى من المال ، ما أنفق فى سبيل حقه ، واعرف للشـــاكرين شكرهم ، وأثبهم عليه ، واياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة ، فتتهاون بما يحق عليك ، فان التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى ، وارج الثواب ، فان الله قد أسبغ عليك نعمته فى الدنيا ، وأظهر لديك فضله ، فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد ، يزدك الله خيرا واحسانا . فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، وقضاء الحق فيما حمـل من النعم ، والبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنبـا ، ولا تمالئن حاسـدا ، ولا ترحمن فاجرا ، ولا تصلن كفورا ، ولا تداهنن عدوا ، ولا تصدقن نماما ولا تأمنن غدارا ، ولا توالين فاســقا ، ولا تتبعن غاويا ، ولا تحمدن مرائيا ، ولا تحقرن انســانا ، ولا تردن سائلا فقيراً ، ولا تجيبن باطلا ، ولا تلاحظن مضحكا ، ولا تخلفن وعدا ، ولا تذهبن فخرا ، ولا تظهرن غضبا ، ولا تاتين بذخا ، ولا تمشين مرحا ، ولا تركبن سفها ، ولا تفرطن فى طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عيانا ، ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه ، أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تدخلن فى مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولا تسمعن لهم قولا ، فان ضررهم أكثر

من منفعتهم ، وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيتك من النسح ، واعلم أنك اذا كنت حريصا ، كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك الا قليلا ، فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالافضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى به الانسان ربه ، وان العاصى بمنزلة خزى ، وهو قول الله عز وجل ، (**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) فسهل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فاعدده لنفسك خلقا ، وارض به عملا ومذهبا ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ، ومكاتبهم ، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معايشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك ، خلوصا وانشراحا ، وحسب ذى سلطان من السعادة ، أن يكون على جنده ورعيته ، رحمة في عدله وحيطته وانصافه وعنايته ، وشفقته وبره وتوسعته ، فزايل مكروه احدى البليتين ، باستشعار تكملة الباب الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا .

واعلم أن القضاء من الله ، بالمكان الذى ليس مثله شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى تعتدل عليه الأحوال في الأرض ، وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلام ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء . واشتد في أمر الله وتورع عن النطف وامض لاقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه في صمتك ، واسدد في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ، ولا لوم لائم ، وتثبت وتأن ، وراقب وانظر ، وتدبر وتفكر ، واعتبر وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن الى سفك دم ، فان الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ، ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلا وصغارا ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية ، والعموم فيه ، ولا تدفعن منه شيئا عن شريف لشرفه ، وعن غنى لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، فلا تأخذن منه ، فوق الاحتمال له ، ولا تكلفن أمرا فيه شطط ، واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فان ذلك أجمع لألفتهم ، وألزم لرضى العامة ، واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا ، وراعيا ، وانما سمى أهل عملك رعيتك ، لأنك راعيهم ، وقيمهم ، تأخذ منهم ما أعطوك ، من عفوهم ومقدرتهم ، وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم في كور عملك ، ذوى الرأى والتدبير

والتجربة والخبرة بالعمل ، والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم في الرزق ، فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت ، وأسند اليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ، ولا يصرفنك عنه صارف ، فانك متى آثرته ، وقمت فيه بالواجب ، استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأحدوثة في عملك ، واستجررت به المحبة من رعيتك ، وأعنت على الصلاح ، فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت العمـارة بناحيتك ، وظهر الخصب في كورك ، وكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وارضاء العامة ، بافاضة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ، ذا عدل وقوة ، وآلة وعدة ، فنافس في هذا ، ولا تقدم عليه شيئا ، تحمد مغبة أمرك ، ان شاء الله ، واجعل في كل كورة من عملك أمينا ، يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم ، حتى كأنك مع كل عامل في عمله ، معاين لأمره كله ، وان أردت أن تأمره بأمر ، فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فان رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع ، والنصح فأمضه ، والا فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فانه ربما نظر الرجل في أمر من أمره ، قد واتاه على ما يهوى ، فقواه على ذلك وأعجبه ، وان لم ينظر في عواقبـه أهلكه ، ونقض عليـه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك ، في جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فان لغد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت ، واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه ، واذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه ، فاذا أمضيت لكل يوم عمله ، أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصـح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم ، وأحسن اليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤونتهم وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا لخلتهم مسا ، وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك ، والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم . واجعل لهـم أرزاقا من بيت المال اقتـداء بأمير المؤمنين أعزه الله في العطف عليهـم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمراء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم ، والحافظين لأكثره ، في الجراية على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم ، وقواما يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ، ما لم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس اذا أعطوا حقوقهم ، وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ، ولم تطب أنفسهم ، دون رفع حوائجهم الى ولاتهم ، طمعا في نيل الزيادة ، وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه ، ومنها ما يناله به مؤونة

ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل ، كالذى يستقبل ما يقربه الى الله ، ويلتمس رحمته به ، وأكثر الاذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، واخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، ولن لهم في المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، واذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر ، غير مكدر ولا منان ، فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله ، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ، ومن مضى من قبلك ، من أهل السلطان والرياسة ، في القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا الى سخط الله ، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال ، وينفقون منها ، ولا تجمع حراما ، ولا تنفق اسرافا ، وأكثر مجالسة العلماء ، ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن واقامتها ، وايثار مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليه من اذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك ، في سر ، واعلامك ما فيه من النقص ، فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك ، وانظر عمالك الذين بحضرتك ، وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر اليه والتدبير له ، فما كان موافقا للحزم والحق فامضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ، ولا تقبل من أحد منهم الا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف الا على ذلك ، وتفهم كتابي اليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فان الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاما ، ولأهله عزا وتمكينا ، وللذمة والملة عدلا وصلاحا ، وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته ، بتمام فضله عليك ، وكرامته لك ، حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيبا ، وأوفرهم حظا ، وأسناهم ذكرا وأمرا ، وأن يهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، انه قريب مجيب .

(د) رسالة الخميس

من عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين ، الى المبايعين على الحق ، والناصرين للدين ، من أهل خراسان وغيرهم من أهل الاسلام : سلام عليكم ، فان أمير المؤمنين يحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله .

أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ، والنور والبرهان ، فاطر السموات والأرض وما بينهما ، والمتقدم بالمن والطول على أهلهما ، قبل استحقاقهم لمثوبته بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته ، دليلا هاديا لهم الى معرفته ، بما أفادهم من الألباب ، التى يفهمون بها فصل الخطاب ، حتى اقتنوا علم موارد الاختبار ، وثقفوا مصـــادر الاعتبار ، وحكموا على ما بطن بما ظهر ، على ما غاب بما حضر ، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ، ومتقن صنعته ، وحاجة متزايل خلقه ومتواصله ، الى القوم (١) بما يلمه ويصلحه ، على أن له بارئا أنشأه وابتدأه ، ويسر بعضه لبعض • فكان من أقربه وجودهم ، ما يباشرون به من أنفسهم فى تصرف أحـــوالهم ، وفنون انتقــالهم ، وما يظهرون عليه من العجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم ، وتمت به أدواتهم ، مع أثر تدبير الله عز وجل وتقديره فيهم ، حتى صاروا الى الخلقة المحكمة ، والصورة المعجبة ، ليس لهم فى شىء منها تلطف يتضمونه ، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم ، فانه قال تعالى ذكره : **(يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك)** • ثم ما يتفكرون فيه من خلق السموات ، وما يجرى فيها من الشمس والقمر والنجوم مسخرات على مسير لا يثبت العالم الا به من تصاريف الأزمنة التى بها صلاح الحرث والنسل ، واحياء الأرض ، ولقاح النبات والأشجار ، وتعاور الليل والنهار ، ومر الأيام والشهور والسنين التى تحصى بهـــا الأوقات ، ثم ما يوجد من دلائل التركيب فى طبقات السقف المرفوع ، والمهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه والتئامها ، وخلق الأنهـــار ، وارســاء الجبال • ومن البيان الشاهد ما أخبر الله عز وجل به من انشائه الخلق ، وحدوثه بعد أن لم يكن مترقيا فى النماء ، وثباته الى أجله فى البقاء ، ثم محاره منقضيا الى غاية الفناء • ولو لم يكن له مفتتح عــدد ولا منقطع أمد ، ما ازداد بنشوء ، ولا تحيفه نقصـــــان ، ولا تفاوت على الأزمان ، لأن ما لا حد له ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة • ثم ما يوجد عليه منفعته من ثبات بعضه لبعض ، وقوام كل شىء منه بما يسر له ، فى بدء استمداده الى منتهى نفاذه ، كما احتج الله عز جــل على خلقه ، فقــال : **(أو لا يذكــر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)** • وقال عــز وجل : **(كل من عليهــا فان ويبقى وجــه ربك ذو الجلال والاكرام)** • وكل ما تقدم من الاخبار عن آيات الله عز وجل ودلالاته فى سمواته التى بنى ، وأطباق الأرض التى دحا ، وآثار صنعه فيما برأ وذرأ ، ثابت فى فطر العقول ، حتى يسخر أولى الزيغ ما يدخلون على أنفسهم من الشبهة فيما يجعلون له من الأضداد والأنداد • جل عما يشركون • ولولا توحده بالتدبير ، عن كل معين وظهير ، لكان الشركاء جدراء أن تختلف بهم ارادتهم فيما يخلقون ، ولم يكن التخلف فى اثباته وازالته ليخلو من أحد وجهيه ، وأيهما كان فيه

---

(١) القوم كالقيام مصدر تام •

فالعجز والنقص مما أتاه وبرأه • جل البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك وتعالى علوا كبيرا ، كما قال سبحانه : **(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)** • ثم من عظيم نعمة الله عز وجل على خلقه افتقاده اياهم ، وأنه يسددهم ويدلهم على منافعهم ، ويجنبهم مضارهم ، ويهديهم لما فيه صلاحهم ، ويرغبهم في المحافظة على التمسك بدين الله عز وجل ، الذى جعله عصمة لهم وحاجزا بينهم •

ولولا ما تقدم به من تلافيهم واستدراكهم بفضل رحمته ، لاجتاحهم التلف ، لتصور معرفتهم عن التأني لأقواتهم ومعايشهم ، ولم يكونوا ليقتصروا على حظوظهم وأقسامهم عما بنوا عليه من الجمع والرغبة ولتهالكوا ببغى بعضهم على بعض ، وعدوان قويهم على ضعيفهم ، ولكنه بعد تعريفه اياهم ملك قدرته وجلالة عزته ، بعث اليهم أنبياءه ورسله مبشرين ومنذرين ، بالآيات التى لا تنالها أيدى المخلوقين ، فرضوا بما قسط بينهم ، وارتدعوا عن التباغى والتظالم ، لما وعدوا من الثواب الجسيم وخوفوا من العقاب الأليم ، ولم يكونوا ليطيعوا أمرا لآمر ولا نهيا لناه ، الا بحجة يتبين بها الحق على من خالفه من المبطلين ، وتخويف يتقون به مقارفة ما حرم عليهم ، ورجاء ينجشمون له مؤونة ما تعبدوا به • فافتتح الله عز وجل بأبيهم آدم عليه السلام ، فعلمه الأسماء كلها ، وأمر الملائكة بالسجود له — كما اقتص فى وحيه المنزل — وكرم ولده وفضلهم ، فقال جل وعز : **(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** وجعل ما فطرهم عليه من العطف على ذراريهم وأبنائهم سببا لما أراد من بقائهم وتناسلهم ، وما اختصهم به من العلم والفهم حجة عليهم ، ليمتحن طاعتهم ، ويبلوهم أيهم أحسن عملا • ولم تزل رسل الله عز وجل الى خلقه تترى بالنور الساطع ، والبرهان القاطع ، لا يجدون لما يوردون عليهم من الحق القاهر مردا ولا مدفعا ، لقول الله عز وجل : **(ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين)** • فلم يجد المكذبون مساغا الى دفع ما أقيم عليهم من لازم المحجة ، الا المعاندة والمجاحدة • وكان أنبياء الله صلوات الله عليهم ، يبعثون فى أعصار الحقب ، نذرا للامم ، حتى ختمهم الله عز وجل بالنبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعثه فردا وحيدا لا عاضد له ولا رافد ، الى قوم يعبدون أصناما بكما ، وحجارة صما ، فكذب به القوم الذين بعث فيهم أول ما دعاهم ، ورامه ملوك أقطار البلاد بتوجيه الأجناد ، ومرافدة القوة والعتاد وبغى الغوائل ، ونصب الحبائل ، وهو يدعو الى سبيل ربه بما أمره به ، اذ يقول تعالى : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)** • ثم جاهد بمن أطاعه من عصاه ، وبمن اتبعه من خالفه ، حتى أعز الله كلمته ، وأظهر دعوته ، وأكمل لعباده دينهم الذى ارتضى لهم • فلما اختار الله له ما لديه ، واختصه بما عنده : من النعيم المقيم ، والجزاء الكريم ، بعد استقامة الدين ودخول الناس فيه أفواجا ، خلفه ، اذ ختم به الأنبياء ،

بالبرزة النجباء من أدانيه ولحمته ، لاقامة الشرائع المفترضــة ، وانفاذ حكم الله المنزل ، واقتفاء السنة المأثورة وحفظا له في قرابته ومجيبي دعوته ، واتماما لما أوجب له من الفضيلة ، وقريب الوسيلة ، وانجازا لما وعده من اظهار ما بعثه به ، من دينه الذى اصطفاه وارتضاه • وكان اختيار أولى الفضل من لحمته وعصبته لارث خلافته ، ومن عظيم الزلف التى رغب الى الله فيها أنبياؤه ، وبما اقتص فى منزل وحيه ، واختص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسألة أمته تصيير مودته فى القربى جزاءه ممن تبعــه على الرسالة ، وهداه من الضلالة ، فكانت فضيلتهم عزيمة من الله عز وجل ، دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألزمه تأديته الى خلقه وألزمهم أداءه ، فقال عز وجل : (**قل لا أسألكم عليــه أجرا الا المودة فى القربى**) • ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره اياهم واذهابه الرجس عنهم ، على اصطفائه لهم ، فقال تعــالى : (**انمــا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهــل البيت ويطهركم تطهيرا**) • وكان مما أوجب لهم به حق الوراثة فى محكم تنزيله قوله تعالى : (**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله**) • ثم قرن طاعتهم بطاعته ، فقال : (**أطيعوا الله وأطيعوا الرســول وأولى الأمر منكم**) • وأحلهم من النباهة والصيت بالمحل الذى أعلى به أمرهم ورفع به ذكرهم ، لما أحب من النبيين فى الدلالة عليهم ، والهداية اليهم ، فانه يقول عز وجل : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) • ولو كان الأئمة المقلدون أمر عباده خاملة أنسابهم ، متقطعة أسبابهم ، غير مخصوصين بفضيلة يرونهم بها دون غيرهم ، لم تعد طلبتهم عقد الخلافة لهم ، وأن تكون من المفترضات على كافة الأمة ، أو على بعض دون بعض ، فان كان لأهل الشرق والغرب من ذوى النقص والكمال أن يختاروا لأنفسهم ، فليس فى اجتماع آرائهم مع تفرقهم واختلافهم طمع آخر أيام الدهر • وان كان الى خاصة دون عامة ، فستحتاج العامة من طلب معرفة تلك الحال الى مثل ما احتاجوا اليه فى أئمتهم ، اذ لم يكن أهل الارتياب والطلب من أعلام الآفاق ليتواطئوا على اتفاق ، لنفاد آجالهم قبل بلوغهم غاية الاجتهاد فى الفحص والتكشيف ، وحاجتهم الى اختبار البلدان ، وتمحيص أولى الفضــائل بالامتحان ، وما هو حاق عليهم من الشبه فى اختيارهم ، والاختلاف فيمن عسوا أن يجتبوه ويقدموه ، حتى تتهالك الرعية بتظالمها بينها ، ويطرق من يليها من الأمم اياها ، اذ لا ذائد عنها ولا محامى • فاذا ألزمت الأمة الحاجة الى نصب الحكام لاقامة الدين ، وتقسيط الحقوق من المسلمين ، ومجاهدة عدوهم من المشركين ، لم يكن لهم فى الامام عليهم مجاز الى التخلص من حقه اليهم ، ولا ريب عند المعرفة برأفة الله ورحمته ، ولطفه وحكمه ، فى دفعه عن عباده ما لم يجعل فى حيلتهم له وسعا ، ولا فى حيلتهم له دركا ، وكفايته اياهم ما يعجزهم من البحث والتنقيب عن ولاة أمرهم ، بنصبه اياهم ، وما رفعهم اليه من الدرجة التى أعلاها وأسناها ، اذ وصل نسبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافترض مودتهم على خلقه ، ولم يشنهم جهلهم للغرض الذى لزمهم له ، ولم يجب عليهم فرض فى معرفة من سواهم • ولم يزل سياق أئمة الهدى مطردا ، ونظامهم متصــلا ، يتلقاه كابر عن كابر ، ويؤديه أول الى آخر ، حتى تناهى

الى أمير المؤمنين ، وهو حال دار دعوته ، وبين أنصاره من أهل خراسان ، فنظر به خيرهم ، وعرفوا ما تصرفت به أحوالهم ، وظهر لهم من بيان حجته على من نازعه فى الأمر ، وشاهدوا من ابلاغه فى العذر ، واستظهاره بالتأنى والصبر ، ما أزاح عنهم الشبهة وكشف الحيرة ، حتى استنزالوا (١) نهوضه بحقه ، وخافوا على أديانهم فيما أعطوه من صـــفقة أيمانهم ، وهو ماض على عادته ، مستديم للموادعة ، متلوم على المراجعة ، بالغ ما فى وسعه من الرخصة فى دفع الولاية التى نهنه بها الرعية ، حتى ضاق عليه فى دينه ترك القيام بما أنهضـــه الله به من ثقلها وقلده من حملها ، وخاف المخلوع فانبعث بالشرة والغرة ، فتناول أولياء الحق باغيا طاغيا ، لما أراد الله من تأييدهم عليه بالبيان والحجة التى يجب لها قلبه ، ويفت بها فى عضده ، ويقبل الله ما شرفكم به من النصر والغلبة فيه التى جعلها الله للمتقين • فاجتمع لكم معشر أهل خراسان فى دولة أمير المؤمنين ثلاث خلال اختصكم الله بفضيلتها وسنى مراتبها ، دون ثلاث شملتكم وغيركم •

أما الأولى من اللواتى خصكم الله بهن ، فما تقدم لأسلافكم من نصرة أهل بيت النبى ، والقائمين بميراثه من آباء أمير المؤمنين •

وأما الثانية ، فما آثركم الله به من نصرته فى دعوته الثانية •

وأما الثالثة ، فما تقدمتم به من صحة ضمائركم ومحض مناصحتكم •

وأما الثلاث اللواتى هن لكم ولغيركم :

فمنهن ما آكد الله لأمير المؤمنين فى أعناق المسلمين : من العهد الذى أخذه اصره ، وألهمهم الوفاء به والتمسك بوثائق عصمته ، عند محاولة المخلوع ما حاول من الاعلان بالردة ، والتمس من تبديل معالم الدين وتعفيه آثاره ، فلم يلف الرعية ســدى مهملين ، لا جامع لأمرهم ، ولا ضام لنشرهم •

ومنهن ما أفادكم الله واياهم من العبر ، عند حلول الغير بمن غدر وختر ، تذكرة لأولى النهى ، وحجة بالغــة على من أدبر وتولى ، ليهتــدى متحير ويتعظ مزدجر ، (**وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**) • ومنهن اجتماع أهل الفضــل من المسلمين : ممن لم يكن له نصر ولا أزر فى الدعوة الأولى على المشايعة فى الدعــوة الثانية ، فاصبح دعاة أمير المؤمنين من أهل الحرمين والمصرين ومدينة السلام والمشرق ومدينة الســلام والمشرق والمغرب ممن غار أو أنجد من المتمسكين بذممهم الموفين بنذورهم ، من اخوانكم ، وان كان الله قد قدمكم فى الأمرين جميعا بتفوق حالكم على غيركم ، يعتدون من معاضدتكم ومكانفتكم بما جعله الله عز وجل ألفة لكم ومودة بينكم ، يبيد بها ما كان الشيطان ينزغ به أهل التباعد فى الأنساب ، والتنائى فى الأوطان من ايغــاع العداوة والبغضاء ، والانطواء على الأحقاد والدمن ، وطلب تقديم الاحن ،

---

(١) كذا فى الأصل •

وصار أهل السمو الى الدرجة العليا والاعتصام بالعروة الوثقى من أولياء أمير المؤمنين وشيعته ، منشرحة صدورهم بمكانفته ، منبسطة أيديهم بمعاونته على حقه ، منفسحة آمالهم في اذكاء ناره على عدوه والاثخان في بلاده وافتتاح ممتنع حصونه ، بما جمعهم الله عليه من الألفة ، ورفع عنهم من الحمية والعصبية ، راجين عودتهم الى أحسن ما مضى عليه سلفهم ، في عهد نبيه صلى الله عليه وسلم ، من سلامة الصدور ، وصلاح ذات البين ، واجتماع القوى على مجاهدة من شاقهم ، قد أفرد الله عنهم نفرة التحارب والتجاذب ، وجعل ما كان يسعى به بعضهم من الاعداد لبعض ، زيادة في ريحهم ، وحدا في شوكتهم ، لائتلافهم في دوله أمير المؤمنين المجدودة المؤيدة بصدق الضمائر ، ونفاذ البصائر ٠ والى الله يرغب أمير المؤمنين في اعانته على صالح نيته ، وتبليغه منتهى سؤله وغاية همته ، في اعزاز دينه واذلال من صد عن سبيله ، انه سميع قريب ٠

ومن أقوى الأسباب الى استدعاء الشكر على النعمة تذكر ما كانت عليه الحال قبلها ، فاستديموا الافاضة فيما رفع الله من خساستكم وأعلى من أقداركم ، بنصرة أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما أبلاكم الله في الدعوة الأولى مما لا يؤدى حقه الا بعون الله وتوفيقه ، فانه ارتاح لهم بلطفه وتوفيقه ، فأنالهم رغائب الأقسام وسنى الحظوات ، ورفع درجهم ودرج خلوفهم وأعقابهم من بعدهم ، بعد اذ هم مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس ، مذعنون بقهر عدوهم واستئثاره عليهم ، ثم لم يلبثوا أن صاروا الى الحال التي يرونهم بها من الغبطة والبهجة ، الا أنهم أخذوها بحقها ، وكانت في أيدي الظلمة من أهل بيت اللعنة وأتباعهم بحدسه (١) الباطل ومحنة الابتلاء **(وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز)** ٠ وليس أحد منكم بخارج من المحنة بما ألبس من النعمة ، وان كنتم أهلها الآخذين لها بحقها ، بل الذين يلزمكم استدامتها والقيام بحفظها ، على حسب ما أولاكم الله منها ، فربما كان الذى يعقب أهلها من الغفلة والاغترار ويلهيهم بها من حبورها وسرورها ، أعظم اثما وحوبا مما يخاف على أهل البطالة والصبر من ضعف العزم وقلة الصبر ، لما يستولى عليهم من استكانة الذلة ، والاغترار بالتقصير ، والفزع الى ربهم في تنفيس كربهم ، فانه تبارك وتعالى قد وصف أهل الطبقتين فقال : **(واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض)** ٠ فحاجتكم اذا أنجح الله سعيكم وأظفركم بطلبتكم ، الى حياطة ما أودعكم الله من مننه وحراسة ما آتاكم من فضله ، بالشكر الممترى للمزيد ٠ فتعهدوا معشر شيعة أمير المؤمنين أنفسكم بتذكر ما سهل الله لكم من الحزونة ، وذلل لكم من الصعوبة ، وحكم لكم به من النصر ، على مراق الملة ومخالفى أهل القبلة ، وأباحكم من ديارهم وأموالهم ، فاصبحتم بمن

---

(١) كذا في الاصل ٠

الله عليكم حماة الدين ، وأنصار الأئمة الراشدين ، وحصون كافة المسلمين ، بعد ما اجتث الله بكم قرون النفاق ، وأباد بكم صناديد الضلالة وشرد من لم تستحمله سيوفكم وأضرع اليكم من أذعن واستسلم ، وقد استشرفكم معشر شيعة أمير المؤمنين أهل الشنآن ، ولاحظوكم بأعين الحسد والمنافسة ، فبين ذلك مجهر معالن ، ومستسر مداهن ، وداخل في عدادكم ، ووالج في سوادكم ، يرى أمنه بين ظهوركم ، فطعنه عليكم في دولتكم بريبة التمويه وخدع التشبيه ، أيسر عليه كلفه وأعظم فيكم جرحا ونكاية ، فتوقوا هذه الطبقة أشد التوقي ، فان أكثر من يلجأ الى استباحة الحيلة ، من عجز عن المباداة والاصحار ، وعند ظهور الحازم وغلبته يحترز من لطيف الخدع وخفي الاستدراج ·

واحذروا معشر شيعة أمير المؤمنين من استدراء الطراءة ، والركون الى راحة الدعة ما قد رأيتم وباله عاد على أهله ، وأورثتهم عواقبه طول الندم والحسرة ، فانكم قد كنتم في حال المراقبه لعدوكم ، والخوف لبائقته متيقظين متحفظين لما كان يرومكم به من ختله وحيله ، ثم أفضيتم الى الحج وقد جهدكم السعي ومسكم النصب ، وسيلقى الشيطان في أمانيكم ان قد اكتفيتم بسالف ما قاسيتم ، ويجد من ضعف العزائم معينا داعيا الى اغتنام الخفض ، والاخلاد الى الأرض ، ما لم تعتصموا بما عاينتم من الاعتبار وتمتثلوا مواضي الآثار فيمن سلف من القرون الخالية ، وما أفضت به اليه العزة من زوال النعم ووقوع الغير ، فان جميع ما خولكم الله وأفادكم مرتهن بما الزمكم من حياطته واستنمائه ، فقد وجبت عليكم الحجة بما حضكم الله عليه ، وعظمت عليكم المنة بما هداكم اليه ، وأراكم من آياته ومثلاته فيمن خلا قبلكم ما فيه أبلغ الاعذار والانذار لكم · ومن اجتمع له اقتناء صواب من تقدمه الى ما ينبعث من نفسه ، فكأنه قد اختبر بالتجربة ، مع استمداده بما يستفيد ، ويستزيد ما يفتح لبه ورأيه ، وأيقنوا أنكم لن تصلوا الى من سواكم ، ممن هو أعسر طاعة عليكم وأعذر بمعصيتكم ، حتى تبدءوا باستصلاح أنفسكم ، وأنه لن يرجى لكم القوة على مجاهدة عدوكم حتى تقووا على مجاهدة أهوائكم ، فان على كل امرىء ريبة من أمره ، وغطاء من غيبة ، لا يكشفه الا صحة المعرفة ، والاذعان بالنصفة ، فهناك يؤمن عليه الجهل والمعاندة ، واذا أمنت هاتان الخلتان انسدت باذن الله ثلم الآفات ، وفتوق المكاره ، فانه لا يخاف الضلال على من اهتدى ، ولا اعتماد الجور على من انتصف من هوى ·

وليكن أول ما تتعهدون به أنفسكم وتثابرون عليه من صالح أدبكم تناصف الحق بينكم ، بتقديم أهل الفضائل والآثار المحمودة منكم وتفخيم أمركم ، فقد علمتم أن منكم المبرز الفائت الذى لا يدرك شأوه ولا يوازى بلاؤه ، حين كشف الابلاء ضمائر القلوب وجلا مشتبهات الظنون ، فصرح بالمحاربة بعد التقدم في الحجة ، وفاء بمؤكد العهد وركوبا منه لهائل الخطر ، غير هائب مع صحبة الحق ما برق لديه الناكس المخلوع ورعد ، ولا مستوحش فيما تفرد به الى من تولى وأدبر ، حتى أتى الغاية التي أجرى اليها في الله عز وجل وفي خليفته ، ثم لرؤسائكم من أهل المشايعة والمكانفة

والنصرة والحظ الجزيل والأثر المبين ، ثوابهم واجب وحقهم لازم ، ثم منكم من يحفظ لسلفه وأوله من الآباء الذين يحفظون ولايتهم ، فان الله عز وجل يقول فى ذكر اليتيمين : (**وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة**) الآية • وقال على لسان يعقوب لابنه يوسف : (**وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث**) الآية • وأمير المؤمنين يرى توريث الحكمة والذمام سنة عليه فى أخلاقه التى يرعاها ويحافظ عليها ، كما أنه يرى وراثة التركة فريضة واجبة ، فيخلف السلف الصالح عنده من المزية والفضل ما يتلون به أهل الغناء بأنفسهم ، ثم يتلوهم من اقتدى [بهم] واهتدى بهديهم • والسابق المتقدم من اعتد ببلاء نفسه الى بلاء سلفه ، ثم يتبعه بعد المبلى بنفسه ، ثم يتلوهما بآبائه ، ثم الصاعد به هواه ورأيه ، طبقة فطبقة ، فليقصر كل امرىء منكم على المرتبة التى أحله بها سعيه ، وليسلك الى الازدياد فيها بالزيادة من نفسه ، فان من الفتوق العظيمة على أهل الدول ما ينزغ به الشيطان بينهم ، ويكثر عندهم ما يكون منه ، فيوافق من الحيف للأنفس ما يجد به مساغا الى ما يروم من ايقاع الشحناء بينهم ، وتثبيت الاحن فى صدورهم ، بعد التآزر والتناصر • ومتى يجمع المرء لمزية من فوقه ، واغتباط من دونه كفى ما ترك • ولن تخلص نياتكم وتسلم ضمائركم ، حتى تمحضوا شكر ما أوليه اخوانكم ، وتعتدوا ما نالهم شاملا لكم ، وتجانبوا طريقة من اقتصر بأمنيته على خاصته ، وتعتب فيما أوثر به أهل الفضل دونه • وكفى عظة فيما نهاكم الله عنه من ذلك • يقول الله عز وجل : (**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض**) الآية • ولا يلتمسن أحد مودته عن سوء نية بحسن مداراة فى ظاهر ، فان الله مقلد كل امرىء ربقة عمله ومطوقه طوق سريرته •ولا يغدرن فيما يلزمه لامامه ، فانه انما يغدر فى حظه وينحس قسمه ، وينحس نفسه • ثم لا يقتصرن على استصلاحها حتى يتناول من كانت منته عليه من أقربيه وحسويه (١) ، فان يسير ما هو معان من تأديتهم لا ينشب أن يتجاوز أدنى المراتب الى أقاصيها ، وقريبها الى متناهيها ، حتى يستفيض شاملا عاما ، بعد أن بدأ محللا خاصا •

واعلموا أن أمير المؤمنين متفقد من تثقيفكم وتقويمكم على صالح الأدب ومحمود السيرة ، ما لا يتفقد به من سواكم ، فانه ان كان يوجب على نفسه استصلاح الرعية وحملهم على ما فيه رشدهم وقوامهم ، لما يلزمه من فضل العناية بالأخص والأولى فالأولى ، فان فى أخلائكم من التقديم فى التأديب والتعهد ، وحوها من الضرر : منها : أنكم أولى بحسن الطاعة وسرعة الاجابة ، للطف محلكم وقرب مكانكم عند أمير المؤمنين • ومنها : أنكم يأنس بكم المؤتمون ويقتدى بكم التابعون ، فمتى قصرتم وأخللتم ، اقتفى أثركم من نصبتم له أعلاما ، ثم لم يكن لكم أن تزروا عليه ، ولا أن تأخذوا فوق

---

(١) كذا فى الأصل •

يده ، بل كان قمينا أن يكون يسومكم الرضا بمثل ما سمعتموه ، ثم تجرى هذه العادة في الطبقات ، حتى يطرد السياق ، الى أن يستفيض الفساد في حشو الناس وعامتهم ، فلا تغنى قوة ولا حزم ولا شدة ، الا العجز والاصاغة ، ثم يجد الأعداء مساغا الى الطعن والعيب ، فلا يملكون أن يرهقوكم ويستولى عليكم الفشل ، فان الأيدى انما نبسط بنفاذ العزائم ، والعزائم انما تنفذ بثبات الحجة ، والحجة انما تثبت اذا كانت عن الحق • واذا أضيع أول هذه الرسوم ، التى رسم لكم أمير المؤمنين ، تبعته نواليه وشفعته لواحقه ، ووجد العدو الملاحظ مكان العورة ، مطمعا فى اهمال ما كان يعد له من الغرة ، ويتوفق به من مناهزة الفرصة ، وليكن ما تفيضون فيه وتعدونه ظهيرا على طاعن ان طعن فى دولتكم ، ما ألهم الله أمير المؤمنين : من شمول رعيته بالعدل ، وفرش الأمر فى مضمراتها ومنقلبها ، ورفع به عنهم من سير الجود ، وبسط به يده من اثابة أهل البلاء ، وتغمد الجرائم لأولى الزلل ، والابلاغ فى دعاء من عاند وشاق الى التوبة والانابة ، واقالة العثرة بعد القدرة ، والحقن لمباح الدماء ، فلم تعلموه صبر محملا ، ولا هتك لأحد ممن أظفره الله به سترا ، ولا وقفه على عورة • ثم تولى الله أمير المؤمنين ، فى حروبه شرقا وغربا ، التى أغناه الله عن الاطناب فى وصف صنع الله لكم فيها ، لاستفاضة أخبارها فى دهمائكم ، مع ما أحب من مطالعته اياكم ببالغ أدبه وشافى عطفه ، أن يتنكب من الاسهاب ، فى غير ما صمد له ورأى من تقريع أسماعكم وأذهانكم ، لوعى ما التمس أن تعوه من تبصيركم حظكم وتنبيهكم على رشدكم • وحسب أمير المؤمنين فى نفسه وفيكم الله ، وكفى به مبينا •

وان أمير المؤمنين مع ما تقدم به اليكم لعلى ثقة من حياطة الله خلافته التى جعلها عزا لدينه وقواما لخلقه ، وأنه ليس بها ممن أدبر عن حقها اختلال بل من خلع ربقتها وأضاع حظه منها ، جلب الخلة والحاجة وخسران الدنيا والآخرة • وانما أتى المقصرون فى اعظام حقها من ضعف الروية عن بلوغ ما تفضى بهم اليه مصادر العواقب ، وتؤديهم اليه رواجع ما قدموا ، فلا يكونون بعملهم غير متجاوزين بهممهم ، وفيهم الذى هم فيه الى ما يمنعه (١) •

واستديموا معشر المسلمين سابغ النعمة بحمد موليها والمتطول بها • وقد ترون ما كنتم فيه قبلها وما آلت اليه حال من سلبها ، ثم يعقب الندامة حين لا مستعتب ولا نظرة يمكن فيها استقالة الفارط بتقصير ولا هفوة زلل • وثقوا من رعاية أمير المؤمنين محمود آثاركم ، وما مضى من بلاء كل امرىء منكم ، بما تطمئنون اليه وتتوقعون عادته ، بأسنى ما ترتفع اليه آمالكم وتسمو اليه هممكم الى ما يدخر الله لمن تمسك بهداه ، واعتصم بتقواه ، وجاهد عن حقه ، وافيا بأمر عهده من جزيل ثوابه وكريم مآبه ، الى الدار التى هى أكبر درجات : وأكبر تفضيلا •

---

(١) كذا فى الأصل •

أحب أمير المؤمنين أن يتعهدكم بعظــة تنبهكم على خظكم ، وتثبت من بصائركم ، وتقطع من طمع الشيطان وحزبه فيكم ، لما يجب عليه من ارشادكم ، ويرجو من تأدية حق الله عز وجل فيكم ، ولما يرى من اتصالكم بحبله ، وما يشمله من الصنيع فيما ولاكم الله به ، وتولاه لكم .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذى دل على الدعاء تطولا ، وتكفل بالاجابة حتما ، فقال عز وجل : (**ادعونى استجب لكم**) ، أن يجمع على رضـــــاه ألفتكم ، وأن يصل على الطاعة حبلكم ، وأن يمتعكم بأحسن ما أودعكم من مننه ، ويوزعكم عليهـــا من شكره ، ما يواصل لكم مزيده ، وأن يكفيكم كيد الكافرين ، وحسد الباغين ، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم بأفضـــل ما حفظ به أمام هدى فى أوليـــائه وشيعته ، ويحمل عنه ثقل ما حمله منكم . وبالله يستعين أمير المؤمنين ، على ما ينوى من جزائكم بالحسنى ، وحملكم على الطريقة المثلى ، وبه يرضى ناصرا ووليا ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وللمأمون ــ لما كتبت اليه السيدة زبيدة بعد مقتل ولدها الأمين خطابها الآتى تستعطفه :

كل ذنب يا أمير المؤمنين وان عظم صغير فى جنب عفوك . وكل زلل وان جل حقير عند صفحك . وذلك الذى عودك الله ، فأطال مدتك ، وتمم نعمتك ، وأدام بك الخير ، ورفع بك الشر .

هذه رقعة الواله التى ترجوك فى الحياة لنوائب الدهر ، وفى الممات لجميل الذكر . فان رأيت أن ترحم ضعفي ، واستكانتي ، وقلة حيلتى ، وأن تصل رحمى ، وتحتسب فيما جعلك الله له ظالبا وفيه راغبا فافعل ، وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعى اليك .

فكتب اليها المأمون :

وصلت رقعتك يا أماه ، أحاطك الله وتولاك بالرعاية ، وقفت عليهـــا وساءنى ــ شهد الله ــ جميع ما أوضحت فيها ، لكن الأقدار نافذة ، والأحكام جارية ، والأمور متصرفة ، والمخلوقون فى قبضتها ، لا يقدرون على دفاعها ، والدنيا كلها الى شتات ، وكل حى الى ممات ، والغدر والبغى حتف الانسان ، والمكر راجع الى صاحبه . وقد أمرت برد جميع ما أخذ لك ، ولم تفقدى ممن مضى الى رحمة الله الا وجهه . وأنا بعد ذلك لك على أكثر مما تختارين ، والسلام .

(هـ) احمد بن يوسف (١)

رسالة ممتعة لاحمد بن يوسف ذكرها ابن طيفور فى اختيار المنظوم والمنثور وهى :

أما بعد فالحمد لله القاهر القادر ، الخالق الرازق ، فاطر السموات والأرض ، الذى أحاط بكل شيء علما ، ونطق به خبرا ، وأتقنه حكمة وعلما ، وألف بين مختلفه ومتفقه ، ليدل بقوام بعضه على بعض ، على اتصال تدبير مشيئته ومبتدعه ، وانه أحد صمد ، لا ضد له ولا ند ، اذ قدر له حاجته ثم شدها ببلاغها الى الغاية التى جعلها ، فقال جل وعز : **(وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم)** وحكى عن نجيه موسى عليه السلام ، **(قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هــدى)** ، وقال الله تعالى : **(وكل شيء فصلناه تفصيلا)** ثم لم يكلف العباد من شكره كفاء نعمته ، بل رضى منهم باليسير ، وقبل منهم العفو ، وجعل طاعتهم اياه عائدة عليهم بجزيل الحظ فى دينهم ودنياهم ، لغناه عن عبادتهم ، واتساع قدرته بالتطول عليهم ، مفتتحا وخاتما ، وبادئا وعائدا .

والحمد لله الذى اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم ، نبيا لرسالته ، وأتمنه على وحيه ، وأنزل عليه كتابه العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فأدى الى خلقه الرسالة ، واستنقذهم من الضــلالة ، وصدع بأمر ربه وجاهد فى سبيله ، ونصح لأمته حتى أتاه اليقين من ربه ، بعد استنارة الحق ، وظهور الحجة ، فصلى الله عليه بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا قد تلافى من الهلكة ، وجمع الألفة بعد الفرقة ، وأوضح الهدى بعد الدروس ، ومعالم الرشد بعد الطموس ، وكان بالمؤمنين رحيما .

والحمد لله الذى قفى على آثار المرسلين ، والأئمة الراشدين ، الهادى التقى ، الطاهر الزكى ، الامام المأمون أمير المؤمنين ، أعز الله نصره ، فســـد ثلمتهم ، ورأب صدعهم وقلده خلافتهم ، وجعله لكافة المسلمين غياثا ورحمة ، وجعل ما ألهمه من العدل والاحسان اليهم ، منة عليه ورحمة ذخرها له ، دون الخلفاء قبله ، فيما أظهر من فضل زمانه على الأزمنة ، وسياسة من تقدمه ، ومنح الرعية من عطفه ونظره ، ما لا يحمل عنهم أو به ولا يؤدى عنهم شكره ، الا هو لا شريك له ، وأحسن الله جزاء أمير المؤمنين ومثوبته ، على صلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى هى رحمه وقرابته ، واختياره لولاية عهده الأمير الرضى على بن موسى ، حفظه الله ، حين أحمد

---

(١) راجع ما كتبناه عنه فى الفصل العاشر من الكتاب الثالث فى المجلد الأول .

سيرته ، ورضي محبته ، وعرف استقلاله ، بما قاده في هديه ، ودينه ووفائه ، بما أكد الله به عليه ، من عهد أمير المؤمنين أيده الله ، في اعتيامه من ازره وأساه بما شفع رأيه ، وأنفذ تدبيره ، حين هم لاستصلاح ما استرعاه الله ، من أمور عباده ، لما انتقى القائم بدعوته ، ورئيس شريعته ، الأمير ذا الرياستين رحمه الله ، فاتخذه مكاتفا ظهيرا ووزيرا دون من سواه ، فاتبع منهاج أمير المؤمنين أيده الله ، وسار بسيرته ، شرقا وغربا ، وغورا ونجدا ، موفيا بعهده ، قائما بدعوته ، مقتفيا لأثره وسنته ، فحسم الله به الأدواء ، وقمع به الأعداء ، من عتاة الأمم ، وطواغيت الشرك ، وأباد على يده ، أهل الشقاق والنفاق ، في كل أفق وطرف ، بجد أمير المؤمنين أعزه الله ، وبركة سياسته ودولته ، ونجح سعى من قام بنصرة من قام بحقه ، وأنار برهانه ، حتى توفاه الله عز وجل ، حين بلغ همته وغايته ، وحم أجله ، وانقطعت مدته ، سعيدا حميدا ، شهيدا فقيدا ، عند امامه أكرمه الله ، وعند الخاصة والعامة ، وكان من اجلال أمير المؤمنين ، الحادث الذي نزل به ، فأحيا آثاره ، بوصف محاسنه ، في مشاهده ومجامعه ، وترحمه عليه عند ذكره ، وحفظه في لحمته ، وأهل حرمته ، وفيمن كان يحمد الله على طاعته ونصيحته ، ما أتم به نعمته ، عندنا وعندكم معشر الشيعة ، فقد أصبح أمره بكم متصلا ، وموقعه من جماعتكم متمكنا ، يقبضكم ما قبضه ، ويبسطكم ما بسطه من لومة المصيبة ، وحسن العقبى ، وقد علمتم معشر أهل الحجا والنهى ، والطاعة لله عز وجل وخليفته ، وذوى الغناء والبلاء في دعوته من أهل خراسان وغيرهم ممن حضر ممن امتحن الله قلبه بوفاء العهد والاستبصار في حق أمير المؤمنين أبقاه الله ، والمجاهدة دونه ، والصبر على مواطن الصدق واللأواء ، والذب عن البيضة والحريم ، والمتحملين للنصب ، والمصائب التي انجلت ، حتى كأن لم تكن ، وبقى أجرها على الله عز وجل ، ومحمود ذكرها شائعا في الناس ، ان نعم الله ، قد جلت ولطفت ، وخصت وعمت ، وعلت وسمفت ، وتمت ودامت ، حتى قصرنا عن موازينها ، والاحاطة بأدائها ، فاذا لم يكن لنا معشر اخواننا سبب الى مكافأة بلائه بالعمل ، فنحن جدراء أن نجتهد في القول ، ونطنب في الوصف ان شاء الله جل وعز ، فقد جعل ذكر النعم من أسباب الشكر ، وقد جدد لنا أمير المؤمنين أيده الله من الحياة والكرامة ، وجزيل الحيطة ، وسنى الرتبة التي قرىء بها عليكم كتابه ما يستغرق جهدنا ، ويستفرغ وسعنا ، فنرغب الى الله عز وجل ، ولى الرغبة ، ومؤتى السؤل والطلبة ، في اعانتنا على تأدية ما وجب له ، فيما منحنا من فوائده ونحله ، ثم نسترفدكم ونستعينكم على شكره ، وامدادنا بما بلغته طاقتكم في السعي له فقد آدنا ثقل ما حملنا ، وثقل ما طوقنا ، وعظمت فاقتنا الى استعمال القوى من الأنفس والحامة ، والخاصة والعامة ، في جزاء ما جلل أمير المؤمنين فينا من سننه ، وشملنا من تالد أياديه وطارفها ، وقديمها وحديثها ، وكيف يوجد الى موازاة أمير المؤمنين سبيل ببذل جهد ، أو بلوغ حشد ، فانما نقتدى بهداه ، ونعشو بنوره في ديننا ، وليس عجزنا عن أن نجزى حقه ، بواضع عنا مؤونة الدؤوب في التحرى

لتأديته ، فان الله عز وجل ، قد أخبر بفضائل الشكر ومناقبه ، وجعله من أسمائه ، **(ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم)** ، وقد قال تعالى : **(ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما)** • وقال تعالى : **(ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم)** • ولولا أن الله عز وجل رضيه لنفسه ، لأجللناه عن التسمية اذ كان أكثر ما نستعمله ، ونعرفه في مكافأة من من وتطول ، ثم تنى بذكر فضله فى العباد ، فان الله تبـارك وتعالى افتتح أول ما علم خلقــه بالحمد ، وجعله بدء كتابه ، وخاتمة دعـوة أهل جنته ، فقال عز وجل : **(وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين)** ، وخلق الله السموات والأرض ، ومن برأ وذرأ في الحياة ليبلو عباده بشكره ، وأعد الجنة فى الآخرة لمن شكره ، والنار لمن كفره ، وقال الله تعالى : **(واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد)** ، وقال الله تعالى : **(ولقد نصركم الله ببدر وأنتـم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون)** ، فجعل التقوى واقعة ، والشكر مرجوا ليدل على ارتفاع رتبته ، وعلو درجته عنده ، وقال لنجيه موسى عليه السلام : **(اني اصطفيتك على الناس برسـالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)** • فلم يكلفه الا أخذ ما أعطاه ، والشكر على ما آتاه ، واخبر بعزته فى العبـاد ، فقال تعالى : **(وقليـل من عبادى الشكور)** ، فأية نعمة أجل قدرا ، وأسنى أمرا ، معشر الشيعة من نعمة أمير المؤمنين ، أيده الله ، عند الأمير ذى الرياستين ، ومراتبه التى رتبه بها ، فانه أعطاه رياسة الحرب ، ورياسة التدبير ، وعقد له على رأسهما علما فى رواية دعوته ، وقلده سيفهما وختمه بخاتم الخلافة ، وخاتم الدولة ، وجعل صلاته بين صاحب حرسه ، وصاحب شرطته ، ومسيره بين أمير المؤمنين وبينهما ، أمامه وخلفه ، وصبر له الجلوس على الكرسى بحضرته ، فى صدر كل مجلس جلس ، الا أن يؤثر به من أحب من أبناء الخلفا ، وقدمه فى دخول دار الأمير راكبا الى أقصى مكان ينتهى اليه أحد من بنى هاشم ، لأنه منهم ، وأعظمهم غناء عنهم ، فسماه صاحب دعوته وسيفه على عدوه وبابه الذى يدخل اليه منه ، وولاه خيوله فى أقطار الأرض ، ومقدمته بحضرته ، وقلده من الثغور ما قد علمت ، بما أفرده فى عهده ، الى ما أنفذه من أمره ، فى جميع سلطـانه وملكه ، من مشـــارق الأرض ومغاربها ، وأين يأتى الوصف على ما فضله به ، وقدمه وشرفه على الناس كافة ، ولكنا نخطر بذكره ، ثم نكل السامعين الى ما يرجعون اليه من المعرفة التى لا تبلغها الصفة ، ثم لم يكن ما أكرمه به فى حياته بأعلى مما أكرمه به فى وفاته ، تولى غسله وتكفينه ، ومباشرته لجهازه ، الى حفرته بيده ، وقاسى من الغصص ، وبرحاء الحزن ، واذراء العبرة ، واراقة الدمعة ما حال بينه وبين الكلام ، وكاد يمنعه من القول والدعاء فى صلاته عليه ، من الحكم ، وحفظ أهل الحرمة ، به رعاية له فيهم ، ووفاء بعهده

من بعده ، وأقر خاصته ، وقواده وعماله · وكتابه على مراتبهم ، وحمد بحمده ، وذم بذمه ، وجدد لجنده . وتل (١) كريته ، نظرا وعطفا ، فلم يبق عليه فى احياء ذكره ، وبلوغ كل ما يحبه في حياته غاية الا أتى من ورائها ، وأمر بقراءة فتوحه ، كما كانت تقرأ على عهده ، وأضاف كل ما حدث من بعده الى ما تقدم من سعيه ، وأخبر أنه كان سببه ، والمفتتح به ، وولى محمد بن الحسن خلافته ، ونصبه منصبه ، وأقامه مقامه الى أن جدد العهد لى ، فاستخلفته على ما ولى بحضرته ، ثم تتابعت كتب أمير المؤمنين ، أكرمه الله بعد مصاب الأمير ذى الرياستين ، بما لا يقارب التفضيل ، والاطلاق والتفويض الذى كنتم سمعتم به وبلغكم ، فلم يكن يرى وراءه مجاراة ، ولا فوقه مصعدا ، حتى جدد لنا من كرامته ، ما قد قرىء عليكم فى كتابه ، فبلغ بنا ما لم تكن الهمم تبلغه ، والأمانى لتحيط به ، لولا ما منحنا الله عز وجل من الترقى فى الفضل ، الى ما تنحسر من دونه الأبصار ، وتنقطع دونه الآمال ، وانما اقتصصناه وذكرنا ما أبلانا واصطنع عندنا من بلائه بدعائنا الى الله عز وجل ، والى طاعته بالعدل والاحسان الى رعيته والنظر بالصفح ، والأخذ بالفضل ، والأمر بالمعروف ، وصلة المروءة بالوفاء بالعهد ، والشكر للمنن ، ورعاية الأخلاق المحمودة ، واحظاء أهلها ، واقامة سوقها ، حتى تنافسوها وتشاحوا فيها ، وصارت هى الذرائع اليه ، والوسائل عنده ، فلو تأمل متأمل أهل الزلفة ، والأثرة لديه ، لوجد الأخص فالأخص ، والأعلى قدرا عنده هو الأفضل دينا ومروءة ، فلو لم يكن فى الحظوة عنده الا ايجابها لصاحبها صحة المحبة ، والنزاهة عن كل ظنة ، لكان فيها أعظم الغبطة ، وأعدل الشهادة والدلالة . وسنقص عليكم بما أخبرناكم عنه ما لا سبيل الى جحده وانكاره ، بوضوح معالمه ومنائره ، أو ليس المجاهد عن دين الله ، والمحامى عن بيضة المسلمين ، والمواتى لأغلظ عدوهم شوكة ، وأخوفهم عداوة ، والمنجح فى بلادهم ، بمن كان لا يرام ، ولا يحاول لاستصعابه وشدة مقاساته ، حتى أذعن جيغويه بالعبودية له ، ثم أباح حريمه حين تمرد عليه ، حتى بلغ السبى الى ولده ، وحاربونا به ، وتغلغلت خيوله ، حتى توصلت الى قبته ، ومنتهى عزه ، أو ليس مسكن التهييج بالمشرق ، حتى خبت النيران فيه ، وأذعن رؤساؤها وقادتها · أو ليس غازى بلاد بابل حين طغى أميرها ، وبدل ، ونكث ونقض ، حتى اجتثت ارومتـه ، وأباح حريمه ، وأراح المسلمين من معرته ، أو ليس ساد الثغور ، ومحصن عوراتها ، والمباشر لتدبيرها ، والمساعد لمكايدة المنجح فيمن أرادها ، وفاك العناة ، من رق الاسار ، وناشر الرحمة على فقراء المسلمين وضعفائهم وأهل المسكنة ، والخلة منهم ، وقاسم الصدقات فى أهلها ، وعامر الموسم ومحصنه من الآفات حياطة للمسلمين فى حجهم ، وما يتقربون به الى ربهم ، وهل اقترن لأحد من الأئمة ما اقترن له في الملك والدين والعز ، والتواضع والسعة ،

---

(١) كذا في الاصل ·

والبذل والقدرة ، والعفو والغلظة ، واللين في مواضعها ، والنسك مع الهمة ، والسطوة مع الاقالة ، وهل ترك معشر الأولياء والاخوان في الدين غاية لم يسم بنا الى شرفها ، وعلى مراتبها ، ومستزاد الحظ في عاجل وآجل ، لم يبلغناه ويختار لنا خاص مكرمته ، ومدخر عاقبته • أرشدنا الى الدين ، وسلك بنا سبيل الجنة ، وحاز لنا الملك ، فلم يبق وراء ما ملكنا غاية ، وورد بنا الحروب وساسها لنا ، فلم يدع غاية للتعليم والدراية ، سلط علينا بسلطان الله الذى آتاه فلم يدع غاية فى التقلد والفقه . فكم علمنا الفضائل ، ثم فضلنا بها ، غلب لنا الأمم ، ثم خولناها • علمنا طرائق الشرف ، ثم شرفنا بها • أخبرنا عن الأنباء فكفانا مؤونة التماسها ، وأغنانا بما عنده فيها ، أخذ على أيدينا الخير للرعية ، فوهب لنا شكرها ، وصدق مقالتنا عند الشبهة ، وأنفذ أمرنا فى التدبير •

فيأيها الامام المنصور المهدى الرشيد حزت فضائل الآباء ، واهتديت بهدى الأنبياء ، انشكرك عن الاسلام ، فانت القائم به الداعي له ، والناصر لحقه ، ام نشكرك عن الامصار ، فانت المفتتح لمتنعها عنوة ، والمتطول على اهلها بالرحمه ، والمتعطف عليهم بحسن الفائدة بعد ما هيجت منك سورة الغضب ، فاطفات نارها ، وأخمدت لهبها ، وعدت على من سفه ، وأضاع حظه ، ام نشكرك على المساجد ، فانت الذى أسستها على التقوى ، وعمرتها بتلاوة القران ، وطهرت المنابر وركبتها ، تعلوها صائما ، وتنطق عليها صادقا ، وتدعو الى الرشد عليها ناصحا ، وتختم القرآن قبل أن تبدأها محسنا ، وتتلو من قوارعه ، ما تصيخ له الأسماع وتلين له القلوب ، أم نشكرك على البيت العتيق ، والركن والمقام ، والحجر وزمزم ، ومشاعر الحج ، وأنت ذببت عنها ، وأعدت اليها عهدها ، فى مبعث نبيها ، صلى الله عليه وسلم ، فأمنت النازع اليها ، من كل فج عميق ، والحالين بها من الركوع والسجود ، أم نشكرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حفظت فيه من عترته ، بعفوك عن مجرمهم ، ومضاعفتك ثواب محسنهم ، واحيائك من أمرهم ، ما كان قد اندرس وانطمس ، بعد اللقاء بنبى الله صلى الله عليه وسلم ، وقد راعيت منه فى قرابته وقرابتك ، وذوى رحمه ورحمك ، ما ضيع الناس • ووصلت منهم ما كان وصله ، اذ كان الله عز وجل ، قد فرض صلة الأرحام ، فكان أطوع خلق الله عز وجل فيما فرض عليه • أم نشكرك عن العوام ، فقد ألبست المسلمين ثوب الأمن ، وأذقتهم طعم السعة والرفاهة ، وعدلت بينهم بالانصاف ، وتوليت دونهم النصب ، وآثرتهم الراحة • أم نشكرك عن الملوك والقواد والأجناد ، فأنت الذى رفعت منازلهم ، ووفرت عددهم ، فلم يكن فى دهر أحد من الخلفاء أسعد ولا أحظى منهم فى سلطانك ، بما بذلت لهم من المعاون ، ووليتهم من الثغور والأمصار ، وأدررت عليهم من الأرزاق والخواص . أم نشكرك عن الأحكام والسنن ، فأنت الذى أنهجت سبيلها ، فأوجبت فرضها ، ونافست فى أهلها ، أم نشكرك عن الأعداء فأنت الذى بدأتهم بالحجة ، ودعوتهم الى

الفيئة والانابة ، ثم ثنيت معقبا بالعفو ، ونعشـتهم بعد البؤس ، وآنستهم من الوحشة ، أم نشكرك على مكارم الأخلاق ، وأنت الذى ثبت وطأتهـا ، ونفيت عنها أضدادها ، ولو نطقت بالفضل ، لنطقت بشكرك ، فى ازالتك اياها عن اللئـام ، واخطائك من اعتزى اليها • أم نشكرك عن الثغور ، فأنت الذى تممتها ، وحصنت عوراتها ، أم نشكرك عن السلف ، فأنت الذى أشدت بفعالهم ، وحفظتهم فى أبنائهم ، أم نشكرك عن برد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن القضيب الذى شخص به ، حتى جعلتهما زينتك ، وسموت بهما فى أعيادك ، عند حشدك ، على الطهر والزكاة ، والنسك والتقوى ، أم نشـكرك عن المسلمين فى رعايتك اياهم ، وما ترعيهم من جنابك ، وتنفى عنهم من الآفات ، وتفل عنهم من جبابرة الكفر ، وتفض من جيوش الشرك والنكث ، وتفتح من الحصون المستصعبة ، وتسهل من الطرق الوعرة ، أم نشكرك عن تواضعك لله عز وجل ولصالح المسلمين طلبا للرفعة عند الله • أم نشكرك عن الدين وقد جعلت السلطان عبدا وقائدا ومنفذا • وكان مأمورا فجعلته آمرا ، وآلة للقوة فجعلت القوة له آلة ، فيا من اتصل شكره بشكر الله عز وجل ، ونعمته بنعمة الله تعالى وطاعتـه ، بطاعة الله فوهب الله لك شرف المنـــازل ، ورقاك درج الفضائل ، وجزاك الله عنا وعن غيرنا ، مما شكر من ناطق أو صامت ، جزيل الثواب ورفيع الدرجات ، وأمتعك ما أتاك وأمتع الأمة ما آتاهم منك ، والحمد لله ذى الرغبات ، ومتمم الصالحات ، شكرا لرب العالمين ، فانه مبلغ طاقتنا ، ومنتهى جهدنا ، وبه نستعين على تأدية فرائضه ، انه لا يعين على ذلك الا هو ، أحببت أن نشكر اليكم أمير المؤمنين أيده الله ، اذ ورد على من أنعامه وافضاله ، ما لا أبلغه بالفعل ، وأن يكون ما اقتصصنا عليكم ، داعيا لكم ، الى أن تشكروه عنا ، وعن أنفسكم ، وعن الاسلام والمسلمين ، ورجوت بما وفقنا الله له ، فيما شرحنا وأوضحنا ، من الدلالة والبيان أن يكون مجتمعا ينتفع به من حضرنا ، ومن عسى أن يؤدى اليه الخبر عنا ، أو حدث بعدنا ، وضننت بهذه المكرمة الرائعة ، والمأثرة البارعة ، التى ادخرهـــا الله لأمير المؤمنين ، أعز الله نصره ، وأفرده بها ، دون الأئمة والخلفـــاء ، أن تمر بالأسماع صفحا ، وتجتاز على القلوب سهوا ، حتى تؤكد بالشواهد والبرهان ، ليبقى ذكرها ونفعها فى الخلوف والأعقاب ، ونحن نسأل الله عز وجل الذى جمع بأمير المؤمنين — مد الله فى عمره — ألفتنا ، وعلى طاعته أهواءنا وضمائرنا ، وأنالنا من الغبطة فى دولته وسلطانه ، ما لم تحوه شيعة امام ، ولا أنصار خليفة ، يتم نور أمير المؤمنين ، ويعلى كعبه ، ويمتعنا ببقائه ، حتى يبلغه سؤله وهمته فى الاستكثار من البر وادخار الأجر ، واستيجاب الحمد والشكر ، وأن يلم به الشعث ، ويرأب به الصدع ، ويصلح على يديه الفساد ويرتق به فتوق هذه الأمة ، ويثخن بسياسته ونكايته فى عدوها ، ويتابع الفتوح فى بلدانهـم حتى يؤتيه من نجح السعى ، ورغائب الحظ فى الدنيا ، ما يجزل عليه ثوابه فى الآخرة ، وأرشـد نجباءه وأصـفياءه ، الذين يقول لهم ، ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ •

ومن توقيعاته نقلا عن كتاب الصولى ٠

وقع الى عامل ظالم « الحق طريق واضح لمن طلبه تهديه محجته ولا تخاف عثرته وتؤمن فى السر مغبته فلا تستقلن منه ولا تعدلن عنه فقد بالغت فى مناصحتك فلا تحوجني الى معاودتك فليس بعد التقدمة اليك الا سطوة الانكار عليك » ٠

ووقع فى عناية بانسان الى بعض العمال « أنا بفلان تام العناية وله شديد الرعاية وكنت أحب أن يكون ما ارعيته طرفك من أمره فى كتابى مستودعا سمعك من خطابى فلا تعدلن بعنايتك الى غيره ولا تسنحن بعقدك سواه حتى تنيله ارادته وتتجاوز به أمنيته ان شاء الله » ٠

وفى كتاب ابن طيفور من توقيعات أحمد بن يوسف الشيء الكثير فارجع اليه أن شئت ٠

(و) رسائل سهل بن هارون (١)

من كلامه :

حكى الجاحظ قال : ــ لقى رجل سهل بن هارون فقال : هب لى ما لا ضرر به

---

(١) هو من ابناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة في دولتى الرشيد والمأمون ، وقد وضع كتابا حاكى به كتاب كليلة ودمنة وسماه « ثعلة وعفرة » ٠ وكان قيم بيت الحكمة (مدير دار الكتب) فى عهد المأمون ٠ ولد سهل بن هارون فى مدينة ميسان بين واسط والبصرة ، وفي رواية فى دستميسان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، فى أواخر النصف الأول من القرن الثانى تقديرا ، ولا يعرف من نسبه الا أنه سهل بن هرون بن راهيون (راهبون) وكنيته أبو عمرو ، فارسى الجنس اهوازى أو خوزى المولد ، عراقى المنشأ ، تحول الى البصرة فى سن لم تعرف ، وكانت البصرة اذ ذاك مدينة العلم فى الدولة الاسلامية ، بل مدينة العلم فى العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الاسلام ، وخزانة العرب » حوت من العلم الانسانى أصوله وفروعه ، ومن القائمين على تنميته مصاقعه وفحوله ، فغذى روحه بلبان مجالسها ومجامعها ، واستنار عقله بما أقتبسه من نور معارفها فتخرج بعلمائها ، ولا شك فى أنهم كانوا طبقة عالية جدا ، فى كل مطلب من مطالب الآداب ٠ وقيل : ان سهل بن هارون كان شيعيا ، وشيعة العراق فى زمنه كانوا على الاطلاق معتزلة ، ولم يؤثر عنه أنه تنقص أحدا من الصحابة ألكرام ، بل عرف بالاعتدال مع الأموات ، اعتداله مع الأحياء ، وما أثر عنه أنه خاض غمار مباحث الكلام التى كانت على أشد حرارتها اذ ذاك ولا سيما فى البصرة ودار السلام بغداد ، واتهموه بأنه كان مع الشعوبيين الذين يصغرون شان العرب ، ولا يرون لهم على العجم فضلا ، واذا صحت هذه التهمة فمن الصعب التوفيق بين مذهب من يقول بالشعوبية ومن يقول بالتشيع ، على المعني الذي فسر به بعد قرون ٠ =

عليك ، فقال : وما هو يا أخى ، قال : درهم ، قال : لقد هونت الدرهم وهو طائع الله فى أرضه لا يعصى ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف دية المسلم ، الا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هونته ، وهل بيوت الأموال الا درهم على درهم ! فانصرف الرجل ، ولولا انصرافه لم يسكت .

وحكى دعبل الخزاعى الشاعر قال : أقمنا يوما عند سهل بن هارون ، وأطلنا الحديث حتى أضر به الجوع ، فدعا بغدائه فأتى بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم ، فأخذ كسرة وتفقد ما فى الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقى مطرقا ، ثم قال للغلام : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ، قال : ولم ظننت ذلك ! فوالله انى لأمقت من يرمى برجله فكيف برأســـه ! ولو لم أكره ما صنعت الا للطيرة والفأل لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس يتفاءل به ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذى يتبرك به ، وعينه التى يضرب بصفائها المثل فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكليــة ، ولم أر عظما قط أهش تحت الأسنان منه ، وان كان بلـغ من نبلك أنك لا تأكله ، فعندنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ! انظر أين رميته ، فقال : والله ما أدرى ، قال : أنا والله أدرى ! انك رميت به ، والله فى بطنك ، فالله حسيبك .

ومن مؤلفاته كتاب البخلاء .

ولما صنف سهل كتابه فى البخل أهداه الى الحسن بن سهل واستماحه ، فكتب اليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك ، قد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما نعطيك شيئا .

= وصفه الجاحظ فقال : « كان سهل سهلا فى نفسه ، عشيق الوجه ، حسن الشارة ، بعيدا عن الفدامة (العى) معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يقضى له بالحكمة ، قبل الخبرة ، وبرقة الذهن ، قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب ، قبل الامتحان ، وبالنبل ، قبل التكشف (الظهور) » . وكان الجاحظ مازجه وثاقفه . وقيل للحرانى ولعله ابراهيم بن ذكوان كاتب الهادى ووزيره : بينك وبين سهل بن هارون صداقة فانعته لنا كى نعرف ، فقال : « هو كالخير ، وازن العلم ، واسع الحلم ، ان حودث لم يكذب ، وان موزح لم يغضب ، كالغيث أين وقع ، نفع ، وكالشمس حيث أولت ، أحيت ، وكالأرض ما حملتها حملت ، وكالماء طهور للمتمسه ، وناقع لغله من أحر اليه ، وكالهواء الذى تفطف منه الحياة بالسسم . وكالنار التى يعيش بها المقرور ، وكالسماء التى قد حسنت بأصناف النور » . صورتان جميلتان فى وصف سهل صورهما مصوران مبدعان عاشا بقربه ، وفتنهما بخلقه وخلقه .

واتهموا سهل بن هارون بالبخل وأوردوا له قصصا ونوادر ، وربما كان اتهامه بالبخل مبالغا فيه تراد به النكتة والنادرة . من محاضرة للأستاذ الباحث السيد محمد كرد على القاها بالمجمع العلمى العربى بدمشق ونشرها بمجلتى المجمع والمقتطف .

واتهم سهل بن هارون بالبخل وأورد له في ذلك قصص ونوادر وعده الجاحظ من « متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء » قال : ما علمت أن أحدا جرذ في البخل كتابا الا سهل بن هارون ، وأبا عبد الرحمن الثورى ، والبخل فى الفرس غالب فى الجملة ، غلبة الكرم على طبائع العـرب ، فاقتضى ذلك التفريط الذى رآه ســـهل فى تبذير العرب ، أن يدلى لقومه بآرائه المفرطة في الاقتصاد والامساك • وما شوهد قط تفريط الا والى جانبه افراط •

كتبه وطريقته فى التأليف :

كان سهل بن هارون منقطع القرين فى صنوف العلم والآداب ، وناهيك بعالم كبير كالجاحظ كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه فلا يرى الأسماع تصغى اليه ، ولا القلوب تيمم نحوه ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقص منه مرتبة وأقل منه فائدة ، فينحله عبد الله بن المقفع ، أو ســـهل ابن هارون ، فيقبل الناس عليها ، ويسارعون الى نسخها •

ويقال ان طريقة سهل فى كتابته طريقة أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا يتكلف لكلامه ، فلا يشاهد فيه الناقد أثر التعمل ، بل لا يكلف بغير ارسال النفس على سجيتها ، فهو وابن المقفع والجاحظ على غرار واحد •

وقيل ان سهلا كاتب ســلاطين ، والجاحظ مؤلف دواوين • وكان كلامه نغمة موسيقية تعرف انتهاء جملته من رنتها بعد أن ملكت عليك مشـــاعرك ، لا يحفل بالأسجاع الا اذا جاءت عفو الخاطر ، شأن بلغاء الصدر الأول • وكان يقول الشعر وأكثر شعره مما أملاه قلبه ، فى غرض من أغراض المجتمع • وعده الجاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المجلدة ، والسير الحسان المولدة ، والأخبار المدونة • ولقبه مرة بالكاتب ، ولعل لقب الكاتب فى شرفه أكبر من عالم • وذكره ابن النديم فى البلغاء وقال : انه شاعر مقل ، وعده فى الشعراء الكتاب • وقال : انه كان ممن يعمل الأسمار والخرافات على ألسنة الناس والطير والبهائم هو وعبد الله بن المقفع وعلى بن داود كاتب زبيده • وشعره خمسون ورقة • أما الدهشة ففى تآليفه ، فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر والثعلب ، وكتاب اسباسيوس (أسانوس) فى اتخاذ الأخوان ، كتاب أسد بن أسد ، كتاب سحرة العقل ، كتــاب تدبير الملك والســياسة ، كتــاب الى عيسى بن أبان فى القضاء ، كتاب الفرس ، كتاب الغزالين ، كتاب ندود ودود ولدود ، كتاب الرياض ، وكتاب ثعلة وعفراء ، (وفي رواية ثعلة وعفرة) على مثال كتاب كليلة ودمنة ، قلده فى أبوابه وأمثاله •

وقال المسعودى : يزيد عليه أى على كليلة ودمنة فى حسن نظمه وقد صنفه للمأمون ٠ ومن تآليفه : كتاب الهزلية والمخزومى ، كتاب الوامق والعذراء الى غير ذلك من المصنفات التى لم تبق الأيام ويا للأسف على واحد منها فيما علمنا ٠

دخل سهل على الرشيد وهو يضاحك المأمون ، فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون فى كل يوم من أيامه مربيا على أمسه ، مقصرا عن غده ، فقال الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه وأوضحه ، اذا رام أن يقول لا يعجزه القول ؟ فقال سهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننت أن أحدا تقدمني الى هذا المعنى ، قال بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتــك أمس خــير بنـى لـؤى ✻ وأنت اليــوم خــير منــك أمس
وأنت غـدا تزيد الخـير ضـعفا ✻ كذاك تزيـد ســادة عبد شمس

وقد شهد مقتل البرامكة فى سنة ١٨٧ هـ وحدث فيما كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال : ان سجاعى الخطب ، ومحبرى القريض عيال على يحيى بن خالد ابن برمك وجعفر بن يحيى ، ولو كان كلام يتصــور درا ، ويحيله المنطق السرى جوهرا ، لكان كلامهما ، والمنتقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد فى بديهته وتوقيعاته فى كتبــه ، فدمين عيين ، وجاهلين أميين ، ولقد عمرت معهـم ، وأدركت طبقة المتكلمين فى أيامهم ، وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة الا عليهم ، ولا انقادت الا لهم ، وأنهم محض الأنام ، ولباب الكرام ، وملح الأيام ، عشق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم ، والمأثور من خصالهم ، كثير أيام من سواهم من لدن آدم أبيهم الى النفخ فى الصور ، وابتعاث أهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين ، وأهل وحيه المرسلين ، لما باهت الا بهم ، ولا عولت فى الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم أعراقهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعسول مذاقهم ، وبهــاء اشراقهم ، ونقاوة أعراضــهم ، وتهذيب أغراضهم ، واكتمال خلال الخير فيهم ، الى ملء الأرض مثلهم فى جنب محاسن المأمون كالنفثة (التفلة) فى البحر ، والخردلة فى المهمه القفر ٠

قيل : وهذا الكلام على ما فيه من حقيقة فى بيان سجايا البرامكة والرشـــيد والمأمون لم يختتم بالنصفة الحقة ، ومال به سهل الى المصانعة ، وخرجه على نحو مبالغة الفرس ، فى الاطراء والملق لولى الأمر ٠

وروى بعض الرواة أن المأمون كان استقل سهل بن هارون ، وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من

كلامه أقبل سهل بن هارون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون وتتعجبون ولا تنصفون ! والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم ، وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف بالدواء من لا يشعر بالداء • فرجع المأمون فيه الى الرأى الأول ، وعرف أنه الرجل كل الرجل ، فقربه وأدناه على النحو الذى كان عليه في عهد والده •

ومن كلام له في كتابه ثعلة وعفرة :

« اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذى تجودون به من تفضلكم ، فان تقديم النافلة مع الابطاء في الفريضة شاهد على وهن العقيدة ، وتقصير الروية ، ومضر بالتدبير ، ومخل بالاختيار ، وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ، ولزوم النقيصة » •

وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عدو تلاد المال فيما ينوبه ❊ منوع اذا ما منعه كان أحزما
مذلل نفس قد أبت غير أن ترى ❊ مكاره ما تأتى من العيش مغنما

وكتب الى صديق له أبل من ضعف :

« بلغنى خبر الفترة في المامها وانحسارها ، والشكاة في حلولها وارتحالها ، فكاد يشغل القلق بأوله عن السكون لآخره ، وتذهل الحيرة في ابتدائه ، عن المسرة في انتهائه ، وكان تغيرى في الحالين بقدرهما ارتياعا للأولى ، وارتياحا للأخرى » •

وكتب في البخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله • قال الأحنف ابن قيس : يا معشر بنى تميم ، لا تسرعوا الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار • وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب • ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب • وقبيح أن تنهى مرشدا وأن تغرى بمشفق • وما أردنا بما قلنا

الا هدايتكم وتقويمكم ، واصلاح فاسدكم ، وابقاء النعمة عليكم · وما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم · وقد تعلمون أنا ما أوصيناكم الا بما اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : (**وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب**) فما كان أحقنا منكم في حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على ما رعيناه من واجب حقكم ، فلا العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم · ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر لرأينا في أنفسنا من ذلك شغلا ·

عبتموني بقولي لخادمي : أجيدي العجين فهو أطيب لطعمه وأزيد في ريعه (١) · وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أملكوا (٢) العجين فانه أحد الريعين ·

وعبتموني حين ختمت على ما فيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقية ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشع وأمة لكعاء (٣) وزوجة مضيعة ·

وعبتموني بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق (٤) وعلى كيس فارغ · وقال : طينة خير من طية ، فأمسكتم عمن ختم على لا شيء وعبتم من ختم على شيء ·

وعبتموني أن قلت للغلام : اذا زدت في المرق فزد في الانضاج ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق ·

وعبتموني بخصف (٥) النعل وبتصدير (٦) القميص وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشد وأن الترقيع من الحزم والتفريط من التضييع · وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقول : لو أهدى الي ذراع لقبلت ، ولو دعيت الى كراع لأجبت · وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس الخلق · وبعث زياد رجلا يرتاد محدثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه به موافقا فقال له : أكنت به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنني رأيته في يوم قائظ يلبس خلقا ويلبس الناس جديدا ، فتفرست فيه العقل والأدب · وقد علمت أن الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه · وقد جعل الله لكل شيء قدرا وسما به موضعا كما جعل لكل

---

(١) الريع : النماء والزيادة ·

(٢) املاك العجين : انعام عجنه ·

(٣) اللكعاء : الحمقاء ·

(٤) المزود : وعاء الزاد · والسويق : طعام يتخذ من الحنطة او الشعير · .

(٥) خصف النعل : خرزها ·

(٦) تصدير القميص · ان يجعل لصدره بطانة ·

زمان رجالا ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسم وأمات بالدواء وأغص بالماء . وقد زعموا ان الاصلاح أحد الكاسبين كما زعموا ان قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز وأمر مالك بن أنس بفرك النعل . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة . ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى اليك دجاجة . فقال : ان كان لابد فاجعلها بيوضـــا .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى . ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضـــاء والى التوفير عليهـــا من وضيعة (١) الماء وجدت فى الأعضـــاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت الاقتصاد فى أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر ، فعبتمونى بذاك وشنعتم على ، وقد قال الحسن وذكر السرف : أما انه ليكون فى الماء والكلأ فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلأ .

وعبتمونى أن قلت : لا يغترن أحدكم بطول عمره وتقويس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته وأن يرى نحوه أكثر ذريته ، فيدعوه ذلك الى اخراج ماله من يده وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه ، فلعله يكون معمرا وهو لا يدرى ، وممدودا له فى السن وهو لا يشعر ، ولعله أن يرزق الولد على اليأس ويحدث عليه من آفات الدهر ما لا يخطر على بال ولا يدركه عقل ، فيسترده ممن لا يرده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه أصعب ما كان عليه الطلب وأقبح ما كان به أن يطلب ، فعبتمونى بذلك ، وقد قال عمرو بن العاص : « اعمل لدنيـاك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

وعبتمونى بأن قلت : بأن السرف والتبذير الى مال المواريث وأموال الملوك وأن الحفظ للمال المكتسب والغنى المجتلب والى من لا يعرض فيه بذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتمام القلب أسرع ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أوذن بالفقر وطاب نفسا بالذل .

وعبتمونى بأن قلت : ان كسب الحلال يضمن الانفاق فى الحلال . وان الخبيث ينزع الى الخبيث ، وان الطيب يدعو الى الطيب ، وان الانفاق فى الهوى حجاب دون

---

(١) الوضيعة هنا : النقص .

الهدى ، فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أر تبذيرا قط الا والى جنبه حق مضيع • وقد قال الحسن : ان أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيماذا ينفقه فان الخبيث انما ينفق في السرف • وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر مني لكم وأنتم في دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات : فان أحاطت بمـال أحدكم آفة لم يرجع الا الى نفسه • فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة فان البلية لا تجرى في الجميع الا بموت الجميع •

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير : فرقوا بين المنايا • وقال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرقها في السفن فان عطب بعض سلم بعض • ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا في البحر • قال ابن سيرين « تحسبها خرقاء وهي صناع (١) » •

وعبتموني بأن قلت لكم عند اشفاقي عليكم : ان للغنى لسكرا وللمال لنزوة (٢) فمن لم يحفظ الغنى من ســـــكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال لخوف الفقر فقد أهمله •

فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلا من غني أمن الفقر ، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر • وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد ابن برمك :

وهوب تلاد المـال فيما ينوبه * منـوع اذا ما منعـه كان أحزمـا

وعبتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يفاد العلم وبه تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل ، والأصل أحق بالتفضيل من الفرع ، فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء • قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر ما يأتي الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بحق العلم • فقلت : حالهما هي القاضية بينهما • وكيف يستوى شيء حاجة العامة اليه وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض •

وكان النبي صـلى الله عليه وسـلم يأمر الأغنيـاء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج • وقال أبو بكر رضى الله عنه : اني لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام في

---

(١) هذا مثل يضرب لمن تظن به الغفلة وهو فطن يقظ •
(٢) النزوة : الثورة او الوثبة •

اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : اذا بسط الله لك الرزق فابسط واذا قبض فاقبض .

وعبتموني حين قلت : فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في البيت اذا احتيج اليها استعملت وان استغني عنها كانت عدة . وقد قال الحصين ابن المندر : وددت أن لي مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء . قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمني عليه لأن المال مخدوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه الا أنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو ، ولستم على تردون ولا رأيي تفندون ، فقدموا النظر قبل العزم وأدركوا ما لكم قبل أن تدركوا مآلكم . والسلام عليكم .

وسهل هو القائل :

تقسمني همان قد كسفا بالي * وقد تركا قلبي محلة بلبال
هما أذريا دمعي ولم تذر عبرتي * رهينة خد ذات سمط وخلخال
ولا قهوة لم يبق منها سوى الذي * على أن تحاكي النور في رأس ذيال
تحال منها جرمها وتماسكت * لها نفس معدوم على الزمن الخالي
ولكنما أبكي بعين سخية * على حدث تبكي له عين أمثالي
فراق خليل لا يقوم به الأسى * وخلة حر لا يقوم بها مالي
فواحسرتي حتى متى القلب موجع * لنفر خليل أو تعذر افضال
وما الفضل الا أن تجود بنائل * والا لقاء الخل ذي الخلق العالي

وهو القائل :

اذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي * من أن يراني غنيا عنه باليأس
لا أطلب المال كي أغنى بفضلته * ما كان مطلبه فقرا من الناس

(ز) عمـرو بن مسعدة (١)

كان كاتبا بليغا ، جزل العبارة وجيزها ، سديد المقاصد ، فضله شائع ، ونبله ذائع ، أشهر من أن ينبه عليـه ، أو يدل بالوصف اليه ، قد ولى للمأمون الأعمال الجليلة ، وألحق بذوى المراتب النبيلة • وسماه بعض الشعراء وزيرا لعظم منزلته لا لأنه كان وزيرا ، وهو قوله :

لقد أسعد الله الوزير بن مسـعده ❋ وبث له فى النـاس شـكر ومحمده

---

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول • وصول (بضم الصاد) كان رجلا تركيا وكان ملك وأخوه فيروز على جرجان وتمجسا بعد التركية وتشبها بالفرس •

بدأ عمرو بن مسعدة فى خدمة الدولة عاملا من العمال فظهرت كفايته وبلاغته ، وبالبلاغة توصل الى الخليفة فعد أحد أفراد قلائل فى رجاله ، قال أحمد بن يوسف الكاتب : دخلت يوما على المأمون وبيده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى ، ويصعد فيه ويصوب ، فلما مرت على ذلك مدة من زمانه التفت الى وقال : يا أحمد اراك مفكرا فيما تراه منى ، قلت : نعم ، فقال : ان فى هذا الكتاب كلاما نظير ما سمعت الرشيد يقول فى البلاغة ، زعم أن البلاغة انما هى التباعد عن الاطالة ، والتقريب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على الكثير من المعنى ، وما كنت اتوهم أن أحدا يقدر على ذلك • وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة الينا ، ففككته فاذا فيه : « كتابى الى أمير المؤمنين ، ومن قبلى من قواده ، ورؤساء أجناده ، فى الانقياد والطاعة ، على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك أحوالهم ، والتاثت معه أمورهم » • فلما قرأته قال : ان استحسانى اياك بعثنى أن أمرت للجند قبله بأعطياتهم لسبعة أشهر ، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله فى صناعته • وفى رواية أن المأمون أمر لعمرو بن مسعدة برزق ثمانية أشهر وأنه قال لأحمد ابن يوسف : لله در عمرو ما أبلغه ! الا ترى الى ادماجه المسألة فى الأخبار ، واعفائه سلطانه من الاكثار •

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته ابو الفضل أبيض احمر الوجه ، وكان المأمون يسميه الرومى لبياض وجهه وكان يخضب وتوفى باذنه سنة سبع عشرة ومائتين • ولم نعرف منشأه ومولده وأساتيذه وغاية ما عرفناه انه كان أحد اخوة اربعة أحسن ابوهم ــ وكان كاتبا أيضا ــ تربيتهم كل الاحسان حتى جاءت من أحدهم هذه البلاغة النادرة التى كان من أثرها أن أصبح عشير المأمون ، وكان هو وأبو عباد ثابت ابن يحيى يكتبان بين يديه ويخلوان معه ويمازحانه • ولكى يصل الرجل الى هذا المقام مع مثل هذا الخليفة العظيم فى كل شؤونه يجب أن ينطوى على صفات عالية يعز مثلها فى الاقران والاتراب •

قال عمرو بن مسعدة : كنت أوقع بين يدى جعفر بن يحيى البرمكى فرفع اليه غلمانه ورقة يستزيدونه فى رواتبهم فرمى بها الى وقال : اجب عنها فكتبت : « قليل دائم خير من كثير منقطع » فضرب بيده على ظهرى وقال : أى وزير فى جلدك ! • وقد شهد لعمرو بن مسعدة بالبلاغة أعيان البيـان فى عصره ومنهم الفضل بن سهل فقال فيه : انه ابلغ الناس • ومن بلاغته أن كل أحد اذا سمع كلامه ظن أنه ــ

فهو كما كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضى وقد احتاج الى رجل يوليه بعض الأعمال فقال : انه يريد رجلا جامعا لخصـال الخير ، ذا عفة ونزاهة طعمة (١) ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، ليس بظنين فى رأيه ، ولا بمطعون فى حسبه ان أؤتمن على الأسرار قام بها ، وان قلد مهما من الأمور أجزأ (٢) فيه ، له سن مع أدب ولسان ، تعقده الرزانة ، ويسـكته الحلم ، قد فر (٣) عن ذكاء وفطنة . وعض (٤) على قارحة من الكمال ، تكفيه اللحظة ، وترشده السكتة ، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام فى أمـور فحمد فيهـا ، له أناة الوزراء ، وصولة الأمراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه ، وحسن بيانه ، دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم له شاهدة ، مضطلعا بما استنهض ، مستقلا بما حمل .

= يكتب مثله فاذا رامه بعد عليه . وهذا كما قيل لأحد البلغـاء : ما حد البلاغة ؟ فقال : التى اذا سمعها الجاهل ظن انه يقدر على مثلها ، فاذا رامها استصعب عليه .

ولم يؤثر عن عمرو أنه ألف فى موضوع خاص وأفرد مسألة فى التاليف ، وعده ابن النديم فى الشعراء الكتاب ولم يذكر الا أن له ولأخيه مجاشع خمسين ورقة من الشعر وهى من الضائع أيضا . والغالب أن مهام الدولة لم تترك له وقتا يصرفه فى درس خاص ، أو وضع كتاب أو رسالة : وما تلقطه العلماء والأدباء من كلامه ، فهو مما صدر عنه بالمناسبات ، ورواه له المعجبون به ، وما أعظم المفقود منه . والمظنون أن لو كانت جمعت له رسائله على ايجازها لكان منها ديوان كبير ، لأن من صرف أعواما طويلة وهو قابض على يراعته يعالج بها الموضوعات السياسية والادارية فى ذاك المجتمع العظيم لا شك أنه يجتمع له صفحات كثيرة مهما كان مقلاً معروفا بالايجاز . من محاضرة للأستاذ الباحث محمد كرد على نشرها بمجلة المجمع العلمى العربى . وفى عمرو بن مسعدة قال محمد البيدق وقد اعتل :

قالوا أبو الفضل معتل فقلت لهم ✽ نفسى الفداء له من كل محـذور

يا ليت علتـه بى غـير أن له ✽ أجر العليـل وانى غير مأجـور

وتجد ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت (ج ٦ ص ٨٨) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٥٥) والوافى بالوفيات للصفدى (ج ٥ ص ٥٠٢ قسم ثالث من الأصل الفوتوغرافى المحفوظ بدار الكتب المصرية) .

(١) فى الأساس : ومن المجاز فلان طيب الطعمة وخبيث الطعمة (بالكسر) وهى الجهة التى منها يرتزق (بوزن الحرفة) .

(٢) أجزأنى كذا : كفانى .

(٣) فر عن ذكاء ، وفطنة ، أى جرب واختبر فيهما .

(٤) وعض على قارحة ، كناية عن بلوغه درجة الكمال .

ومن كلام عمرو بن مسعدة :

أعظم الناس أجرا ، وأنبههم ذكرا ، من لم يرض بموت العدل فى دولته ، وظهور الحجة فى سلطانه ، وايصال المنافع الى رعيته فى حياته ، وأسعد الرعاة من دامت سعادة الحق فى أيامه ، وبعد وفاته وانقراضه ٠

وقال : الخط صور الكتب ترد اليها أرواحها ٠

وقال : الخط صورة ضئيلة لها معان جليلة ، وربما ضاق عن العيون ، وقد ملأ اخطار الفنون ٠

وقال : لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك ، أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد علمه ، ومن كانت غايته الاحتيال على مالك واطراءك فى وجهك ، فان هذا لا يكون الا رديء الغيب ، سريعا الى الذم ٠

وكتب الى الحسن بن سهل :

أما بعد ، فانك ممن اذا غرس سقى ، واذا أسس بنى ، ليستتم تشييد أسسه ، ويجتنى ثمار غرسه ، وثناؤك عندى قد شارف الدروس ، وغرسك مشفى على اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست ، وسقى ما غرست ان شاء الله ٠

وكتب الى بعض أصحابه فى شخص يعز عليه :

أما بعد ، فموصل كتابى اليك سالم والسلام ٠ أراد قول الشاعر :

يديروننى عن سالم وأديرهم ❊ وجلدة بين العين والأنف سالم

أى يحل منى هذا المحل ٠

وكتب الى المأمون فى رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضا :

أما بعد ، فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطولك على ، فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به ، وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين ، وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام ٠

فكتب اليه المأمون : « قد عرفنا توطئتك له ، وتعريضك لنفسك ، وأجبناك اليهما ، ووافقناك عليهما » ٠ وقوله : « ان أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين ، وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته » : من الكلام السرى الذى يدل على مبلغ أدب عمرو وبعد غوره فى السياسة ووقوفه على روح عصره ونفسية الخلفاء ٠

قدم رجل من أبناء دهاقين (١) قريش ، على المأمون لعدة سلفت منه ، فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : توصل منى رقعة الى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكن لك على نعمتان · فكتب : « ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته ، أو يأذن له بالانصراف الى بلده فعل ان شاء الله » ·

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجب من حسن لفظها ، وايجاز المراد · فقال عمرو : فما نتيجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتاب له فى هذا الوقت بما وعدناه ، لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه ، وبجائزة مائة ألف درهم ، صلة عن دناءة المطل · وسماجة الاغفال ·

وهذا مما يدل على سعة عقل المأمون وولوعه بالبلاغة وقدره أهلها حق قدرهم ، دع ما هنالك من نفس ما أحبت الا الجود والعطاء ·

ومن حكم عمرو بن مسعدة :

العبودية عبودية الاخاء · لا عبودية الرق · الود أعطف من الرحم · ان الكريم ليرعى من المعرفة ما رعى الوصل من القرابة · عليكم بالاخوان فانهم زينة فى الرخاء ، وعدة للبلاء · مثل الاخوان مثل النار ، قليلها متاع ، وكثيرها بوار · النفس بالصديق ، آنس منها بالعشيق ، وغزل المودة ، أرق من غزل الصبابة · من حقوق المودة ، عفو الاخوان ، والاغضاء عن تقصير ان كان · ذكر رجل رجلا فقال : حسبك أنه خلق كما تشتهى اخوانه · المودة قرابة مستفادة · ما تواصل اثنان فدام تواصلهما ، الا لفضلهما أو فضل أحدهما · أسرع الأشياء انقطاعا مودة الأشرار · المحروم من حرم صالحى الاخوان · لقاء الخليل شفاء الغليل · قلة الزيارة ، أمان من الملالة · اخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا · علامة الصديق اذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يبتدىء بالكتاب · لا يفسدنك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له · من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأنس ، وأثمرت مودته ندما · اذا قدمت الحرمة ، تشبهت بالقرابة · العتاب حياة المودة · ظاهر العتاب خير من باطن الحقد · ما أكثر من يعاتب لطلب علة ، ويبقى الود ما بقى العتاب · كمون الحقد فى الفؤاد ككمون النار فى الزناد · القريب بعيد بعداوته ، والبعيد قريب بمودته · لا تأمنن عدوك وان كان مقهورا ، واحذره وان كان مفقودا ، فان حد السيف فيه وان كان مغمودا · لا تتعرض لعدوك فى دولته ، فانها اذا زالت كفتك مؤونته · نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأليب ·

---

(١) الدهاقين : الزعماء أرباب الأملاك بالسواد ، وأحدهم دهقان (بكسر الدال معرب) ·

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المأمون يوما وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصري : يا أمير المؤمنين انى تزوجت بامرأة من آل زياد وان أبا الرازى فرق بيننا وقال : هى امرأة من قريش ؟ قال : فأمر عمرو بن مسعدة فكتب الى أبى الرازى :

انه قد بلغ أمـــير المؤمنين ما كان من الزيادية وخلعـــك اياها اذ كانت من قريش • فمتى تحاكمت اليك العرب ؟ لا أم لك فى أنسابها ، ومتى وكلتك قريش بابن اللخناء بأن تلصق بها من ليس منها ؟ فخل بين الرجل وامرأته ، فلئن كان زياد من قريش ، انــه لابن ســـمية بغي عاهرة ، لا يفتخر بقرابتهـــا ، ولا يتطـاول بولادتها • ولئن كان ابن عبيد ، لقد باء بأمر عظيم ، اذ ادعى الى غير أبيه ، لحظة تعجله ، وملك قهره •

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجل به عناية الى بعض العمال فى قضاء حقه ، وأن يختصر كتابه ما أمكنه ، حتى يكون ما يكتب به فى سطر واحد ، لا زيادة عليه • فكتب عمرو :

كتابى اليك كتاب واثق بمن كتبت اليه ، معنى بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله •

وكتب الى بعض الرؤساء ، وقد تزوجت أمه فســـاءه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها ، وذهب عنه ما كان يجده • وقيل : ان هذه الرسالة من انشاء ابن العميد وهى :

الحمد لله الذى كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة • وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ، ومنع من عضل الأمهات ، كما منع من وأد البنات ، استنزالا للنفوس الأبية ، عن الحمية حمية الجاهليـة ، ثم عرض لجزيل الأجر ، من استسلم لواقع قضائه ، وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهنأك الذى شرح للتقوى صدرك ، ووســع فى البلوى صبرك ، وألهمك من التسليم لمشيئته ، والرضـا بقضيته ، ما وفقك له من قضاء الواجب فى أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل تعـالى جده ، وتقدســت أســماؤه ، جارية على غير مراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار ويجزل عليه ذخرك ، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلها ، المنتظر من ارتماضك بدفنها ، فتســتوفى بها المصــيبة ، وتســتكمل عنها المثوبة ، فوصل الله لســيدى ما استشعره من الصبر على عرسها ، بما يكتسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من أسرة فرشها ، أعواد نعشها ، وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة ، معرى من نقمة ، وما يوليه بعد قبضهـا من منحة ، مبرأ من محنة ، فأحـــكام الله تعــالى جده ، وتقدست أسماؤه ، جارية على غير مراد المخلوقين ، لكنه تعـالى يختار

لعباده المؤمنين ما هو خير لهم فى العاجلة ، وأبقى لهم فى الآجلة ، اختار الله لك فى قبضها اليه ، وقدومها عليه ، ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجعل القبر ، كفوءا لها والســـلام .

وقال عبد العزيز يحيى المكى الذى ناظـر بشر بن غيـاث المريسى بحضرة أمير المؤمنين فى مسألة خلق القرآن :

جاءنى خليفة عمرو بن مسعدة ومعه جمع من الفرسان والرجالة فحملنى مكرما على دابته حتى صار الى باب أمير المؤمنين فأوقفنى حتى جاء عمرو بن مسعدة فدخل فجلس فى حجرته التى كان يجلس فيها ثم أذن لى بالدخول عليه فدخلت فلما صرت بين يديه أجلسنى ثم قال لى : أنت مقيم على ما كنت عليه أو قد رجعت عنه ؟ فقلت : بل مقيم على ما كنت وقد ازددت بتوفيق الله تعالى اياى بصيرة فى أمرى ، فقال لى عمرو بن مسعدة : أيها الرجل ، قد حملت نفسك على أمر عظيم ، وبلغت الغاية فى مكروهها ، وتعرضت لما لا قوام لك به فى مخالفة أمير المؤمنين ، وادعيت بما لا يثبت لك به حجة على مخالفتك ، ولا لأحد غيرك ، وليس وراءك بعد الحجة عليك الا السيف، فانظر لنفسك وبادر أمرك ، قبل أن تقع المناظرة وتظهر عليك الحجة ، فلا تنفعك الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا تقال لك عثرة ، فقد رحمتك وأشفقت عليك مما هو نازل بك ، وأنا أستقيل لك أمير المؤمنين وأسأله الصفح عن جرمك ، وعظيم ما كان منك اذا أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وآخذ لك الأمان منه والجائزة ، فان كانت لك ظلامة أزلتها عنك وان كانت لك حاجة قضيتها لك ، فانما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة ان أقمت على ما أنت عليه ورجوت أن يخلصك الله تعالى على يدى من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

شـــعره :

نقلنا أمثلة قليلة من نثر عمرو بن مسعدة ، أما شعره فقليل جدا . ذكر المترجمون له أنه كان له فرس أدهم أغر ، لم يكن لأحد مثله فراهة وحسنا . فبلغ المأمون خبره ، وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك . فخاف أن يأمر بقوده اليه فلا يكون له فيه محمدة ، فوجه به اليه هدية وكتب معه :

يـــا امــــاما لا يـــــدا نيـــه اذا عـــد امـام * فضل الناس كمـــا يفـــضل نقصــــانا تمـــام
قـــد بعثنـــا بجـــواد مثـــله ليس يـــرام * فـــرس يـــزهى بـــه للـــحســـن سرج ولجـــام

دونه الخيـــل كمـــا مثـ * ـــلك فى الفضـــل الأنام
وجهـــه صـــبح ولـــكن * ســـائر الجســـم ظـــلام
والـــذى يصـــلح المـــو * لى على العبـــد حـــرام

وعمرو هو القائل :

ومستعذب للهجر والوصـــل أعذب * أكاتمـــه حبى فينـــأى وأقرب
اذا جدت منى بالرضـــا جاد بالجفـــا * ويزعم أنى مذنب وهـــو أذنب
تعلمت ألوان الرضـــا خوف هجره * وعلـــمه حبى له كيف يغضب
ولى غير وجـــه قد عرفت طريقـــه * ولـــكن بـــلا قلب الى أين أذهب

ووقع مرة فى ظهر رقعة لرجل :

أعزز على بأمر أنت طالبـــه * لم يمكن النجح فيه وانقضى أمـــده

ولعمرو بن مسعدة حكايات منها ما حكاه القاضي التنوخي فى كتاب الفرج (١) بعد الشدة : قال عمرو بن مسعدة : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى اذا نزلت الرقة قال : يا عمرو ، ما ترى الرجحى قد احتوى على الأهواز ، وهى سلة الخبز وجميع المال قبله وطمع فيها ، وكتبه متصلة بحملها ، وهو يتعلل ويتربص بى الدوائر ؟ فقلت : أنا أكفى أمير المؤمنين هذا ، وأنفذ من يضطره الى حمل ما عليه ، فقال : ما يقنعنى هذا ، فقلت : فيأمر أمير المؤمنين بأمره ، فقال : فاخرج اليه بنفسك حتى تصفده بالحديد ، فتحمله الى بغداد وتقبض على جميع ما فى يده من أموالنـــا ، وتنظر فى أعمالنا وترتب لها عمالا ، فقلت : السمع والطاعة ، فلما كان فى غد دخلت عليه فقال : ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قلت : أنا على ذلك ، قال : أتريد أن تجىء فى غد مودعا ؟ قلت : السمع والطاعة ، فلما كان فى غد جئته مودعا ، فقال : أريد أن تحلف لى أنك لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا ، فاضطربت من ذلك الى أن حضنى واستحلفنى ألا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام ، فخرجت حتى قدمت بغداد ، فلم أقم بها الا ثلاثة أيام وانحدرت فى زلال أريد البصرة وجعل لى فى الزلالى خيش واستكثرت من الثلج لشدة الحر .

---

(١) راجع (ج ٢ ص ٣٥ طبعة الهلال) . والعقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٢ ص ٢١١ طبعة بولاق) .

فلما صرت بين جرجان (١) وجبل سمعت صوتا من الشاطىء يصيح : يا ملاح ، فرفعت سجف الزلالى واذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافى القدمين خلق القميص ، فقلت للغلام : أجبه فأجابه ، فقال : يا غلام ، أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التى ترى ، وقد أحرقتنى الشمس وكادت تتلفنى ، وأريد جبل ، فاحملونى معكم فان الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فشتمه الملاح وانتهره ، فأدركتنى رقة عليه وقلت : خذوه معنا ، فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه ، فلما صار معنا فى الزلالى وانحدرنا نتقدم فدفعت اليه قميصا ومنديلا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا وعاد الى الدنيا فحضر وقت الغداء وتقدمت وقلت للغلام : هاته يأكل معنا ، فجاء وقعد على الطعام ، فأكل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه ، فلما رفعت المائدة أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة فى مجالس الخاصة فلم يفعل ، فغسلت يدى وتذممت أن آمر بقيامه ، فقلت : قدموا له الطست فغسل يده ، وأردت بعدها أن يقوم لأنام فلم يفعل ، فقلت : يا شيخ ، أى شىء صناعتك ؟ قال : حائك أصلحك الله ، فقلت فى نفسى : هذه الحياكة علمته سوء الأدب ، فتناومت عليه ومددت رجلى فقال : قد سألتنى عن صناعتى وأنت أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقلت : أنا جنيت على نفسى هذه الجناية ولابد من احتمالها ، أتراه الأحمق لا يرى زلالى وغلمانى ونعمتى وأن مثلى لا يقال له هذا ! فقلت : كاتب ، فقال : كاتب كامل أم كاتب ناقص فان الكتاب خمسة ، فأيهم أنت ؟ فورد على قول الحائك موردا عظيما وسمعت كلاما أكبرته وكنت متكئا فجلست ، ثم قلت : فصل الخمسة قال :

نعم ، كاتب خراج يحتاج أن يكون عالما بالشروط والطسوت والحساب والمساحة والبثوق والفتوق • وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلال والحرام والاحتجاج والاجماع والأصول والفروع • وكاتب معونة يحتاج أن يكون عالما بالقصاص والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات • وكاتب جيش يحتاج ان يكون عالما بحلى الرجال وشيات الدواب ومداراة الأولياء وشيئا من العلم بالنسب والحساب • وكاتب رسائل يحتاج أن يكون عالما بالصدور والفصول والاطالة والايجاز وحسن البلاغة والخط ، قال : فقلت : انى كاتب رسائل ، قال : فأسألك عن بعضها ، قلت : قل ، فقال لى :

أصلحك الله ، لو أن رجلا من اخوانك تزوج أمك فأردت أن تكاتبه مهنئا فكيف كنت تكاتبه ؟ ففكرت فى الحال فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت : ما أرى للتهنئة وجها ، قال : فكيف تكتب اليه تعزيه ففكرت فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت : اعفنى ، قال :

---

(١) فى العقد الفريد : « بين دير هرقل ودير العاقول » •

قد فعلت ، ولكنك لست بكاتب رسائل ، قلت : أنا كاتب خراج ، قال : لا بأس ، لو أن أمير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والانصاف وتقضي حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك ، فحلف المساح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا ، وحلفت الرعية بالله انهم لقد جاروا وظلموا ، وقالت الرعية : قف معنــا على ما مسحوه وانظر من الصادق من الكاذب ، فخرجت لتقف عليه ، فوقفوا على براح شكله قاتل قثا ، كيف كنت تمسحه ؟ قلت : كنت آخذ طوله على انعراجه وعرضه ثم أضربه في مثله ، قال : ان شكل قاتل قثا أن يكون زاويتاه محدودتين وفي تحديده تقويس ، قلت : فآخذ الوسط فأضربه في العرض ، قال : اذا ينثني عليك العمود ، فأسكتني ، فقلت : ولست كاتب خراج ، قال : فاذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتب قاض ، قال : أرأيت لو أن رجلا توفي وخلف امرأتين حاملتين احداهما حرة والأخـــرى سرية ، فولدت السرية غلاما والحرة جارية ، فعدت الحرة الى ولد السرية فأخذته ، وتركت بدله الجارية فاختصمتا في ذلك ، فكيف الحكم بينهما ؟ قلت : لا أدري ، قال : فلست بكاتب قاض ، قلت : فأنا كاتب جيش ، فقال : لا بأس ، أرأيت لو أن رجلين جاءا اليك لتحليهما وكل واحد منهما اسمه واسم أبيه الآخر الا أن أحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق الشفة السفلى ؟ كيف كنت تحليهما ، قال : قلت : فلان الأفلح وفلان الأعلم ، قال : ان رزقهما مختلفان وكل واحد منهمـــا يجيء في دعوة الآخر ، قلت : لا أدري ، قال : فلست بكاتب جيش ، قلت : أنا كاتب معونة ، قال : لا تبال ، لو أن رجلين رفعا اليك قد شج أحدهما الآخر شجة موضحة (١) ، وشج الآخر شجة مأمونة ، كيف كنت تفصــل بينهما ؟ قلت : لا أدري ، قال : لست اذا كاتب معونة ، اطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا ، قال : فصغرت الى نفسي وغاظني ، فقلت : قد سألت عن هذه الأمور ويجوز ألا يكون عندك جوابها كمــا لم يكن عندي ، فان كنت عالما بالجواب فقــل ، فقــال :

نعم ، أما الذي تزوج أمك فتكتب اليه : أما بعد ، فان الأمور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب ، وقد بلغني تزويج الوالدة خار الله لك في قبضهــا ، وان القبور أكرم الأزواج وأستر العيوب والســـلام .

وأما براح قاتل قثا فتمسح العمود حتي اذا صار عددا في يدك ضربته في مثلة ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة .

---

(١) الموضحة : الشجة التي تبدي وضح العظام .

وأما الجارية والغلام فيوزن لبن الاثنتين ، فأيهما كان أخف فالجارية له .

وأما الجنديان المتفقا الاسمين ، فان كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الأعلم ، واذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الأفلح .

وأما صاحب الشجتين فلصاحب الموضحة ثلث الدية ، ولصاحب المأمونة نصف الدية ، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرا في جميعها حاذقا بليغا ، فقلت : ألست زعمت أنك حائك ، فقال : أنا أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة ، وأنشأ يقول :

ما مر بؤس ولا نعيم * الا ولي فيهما نصيب
فذقت حلوا وذقت مرا * وانما يوعظ الأديب
نوائب الدهر أدبتني * كذاك عيش الفتى ضروب

قلت : فما الذي بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجل كاتب دامت عطلتي ، وكثرت عيلتي ، وتواصلت محنتي ، وقلت حيلتي ، فخرجت أطلب تصرفا فقطع على الطريق فصرت كما ترى ، فمشيت على وجهي ، فلما لاح لي الزلالي استغثت بك ، قلت : فاني قد خرجت الى متصرف جليل أحتاج فيه الى جماعة مثلك ، وقد أمرت لك بخلعة حسنة تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها أمرك ، وتنفذ منها الى عيالك ، وتقوى نفسك بباقيها ، وتصير معي الى عملي فأوليك أجله ، فقال : أحسن الله جزاءك اذا تجدني بحيث أسرك ، ولا أقوم مقام معذر اليك ان شاء الله ، وأمرت بتقبيضه ما رسمت له قبضه ، وانحدر الى الأهواز معي ، فجعلته المناظر للرجحي والمحاسب له بحضرتي ، والمستخرج لما عليه فقام بذلك أحسن قيام وعظمت حاله معي ، وعادت نعمته الى أحسن مما كانت عليه .

وفي عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

أعني على بارق ناصب * خفي كوحيك بالحاجب
كأن تألقه في السماء * يدا كاتب أو يدا حاسب
فروى منازل تذكارها * يهيج من شوقك الغالب
غريب يحن لأوطانه * ويبكي على عصره الذاهب
كفاك أبو الفضل عمرو الندى * مطالعة الأمل الكاذب
وصدق الرجاء وحسن الوفاء * لعمرو بن مسعدة الكاتب
عريض الفناء طويل البنا * ء في العز والشرف الثاقب

بنى الملك طود له بيته * وأهل الخلافة من غالب
هو المرتجى لصروف الزمان * ومعتصم الراغب الراهب
جواد بما ملكت كفه * على الضيف والجار والصاحب
بأدم الركاب ووشي الثيا * ب والطرف والطفلة الكاعب
نؤمله لجسام الأمور * ونرجوه للجلل الكارب
خصيب الجناب مطير السحاب * بشيمته لين الجانب
يروى القنا من نحور العدا * ويغرق في الجود كاللاعب
اليك تبدت باكوارها * حراجيج في مهمه لاحب
كأن نعاما تبارى بنا * بوابل من برد عاصب
يردن ندى كفك المرتجى * ويقضين من حقك الواجب
ولله ما أنت من خابر * بسجل لقوم ومن خارب
فتسقى العدا بكؤوس الردى * وتسبق مسئلة الطالب
وكم راغب نلته بالعطا * وكم نلت بالعطف من هارب
وتلك الخلائق أعطيتها * وفضل من المانع الواجب
كسبت الثناء وكسب الثنا * ء أفضل مكسبة الكاسب
يقينك يجلو ستور الدجى * وظنك يخبر بالغائب

رســـالته فى بنى أميـــة

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١) : أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك ، وكرامته لك . اعلم أرشد الله أمرك ، أن هذه الأمة قد صارت بعد اسلامها ، والخروج من جاهليتها ، الى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة : فالطبقة الأولى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر وعمر . رضى الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه ، كانوا على التوحيد الصحيح ، والاخلاص المحض (٢) ، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هنـاك عمل قبيح ، ولا بدعة فاحشة ، ولا نزع يد من طاعة ، ولا حســد ولا غل ولا تأول ، حتى كان الذى كان : من قتـل عثمان ، رضى الله عنه ، وما انتهك منه ، ومن خبطهم اياه بالسلاح ، وبعج بطنه بالحراب ، وفرى أوداجه بالمشاقص ، وشدخ هامته بالعمد ، مع كفه عن البسط ، ونهيه عن الامتناع ، مع تعريفه لهم قبل ذلك : من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة ، وصلى القبلة ، وأكل الذبيحة ، ومع ضرب نسائه بحضرته ، واقحام الرجال على حرمته ،

---

(١) هو امام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة . وقد تقدم الكلام عليه فى المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٤٢١) .

ولد حوالى سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتناول كل فن ومارس كل علم عرف فى زمانه مما وضع فى الاسلام أو نقل عن الأمم الأوائل فأصبح له مشاركة فى علم كل ما يقع عليه الحس أو يخطر بالبال فهو راوية . متكلم . فيلسوف . كاتب . مصنف . مترسل . شاعر . مؤرخ . عالم بالحيوان والنبات والموات . وصاف لأحوال الناس ووجوه معايشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحيلهم الا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة فهو بذلك امام الطائفة الجاحظية من المعتزلة والأدب المزوج بالفلسفة والفكاهة فهو أول من ألف الكتب الجامعة لفنونه ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرهما .

وكان غاية فى الذكاء ودقة الحس وحسن الفراسة الى دعابة فاشية ، وقلة اعتداد بما يأخذ به الناس أنفسهم وينتحلونه من الرسوم والعادات وأنواع العصبية المذهبية وعدم مبالاة بوقوع المتورعين فيه . وكان سمحا جوادا كثير المواساة لاخوانه وكان على دمامة خلقه وتناقض خلقه خفيف الروح ، فكه المجلس، غاية فى الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام وهو على الجملة أحد أفذاذ العالم وأحد حجج اللســـان العربى . توفى سنة ٢٥٥ هـ ببغداد بمقبرة الخيزران . وتجد ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت (ج ٦ ص ٥٦ ــ ٨٠) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٥٣) .

(٢) فى الأصل : « المخلص » .

مع اتقاء نائلة بنت الفرافصة (١) عنه بيدها ، حتى أطنوا (٢) اصبعين من أصابعها ، وقد كشفت عن قناعها ، ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك رادعا لهم ، وكاسرا من غربهم ، مع وطئهم في أضلاعه بعد موته ، والقائهم على المزبلة جسده مجردا بعد سحبه ، وهي الجزرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفئا لبناته وأياماه وعقائله ، بعد السب والتعطيش والحصر الشديد ، والمنع من القوت ، مع احتجاجه عليهم وافحامه لهم ، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام ، كدم المؤمن ، الا من ارتد بعد اسلام ، أو زنى بعد احصان ، أو قتل مؤمنا على عمد ، أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبه ، ومع اجتماعهم على ألا يقتل من هذه الأمة ، ولا يجهز منها على جريح ، ثم مع ذلك كله ذمروا (٣) عليه وعلى أزواجه وحرمه وهو جالس في محرابه ومصحفه يلوح في حجره ، لن يرى أن موحدا يقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

لا جرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته ، ولا تسكن فورته ، ولا يموت ثائره ، ولا يكل طالبه ، وكيف يضيع الله دم وليه ، والمنتقم له ، وما سمعنا بدم بعد دم يحيى ابن زكريا عليهما السلام ، غلا غليانه ، وقتل سافحه ، وأدرك بطائلته ، وبلغ كل محبته ، كدمه رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم في أخذه ، وفي اقامته للناس ، والاقتصاص منه ، وفي بيع ما ظهر من رباعه ، وحدائقه ، وسائر أمواله ، وفي حبسه بما بقي عليه ، وفي طمره حتى لا يحس ، بذكره ، ما يغنيهم عن قتله ان كان قد ركب كل ما قذفوه به ، وادعوه عليه ، وهذا كله بحضرة جلة المهاجرين والسلف المقدمين ، والأنصار والتابعين .

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ، ومراتب متباينة : من قاتل ومن شاد على عضده ، ومن خاذل عن نصرته ، والعاجز ناصر بارادته ، ومطيع بحسن نيته ، والما الشك منا فيه ، وفي خاذله ، ومن أراد عزله والاستبدال به ، فأما قاتله ، والمعين على دمه ، والمريد لذلك منه ، فضلال لا شك فيهم ، ومراق لا امتراء في حكمهم ، على أن هذا لم يعد منهم الفجور : اما على سوء تأويل ، واما على تعمد للشقاء ، ثم مازالت الفتن متصلة ، والحروب مترادفة ، كحرب الجمل ، وكوقائع صفين ، وكيوم

---

(١) قال في شرح القاموس : كل ما في العرب من هذا الاسم « فرافصة » فهو بضم الفاء الا فرافصة ابا نائلة فهو بالفتح لا غير .

(٢) أطنوا : قطعوا .

(٣) حض بعضهم بعضا عليه مهددين .

النهروان ، وقبل ذلك يوم الزابوقة (١) ، وفيه أسر ابن حنيف ، وقتل حكيم بن جبلة ، الى أن قتل أشقاها علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فأسعده الله بالشهادة ، وأوجب لقاتله النار واللعنة ، الى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخليته الأمور ، عند انتشار أصحابه ، وما رأى من الخلل في عسكره ، وما عرف من اختلافهم على أبيه ، وكثرة تلونهم عليه ، فعندها استوى معاوية على الملك ، واستبد على بقية الشورى ، وعلى جماعة المسلمين ، من الأنصار والمهاجرين ، في العام الذي سموه عام الجماعة ، وما كان عام جماعة ، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الامامة ملكا كسرويا ، والخلافة غصبا قيصريا ، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق • ثم مازالت معاصيه من جنس ما حكينا ، وعلى منازل ما رتبنا ، حتى رد قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوفا ، وجحد حكمه جحدا ظاهرا ، في ولد الفراش وما يجب للعاهر ، مع اجتماع الأمة ان سمية لم تكن لأبي سفيان فراشا ، وأنه انما كان بها عاهرا • فخرج بذلك من حكم الفجار الى حكم الكفار ، وليس قتل حجر بن عدي ، واطعام عمرو بن العاص خراج مصر ، وبيعة يزيد الخليع ، والاستئثار بالفيء ، واختيار الولاة على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة ، من جنس جحد الأحكام المنصوصة ، والشرائع المشهورة ، والسنن المنصوبة ، وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ، ورد السنة اذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، الا أن أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أول كفرة ، كانت من الأمة ، ثم لم تكن الا فيمن يدعي امامتها ، والخلافة عليها ، على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك اكفاره ، وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، فقالت : لا تسبوه ، فان له صحبة ، وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة ، فزعمت أن من السنة ترك البراءة ، ممن جحد السنة ، ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله ، وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ، ورمي الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السلام ، في أكثر أهل بيته ، مصابيح الظلام ، وأوتاد الاسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق أتباعه ، والرجوع الى داره وحرمه ، أو الذهاب في الأرض ، حتى لا يحس به أو المقام حيث أمر به ، فأبوا الا قتله ، والنزول على حكمهم ، وسواء قتل نفسه بيده ، أو أسلمها الى عدوه ، وخير فيها من لا يبرد غليله الا بشرب دمه ، فاحسبوا قتله ليس بكفر ، واباحة المدينة ، وهتك الحرمة ، ليس بحجة ، كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فان قلتم ليس ذلك أرادوا بل انما أرادوا التحرز به ، والمتحصن بحيطانه ، أفما كان في حق البيت وحريمه أن يحصروه فيه ، الى أن يعطى بيده ! وأي شيء بقي من رجل ، قد أخذت عليه الأرض الا موضع قدمه ! واحسبوا ما رووا عليه من الأشعار ، التي قولها شرك ، والتمثل بها كفر ، شيئا مصنوعا ،

---

(١) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار •

كيف تصنع بنقر القضيب بين ثنيتي الحسين عليه السلام ، وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على الأقتاب العارية ، والابل الصعاب ، والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه ! على أنهم ان وجدوه ، وقد أنبت قتلوه وان لم يكن أنبت حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين ، بذراري المشركين ، وكيف تقول في قول عبيد الله بن زياد لاخوته وخاصته ، دعوني أقتله ، فانه بقية هذا النسل ، فأحسم به هذا القرن ، وأميت به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة !

خبرونا علام تدل هذه القسوة ، وهذه الغلظة ! بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم ، ونالوا ما أحبوا فيهم ، أتدل على نصب ، وسوء رأي وحقد ، وبغضاء ونفاق ، وعلى يقين مدخول وايمان مخروج ! أم تدل على الاخلاص ، وعلى حب النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ! فان كان على ما وصفنا لا يعدو الفسق والضلال ، وذلك أدنى منازله ، فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن نهى الملعون فملعون .

وزعمت نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، أن سب ولاة السوء فتنة ، ولعن الجورة بدعة ، وان كانوا يأخذون السمي بالسمي ، والولي بالولي ، والقريب بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وأمنوا الأعداء ، وحكموا بالشفاعة والهوى ، واظهار الغدرة والتهاون بالأمة ، والقمع للرعية ، وأنهم في غير مداراة ولا تقية ، وان عدا ذلك الى الكفر ، وجاوز الضلال الى الجحد ، فذاك أضل ممن كف عن شتمهم ، والبراءة منهم ، على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل كمن استحقه برد السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير (١) ، والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضا على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبعرى :

ليت اشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل
لاستطاروا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تسل
قد قتلنا الغر من ساداتهم * وعدلناه ببدر فاعتدل

كان تجوير النابتي لربه ، وتشبيهه بخلقه ، أعظم من ذلك وأقطع ، على أنهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمنا ، متعمدا أو متأولا ، فاذا كان القاتل سلطانا جائرا ، أو أميرا عاصيا ، لم يستحلوا سبه ، ولا خلعه ، ولا نفيه ، ولا عيبه ، وان

---

(١) نسبه الله الى الجور .

أخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، وأجاع الفقير ، وظلم الضعيف ، وعطل الحدود والثغور ، وشرب الخمور ، وأظهر الفجور ، ثم مازال النـاس يتسكعون مرة ، ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ، ويشاركونهم مرة الا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ، وعاملهما الحجاج بن يوسف ، ومولاه يزيد بن أبي مسلم ، فأعادوا على البيت بالهدم ، وعلى حرم المدينة بالغزو ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرمة ، وحولوا قبلة واسط ، وأخروا صلاة الجمعة ، الى مغيربان الشمس ، فان قال رجل لأحدهم : اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها ، قتله على هذا القول جهارا غير ختل ، وعلانية غير سر ، ولا يعلم القتل على ذلك الا أقبح من انكاره ، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه !

وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ الجبابرة ، وخوفهم العواقب ، وأراهم أن في الناس بقية ينهون عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، والحجاج ابن يوسف ، فزجرا عن ذلك ، وعاقبا عليه ، وقتلا فيه ، فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، فاحسب تحويل القبلة كان غلطا ، وهدم البيت كان تأويلا ، واحسب ما رووا من كل وجه ، أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله (١) أرفع عنده من رسوله اليهم ، باطلا ومسموعا مولدا ، واحسب وسم أيدى المسلمين ونقش أيدى المسلمات ، وردهم بعد الهجرة الى قراهم ، وقتل الفقهاء ، وسب أئمـة الهدى ، والنصب لعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكون كفرا ، كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة ، ولا يصلون أولاهن ، حتى تصـير الشمس على أعالي الجدران ، كالملاء المعصفر ، فان نطق مسلم ، خبط بالسيف ، وأخذته العمد ، وشك بالرماح ، وان قال قائل : اتق الله أخذته العزة بالاثم ، ثم لم يرض الا بنثر دماغه على صدره ، وبصلبه حيث تراه عياله ، ومما يدل على أن القوم لم يكونوا الا في طريق التمرد على الله عز وجل ، والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق ، أكل أمرائهم الطعام ، وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم ، فعل ذلك حبيش (٢) بن دلجة ، وطارق مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف ، وغيرهم ، وذلك ان كان كفرا كله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا ، وروافض دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك ٠ كان اختلاف الناس في القدر على أن طائفة تقول كل شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة أخرى كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي ، ولم يكن أحد

---

(١) يشير بذلك الى ما ورد عن الحجاج انه قال في كلام له : ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله اليهم ، يريد بذلك تفضيل مقام الخلافة على مقام الرسالة وبمثل هذا رمى الحجاج بالكفر وقد عقد ابن عبد ربه في العقد الفريد فصلاً فيمن زعم أن الحجاج كان كافرا ٠ راجع العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣ ٠

(٢) في الأصل : « حسن » وهو خطأ والصواب ما اثبتناه كما في شرح القاموس والطبري ٠

يقول ان الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء ، وان الكفر والايمان مخلوقان في الانسان ، مثل العمى والبصر ، وكانت طائفة منهم تقول ان الله يرى ، لا تزيد على ذلك ، فان خافت أن يظن بها التشبيه قالت يرى بلا كيف تقززا من التجسيم والتصوير ، حتى نبتت هذه النابتة ، وتكلمت هذه الرافضة ، فقالت جسيما ، وجعلت له صورة وحدا ، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير ، ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسن وبين وحجة وبرهان ، وأن التوراة غير الزبور ، غير الانجيل ، والانجيل غير القرآن ، والبقـرة غير آل عمران ، وأن الله تولى تأليفه ، وجعله برهانه على صـدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقض منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نســخه ، وأنه أنزله تنزيلا ، وأنه فصله تفصيلا ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر عليه الا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقه ، فأعطوا جميع صفات الخلق ،ومنعوا اسم الخلق ٠

والعجب أن الخلق عند العرب انما هو التقدير نفسه ، فلذا قالوا : خلق كذا وكذا ، ولذلك قال : **(أحسن الخالقين)** ٠ وقال : **(وتخلقون افكا)** وقال : **(واذ تخلق من الطين كهيئة الطير)** فقالوا : صنعه وجعله وقدره ، وأنزله وفصله وأحدثه ، ومنعوا خلقه ، وليس تأويل خلقه أكثر من قدره ، ولو قالوا بدل قولهم : قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ما كانت المسألة عليهم الا من وجه واحد ، والعجب أن الذى منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من سلفه أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك بهم ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف ، واعمال اللسان والشفتين ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لكلامنا غير خالقين ، وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ، اذ كنا غير خالقين لكلامنا ، فانما قالوا ذلك ، لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وان لم يقروا بذلك بألسنتهم فذلك معناهم وقصدهم ٠

وقد كانت هذه الأمة لا تجاوز معاصيها الاثم والضــلال ، الا ما حكيت لك عن بنى أمية ، وبنى مروان ، وعمالهم ، ومن لم يدن باكفارهم حتى نجمت النوابت ، وتابعتها هذه العوام ، فصار الغالب على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى فى الأعمال التى هى الفسق ، وشركاء (١) من كفر عنهم بتوليهم ، وترك اكفارهم ، قال الله عز وجل من قائل : **(ومن يتولهم منكم فانه منهم)** ٠

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقين ، ورحمهم وقوى ضعفهم ، وكثر قلتهم ، حتى صار ولاة أمرنا فى هذا الدهر والزمن الفاسد أشد استبصارا فى التشبيه من

---

(١) كذا فى الأصل ٠ ولعله : وصاروا شركاء الخ ٠

غايتنا ، وأعلم بما يلزم فيه منا ، وأكشف للقناع من رؤسائنا ، وصارفوا الناس وقد انظموا معان (١) الفساد أجمع ، وبلغوا غايات البدع ، ثم قرنوا بذلك العصبية التى هلك بها عالم بعد عالم ، والحمية التى لا تبقى دينا الا أفسدته ، ولا دنيا الا أهلكتها ، وهو ما صارت اليه العجم من مذهب الشعوبية . وما قد صار اليه الموالى من الفخر على العجم والعرب ، وقد نجمت من الموالى ناجمة ، ونبتت منهم نابتة ، تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » ولقوله : « الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب » .

قال : فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولما حول ذلك الى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فنحن معاشر الموالى بقديمنا فى العجم أشرف من العرب ، وبالحديث الذى صار لنا فى العرب أشرف من العجم . وللعرب القديم دون الحديث ، ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا ، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجميا عربيا بولائه ، كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحلفه ، وجعل اسماعيل بعد أن كان أعجميا عربيا ولولا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أن اسماعيل كان عربيا » ما كان عندنا الا أعجميا لأن الأعجمى لا يصير عربيا ، كما أن العربى لا يصير أعجميا ، فانما علمنا أن اسماعيل صيره الله عربيا بعد أن كان أعجميا ، بقول النبى صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حكم قوله : « مولى القوم منهم » وقوله : « والولاء لحمة » . قالوا : وقد جعل الله ابراهيم عليه السلام أبا لمن لم يلد ، كما جعله أبا لمن ولد ، وجعل أزواج النبى أمهات المؤمنين ، ولم يلدن منهم أحدا ، وجعل الجار والد من لم يلد فى قول غير هذا كثير قد أتينا عليه فى موضعه ، وليس أدعى الى الفساد ، ولا أجلب للشر من المفاخرة ، وليس على ظهرها الا فخور (الا قليل) وأى شىء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك ، وهو مقر أنه صار شريفا بعتقك اياه .

وقد كتبت ــ مد الله فى عمرك ــ كتبا فى مفاخرة قحطان ، وفى تفضيل عدنان ، وفى رد الموالى الى مكانهم من الفضل والنقص ، والى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلا بينهم ، وداعية الى صلاحهم ، ومنبهة عليهم ولهم ، وقد أردت أن أرســـل بالجزء الأول اليك ثم رأيت ألا يكون الا بعد استئذانك ، واستئمارك ، والانتهاء فى ذلك الى رغبتك ، فرأيك فيه موفق ان شاء الله عز وجل وبه الثقــة .

---

(١) معان بفتح الميم والعين : المباءة والمنزل .

وكتب الى بعض اخوانه فى ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة ، واستعمله بالطاعة ، كتبت اليك وحالى حال من كثفت غمومه ، وأشكلت عليه أموره ، واشتبه عليه حال دهره ، ومخرج أمره ، وقل عنده من يثق بوفائه ، أو يحمد مغبة اخائه ، لاستحالة زماننا ، وفساد أيامنا ، ودولة أنذالنا ، وقدما كان من قدم الحياء على نفسه ، وحكم الصدق فى قوله ، وآثر الحق فى أموره ، ونبذ المشتبهات عليه من شؤونه ، تمت له السلامة وفاز بوفور حظ العافية ، وحمد مغبة مكروه العاقبة ، فنظرنا اذ حال عندنا حكمه ، وتحولت دولته ، فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان والصدق آفة على المال ، والقصد فى الطلب بترك استعمال القحة ، واخلاق العرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأى ، اذ صارت الحظوة البالغة ، والنعمة السابغة ، فى لؤم المشيئة ، وسناء الرزق من جهة محاشاة الرخاء ، وملابسة معرة العار ، ثم نظرنا فى تعقب المتعقب لقولنا والكاشر لحجتنا ، فأقمنا له علما واضحا ، وشاهدا قائما ، ومنارا بينا ، اذ وجدنا من فيه السفولية الواضحة ، والمثالب الفاضحة ، والكذب المبرح ، والخلف المصرح ، والجهالة المفرطة ، والركاكة المستخفة ، وضعف اليقين والاستثبات ، وسرعة الغضب والجراءة ، قد استكمل سروره ، واعتدلت أموره ، وفاز بالسهم الأغلب ، والحظ الأوفر ، والقدر الرفيع ، والجواز الطائع ، والأمر النافذ ، ان زل قيل حكم ،وان أخطأ قيل أصاب ، وان هذى فى كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نسمة مباركة ، فهذه حجتنا والله على من زعم أن الجهل يخفض ، وأن النوك يردى ، وأن الكذب يضر ، وأن الخلف يزرى ، ثم نظرنا فى الوفاء والأمانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكمال المروءة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة ، والفائق فى سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه ، فوجدنا فلان بن فلان ، ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ، ولا قام له بوظائف فرضه ، ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به ، فهذا دليل أن الطلاح أجدى من الصلاح ، وأن الفضل قد مضى زمانه ، وعفت آثاره ، وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ، ووجدنا العقل يشقى به قرينه ، كما أن الجهل والحمق يحظى به خدينه ، ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومعربا عن الأيام حيث يقول :

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل أخى الجهل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى هزل

فاني رأيت المرء يشــقى بعقله ❊ كما كان قبل اليوم يســـعد بالعقل

فبقيت ــ أبقــاك الله ــ مثل من أصبح على أوفاز (١) ، ومن النقلة على جهاز ، لا يسوغ له نعمة ، ولا تطعم عينه غمضة ، في أهاويل يباكره مكروهها ، ويراوحه عقائبها ، فلو أن الدعاء أجيب ، والتضرع سمع ، لكانت العدة العظمى ، والرجفـة الكبرى ، فليت أى أخى ما أستبطئه من النفخة ، ومن فجأة الصيحة ، قضى فحــان ، وأذن به فكان ، فوالله ما عذبت أمة برجفة ، ولا ريح ولا سخطة ، عذاب عينى برؤية المغايظة المدمنة ، والأخبار المهلكة ، كأن الزمان يوكل بعذابى ، أو ينصب بأيامى ، فما عيش من لا يسر بأخ شــفيق ، ولا يصطبح فى أول نهاره ، الا برؤية من يكرهه ، ويغمه بطلعته ، فقد طالت الغمة ، وواظبت الكربة ، وادلهمت الظلمة ، وخمد السراج ، وتباطأ الانفراج .

وصف الجاحظ لقريش وبني هاشم

قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيها وذكاؤها ، وكيف سياستها وتدبيرها ، وكيف ايجازها وتحسيرها ، وكيف رجاحة أحلامها اذا خف الحليم ، وحدة أذهانها اذا كل الحديد ، وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها فى اللأواء ، وكيف وفاؤها اذا استحسن الغدر ، وكيف جودها اذا حب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث غد ، وقلة صدودها عن جهة القصد ، وكيف اقرارها بالحق وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ودعاؤها اليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعراقها ، وكيف وصــلوا قديمهــم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشــبه علانيتهم سرهم ، وقولهــم فعلهم ، وهل ســلامة صــدر أحدهم الا على قدر بعد غديره ، وهل غفلته الا فى وزن صــدق ظنــه ، وهل ظنــه الا كيقين غيره .

وكتب فى الاعتذار :

أما بعد فنعم البديل من الزلة الاعتذار ، وبئس العوض من التــوبة الاصرار ، وان أحق من عطفت عليه بحلمك من لم يستشفع اليك بغيرك ، واننى بمعرفتى بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك ، وقد مسنى من الألم ما لم يشفه غير مواصلتك .

وله فى الاستعطاف :

ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم

(١) أى على سفر .

والرحمة والتأميل الذى لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمون وأرجو أن تكون من الشاكرين فتكون خير معتب ، وأكون أفضل شاكر ، ولعل الله يجعل هذا الأمر سببا لهذا الانعام ، وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم ، فيكون لا أعظم بركة ، ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه ، وبمثلك — جعلت فداك — عاد الذنب وسيلة ، والسيئة حسنة ، ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما ·

من عاقب فقد أخذ حظه ، وانما الأجر فى الآخرة ، وطيب الذكر فى الدنيا ، على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو ، ألا أضيع وأهلك فيما بين كرمك وعقلك ، وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه ، وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة ، وان كان العفو عظيما مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تنكلون ، ولا على سالف أحسانكم تندمون ، وما مثلكم الا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يمر بملأ من بنى اسرائيل الا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا ، فقال له شمعون الصفا : ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا فقال : كل امرىء ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا فى أوعيتكم الا الرحمة « وكل اناء بالذى فيه ينضح » ·

وله فى ذم الحسد :

الحسد — أبقاك الله — داء ينهك الجسد ، علاجه عسير وصاحبه ضجر وهو باب غامض ، وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فمداويه فى عناء ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : « دب اليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء » · الحسد عقيد الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم من الأقرباء ومحدث التفرق بين القرناء ، وملقح الشر بين الحلفاء ·

دفاع الجاحظ عن مؤلفاته :

وقد ذكر الجاحظ جل مؤلفاته فى كتاب « الحيوان » ودافع عنها بعد أن وصفها فقال (١) : جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا ،

---

(١) اعتمدنا فى تصحيح هذه الفصول على الأصل الفوتوغرافى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥ آداب ، لأن النسخة المطبوعة من كتاب الحيوان بمطبعة السعادة بمصر فى غاية التحريف وملأى بالأخطاء ·

وبين الصدق سببا ، وحبب اليك التثبت ، وزين فى عينك الانصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ، وطرد عنك ذل الطمع ، وعرفك ما فى الباطل من الذلة ، وما فى الجهل من القلة ، ولعمرى لقد كان غير هذا الدعاء أصوب فى أمرك ، وأدل على مقدار وزنك . وعلى الحال التى وضعت نفسك فيها ، ووسمت عرضك بها ، ورضيتها لدينك حظا ولمروءتك شكلا ، فقد انتهى الى ميلك على أبى اسحاق ، وحملك على ، وطعنك على معبد ، وتنقصك له فى الذى كان جرى بينهما فى مساوى الديك ومحاسنه ، وفى ذكر منافع الكلب ومضاره ، والذى خرجا اليه من استقصاء ذلك وجمعه ، ومن تتبعه ونظمه ، ومن الموازنة بينهما ، والحكم فيهما .

ثم عبتنى بكتاب حيل اللصوص ، وكتاب غش الصناعات ، وعبتنى بكتاب الملح والطرف ، وما حر من النوادر وبرد ، وعاد باردها حارا بفرط برده ، حتى أمتع بأكثر من امتاع الحار ، وعبتنى بكتاب احتجاجات البخلاء ، ومناقضتهم للسمحاء ، والقول فى الفرق بين الصدق اذا كان ضارا فى العاجل ، والكذب اذا كان نافعا فى الآجل ، ولم جعلنا الصدق أبدا محمودا ، والكذب أبدا مذموما ، والفرق بين الغيرة واضاعة الحرمة ، وبين الافراط فى الحمية والأنفة ، وبين التقصير فى حفظ حق الحرمة ، وقلة الاكتراث بسوء القالة ، وهل الغيرة اكتساب وعادة ، وبعض ما يعرض من جهة الديانة ولبعض التزيد فيه والتحسن به ، أو يكون ذلك شيئا فى طبع الحرية وحقيقة الجوهرية ، ما كانت العقول سليمة ، والآفات منفية ، والأخلاط معتدلة ، وعبتنى بكتاب الصرحاء والهجناء ، ومفاخرة السودان والحمران ، والموازنة بين حق الخؤولة والعمومة ، وعبتنى بكتاب الزرع والنخل ، والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ، وبكتاب فضل ما بين الرجال والنساء ، وفرق ما بين الذكور والاناث ، وفى أى موضع يغلبن ويفضلن ، وفى أى موضع يكن المغلوبات والمفضولات ، ونصيب أيهما فى الولد أوفر ، وفى أى موضع يكون حقهن أوجب ، وأى عمل هو بهن أليق ، وأى صناعة هن فيها أبلغ ، وعبتنى بكتاب القحطانية وكتاب العدنانية فى الرد على القحطانية ، وزعمت أنى تجاوزت فيه حد الحمية ، الى حد العصبية ، وأنى لم أصل الى تفضيل العدنانية الا بتنقص القحطانية ، وعبتنى بكتاب العرب والموالى ، وزعمت أنى بخست الموالى حقوقهم ، كما أنى أعطيت العرب ما ليس لهم ، وعبتنى بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القول فى فرق ما بين العرب والعجم هو القول فى فرق ما بين الموالى والعرب ، ونسبتنى الى التكرار والترداد ، والى التكثير والجهل بما فى المعاد من الخطل ، وحمل الناس المؤن ، وعبتنى بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة العرب اياها ، وكيف اختلفا فى جهة العلة مع اتفاقهما على جملة الديانة ، وكيف صار عباد

البددة (١) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام المنجورة ، أشد الناس الفا لما دانوا به ، وشغفا بما تعبدوا له ، وأظهرهم جدا ، وأشدهم على من خالفهم ضغنا ، وبما دانوا صبابة وعجبا ، وما الفرق بين البد والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق بين الدمية والجثة ، ولم صوروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم صور عظمائهم ورجال دعوتهم ، ولم تأنقوا في التصوير ، وتجردوا في اقامة التركيب ، وبالغوا في التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أولية تلك العبادات ، وكيف افترقت تلك النحل ، ومن أي شيء كانت خدع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثر الأصناف عددا ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناس المختلفة !

وعبتني بكتاب المعادن ، والقول في جواهر الأرض ، وفي اختلاف أجناس الفلز ، والاخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلاب الى بعضها ويبطيء عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا ينصبغ ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، وما القول في الاكسير والتلطيف ، وعبتني بكتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس ، وبكتاب فرق ما بين الجن والانس ، وفرق ما بين الملائكة والجن ، وكيف القول في معرفة الهدهد واستطاعة العفريت ، وفي الذى كان عنده علم من الكتاب ، وما ذلك العلم ، وما تأويل قولهم : كان عنده اسم الله الأعظم ، وعبتني بكتاب الأوفاق والرياضيات ، وما القول في الأرزاق والانفاقات ، وكيف أسباب التثمير (٢) والترقيح وكيف تجتلب التجار الحرفاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، وكيف التسبب الى الوصايا ، وما الذى يوجب لهم التعديل ، ويصرف اليهم باب حسن الظن ، وكيف ذكرنا غش الصناعات والتجارات ، وكيف التسبب الى تعرف ما قد ستروا ، وكشف ما موهوا ، وكيف باب الاحتراس منه والسلامة من أهله ! • وعبتني برسائلي ، وبكل ما كتبت به الى اخواني وخلطائي من مزح وجد ، ومن افصاح وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال وسمه باقيا ، ومديح لا يزال أثره ناميا ، ومن ملح ، تضحك ، ومواعظ تبكي ، وعبتني برسائلي الهاشميات ، واحتجاجي فيها ، واستقصائي معانيها ، وتصويري لها في أحسن صورة ، واظهاري لها في أتم حلية ، وزعمت أني قد خرجت بذلك من حد المعتزلة الى حد الزيدية ، ومن حد الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه الى حد السرف والافراط فيه ، وزعمت أن مقالة الزيدية خطبة مقالة الرافضة ، ومقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ، وزعمت أن في أصل القضية ، والذى جرت عليه العادة أن كل كبير فأوله صغير ، وأن كل كثير فانما هو قليل جمع الى قليل ، وأنشدت قول الراجز :

---

(١) البددة جمع بد ، وهو بيت فيه الصنم أو الصنم نفسه كما قال ابن دريد •

(٢) التثمير والترقيح : نمو المال واصلاحه •

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الأفيل (١)
* وسحق النخل من الفسيل *

وأنشدت قول الشاعر :

رب كبير هاجه صغير * وفى البحور تغرق البحور

وقلت وقال يزيد بن الحكم :

واعلم بنى فانه * بالعلم ينتفع العليم
ان الأمور دقيقها * مما يهيج له العظيم

وقلت وقال الآخر :

صار جدا ما مزحت به * رب جد ساقه اللعب

وأنشدت قول الآخر وهو عنترة (٢) :

ما تنظرون بحق وردة فيكم * تقضى الأمور ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر الكبير صغيره * حتى تظل له الدماء تصبب

وقالت كبشة بنت معديكرب :

جدعتم بعبد الله آنف قومه * بنى مازن أن سب راعى المخزم

وقال الآخر :

اية نار قدح القادح * وأى جد بلغ المازح

(١) الأفيل : صغير الابل ·

(٢) والصواب أن البيتين لطرفة وهما من جملة ابيات فى ديوانه ·

وتقول العرب : « العصى من العصية ولا تلد الحية الا حيية » ، وعبت كتابي في خلق القرآن . كما عبت كتابي في الرد على المتشبهة ، وعبت كتابي في أصول الفتيا والأحكام ، كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن ، وغريب تأليفه ، وبديع تركيبه ، وعبت معارضتي الزيدية ، وتفضيلي الاعتزال على كل نحلة ، كما عبت كتابي في الوعد والوعيد ، وكتابي على النصارى واليهود ، ثم عبت جملة كتبي في المعرفة ، والتمست تهجينها بكل حيلة ، وصغرت من شأنها ، وحططت من قدرها ، واعترضت على ناسخيها والمنتفعين بها .

وعبت كتاب الجوابات وكتاب الرسائل ، وكتاب الرد على أصحاب الالهام ، وكتاب الحجة في تثبيت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الأخبار ، ثم عبت كتابي انكاري بصيرة غنام المرتد ، وبصيرة كل جاحد وملحد ، وتفريقي بين اعتزام الغمر (١) وبين استبصار المحق ، وعبت كتابي الرد على الجهمية في الادراك ، وفي قولهم في الجهالات ، وكتاب الفرق ما بين النبي والمتنبي ، والفرق بين الحيل والمخاريق ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام القاهرة ، ثم قصدت الى كتابي هذا بالتصغير لقدره ، والتهجين لنظمه ، والاعتراض على لفظه ، والتحقير لمعانيه فزريت على نحته وسبكه ، كما زريت على معناه ولفظه ، ثم طعنت في الغرض الذي اليه نزعنا ، والغاية التي اليها أجرينا (٢) ، وهنا كتاب معناه أنبه من اسمه ، وحقيقته آنق من لفظه ، هو كتاب يحتاج اليه المتوسط العامي ، كما يحتاج اليه العالم الخاصي ، ويحتاج اليه الريض ، كما يحتاج اليه الحاذق .

أما الريض فللتعلم والدربة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ، اذ كان جليله يتقدم دقيقه ، واذ كانت مقدماته مرتبة ، وطبقات معانيه منزلة ، وأما الحاذق فلكفاية المؤونة ، ولأن كل من التقط كتابا جامعا ، وبابا من أمهات العلم مجموعا كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرمه ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كده ، مع تعرضه لمطاعن البغاة ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضه عقله المكدود على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهابذة ، وتحكيمه فيه المتأولين والحسدة . ومتى ظفر بمثله صاحب علم ، أو هجم عليه طالب فقه ، وهو وادع رافه ونشيط جام ، ومؤلفه متعب مكدود ، فقد كفي مؤونة جمعه ، وخزنه وتتبعه ، وطلبه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفاد العمر ، وفل الحد ، وأدرك أقصى حاجته ، وهو مجتمع القوة ،

---

(١) الغمر مثلثة الغين : من لم يجرب الأمور . والجاهل الأبله .

(٢) أجرينا : قصدنا .

وعلى أن له عند ذلك أن يجعل هجومه عليــه ضربا من التوفيق ، وظفره به بابا من التسديد .

(وهذا كتاب) تستوى فيه رغبة الأمم ، وتتشابه فيه العرب والعجم ، لأنه وان كان عربيا أعرابيا ، واسلاميا جماعيا ، فقد أخذ من طرف الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، وأشرك بين علم الكتاب والســنة ، وبين وجــدان الحاسة واحساس الغريزة ، ويشتهيه الفتيان كمـا يشتهيه الشيوخ ، ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك ، ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه الجدى ذو الحزم ، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبي كما يشتهيه الفطن ، وعبتنى بحكاية قول العثمانيــة والضرارية وأنت تســـمعتنى أقول فى أول كتابى : وقالت العثمانيــة والضرارية ، وكما سمعتنى أقول : وقالت الرافضة والزيدية ، فحكمت على بالنصب لحكايتى قول العثمانية ، فهلا حكمت على بالتشيع لحكايتى قول الرافضة ، وهلا كنت عندك من الغالية لحكايتى حجج الغالية ، كما كنت عندك من الناصبة لحكايتى قول الناصبة ، وقد حكينا فى كتابنا قول الاباضية والصفرية ، كما حكينا أقاويل الأزارقة والنجدية ، وعلى هذه الأركان الأربعة بنيت الخارجية ، وكل اسم سواها فانما هو فرع ونتيجة واشتقاق منها ، ومحمول عليها ، فهلا كنا عندك من المحكمة الخارجة ، كما صرنا عندك من الضرارية ، والناصبة ! وكيف رضيت بأن تكون الشيعة الى أعراض الناس أسرع من المارقة ! اللهم الا أن تكون وجــدت حكايتى عن العثمانية والضرارية أشبع وأجمع ، وأتم وأحكم وأجود صنعة ، وأبعد غاية ، ورأيتنى قد وهنت حق أوليائك بقدر ما قويت باطل أعدائك ، ولو كان ذلك كذلك لكان شاهدك من الكتاب حاضرا ، وبرهانك على ما ادعيت واضحا .

وعبتنى بكتاب العباسية فهلا عبتنى بحكاية مقالة من ادعى وجوب الامامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن ترك الناس ســدى بلا قيم أرد عليهم ، وهملا بلا راع أربح لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن تركهم نشرا لا نظام لهم أبعد لهم من المفاسد ، وأجمع لهم على المراشد ! بل ليس ذلك بك ، ولكنه لما بهرك ما سمعت ، وملأ صدرك الذى قرأت ، وأبعلك وأبطرك فلم تتجه للحجة وهى لك معرضة ، ولم تعرف المقــاتل وهى لك بادية ، ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر اذ جهلت الموارد ، ورأيت أن سب الأولياء أشفى لدائك ، وأبلغ فى شفاء سقمك ، ورأيت أن ارسال اللسان أحضر لذة ، وأبعد من النصب ، ومن اطالة الفكرة ، ومن الاختلاف الى أرباب هذه الصناعة ، ولو كنت حين فطنت لعجزك وصلت نقصك بتمام غيرك ، واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك ، وحبيس على تقويم أشباهك ، كان ذلك أزين فى العاجل ، وأحق بالمثوبة فى الآجل ، وكنت ان أخطأتك الغنيمة لم تخطئك

السلامة ، ولقد سلم عليك المخالف ، بقدر ما ابتلى به منك الموافق ، وعلى أنه لم يبتل منك الا بقدر ما ألزمته من مؤونة تثقيفك ، والتشاغل بتقويمك ، وهل كنت فى ذلك الا كما قال العربى : * وهل يضر السحاب نبح الكلاب * ؟ والا كما قال الشاعر :

هل يضر البحر أمسى زاخرا * أن رمى فيه غلام بحجر

وهل حالنا فى ذلك الا كما قال الأول :

ما ضر تغلب وائل أهجوتها * أم بلت حيث تناطح البحران

وقال حسان :

ما أبالى أنب بالحزن تيس * أم لحانى بظهر غيب لئيم

وما أشك أنك قد جعلت طول اعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حلمنا عنك الى الخوف منك ، وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم ير حق الصفح فجعل العفو سببا الى سوء القول :

فان عدت والله الذى فوق عرشه * منحتك مسنون الغرارين ازرقا
فان دواء الجهل أن تضرب الطلى (١) * وأن يغمس العريض (٢) حتى يغرقا

وقال الأول :

وما نفى عنك قوما انت خائفهم * كمثل وقمك جهالا بجهال
فاقعس اذا حدبوا واحدب اذا قعسوا * ووازن الشر مثقالا بمثقال

وقال الآخر :

وضغائن داويتها بضغائن * حتى يمتن وبالحقود حقودا

وانى وان لم يكن عندى سنان زفر بن الحارث ، ولا معارضة هؤلاء : الشر بالشر ، والجهل بالجهل ، والحقد بالحقد ، فان عندى ما قال المسعودى :

---

(١) الطلى : الأعناق

(٢) العريض : الذى يتعرض للناس بالشر .

فمســا تراب الأرض منهـا خلقتمـا ❊ وفيهـا المعـاد والمصير الى الحشر
ولا تعجبـا أن ترجعـا فتسلمـا ❊ فما حشى الأقـوام شر من الكبر
فلـو شـئت أدلي فيكما غير واحـد ❊ علانيـة أو قال عنـدى فى سـتر
فان أنا لم آمر ولم أنـه عنكمـا ❊ ضحكت (١) له حتى يلج ويستشرى

وقال النمر بن تولب :

جزى الله عنى حمـزة بنـة نـوفل ❊ جـزاء مغـل بالأمـانة كـاذب
بمـا خبرت عنى الوشـاة ليكذبوا ❊ على وقـد أوليتهـا فى النـوائب

يقول : أخرجت خبرى الى من يشتهى أن أعاب عندها .

ولو شئنا لعارضناك من القول بما هو أقبح أثرا ، وأبقى وسما ، وأصـدق قيلا ، وأعدل شاهدا ، وليس كل من ترك المعارضة فقد صفح ، كما أنه ليس كل من عارض فقد انتصر ، وقد قال الشاعر قولا ان فهمته كفيتنا مؤونة المعارضة ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله :

ان كنت لا ترهـب ذمى لمـا ❊ تعرف من صـفحى عن الجاهل
فاخش سـكوتى آذنا منصـتا ❊ فيـك لمسـموع خنا القـائل
فالسـامع الذم مقـر بـه ❊ كالمطعـم المأكـول للآكـل
مقـالة السـوء الى أهلهـا ❊ أسرع من منحـدر سـائل
ومن دعـا النـاس الى ذمـه ❊ ذمـوه بالحـق وبالباطـل
فـلا تهـج ان كنت ذا اربـة ❊ حرب أخى التجـربة العـاقل
فان ذا العقـل اذا هجتـه ❊ هجت بـه ذا خبـل خابـل
يبصـر فى عاجل شـداته ❊ عليـك غب الضرر الآجـل

وقد يقال : ان العفو يفسـد من اللئيم بقدر اصلاحـه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

والعفو عند لبيب القـوم موعظة ❊ وبعضـه لسفيه القوم تدريب

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى اللسان فى مادة لجج : تضاحكت حتى يلج ويستشرى .

فان كنا قد أسأنا في هذا التقريع والترقيف ، فالذى لم يأخذ فينا بحكم ألقرآن ، ولا بأدب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يفزع الى ما فى الفطن الصحيحة ، أو الى ما توجبه المقاييس المطردة ، والأمثال المضروبة ، والأشعار السائرة ، أولى بالاساءة ، وأحق باللائمة ، قال الله جل ثناؤه : **(وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى)** وقد قال النبى عليه الصلام والسلام : « **لا تجن يمينك** على شمالك » وهذا حكم الله جل وعز ، وآداب رسوله ، والذى أنزل به الكتاب ، ودل عليه فى حجج العقول .

أخذ البرىء بذنب المذنب

ثم قال في أخذ البرىء بذنب المذنب : فأما ما قالوا فى المثل المضروب ، « رمتني بدائها وانسلت » . وأما قول الشعراء وذم الخطباء لمن أخذ انسانا بذنب غيره ، وما ضربوا في ذلك من الأمثال ، كقول النابغة حيث يقول فى شعره :

وكلفتنى ذنب امرىء وتركتـه ❊ كذى العر يكوى غيره وهو راتع

وكانوا اذا أصـاب ابلهم العر كووا السليم ليذهب العر عن السقيم فأسقموا الصحيح من غير أن يبرئوا السقيم ، وكانوا اذا كثرت ابل أحدهم فبلغت الألف فقئوا عين الفحل ، فان زادت الابل على الألف فقئوا عينه الأخرى ، فذلك المفقأ والمعمى اللذان سمعت بهما قال الفرزدق :

غلبتـك بالمفقـا والمعمى (١) ❊ وبيت المجتبى (٢) والخافقـات

وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف (٣) والغارة فقال الأول :

فقأت لها عين الفحيل تعيفـا ❊ وفيهن رعـلاء المسامع والحام

الرعلاء : التى تشق أذنها وتترك مدلاة لكرمها .

---

(١) فى اللسان مادة « فقا » « المعنى » .
(٢) كذا فى الاصل وفى اللسان « المحتبى » بالحاء المهملة .
(٣) السواف : مرض الابل .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأمنية ، كقول الرجل اذا بلغت ابلى كذا وكذا ، وكذلك غنمي ذبحت عند الأوثان كذا وكذا عتيرة ، والعتيرة : من نسك الرجبية ، والجمع عتائر ، والعتائر من الشاء ، فاذا بلغت ابل أحدهم أو غنمه ذلك العدد استعمل التأويل وقال : انما قلت : اني اذبح كذا وكذا شاة ، والظباء : شاء ، كما أن الغنم شاء ، فجعل ذلك القربان كله مما يصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارث بن حلزة اليشكرى :

عننا باطلا شدوخا (١) كما تعـ * ـتر عن حجرة الربيض الظبـاء

بعد أن قال :

أم علينا جنـاح كندة أن يغـ * ـنم غازيهـم ومنـا الجـزاء

وكانوا اذا أوردوا البقر فلم تشرب ، اما لكدر الماء واما لقلة العطش ، ضربوا الثور ليقتحم الماء لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل ، وكما تتبع أتن الوحش الحمار ، فقال في ذلك عوف بن الخرع :

تمنت طيىء جهـلا وجبنـا * وقـد خاليتهم فابـوا خـلائي
هجوني أن هجوت جبال سلمى * كضرب الثـور للبقر الظمـاء

وقال في ذلك أنس بن مدركة في قتله سليك بن السلكة :

انى وقتـلى سـليكا ثم اعقلـه * كالثـور يضرب لمـا عـافت البقر
أنفت (٢) للمرء اذ تغشى حليلتـه * واذ (٣) يشد على وجعائها الثفر (٤)

وقال الهيبان الفهمي :

كما ضرب اليعسـوب أن عاف باقر * وما ذنبـه أن عافت المـاء باقـر

ولما كان الثور أمير البقر ، وهي تطيعه طاعة اناث النحل لليعسوب سماه باسم أمير النحل ٠

---

(١) كذا في الأصل وفي اللسان مادة عتر « وظلما » ٠

(٢) في اللسان : « غضبت » ٠

(٣) في الأصل « وان» والتصويب عن اللسان ٠

(٤) الثفر : السير الذي في مؤخر السرج ٠

وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصد الثيران عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب حتى تهلك ، وقال في ذلك الأعشى :

واني وان كلفتموني وربكم ✽ لأعلم من أمسى أحق وأحوبا
لكالثور والجني يضرب ظهره ✽ وما ذنبه أن عافت الماء مشربا
وما ذنبه أن عافت الماء باقر ✽ وما ان تعاف الماء الا لتضربا

كأنه قال : اذ كان يضرب أبدا لأنها عافت الماء ، فكأنها انما عافت الماء لضرب ، وقال يحيى بن منصور الذهلي في ذلك :

لكالثور والجني يضرب وجهه ✽ وما ذنبه ان كانت الجن ظالمه

وقال نهشل بن جرى :

أتترك عارض وبنو عدى ✽ وتغرم دارم وهم براء
كدأب الثور يضرب بالهراوى ✽ اذا ما عافت البقر الظماء
وكيف تكلف الشعرى سهيلا ✽ وبينهما الكواكب والسماء

وقال أبو نويرة بن حصين حين أخذه الحكم بن أيوب بذنب العطرق :

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي ✽ ونصحي اذا ما بعتني بالمحلق
ولا ساق سراق العرافة صالح ✽ بني ولا كلفت ذنب العطرق

وقال خداش بن زهير حين أخذ بدماء بني محارب :

أكلف قتلى معشر لست منهم ✽ ولا دارهم داري ولا نصرهم نصري
أكلف قتلى العيص عيص شواحط ✽ وذلك أمر لم تشف له قدري

وقال الآخر :

اذا عركت عجل بنا ذنب طيىء ✽ عركنا بتيم اللات ذنب بني عجل

ولما وجد اليهودي أخا حنبص الضبابي في منزله فخصاه فمات ، وأخذ حنبص بني عباس بجناية اليهودي قال قيس بن زهير : أتأخذنا بذنب غيرنا ، وتسألنا العقل ،

والقاتل يهودى من أهل تيماء ؟ قال : والله لو قتله هيف الريح لوديتموه ، فقال قيس لبنى عبس : الموت فى بنى ذبيان خير لكم من الحياة فى بنى عامر ، ثم أنشأ يقول .

أكلف ذا الخصيين ان كان ظالما * وان كنت مظلوما وان كنت شاطنا
خصاه امرؤ من أهل تيماء طابن * ولا يعدم الانسي والجن طابنا
فهلا بنى ذبيان أمك هابل * رهنت بهيف الريح ان كنت راهنا
اذا قلت قد أفلت من شر حنبص * أتانى بأخرى وشره متباطنا
فقد جعلت أكبادنا تجتويكم * كما تجتوى سوق العضاه الكرازنا

ولما قتل لقمان بن عاد ابنته وهى صحر بنت لقمان قال حين قتلها : ألست امرأة ؟ وذلك أنه تزوج عدة نساء وكلهن خنه فى أنفسهن ، فلما قتل أخراهن ونزل من الجبل كان أول من تلقاه صحر ابنته ، فوثب عليها فقتلها ، وقال وأنت أيضا امرأة ، وكان قد ابتلى أيضا بأن أخته كانت محمقة ، وكذلك كان زوجها ، فقالت لاحدى نساء لقمان : هذه ليلة طهرى وهى ليلتك ، فدعينى أنم فى مضجعك ، فان لقمان رجل منجب ، فعسى أن يقع على فأنجب فوقع على أخته فحملت بلقيم وفى ذلك قول النمر بن تولب :

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنما
ليالى حمق فاستحصنت * عليه فغر بها مظلما
فاحبلها رجل محكم (١) * فجاءت به رجلا محكما

فضربت العرب فى ذلك المثل بقتل لقمان بنته صحرا فقال خفاف بن ندبة فى ذلك :

وعباس يدب لى المنايا * وما أذنبت الا ذنب صحر

وقال فى ذلك ابن أذينة :

اتجمع تهياما بليلى اذا نات * وهجرانها ظلما كما ظلمت صحر

---

(١) وروى : تائه .

وقال الحارث بن عباد :

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها علم اللـ * ـه وانى بحرها اليوم صالى

وقال الشاعر وأظنه ابن المقفع :

فلا تلم المرء فى شأنه * فرب ملوم ولم يذنب

وقال آخر :

لعل له عذرا وأنت تلوم * وكم لائم قد لام وهو مليم

وقال بعض العرب فى قتل بعض الملوك سنمار الرومي : فانه لما علا الخورنق ، ورأى بنيانا لم ير مثله ، ورأى ذلك المستشرف ، وخاف ان هو استبقاه أن يموت فيبنى مثل ذلك البنيان لملك آخر ، فأمر به فرمى من فوق القصر ، فقال فى ذلك الكلبى فى شىء كان بينه وبين بعض الملوك :

جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان سبعين حجة * يعل عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سحوقه * وآض كمثل الطود ذى الباذخ الصعب
فظن سنمار به كل حبوة * وفاز لديه بالمودة والقرب
فقال اقذفوا بالعلج من رأس شاهق * فذاك لعمر الله من أعظم الخطب

وجاء المسلمون يروى خلف عن سلف ، وتابع عن سابق ، وآخر عن أول ، أنهم لم يختلفوا فى عيب قول الحجاج : لآخذن ، السمى بالسمى والولى بالولى ، والجار بالجار ، ولم يختلفوا عن لعن شاعرهم حيث يقول :

اذا أخذ البرىء بغير جرم * تجنب ما يحاذره السقيم

قال : وقيل لعمرو بن عبيد ان فلانا لما قدم رجلا ليضرب عنقه فقيل له : انه مجنون ، قال : لولا أن المجنون يلد عاقلا لخليت سبيله ، قال فقال عمرو : وما خلق الله النار الا بالحق .

ولما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم فى وقعة البشر : فض الله عمادك ، وأطال سهادك ، وأقل رمادك ، فوالله ان قتلت الا نساء أسافلهن دمى ، وأعاليهن ثدى ، فقال

لن حوله : لولا أن تلد هذه مثلها لخليت سبيلهـا . فبلغ ذلك الحسن فقال : ان الجحاف جذوة من نار جهنم • قال وذم رجل عند الأحنف بن قيس الكماة بالسمن ، فقال عند ذلك الأحنف : رب ملوم لا ذنب له ، فبهذه السيرة سرت فينا ، وما أحسن ما قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان :

وان امرأ يمسي ويصبح سـالما ✻ من النـاس الا ما جنى لسـعيد

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر ، وأصحاب الفكر والعبر ، وأرباب النحل ، والعلماء بمخارج الملل ، وورثة الأنبياء ، وأعوان الخلفـــاء ، يكتبون كتب الظرفاء والملحاء ، وكتب الفراغ والخلعاء ، وكتب الملاهي والفكاهات ، وكتب أصحاب الخصومات والمراء ، وكتب أصـــحاب العصبية ، وحمية الجاهلية ، حتى كأنهم لا يحاسـبون أنفسهم ، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم ، ولا يخافون تصفح العلماء ، ولا لائمة الأدباء وشنف الأكفاء ، ومساءة الجلساء ، فهلا أمسكت رحمك الله عن عيبنا ، والطعن عليها ، وعن المشورة والموعظة ، وعن تخويف ما فيه سوء العاقبة الى أن تبلغ حال العلماء ، ومراتب الأكفاء •

أقسام البيـان

وبعد أن تكلم فى تقسيم العالم الى ثلاثة أقسام ، وذكر أقسام الحيوان ، قال فى أقسام البيان :

ووجدنا الحكمة على ضربين : شيء جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشيء جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة ، فاستوى بدن الشيء العاقل وغير العاقل فى جهة الدلالة على أنه حكمة ، واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكل مستدل دليل ، وليس كل دليل مستدلا ، فشارك كل الحيوان سوى الانسان جميع الجماد فى الدلالة وفى عدم الاستدلال ، واجتمع للانسان بأن كان دليلا مستدلا ، ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بيانا ، وجعل ذلك البيان على أربعة أقسام : لفظ وخط وعقد واشارة ، وجعل بيان الدليل الذى لا يستدل تمكينه المستدل من نفسه واقتياده كل من فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان ، وحشى من الدلالة ، وأودع من عجيب الحكمة ، فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ، ومعربة من جهة صـحة الشهادة ، على أن الذى فيها من التدبير والحكمة

تلوحان لمن استخبرهما ، وينطقان لمن استنطقهما كما يخبر الهزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة عن حسن الحال ، وقد قال الشاعر :

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال آخر :

متى تـك في عـدو أو صـديق * تخبرك العيـون عن القلـوب

وقد قال العكلي في صدق شمه الذئب ، وفي شدة حسه واستروحاه :

يستخبر الريح اذا لم يسمع * بمثل مقراع الصفا الموقع

وقال عنترة وهو يصف نعيب غراب :

حرق الجناح كأن لحيي رأسه * جلمان بالأخبـار هش مولع

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه : سل الأرض فقل : من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا ، فموضوع الجسم ونصبته دليل على ما فيه ، وداعية اليه ومنبهة عليه ، فالجماد الأبكم الأخرس من هذا الوجه قد شارك في البيان الانسان الحي الناطق ، فمن جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا مذهبا له جواز في اللغة ، وشاهد في العقل ، فهذا أحد قسمي الحكمة ، وأحد معنيي ما استخزنها الله تعالى من الوديعة .

القسمة الأخرى ما أودع صدور صنوف سائر الحيوان من ضروب المعارف ، وفطرها على غريب الهدايات ، وسخر حناجرها له بضرب النغم الموزونة ، والأصوات الملحنة ، والمخارج الشجية ، والأغاني المطربة ، فقد يقال : ان جميع أصواتها معدلة ، وموزونة موقعة ، ثم الذى سهل لها من الرفق العجيب في الصنعة مما ذلله الله تعالى لمناقيرها وأكفها ، وكيف فتح لها من باب المعرفة على قدر ما هيأ لها من الآلة ، وكيف أعطى كثيرا منها من الحس اللطيف ، والصنعة البديعة عن غير تأديب وتثقيف ، وعن غير تقويم وتلقين ، وعن غير تدريج وتمرين . فبلغت بعفوها ومقدار قوى فطرتها من البديه والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، مالا يقدر عليه حذاق رجال الرأي ، وفلاسفة علماء البشر بيد ولا آلة ، بل لا يبلغ ذلك من الناس أكملهم خصالا ، وأتمهم خلالا ، من جهة الارتجال والاقتضاب ولا من جهة التعسف والاقتدار ، ولا من جهة

التقديم فيه ، والثاني له ، والترتيب لمقدماته ، وتمكين الأسباب المعينه عليه فصار جهد الانسان الثاقب الحس ، الجامع القوى ، المتصرف في الوجوه المتقدم في الامور يعجز عن عقو كثير منها ، وينظر اذ نظر الى ضروب ما يجيء منها كما اعطيت العنكبوت . وكما أعطيت السرفة ، وكما علم النحل ، بل عرف التنوط من بديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة في غير ذلك من أصناف الخلق ثم لم يوجدهم العجز في أنفسهم في أكثر ذلك الا عما قوى عليه الهمج والخشاش وصغار الحشرات ، ثم جعل الانسان ذا العقل والتمكين ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلف والتجربة ، وذا التأتي والمنافسة ، وصاحب الادخار والمتفقد لشأن العاقبة متى أحسن شيئا كان كل شيء دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل سائر الحيوان وان كان يحسن أحدها ما لا يحسن أحذق الناس متى أحسن شيئا عجيبا لم يمكنه أن يحسن ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل منه في الرأي ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة ، فلا الانسان جعل نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختار ذلك ، فأحسنت هذه الأجناس بلا تعلم ما يمتنع على الانسان ، وان تعلم فصار لا يحاوله اذ كان لا يطمع فيه ، ولا يحسدها اذ كان لا يأمل الإلحاق بها ، ثم جعل تعالى وعز هاتين الحكمتين ازاء عيون الناظرين ، وتجاه أسماع المعتبرين ، ثم حث على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتعاظ والازدجار ، وعلى التعرف والتبين ، وعلى التوقف والتذكر ، فجعلها مذكرة منبهة ، وجعل الفطر تنشيء الخواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ، ذلك رب العالمين ، سبحان الله رب العالمين .

وهذا كتاب موعظة وتعريف ، وتفقه وتنبيه ، وأراك قد عبته قبل أن تقف على حدوده ، وتتفكر في فصوله ، وتتذكر آخره بأوله ، ومصادره بموارده ، وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من مزح لم تعرف معانيه ، ومن بطالة لم تدرك غورها ، ولم تدر لم اجتلبت ولأى علة تكلفت ، وأى معنى أريغ بها ، ولأى جد احتمل ذلك الهزل ، ولأية رياضة تجشمت تلك البطالة ، ولم تدر أن المزاح جد اذا اجتلب لأن يكون علة للجد ، وأن البطالة وقار وزمانة اذا تكلفت لتلك العاقبة ، ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه ، قال أبو شمر : اذا كان لا يصل الى ما يحتاج اليه الا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج اليه يحتاج اليه ، وذلك مثل كتابنا هذا ، لأنا ان حملنا جميع من يتكلف قراءة هذا الكتاب على مر الحق ، وصعوبة الجد ، وثقل المؤونة وحقيقة الوقار ، لم يصبر عليه مع طوله الا من قد تجرد للعلم وفهم معناه وذاق من ثمرته ، واستشعر من عزه ، ونال من سروره على حسب ما يورث الطول من الكد ، والكثرة من السآمة ، وما أكثر من يقاد الى حظه بالسواجير ، وبالسوق العنيف ، وبالاخافة الشديدة ! .

مدح الكتب

تم ذكر فقرات حسانا فى مدح الكتب فقال :

ثم لم أرك رضيت بالطعن على كل كتاب لى بعينه ، حتى تجاوزت ذلك ، الى ان عبت وضع الكتب كيفما دارت بها الحال ، وكيف تصرفت بها الوجوه ، وقد كنت أعجب من عيبك البعض بلا علم ، حتى عبت الكل بلا علم . ثم جاوزت ذلك الى التشنيع ، ثم تجاوزت التشنيع الى نصب الحرب ، فعبت الكتاب ونعم الذخر والعدة ، ونعم الجليس والعمدة ، ونعم النشوة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل ، والكتاب وعاء ملىء علما ، وظرف حشى ظرفا ، واناء شحن مزاحا وجدا ، ان شئت كان أبين من سحبان وائل ، وان شئت كان أعيا من باقل ، وان شئت ضحكت من بوادره ، وان شئت عجبت من غرائب فوائده ، وان شئت ألهتك نوادره ، وان شئت شجتك مواعظه ، ومن لك بواعظ مله ، وبزاجر مغر ، وبناسك فاتك ، وبناطق أخرس ، وببارد حار ، وفى البارد الحار يقول الحسن بن هانىء :

قل لزهير اذا انتحى وشدا   *   أقلل أو أكثر فانت مهدار
سخنت من شدة البرودة حتى صرت عندى كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتى   *   كذلك الثلج بارد حار

ومن لك بطبيب (١) أعرابى ، وبرومى هندى ، وبفارسى يونانى ، وبقديم مولد ، وبميت ممتع ، ومن لك بشىء يجمع لك الأول والآخر ، والناقص والوافر ، والخفى والظاهر ، والشاهد والغائب ، والرفيع والوضيع ، والغث والسمين ، والشكل وخلافه ، والجنس وضده .

وبعد ، فمتى رأيت بستانا يحمل فى ردن ، أو روضة تتقلب فى حجر ، وناطقا ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ، ولا ينطق الا بما تهوى ، آمن من الأرض ، وأكتم للسر من صاحب السر ، وأضبط للوديعة من أرباب الوديعة ، وأحفظ لما استحفظ من الأميين ، ومن الأعراب المعربين ، بل من

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها : « بنبطى » .

الصبيان قبل اعتراض الاشغال ، ومن العميان قبل التمتع بتمييز الأشخاص ، حين العناية تامة لم تنقص ، والأذهان فارغة لم تقتسم ، والارادة وافرة لم تستعب ، والطينة لينة فهي أقبل ما تكون للطابع ، والقضيب رطب فهو أقرب ما يكون من العلوق ، حين هذه الخصال لم يبل جديدها ، ولم يفل غربها ، ولم تتفرق قواها ، وكانت كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وقال عبدة (١) بن الطبيب :

لا تأمنوا قوما يشب صبيهم * بين القوابل بالعداوة ينشع

هذا مع قولهم : التعلم في الصغر كالنقش في الحجر ، وقال جران العود :

تركن برحلة الروحاء حتى * تنكرت الديار على البصير
كوحي في الحجارة أو وشوم * بأيدي الروم باقية النؤور

النؤور : شيء كان يعمل في الجاهلية مثل الحضرة اليوم ٠

وقال آخر وهو صالح بن عبد القدوس :

وان من أدبته في الصبا * كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا أخضرا * بعد الذي أبصرت من يبسه

وقال آخر :

يقوم من ميل الغلام المؤدب * ولا ينفع التاديب والرأس أشيب

وقال آخر :

أدبت عرسي بعيد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

وقد قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعرى فالكتاب أعجب الى من الحفظ ،

---

(١) في الأصل ٠ « نميرة » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن الشعر والشعراء لابن قتيبة ٠

ان الأعرابى ينسى الكلمة قد سهرت فى طلبهـــا ليله · فيضـع فى موضعها كلمة فى وزنها ثم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ، ولا يبدل كلاما بكلام ·

وعبت الكتاب ولا أعلم جارا أبر ، ولا خليطا أنصف · ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ، ولا صاحبا أظهر كفاية ، ولا أقل جناية ، ولا أقل املالا وابراما ، ولا أقل خلافا واجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عضيهة ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفا ، ولا أقل صلفا وتكلفا ، ولا أبعد من مراء ، ولا أترك شغب ، ولا أزهد فى جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب ، ولا أعلم قرينا أحسن مواتاة ، ولا أعجل مكافأة ، ولا أحضر معونة ، ولا أخف مؤونة ، ولا شجرة أطول عمرا ، ولا أجمع أمرا ، ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مجتنى ، ولا أسرع ادراكا ، ولا أوجد فى كل ابان من كتاب ، ولا أعلم نتاجا فى حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنــه ، وامكان موجوده ، يجمع من التدابير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة ، ومن الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع لك الكتاب ·

وقد قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : (**اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم**) وصف نفسه تبـارك وتعالى جده بأن علم بالقلم · كمـا وصف نفسـه بالكرم ، واعتد ذلك فى نعمه العظام ، وفى أياديه الجسام ، وقد قالت العرب : القلم أحد اللسانين ، وقالوا : كل من عرف فضل النعمة فى بيان اللسان كان بفضل النعمة فى بيان القلم أعرف ، ثم جعل هذا الأمر قرآنا ، ثم جعله فى أول التنزيل ، ومستفتح الكتاب ، ثم أعلم — يرحمك الله تعالى — ان حاجة بعض الناس الى بعض صفة لازمة لطبائعهم ؛ وخلقة قائمة فى جواهرهم ؛ وثابتة لا تزايلهم ، ومحيطة بجماعتهم ، مشتملة على أدانيهم وأقاصيهم ، وحاجتهم الى ما غاب عنهم ، مما يعيشهم ويحييهم ، ويأخذ بأرماقهم ، ويصلح بالهم · ويجمع شـملهم · والى التعـاون على درك ذلك ، والتوازر عليه كحاجتهم الى التعاون على معرفة ما بحضرتهم ، والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق فى أمورهم التى لم تغب عنهم ، فحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد ، لاحتياج الأدنى الى معرفة الأقصى ، واختلال الأدنى الى معونة الأقصى ، معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة ، وجعل حاجتنا الى معرفة أخبار من كان قبلنـا كحاجة من كان قبلنا الى أخبار من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بعدنا الى أخبارنا ، ولذلك تقدمت فى الكتب البشارات بالرسل ، ولم يسخر لهم جميع خلقه الا وهم يحتاجون الى الارتفاق بجميع خلقه ، وجعل الحاجة حاجتين : احداهما قوام وقوت ، والأخرى لذة وامتاع ، وازدياد فى الآلة ، وفى كل ما أجذل النفوس ، وجمع لهم العتاد ،وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم ، وعلى قدر اتساع معرفتهم ، وبعد غورهم ، وعلى قدر احتمال طبع البشرية ، وفطرة الانسانية ،

ثم لم يقطع الزيادة عنهم الا لعجز خلقهم عن احتمالهـا ، ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجز الا بعدم الأعيان ، اذا كان العجز صفة من صفات الخلق ، ونعتا من نعوت العبيد ، ولم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له ، فأدناهم مسخر لأقصاهم ، وأجلهم ميسر لأدقهم ، وعلى ذلك أحوج الملوك الى السوقة فى باب ، وأحوج الســوقة الى الملوك فى بـاب ، وكذلك الغنى والفقير ، والعبد وسيده ٠

ثم جعل الله تعالى كل شيء للانسان خولا وفى يده مذالا ميسرا ، اما بالاحتيال له ، والتلطف فى اراغته واستمالته ، واما بالصولة عليه والفتك به ، واما أن يأتيه سهوا ورهوا ، وعلى أن الانسان لولا حاجته اليها لما احتال لها ، ولما صال عليها ، الا أن الحاجة تفترق فى الجنس والجهة ، وفى الحظ والتقدير ، ثم تعبد الانسان بالفكر فيها ، والنظر فى أمورها وبالاعتبار بما يرى ، ووصل بين عقولهم ، وبين معرفة تلك الحـــكم الشريفة ، وتلك الحاجات اللازمة بالنظر والتفكير ، والتنقب والتنقير ، والتثبت ، والتوقف ، ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم اليها ، وتشاعرهم بمواضع الحكم فيها بالبيان عنها ، وهو البيان الذى جعله الله تعالى سببا فيما بينهم ، ومعبرا عن حقائق حاجاتهم ، ومعرفا لمواضع سد الخلة ، ودفع الشبهة ، ومداواة الحيرة ، ولأن أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح الماثلة ، والأجســام الجامدة ، والأجرام الساكنة التى لا يتعرف ما فيها من دفائن الحكم وكنوز الأدب ، وينابيع العلم ، الا بالعقل اللطيف الثاقب ، وبالنظر التام النافذ ، وبالأداة الكاملة ، وبالأسباب الوافرة ، والصبر على مكروه الفـكر ، والاحتراس من وجوه الخدع ، والتحفظ من دواعى الهوينى ، ولأن الشكل أفهم عن شكله وأسكن اليه وأصب به ، وذلك موجود فى أجناس البهائم وضروب السباع ، والصبى عن الصبى أفهم وله آلف ، واليه أنزع ، وكذلك العالم والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : (**ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا**) لأن الانسان عن الانسان أفهم ، وطباعه بطباعه آنس ، وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه ، ثم لم يرض من البيان لهم بصنف واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرق ، وكثر ولم يقلل ، وأظهر ولم يخف ، فجعل أصناف البيان التى بها يتعارفون معانيهم ، والترجمان الذى اليه يرجعون عند اختلافهم فى أربعة أشياء وفى خصلة خامسة ، وان نقصت عن بلوغ هذه الأربعة فى جهاتها ، فقد تكمل بجنسه الذى وضع له ، وصرف اليه ٠

وهذه الخصـــال الأربع : هى اللفظ والخط والاشـــارة والعقد ، والخصلة الخامسة : ما أوجد من صحة الدلالة ، وصدق الشهادة ، ووضوح البرهان فى الأجرام الجامدة الصامتة ، والساكنة الثابتة ، التى لا تنبس ولا تفهم ، ولا تحس وتتحرك الا بداخل دخل عليهـا ، أو عند ممسك خلى عنها بعد تقييده كان لهـا ، ثم قسم الأقسام ، ورتب المحسوسات ، وحصل الموجودات ، فجعل اللفظ للسامع ، وجعل

الاشارة للناظر ، وأشرك بين الناظر واللامس ، في معرفة العقد الا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على نصيب اللامس ، وجعل الخط دليلا على ما غاب من حوائجه عنه ، وسببا موصولا بينه وبين أعوانه ، وجعله خازنا لما لا يأمن نسيانه مما قد أحصاه وحفظه ، وأتقنه وجمعه ، وتكلف الاحاطة به ، ولم يجعل للشام والذائق في ذلك نصيبا ٠

ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير البسيط ، ولبطلت معرفة التضاعيف ، ولعدموا الاحاطة بالباورات ، وباورات الباورات ، ولو أدركوا ذلك لما أدركوه الا بعد أن تغلظ المؤونة ، وتنتقص المنة ، ولصاروا الى حال معجزة وحسور ، والى حال مضيعة وكلال حد ، مع التشاغل بأمور لولا فقد هذه الآلة لكان أربح لهم ، وأرد عليهم أن يصرفوا ذلك الشغل في أبواب منافع الدين والدنيا ، ونفع الحساب معلوم ، والخلة في موضع فقده معروفة ، قال الله تعالى : ﴿ **الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان** ﴾ ثم قال : ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ وبالبيان عرف الناس القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾ فأجرى الحساب مجرى البيان وألحق البيان بالقرآن ، وبحسبان منازل القمر عرفنا حالات المد والجزر ، وكيف تكون الزيادة في الأهلة وأنصاف الشهور ، وكيف يكون النقصان في خلال ذلك ، وكيف تلك المراتب وتلك الأقدار ٠

ولولا الكتب المدونة ، والاخبار المخلدة ، والحكم المخطوطة التي تحصر الحساب وغير الحساب ، لبطل أكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ، ولو تم ذلك لحرمنا أكثر النفع ، اذ كنا قد علمنا أن مقدار حفظ الناس لعواجل حاجاتهم وأواجلها لا يبلغ من ذلك مبلغا مذكورا ، ولا يغني فيه غناء محمودا ، ولو كلف عامة من يطلب العلم ، ويصطنع الكتب ، ألا يزال حافظا لفهرس كتبه لأعجزه ذلك ، ولكلفه شططا ، ولشغله ذلك عن كثير مما هو أولى به ، ففهمك لمعاني كلام الناس ينقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجردا ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعاملك ، والمعاون لك ما كان صياحا صرفا ، وصوتا مصمتا ، ونداء خالصا ، ولا يكون مع ذلك الا وهو بعيد من المفاهمة ، وعطل من الدلالة ، فجعل الله جل وعز اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح من الحاجات ٠

فأما الاشارة فأقرب منها رفع الحواجب ، وكسر الأجفان ، ولي الشفاه ، وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوى بثوب على مقطع جبل تجاه عين الناظر ، ثم ينقطع عملها ، ويدرس أثرها ، ويموت ذكرها ، وتصير بعد كل شيء

فضل عن انتهاء مدة الصوت ، ومنتهى الطرف فى الحاجة ، الى التفاهم بالخطوط والكتب ، فأى نفع أعظم وأى مرفق أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !

وليس للعقد حظ الاشارة فى بعد الغاية ، ولا للاشارة حظ الخط فى بعد الغاية . فلذلك وضع الله عز وجل القلم فى المكان الرفيع ، ونوه بذكره فى المنصب الشريف حين قال : (ن والقلم وما يسطرون) فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط بالقلم اذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يشق غباره ، ولا يجرى فى حلبته ، ولا يتكلف بعد غايته ، ولكن لما كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر من حاجاتهم فى سائر الأماكن ، وكانت الحاجة الى بيان اللسان حاجة دائمة راكدة ، وراهنة ثابتة ، وكانت الحاجة الى بيان القلم أمرا يكون الغيبة وعند النائبة ، الا ما خصت به الدواوين. فان لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك قدموا اللسان على القلم ، فاللسان الآن انما هو فى منافع اليد والمرافق التى فيها ، والحاجات التى تبلغها ، فمن ذلك حظها وقسطها من منافع الاشارة ، ثم نصيبها فى تقويم القلم ، ثم حظها فى التصوير ، ثم حظها فى الصناعات ، ثم حظها فى العقد ، ثم حظها فى الدفع عن النفس ، ثم حظها فى ايصال الطعام والشراب الى الفم ، ثم التوضؤ والامتساح ، ثم انتقاد الدنانير والدراهم ، ثم لبس الثياب ، وفى الدفع عن النفس أصناف الرمى ، وأصناف الضرب ، وأصناف الطعن ، ثم الضرب التقن بالعود وتحريك الوتر ، ولولا ذلك لبطل الطرب كله أو عامته ، وكيف لا تكون كذلك ولها ضرب الطبل والدف وتحريك الصفاقتين ، وتحريك مخارق خروق المزامير ، وما فى ذلك من الاطلاق والحبس ، ولو لم يكن فى اليد الا امساك العنان والزمام والخطام ، لكان ذلك من أعظم الحظوظ .

وقد اضطربوا فى الحكم بين العقد والاشارة ، ولولا أن مغزانا فى هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا مما أحب أن يعرفه اخواننا وخلطاؤنا ، ولا ينبغى لنا أيضا أن نأخذ فى هذا الباب من الكلام الا بعد الفراغ مما هو أولى بنا منه ، اذ كنت لم تنازعنى ، ولم تعب كتبى من طريق فضل ما بين العقد والاشارة ، ولا فى تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وانما قصدنا بكلامنا الى الاخبار عن فضل الكتب .

والكتاب هو الذى قيد على الناس كتب علم الدين ، وحساب الدواوين ، مع خفة ثقله ، وصغر حجمه ، صامت ما أسكته ، وبليغ اذا استنطقته ، ومن لك بمسامر لا يبتدئك فى حال شغلك ، ويدعوك فى أوقات نشاطك ، ولا يحوجك الى التجمل له ، والتذمم منه ، ومن لك بزائر ان شئت جعل زيارته غبا ، وورده خمسا ، وان شئت لزمك لزوم ظلك ، فكان منك مكان بعضك .

والقلم مكتف بنفسه ولا يحتاج الى ما عند غيره ، ولابد لبيان اللسان من أمور ، منها : اشارة اليد ، ولولا الاشارة لما فهموا عنك خاص الخاص ، اذا كان أخص الخاص قد يدخل فى باب العام ، الا أنه أدنى طبقاته ، ولبس يكتفى خاص الخاص باللفظ عما أداه ، كاكتفاء عام العام ، والطبقات التى بينه وبين أخص الخاص .

والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك ، والصديق الذى لا يغريك ، والرفيق الذى لا يملك ، والمستميح الذى لا يستزيدك ، والجار الذى لا يستبطئك ، والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يحتال لك بالكذب .

والكتاب هو الذى ان نظرت فيه أطال امتاعك ، وشحذ طباعك ، وبسط لسانك ، وجود بيانك ، وفخم ألفاظك ، وبجح نفسك ، وعمر صدرك ، ومنحك تعظيم العوام ، وصداقة الملوم ، وعرفت به فى شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال فى دهر مع السلامة من الغرم ، ومن كد الطلب ، ومن الوقوف بباب المتكسب بالتعليم ، وبالجلوس بين يدى من أنت أفضل منه خلقا ، وأكرم غرقا ، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ، ومقارنة الأغبياء .

والكتاب هو الذى يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك فى السفر كطاعته فى الحضر ، ولا يعتل بنوم ، ولا يعتريه كلال السهر ، وهو المعلم الذى ان افتقرت لم يحقرك ، وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة ، وان عزلت لم يدع طاعتك ، وان هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك ، ومتى كنت منه متعلقا بسبب ، أو معتصما بأدنى حبل ، لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء ، ولو لم يكن من فضله عليك ، واحسانه اليك ، الا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر الى المارة بك ، مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ، ومن فضول النظر ، ومن عادة الخوض فيما لا يعنيك ، ومن ملابسة صغار الناس ، ومن حضور ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الردية ، وجهالاتهم المذمومة ، لكان فى ذلك السلامة ثم الغنيمة ، واحراز الأصل مع استفادة الفرع ، ولو لم يكن فى ذلك الا أن يشغلك عن سخف المنى ، وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان فى ذلك على صاحبه أسبغ النعمة ، وأعظم المنة ، وقد علمنا أن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم ، وأصحاب الفكاهات ساعات ليلهم ، هو الشىء الذى لا ترى له فيهم مع النيل أثرا فى ازدياد فى تجربة ولا فى عقل ، ولا فى مروءة ولا فى صون عرض ، ولا فى اصلاح دين ، ولا فى تثمير مال ، ولا فى تربية صنيعة ، ولا فى ابتداء بانعام -

قال أبو عبيدة قال المهلب لبنيه في وصيته : يا بني لا تقفوا في الأسواق الا على زراد أو وراق ٠

وحدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتابا فيه مآثر غطفان ، فقال لي : ذهبت المكارم الا من الكتب ، وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول : عبرت أربعين عاما ما قلت ولا بت التكأت الا والكتاب موضوع على صدرى ، وقال ابن الجهم : اذا غشيني النعاس في غير وقت نوم وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة ، تناولت كتابا من كتب الحكم فأجد اهتزازى للفوائد ، والأريحية التى تعترينى عند الظفر ببعض الحاجة ، والذى يغشى قلبى من سرور الاستبانة ، وعز التبين ، أشد ايقاظا من نهيق الحمير ، وهدة الهدم ٠

وقال ابن الجهم : اذا استحسنت الكتاب واستجدته ، ورجوت منه الفائدة ، ورأيت ذلك فيه ، فلو تروننى وأنا ساعة بعد ساعة أبصر كم بقي من ورقه مخافة استنفاده ، وانقطاع المادة من قبله ، وان كان المصحف فى عظيم الحجم ، وكان الورق كثير العدد ، لرأيتم كيف تم عيشى ، وكمل سرورى ٠

وذكر القينى كتابا لبعض القدماء فقال : لولا طوله ، وكثرة ورقه ، لنسخته ، قال ابن الجهم : لكننى ما رغبنى فيه الا الشيء الذى زهدك فيه ، وما قرأت كتابا قط كبيرا فأخلانى من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كلما دخلت ٠

وقال القينى ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظر فى كتاب الاقليدس مع جارية سلمويه فى يوم واحد وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حر مخير وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتب من سلمويه على تعليم جاريته ، قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لا يفهم منه شكلا واحدا ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ، قال القينى : وكيف ظننت به هذا الظن كله وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأنى سمعته يقول لابنه : كم أنفقت على كتاب كذا وكذا ؟ قال : أنفقت كذا وكذا ، قال : انما رغبنى فى العلم أنى ظننت أنى أنفق قليلا وأكتسب كثيرا ، فأما اذ صرت أنفق الكثير وليس فى يدى منه الا المواعيد فانى لا أريد العلم بشيء ؛ والانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، ولابد من أن تصير كتبه أكثر من سماعه ، ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الانفاق عليه من ماله ألذ عنده من الانفاق من مال عدوه ، ومن لم تكن نفقته التى تخرج فى الكتب ألذ عنده من عشاق القيان ، والمستهترين بالبنيان ، لم يبلغ فى العلم مبلغا رضيا ٠ وليس ينتفع بانفاقه حتى يؤثر لذة اتخاذ الكتب ايثار الأعرابى فرسه باللبن على عياله ، وحتى يؤمل فى العلم ما لا يؤمل الأعرابى فى فرسه ٠

وقال ابراهيم بن السندي مرة : وددت أن الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة بالورق النقي الأبيض ، ولا على تخير الحبر الأسود البراق ، ولا على استجادة الخط والارغاب لمن يخط ، فاني لم أر كورق كتبهم ورقا ، ولا كالخطوط التي فيها خطا . واني غرمت مالا عظيما مع حبي للمال وبغضي للغرم ، لأن سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم ، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات . وقلت لابراهيم : ان انفاق الزنادقة على الكتب كانفاق النصارى على البيع ، ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكمة ، وكتب فلسفة ، وكانت مقاييس تبيين ، أو لو كانت كتبهم كتبا تعرف الناس أبواب الصناعات ، أو سبل التكسب والتجارات ، أو كتب ارفاق ورياضات ، أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والأدب ، أو كان ذلك لا يقرب من غنى ، ولا يباعد من مأثم ، لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ، ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة على طريق تعظيم الملة ، فانما انفاقهم في ذلك كانفاق المجوس على بيت النار ، وكانفاق النصارى على صلبان الذهب ، أو كانفاق الهند على سدنة البد ، ولو كانوا العلم أرادوا لكان العلم لهم معرضا ، وكتب الحكمة لهم مبذولة ، والطرق اليها سهلة معروفة ، فما بالهم لا يصنعون ذلك الا بكتب ديانتهم كما يزخرف النصارى بيوت عبادتهم ، ولو كان هذا المعنى مستحسنا عند المسلمين ، وكانوا يرون أن ذلك داعية الى العبادة وباعثة على الخشوع ، لبلغوا في ذلك بعفوهم ما لا يبلغه النصارى بغاية الجهد .

وقد رأيتم مسجد دمشق حين استجاز هذا السبيل ملك من ملوكنا ، ومن رآه فقد علم أن أحدا لا يرومه ، وأن الروم لا تسخو أنفسهم به ، فلما قام عمر بن عبد العزيز جلله بالجلال وغطاه بالكرابيس (١) ، وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلألؤ والبريق ، وذهب الى أن ذلك الصنيع مجانب لسنة الاسلام ، وأن ذلك الحسن الرائع والمحاسن الدقاق مذهلة للقلوب ، مشغلة دون الخشوع ، وأن البال لا يكون مجتمعا وهناك شيء يفرقه ويعترض عليه .

والذي يدلنا على ما قلنا أنه ليس في كتبهم مثل سائر ، ولا خبر طريف ، ولا صنعة أدب ، ولا حكمة غريزية ولا فلسفية ، ولا مسألة كلامية ، ولا تعريف صناعة ، ولا استخراج آلة ، ولا تعليم فلاحة ، ولا تدبير حرب ، ولا مقارعة عن دين ، ولا مناضلة عن نحلة ، وجله ذكر النور والظلمة ، وتناكح الشياطين ، وتسافد العفاريت ، وذكر الصنديد والتهويل بعمود السنخ ، والاخبار عن شقلون وعن الهامة والهمامة ، وهذر وعي ودعوى وخرافة وسخف وتكذب ، لا ترى فيه موعظة حسنة ، ولا حديثا مونقا ، ولا تدبير معاش ولا سياسة عامة ، ولا ترتيب خاصة ، فأي كتاب

---

(١) الكرابيس جمع كرباس : ثوب من القطن الأبيض وقيل : الثوب الخشن ، فارسي معرب .

أجهل ، وأى تدبير أفسد من كتاب يوجب على الناس الطاعة والبخوع بالديانه على الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاح معاش ، ولا تصحيح دين ، والناس لا يجيبون الا دينا أو دنيا ٠

فأما الدنيا فاقامة سوقها واحضار نفعها ٠ وأما الدين فأقل ما يطمع فى استجابة العامة واستمالة الخاصة ، أن يصور فى صورة مغلطة ، ويموه تمويه الدينار البهرج والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير ويعرف حقيقته القليل ٠ فليس انفاقهم عليها من حيث ظننت ٠ وكل دين يكون أظهر اختلافا واكثر فسادا يحتاج من الترقيع والتمويه ومن الاحتشاد له والتغليظ فيه الى أكثر من غيره ٠

وقد علمت أن النصرانية أشد انتشارا من اليهودية تعبدا ، فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم فى توكيده ، واحتفالهم فى اظهار تعظيمه ٠

وقال بعضهم : كنت عند بعض العلماء فكنت أكتب عنه بعضا وأدع بعضا ، فقال لى : اكتب كل ما تسمع ، فان أخس ما تسمع خير من مكانه أبيض ٠ وقال الخليل ابن أحمد : تكثر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ ٠ وقال أبو اسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر ، وأنشد قول ابن يسير :

أما لو أعى كل ما أسمع * واحفظ من ذاك ما اجمع
ولم استفد غير ما قد جمعـ * ـت لقيل هو العالم المقنع
ولكن نفسى الى كل نو * ع من العلم تسمعه تنزع
اشاهد بالعى فى مجلسى * وعلمى فى البيت مستودع
فلا أنا احفظ ما قد جمعـ * ـت ولا أنا من جمعه اشبع
ومن يك فى علمه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للعلم لا ينفع

قال أبو اسحاق : كلف ابن يسير الكتب ما ليس عليها ، ان الكتب لا تحى الموتى ، ولا تحول الأحمق عاقلا ، ولا البليد ذكيا ، وذلك أن الطبيعة اذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفى ، ومن أراد أن يعلم كل شىء فينبغى لأهله أن يداووه ، فان ذلك انما تصور له لشىء اعتراه ٠ فمن كان عاقلا ذكيا حافظا فليقصد الى شيئين أو ثلاثة أشياء : فلا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدع أن يمر على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الأصناف فيكون عالما بخواص ويكون غير غفل من سائر ما يجرى فيه الناس ويخوضون فيه ، ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئا الا نسى أكثر منه فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد ٠

وحدثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدرسه كتاب الا وله فيه ثلاث نسخ ٠

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببـابه فرايتـه ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد الا اعتقدت أنه أعقل منه وأفضل ٠

قال أبو عمرو وقيل لنا يوما : ان في دار فلان ناسا قد اشتملوا على سـوءة ، وهم جلوس على خميرة لهم وعندهم طنبور ، قال : فذمرنا عليهم في جماعة من رجال الحي ، فاذا فتى جالس في وسط الدار واذا أصحابه حوله ، واذا هم بيض اللحى ، واذا هو يقرأ عليهم كتاب شعر ، فقال الذي كان سعى بهم : السوءة في ذلك البيت ، وان دخلتموه عثرتم بها ، قال قلت : والله لا أكشف فتى أصحابه شيوخ وفي يده دفتر عـلم ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا ٠ قال وأنشـد رجـل يونس النحوي قوله :

أستودع العلم قرطاسا فضيعه ❊ فبئس مستودع العـلم القراطيس

قال فقال يونس : قاتله الله ، ما أشـد ضبابته بالعلم وأحسن صيانته له ! ان علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضـع مالك بمكان البـدن ٠

وقيل لابن داحة وأخرج كتاب أبي الشمقمق واذا هو في جلود كوفيـة ودفتين طائفيتين وبخط عجيب ، فقيـل (١) له : لقـد ضـيع درهمـه من تجود لشعر أبي الشمقمق ، قال : لا جرم والله ان العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبي وأجعله مخطوطا على ناظري لفعلت ٠

ولقد دخلت على اسـحاق بن سليمان في امرته ، فرأيت السماطين بين يديه والرجال مثولا كأن على رءوسهم الطير ، ورأيت فرشته (٢) وبزته ، ثم دخلت عليه وهو معزول ، واذا هو في بيت كتبه وحواليه الأسـفاط والرفوف والقماطـر والدفاتر والمساطر والمحابر ، فما رأيته قط أفخم ولا أنبـل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم ، الا أنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الحلاوة ، ومع السودد الحكمة ٠

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلها زائدة ٠

(٢) الفرشة : الهيئة ٠

وقال ابن داحة : كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس ، ونزل مقبرة من المقابر ، وكان لايكاد يرى الا وفى يده كتاب يقرؤه . فسئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة ، فقال : لم أر أوعظ من قبر ، ولا أمتع من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة ، فقيل له : فقد جاء فى الوحدة ما قد جاء ، قال : ما افسدها للجاهل وأصلحها للعاقل !

وضروب من الخطوط بعد ذلك تدل على قدر منفعة الخط ، قال الله تبارك وتعالى : (**كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون**) وقال الله عز وجل : (**فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة**) وقال : (**فأما من أوتى كتابه بيمينه**) وقال : (**وأما من أوتى كتابه وراء ظهره**) وقال : (**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**) .

الترغيب فى اصطناع الكتب

(وبعد أن تكلم عن الخط فى الأرض عند التفكر وما قيل فى ذلك من الأشعار ، وذكر الخط ومقدار الحاجة اليه ، وتاريخ الشعر قبل الاسلام ، وبيان أن فضيلته مقصورة على العرب ، استطرد القول بالترغيب فى اصطناع الكتب) فقال :

« ان على من شكر المعرفة بمغاوى الناس ومراشدهم ومضارهم ومنافعهم ، أن يحتمل ثقل مؤونتهم فى معرفتهم ، وأن يتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل ما يسدى اليهم . ولن يصان العلم بمثل بذله ، ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره . على أن قراءة الكتب أبلغ فى ارشادهم من تلاقيهم ، اذ كان مع التلاقى يشتد التصنع ، ويكثر التظالم ، وتفرط العصبية ، وتقوى الحمية ، وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة ، وشهوة المباهاة والرياسة مع الاستحياء من الرجوع ، والأنفة من الخضوع ، وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين ، فاذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعميت عن موضع الدلالة ، وليست للكتب علة تمنع من درك البغية ، واصابة الحجة ، لأن المتوحد بدرسها والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ، ولا يغالب عقله ، وقد عدم من له يباهى ، ومن أجله يغالب ، والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجح قلمه على لسانه بأمور :

منها ، أن الكتاب يقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ، وذلك أمر يستحيل فى واضع الكتاب ، والمنازع بالمسألة والجواب ، ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ، مبلغ صوته ، وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويفنى العقل ويبقى

أثره . ولولا ما تسمت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم ، لقد خس حظنا من الحكمة ، وضعف سببنا الى المعرفة ، ولو ألجئنا الى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرنا ، ومنتهى تجربتنا لما تدركه حواسنا وتشاهده نفوسنا ، لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنة ، وعاد الرأى عقيما ، والخاطر فاسدا ، ولكل الحد ، وتبلد والعقل . وأكثر من كتبهم نفعا ، وأشرف منها خطرا ، وأحسن موقعا ، كتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة ، والاخبار عن كل عبرة ، وتعريف كل سيئة وحسنة . وما زالت كتب الله تعالى في الألواح والصحف والمهارق (١) والمصاحف ، فقد قال الله عز وجل : (**الم ذلك الكتاب لا ريب فيه**) وقال : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) ويقال لأهل التوراة والانجيل : أهل الكتاب . وينبغى أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا . على أنا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا ، فيما ينتظر العالم باظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول ، وصلح الدهر ، وهوى نجم التقية ، وهبت ريح العلماء ، وكسد العي والجهل ، وقامت سوق البيان والعلم . والانسان ليس يجد في كل حال انسانا يدرسه ومقوما يثقفه ، والصبر على افهام الريض شديد ، وصرف النفس عن مغالبة العالم أشد منه هما .

المتعلم يجد في كل مكان الكتاب عتيدا ، وبما يحتاج اليه قائما . وما أكثر من فرط في التعلم أيام خمول ذكره وأيام حداثة سنه ! . ولولا جياد الكتب وحسنها ، ومبينها ومختصرها ، ثم تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ، ونازعت الى حب الأدب ، وأنفت من حال الجهل وأن تكون في غمار الحشو لدخل على هؤلاء من الضرر والمضرة والجهل وسوء الحال ما عسى ألا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير .

ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا . وقد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين سنة ، ولا يعد فقيها ولا يجعل قاضيا ، وما هو الا أن ينظر في كتب أبي حنيفة وأشباه أبي حنيفة ، ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتى تمر ببابه فتظن أنه باب بعض العمال ، وبالحرى ألا يمر عليه من الأيام الا اليسير حتى يصير حاكما على مصر من الأمصار ، أو بلدة من البلدان .

---

(١) المهارق جمع مهراق ، وهو ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، فارسى معرب .

وينبغي لمن كتب كتابا ألا يكتبه الا على ان الناس كلهم له اعداء ، وكلهم عالم بالامور ، وكلهم متفرغ له ، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه يغب ويختمر ، ولا يثق بالرأي الفطير ، فان لابتداء الكتاب فتنة وعجبا ، فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس وافرة ، أعاد النظر فيه وتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، ويتفهم معنى قول الشـــاعر :

ان الحديث تغر القوم خلوته * حتى يكون لهم عي واكثـــار

ويقف عنـــد قولهم في المثـــل : « كل مجر في الخـــلاء يسر » ، فيخاف أن يعتريه ما يعتري من أجرى فرسه وحده ، أو خلا بقلمه عند فقد خصومه وأهل المزية من أهل صناعته • وليعلم أن صحاب القلم يعتريه ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه ، فما أكثر من يعزم على عشرة أسواط فيضرب مائة ، لأنه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب في الاقلال ، فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة وزاد في غضبه ، فأراه الغضب أن الرأى في الاكثار ، وكذلك صـــاحب القـــلم ، فمـــا أكثر من يبتدىء الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة ! • والحفظ مع الاقلال أمكن ، وهو مع الاكثار أبعد •

واعلم أن العاقل ان لم يكن بالمشبع فكثيرا ما يغر من ولده ويحسن في عينه منه القبيح في عين غيره ، فليعلم أن لفظه أقرب اليه نسبا من ابنه ، وحركته أمس به رحما من ولده ، لأن حركته شيء أحدثه من نفسه وبذاته ، ومن عين جوهره فصلت ، ومن نفسه كانت ، وانما الولد كالمخطة يمتخطها ، وكالنخامة يقذفها ، ولا سواء اخراجك من نفسك شيئا لم يكن منك ، واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك ، ولذلك نجد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه ، فوق فتنته بجميع نعمته •

وليس الكتاب الى شيء أحوج منه الى افهام معانيه حتى لا يحتاج السامع بما فيه الى الروية فيه • ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشو ، ويحطه عن غريب الأعراب ، ووحشي الكلام • وليس له أن يهذبه جدا وينقحه ويصفيه ويزوقه حتى لا ينطق الا باللب وبالسر ، وباللفظ الذى قد حـــذف فضوله وتعرق زوائده ، حتى عاد خالصا لا شوب فيه ، فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه الا بأن يجدد لهم افهاما وتكرارا ، لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكـــلام ، وصـــارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم الا بأن تعطس عليها وتؤخذ بها ، ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب لما فهموا أكثره ، وفي كتاب اقليدس ، كلام يدور وهو عـــربي وقد صفي ، ولو سمعه بعض

الخطباء لما فهمه ، الا بأن يفهمه من يريد تعليمه ، لأنه يحتاج الى أن يكون قد عرف جهة الأمر ، وتعود اللفظ المنطقى الذى استخرج من جميع الكلام ٠

وقد قال معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما لصحار العبدى : ما الايجاز؟ قال أن تجيب فلا تبطىء ، وتقول فلا تخطىء ، قال معـــاوية : أو كذاك تقول ٠ قال صحار : أقلنى يا أمير المؤمنين ، لا تخطىء ولا تبطىء ٠ فلو أن سائلا سألك عن الايجاز فقلت : لا تخطىء ولا تبطىء وبحضرتك خالد بن صفوان لما عرف بالبديهة وعند أول وهلة أن قولك لا تخطىء مضمن بالقول ، وقولك لا تبطىء مضمن بالجواب ٠ وهذا حديث ـ كما ترى ـ قد ارتضوه ورووه ، ولو أن قائلا قال لبعضنا : ما الايجـــاز ؟ لظننت أنه كان سيقول الاختصار والايجاز ، ليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ ٠ وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار (١) فقد أوجز ، وكذلك الاطالة ٠ وانما ينبغى أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لاغلاقه ولا يردد وهو يكتفى فى الافهام بشطره ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل ٠

وقلت لأبى الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعـــل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعونى اليه قلت حاجاتهم الى فيه ، وانما غايتى المنالة ، فاذا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حـــلاوة ما فهموا الى التماس فهم ما لم يفهموا ، وأنــا قد كسبت فى هذا التدبير اذ كنت الى التكســب ذهبت ، ولكن ما بال ابراهيم النظام وفلان وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلى فى موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ، فلا يفهم أكثرها ؟

وأقول لو أن يوسف السمتى كتب هذه الشروط أيام جلس سلمان بن ربيعة شهرين للقضاء فلم يتقدم اليه رجلان والقلوب سليمة والحقوق على أهلهـــا موفرة ، لكان ذلك خطلا ولغوا ، ولو كتب فى دهرنا شروط دهر سلمان لكان ذلك غـــرارة ونقصا ، وجهلا بالسياسة وما يصلح لكل دهر ، ووجدنا الناس اذا خطبوا فى صلح بين العشائر أطالوا ، واذا أنشـــدوا الشعر بين السماطين فى مدح الملوك أطالوا ، فللاطالة موضع وليس ذلك بخطل ، وللاقلال موضع وليس ذلك من عجز ٠

ولولا أنى أتكل على أنك لا تمـــل باب القول فى البعير حتى تخرج الى الفيل ، وفى الذرة حتى تخرج الى البعوضة ، وفى العقرب حتى تخرج الى الحية ، وفى الرجل

---

(١) الطومار : الصحيفة ٠

حتى تخرج الى المرأة ، وفي الذبان والنحل حتى تخرج الى الغربان والعقبان ، وفي الكلب حتى تخرج الى الديك ، وفي الذئب حتى تخرج الى الضبع ، وفي الظلف حتى تخرج الى الحافر ، وفي الحافر حتى تخرج الى الخف ، وفي الخف حتى تخرج الى البرثن ، وفي البرثن حتى تخرج الى المخلب ، وكذلك القول في الطير وعامة الأصناف ، لرأيت أن ذلك يوجب الملال ، ويعقب الفترة المانعة من البلوغ في الفهم ، وتعرف ما يحتاج منه الى التعرف ، فرأيت أن جملة الكتاب وان كثر عدد ورقه ، أن ذلك ليس مما تمل من كثرة قراءته أبدا وتعتد على ما فيه بالاطالة ، لأنه وان كان كتابا واحدا فانه كتب كثيرة ، وكل مصحف منها أم على حدة . فان أراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الأول حتى يهجم على الثاني ، ولا الثاني حتى يهجم على الثالث ، فهو أبدا مستفيد ومستطرف ، وبعضه يكون جماما لبعض ، ولا يزال نشاطه زائدا ، ومتى خرج عن آي القرآن صار الى أثر ، ومتى خرج من أثر صار الى خبر ، ثم يخرج من الخبر الى شعر ، ومن الشعر الى نوادر ، ومن النوادر الى حكم عقلية ومقاييس سداد ، ثم لا يترك هذا الباب فلعله أن يكون أثقل ، والملال اليه أسرع ، حتى يفضي به الى مزح وفكاهة والى سخف وخرافة . ولست أراه سخفا اذ كنت انما استعملت سيرة الحكماء ومأدبة العلماء ، ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي والحذف ، واذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلم . فأصوب العمل اتباع آثار العلماء والاحتذاء على مثال القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة . وقال ابن يسير في صفة الكتب في كلمة له :

أقبلت أهرب لا آلو مباعدة * في الأرض منهم فلم يحصنني الهرب
بقصر أوس فما والت خنادقه * الى النواويس فالماخور فالخرب
فأيما موئل منها اعتصمت به * فمن ورائي حثيثا منهم الطلب
لما رأيت بأني غير معجزهم * فوتا ولا هربا قربت أحتجب
وصرت في البيت مسرورا به جذلا * جارا لبوءة لا شكوى ولا شغب
فردا تحدثني الموتى وتنطق لي * عن علم ما غاب عني منهم الكتب
هم مؤنسون وآلاف غنيت بهم * فليس لي في أنيس غيرهم أرب
لله من جلساء لا جليسهمو * ولا عشيرهمو للسوء مرتقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم * ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
أبقوا لنا حكما تبقى منافعها * أخرى الليالي على الأيام وانشعبوا
فأيما أدب منهم مددت يدي * يوما اليه فدان من يدي كثب
ان شئت من محكم الآثار يرفعها * الى النبي ثقات بررة نجب
أو شئت من عرب علما بأولها * في الجاهلية أنبتني به العرب

أو شئت من سير الأملاك من عجم * تنبي وتخبر كيف الرأى والأدب
حتى كأنى قد شاهدت عصرهمو * وقد مضت دونه من دهرهم حقب
يا قائلا قصرت فى العلم نهيته * أمسى الى الجهل فيما قال ينتسب
ان الأوائل قد بانوا بعلمهم * خلاف قولك قد ماتوا وقد ذهبوا
ما مات منا امرؤ أبقى لنا أدبا * يكون منه اذا ما مات يكتسب

وقال أبو وجزة وهو يصف صحيفة كتب له فيها بستين وسقا :

راحت بستين وسقا فى حقيبتها * ما حملت حملها الأدنى ولا السددا
ولا رايت قلوصا قبلها حملت * ستين وسقا ولا جابت بها بلدا

وقال الراجز :

تعلمن أن الدواة والقلم * تبقى ويفنى حادث الدهر الغنم

يقول كتابك الذى تكتبه على يبقى فتأخذنى به وتذهب غنمى فيما يذهب ·
ومما يدل على نفع الكتاب أنه لولا الكتاب لم يجز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وحدث بالكوفة فى بياض يوم ، فتكون الحادثة بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة قبل المساء ·

وذلك مشهور فى الحمام الهدى : اذا جعلت بردا قال الله جل وعز ، وذكر سليمان وملكه الذى لم يؤت أحدا مثله ، فقال : (**وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد**) الى قوله : (**أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين**) · فلم يلبث أن قال الهدهد : (**وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم**) · قال سليمان : (**اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم**) وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها من عفريت ومن بعض من عنده علم من الكتاب فرأى أن الكتاب أبهى وأنبل وأكرم وأفخم من الرسالة عن ظهر لسان وان أحاط بجميع ما فى الكتاب · وقالت ملكة سبأ : (**يأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم**) فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب وقد يريد بعض الجلة الكبار وبعض الأدباء والحكماء أن يدعو بعض من يجرى مجراه فى سلطان أو أدب الى مأدبة أو ندام أو خروج الى متنزه أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يبلغه الرسول ارادته ومعناه لأصاب من يحسن الأداء ويصدق فى الابلاغ فيرى أن الكتاب فى ذلك أسرى وأنبه وأبلغ ولو شاء النبى صلى الله عليه وسلم ألا يكتب الكتب الى كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس والى بنى الجلندى والى العباهلة من حمير والى هوذة بن على والى الملوك العظماء والسادة النجباء لفعل

ولو جد المبلغ المعصوم من الخطأ والتبديل ، ولكنه عليه السلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغ فى تعظيم ما حواه الكتاب ، ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة بالمرسلين ولم يودعها الكتب لفعل ولكنه تعالى وعز علم آن ذلك أتم وأكمل ، وأجمع وأنبل ، وقد يكتب بعض من له مرتبة فى سلطان أو ديانة الى بعض من يشاكله أو يجرى مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يخزمه ويختمه ، وربما لم يرض بذلك حتى يعنونه ويعظمه ٠

قال الله جل وعز : **(أم لم ينبـأ بمـا فى صـحف موسى وابراهيم الذى وفى)** فذكر صحف موسى الموجودة وصحف ابراهيم البائدة المعدومة ليعرف الناس مقدار النفع والمصلحة فى الكتب ٠ قالوا : وكانت فلاسفة اليونانية تورث البنات العين وتورث البنين الدين ، وكانت تصل العجز بالكفاية والمؤونة بالكلفـة وكانت تقول : لا تورثوا الابن من المال الا ما يـكون عونا له على طلب المال ، واغذوه بحـلاوة العـلم واطبعوه على تعظيم الحكمة ليصير جمع العلم أغلب عليه من جمع المال ، وليرى أنه العدة والعتاد ، وأنه أكرم مستفاد ، وكانوا يقولون : لا تورثوا الابن من المال الا ما يسد الخلة ، ويكون له عونا على درك الفضول ان كان لابد من الفضول ، فانه ان كان فاسدا زادت تلك الفضول فى فســـاده ، وان كان صالحا كان فيما أورثتموه من العـلم ، وبقيتم له من الكفاية ما يكسبه الحال ، فان الحال أفضل من المال ، ولأن المال لم يزل تابعا للحال ، وقد لايتبع الحال المال ، وصاحب الفضول بعرض فساد وعلى شـــفا اضاعة مع تمام الحنكة واجتماع القوة ، فما ظنكم بها مع غرارة الحداثة وسوء الاعتبار وقلة التجربة ! وكانوا يقولون : خير ميراث ما كسبك الأركان الأربعة ، وأحاط بأصول المنفعة وعجل لك حلاوة المحبة ، وبقى لك الأحدوثة الحســـنة ، وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه ، وليس يجمع ذلك الا كرام الكتب النفيســة المشتملة على ينابيع العلم ، والجامعة لكنوز الأدب ومعرفة الصناعات وفوائد الارفاق ، وحجج الدين الذى بصحته وعند وضوح برهانه تسـكن النفوس وتثلج الصدور ، ويعود القلـب معمورا ، والعز راسخا ، والأصل فسيحا ، وهذه الكتب هى التى تزيد فى العقـل وتشحذه ، وتدويه وتصلحه ، وتهذبه وتنفى الخبث عنه ، وتفيدك العلم وتصـــادق بينك وبين الحجة ، وتعودك الأخذ بالثقة وتجلب الحال وتكسب المال ٠ ووراثة الكتب الشريفة والأبواب الرفيعة منبهة للمورث وكنز عند الوارث ، الا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة ولا حق السلطان ، واذا كانت الكنوز جامدة ينقصها ما أخذ منها كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه ، ولا يزال بها المورث مذكورا فى الحكماء ومنوها باسمه فى الأسماء ، واماما متبوعا ، وعلما منصوبا ، ولا يزال الوارث محفوظا ، ومن أجله محبوبا ممنوعا ، ولا تزال تلك المحبة نامية ما كانت تلك الفوائد قائمـــة ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظيمها فى القلوب أثر ما كان من فوائدها على الناس أثر ٠

وقالوا : متى ورثته كتابا وأودعته علما فقد ورثته ما يغل ولا يستغل ، وقد ورثته الضيعة التى لاتحتاج الى اثارة ، ولا الى سقي ، ولا الى اسجال بايغار ، ولا الى شرط ولا تحتاج الى أكار ولا الى أن يثار ، وليس عليها عشر ولا للسلطان عليها خرج ، وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم ، وسواء دفعك اليه الكفاية أو ما يجلب الكفاية ، وانما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الامكان ، فمن لم يقدر الا على دفع السبب لم يجب عليه احضار لسبب ، فكتب الآباء تحبيب للأحياء ، ومحيا لذكر الموتى ·

وقالوا : ومتى كان الأب جامعا بارعا وكانت مواريثه كتبا بارعة ، وآدابا جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلم حظا وأجدر أن يسرع التعليم اليه ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطىء له ، وأجدر أن يسرى اليه عرق من نجله وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكتب النظر فى الكتب ، فلا يأتى عليه من الأيام مقدار الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف فى سماع العلم ، الا وقد بلغ بالكفاية غاية الحاجة وانما تفسد الكفاية من تمت آدابه ، وتوافت اليه أسبابه ، فأما الحدث الغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير مواريثه الكفاية الى أن يبلغ التمام ، ويكمل للطلب ، فقير ميراث ورث كتب وعلم ، وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرق ، ويبصر ولا يعمى ، ويعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكل دون البعض ، ويدع لك الكنز الذى ليس للسلطان فيه حق ، والركاز الذى ليس للفقراء فيه نصيب ، والنعمة التى ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا للصوص فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجة ، ولا على الجار فيه مؤونة ·

وأما ديمقراط فانه قال : ينبغى أن يعرف أنه لابد من أن يكون لكل كتاب علم وضعه أحد من الحكماء ثمانية أوجه ، منها الهمة والمنفعة ، والنسبة والصحة ، والصنف والتأليف ، والاسناد والتدبير ، فأولها أن تكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة ينسب اليها ، وأن يكون صحيحا ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفا من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسندا الى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف · فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الأوجه الثمانية فى هذا الكتاب وهو كتابه الذى يسمى « افور يسموا » وتفسيره : كتاب الفصول · وقولك وما بلغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، واجتماع الأمم كلها على استسقاطه واستسفاله ، ومع ضربهم المثل فى ذلك كله به ، ومع حاله التى يعرف بها من العجز عن صولة السباع ، واقتدارها ، ومن تمنعها وتشرفها وتوحشها ، وقلة اسماحها ، وعن مسالمة البهائم وموادعتها ، والتمكين من اقامة مصلحتها ، والانتفاع بها ، اذ لم يكن فى طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة · ولأن الكلب ليس بسبع

تام ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب ، والطبائع الملفقة ، والأخلاط المجتلبة ، كالبغل المتلون فى أخلاقه الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه ، وشر الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادة والأخلاق المتفاوتة ، والعناصر المتباعدة ، كالراعبى من الحمام الذى ذهبت عنه هداية الحمام ، وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورشان ، وقوة جناحه ، وشدة عصبه ، وحسن صوته ، وشجا حلقـه ، وشكل لحونه وشدة اطرابه ، واحتماله لوقع البنادق ، وجرح المخالب • وفى الراعبى أنه مسرول مثقل ، وحدث له عظم بدن وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه •

وكذلك البغل خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر ، فلو كان البغل عقيما والبغلة عاقرا لكان ذلك أزيد فى قوتهما وأتم لشدتهما ، فمع البغل من الشبق والنعظ ما ليس مع أبيه ، ومع البغلة من الشوس وطلب السفاد ما ليس مع أمها ، وذلك كله قدح فى القوة ونقص فى البنية ، وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه وأخواله ، فترك شبههما ونزع الى شيء ليس له فى الأرض أصـــل ، وخرج أطول عمرا من أبويه واصبر على الأثقال من أبويه ، أو كابن المذكرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فانه يكون أخبث نتاجا من البغل وأفسد أعراقا من السمع (١) ، وأكثر عيوبا من العسبار (٢) ، ومن كل خلق خلق اذا تركب من ضد ، ومن كل شجرة مطعمة بخلاف ، وليس يعترى مثل ذلك الخلاسى (٣) من الدجاج ، ولا الوردانى (٤) من الحمام ، وكل ضعف دخل على الخلقة ، وكل رقة عرضـــت للحيوان ، فعلى قدر جنسه وعلى وزن مقداره وتمكنه يظهر العجز والعيب • وزعم الأصمعى أنه لم يسبق الحلبة فرس أهضم قط • وقال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بلقاء •

والهداية فى الحمام والقوة على بعد الغـاية انمـا هى للمصمتة من الخضر • وزعموا أن الشـيات كلهـا ضعف ونقص ، والشية : كل لون دخل على لون • وقال الله جل وعز : (**قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها**) • وزعم عثمان بن الحـكم أن ابن المذكرة من المؤنث يأخذ أسوأ خصال أبيه وأردأ خصال أمه فتجتمع فيه عظام الدواهى وأعيان المساوى ، وأنه اذا خرج كذلك لم ينجع فيه أدب ولا يطمع فى علاجه طبيب ، وأنه رأى فى دور ثقيف فتى اجتمعت

---

(١) السمع بكسر واسكان الميم وبالعين المهملة : ولد الذئب من الضبع وهو سبع مركب فيه شدة الضبع وقوتها وجراءة الذئب وخفته (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ٣٢) •

(٢) العسبار بكسر العين وبالسين الساكنة والأنثى عسبارة : ولد الضبع من الذئب وجمعه عسابر (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ١٣٩) •

(٣) الخلاسى : الولد بين أبوين أبيض وأسود ، والديك بين دجاجتين هندية وفارسية •

(٤) الوردانى بالراء المهملة طائر متولد بين الورشان والحمام وله غرابة لون وظرافة قد •

فيه هذه الخصال ، فما كان في الأرض يوم الا وهم يتحدثون عنه بشيء يصغر في جنبه أكبر ذنب كان ينسب اليه .

وزعمت أن الكلب في ذلك كالخنثى الذى هو لا ذكر ولا أنثى ، أو كالخصى الذى لما قطع منه ما صار به الذكر فحلا خرج من حد كمال الذكر بفقدان الذكر ، ولم يكمل لأن يصير أنثى للغريزة الأصليـة وبقية الجوهرية ، وزعمت أنه يصير كالنبيذ الذى يفسده افراط الحر ، فيخرجه من حد الخل ، ولا يدخله في حـد النبيذ . وقال مرداس بن خذام :

سقينا عقـالا بالثوية شربة * فمالت بلـب الكاهلى عقـال
فقلت اصطبحها يا عقال فانما * هى الخمر خيلنـا لهـا بخيـال
رميت بأم الخل حبـة قلبه * فلم ينتعش منهـا ثلاث ليال

فجعل الخمر أم الخل قد يتولد عنها ، وقد يتولد عن الخل اذا كان خمـرا مرة الخدر .

وقال سعيد بن وهب :

هلا وأنت بماء وجهك تشتهى * ورد الشباب قليل شعر العارض
فالآن حين بدت بخدك لحيـة * ذهبت بملحك مـلء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها * بعد اللذاذة خل خمـر حامض

ويصير أيضا كالشعر الوسط والغناء الوسط ، والنادرة الفاترة التى لم تخرج من الحر الى البرد فتضحك السن ولم تخرج من البرد الى الحر فتضحك السن .

باب الرســـائل

١ ـ الفصول المنتخبة من الرسائل المختارة فى كل فن (١)

كتب رجل الى صديق له :

ان آباءك شادوا أكارمهم بالفضائل التى كانت فيهم ، وانك قد كنت أخذت فى مدرجتهم فأوفيت على غايتهـم ، ثم اختلجك الهوى ببعض جديلتك (٢) وجودك ، من لباس فضلك الذى كنت تطول به على أكفائك ، وتملك به أعنة كافة جندك ، والقيت مالك على شر عواقبه عليك لا لك ان زلت مكاره بوادره عنك ·

فصـــل ـ قيل : ان مروءة الرجل فى نفسه نسب لقوم آخرين ، فانه اذا فعل الخير عرف له ، وبقى فى الأعقاب والأصحاب ، ولقيه يوم الحساب ·

فصـل ـ ان حق الله على المسلمين أن ينظروا فى دينهم بالنصيحة لأئمتهم ، فان الأئمة اذا صلحوا بدل الهوى بالتقوى فى قلوبهم ، وماتت ســـورة الغضب فيهـم لأحلامهم ، وسكنت العامة الى عدلهم وذلت لانصافهم · واذا كان للمحسن من الحق ما يقنعه ، وللظالم من النكير ما يقمعه ، بذل المحسن الحق عليه رغبة ، وذل المسىء بالحق عليه رهبة · فأول ما آمرك به رجاء الله وتقواه · فأما رجاؤه فأن تحسن به فى الصنع اذا أطلعته ، ويكون لك وقاية اذا آثرته مطمئنا · وأما تقواه فأن تكون له فيما أمرك به ونهاك عنه مراقبا ، فأن تقية المؤمن تزيد فى انشراح صدره ، وان شدة خوفه ترد هواه على عقله ·

---

(١) نقلا عن اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور ·

(٢) الجديلة : الناحية والحالة والطريقة ·

فصـــل ـ تنبه اذا نبهت ، واذكر اذا ذكرت ، وانتفع فقد وعظت ، واسمع فقد نوديت ، نبهك الوعيد ، وحذرك الزاجر ، وأمرك ونهاك الكتاب ، ونعتك آثار الموت ، ودعاك الى الجنة ملء جواد ، فالجد الجد ، فقبل المهجرة يريح المدلج ·

فصـــل ـ ما نظرت في معروفي عند أحد ، فوجدته قصر عن أمله وكان يمكنني أن يكون أكثر منه ، الا عددته سيئة لي عنده ، لأني ذوقته ما أحب ، ثم منعته اياه ، وكأني قصدت لاشخاص قلبه · ولا نظرت في معروفي عند أحد فوجدته قد تناهى عند تناهي أمله وكان يمكنني أن يكون أكثر منه ، الا رأيتني في ذلك واترا لنفسي ، لأنه كفى عيبا لها وازراء بها ، أن أقنع ·· (١) فضل نتخذه بمثل ما أقنع رجلا من فضل يتخذه عليه ·

فصـــل ـ ما أنت ممن يعلم من جهل به ، ولا تحسي منه بادرة زلة ، ولا يقابل بين أمرين الا عرف خيرهما فآثره ، وشرهما فاجتنبه · وقد رأيت ما ســـاقت اليك الطاعة من حظ العاجلة ، فلا تتعرض لزوال ما أنت فيه ، فتخسر الحظين ، وتندم في الدارين ، فقد رأيت من عاند الحق كيف صرعه الله وبسط يد وليه على سفك دمه ، واحلال النقمة به ، فصار بعد أن كان في الأمنية مثلا ، ولجميع الخلق غاية وأملا ، فكرة في الاعتبار ، وعظة للأبصار · فلا يبعد الله الا من ظلم وختر ، ودهب عن الحق وأدبر · وأنت اليوم محكم في أمرك ، مخير في رأيك ، تدعى الى حظك بالحظ الجزيل بتدلل · فاهتبل ما قد هدف لك وهو ممكن ليدك ، فانك ان أهملت وتراخيت ، لم يكن بالحق ووليه وحشة اليك ، ومضت أحكام الله في نصرها وتأييدها على أذلالها (٢) ، وصفرت يدك بما لا يشرف لك بمثله ، وأخطرت بدمك وأسلته أخبث مســيل وأضل سبيل ، حيث لا تبكي عليك السماء والأرض ·

فصـــل ـ الناس رجلان : عالم لا غنى به عن الازدياد ، وجاهل به أعظم الحاجة الى التعلم ، وليس في كل حـال يكون العـالم لما يبدهه من الأمور معـدا ، ولا المتعلم على ما يستفيد منه قادرا وفيا ·

فصـــل ـ ان أنت عطلتنا من أمورك ، وأعفيت ظهورنا من أثقالك ومؤونته ، وتركتنا أغفالا في ولايتك من تنبيهك وتحريكك ، فقد أنزلتنا منزلة من لا خير عنده ، وجعلت نفسك أسوة من لا معين له ، وكفى بذلك ظلما ·

---

(١) بياض في الأصل · ولعله : أن أقنع نفسي بفضل أتخذه بمثل ما أقنع رجلا الخ ·

(٢) على أذلالها : على وجوهها وطرقها ·

فصــــل ــ ان اعلامى اياك ٠٠ (١) غير محدد شـيئا . ولكنه أقرب من الجميل فى معرفة عذر المعتذر ، وأحمل للائمة على المسيء المقصر ٠

فصل ــ الذى اعتمدنا عليه من رأيك ، ونثق به من جميل نظرك ، قد خلطنى بأهل صنائعك ، والخاصة من ثقاتك ، وبسط أملى فيك الى غاية خير يرتجى ، أو جزيل حظ يؤمــــل ٠

فصــــل ــ ليس يسوغ لأحد فى الأمير أمل ، ولا يتوجه اليه منه رغبة ، ولا يلزمه فى قضاء حقه ، ودنانة (٢) مؤونته الا وفضله مستغرق لها ٠

فصــــل ــ من أحمد الأمــور وأجمــل المذاهب ، ما كان آخره موصولا بأوله ، ومؤديا بدؤه الى حمد عاقبته ، فحافظ على الأمــور التى حسن فيها عند أمير المؤمنين اثرك ، مستقلا فيها لكثير ما يكون منك ، معتدا بها فى النعم عندك ، والاحســـان الواصل اليك ، فيما يوفقك الله له منها ويخصــــك به من الفضــل فى اختيارها ، وأمير المؤمنين يستحفظه الله لك ، ويستمتعه فى النعمة فيك ٠

فصــــل ــ قد كان يجب أن تجعلنا بمتابعة النعم علينــا فى خاصة الشاكرين لفضلك ، ولا تجعلنا بتوافر الاساءات الينا فى عامة الشاكين لك ٠

فصــــل ــ علمى بما بنى الله عليه أخلاق الأمير أكرمه الله ، وجعل عليه رأيه فى بسط العدل على رعيته ، وبث الفضل على ملتمسى فضله ، يبعثنى على الكتاب فى مثل ما كتبت اليــه فيه ، من ظلامة مظلوم يستعيذ فيها بعدله ، وحاجة ملهوف يرجع فيها الى فضله ، فأجمع الى ما ألتمس من الثواب فى ذلك موافقة رأى الأمير ، واذكاره ما يجب أن يذكر به ، فزاد الله الأمير من نعمه ، وأوزعه من الشكر عليها ما يوجب له تتابعها عنده ، وترادفها له ٠

فصــــل ــ أنت والحمد لله ممن احتمل الصنيعة ، وقبل الأدب ، وصدق المخيلة وخاص على المحنة وحسن الظن ، فاستقامت طريقتــه وقدمه جميل مذهبــه وآثاره ، وجرت على قصد السبيل طاعته ، واشتدت على السريرة والعلانية مناصحته ، فأصبح أمير المؤمنين لا يتناهى فى برك وتكرمتك ، الا رآك مستحقا لها ولما فوقها ، ولا يرفعك

---

(١) بياض فى الاصل ٠ ولعل الكلمة المتروكة « بحاجتى » ٠ والظاهر أن كلمة « محدد » محرفة عن كلمة « مجد » ٠

(٢) كذا بالأصل ٠

الى درجة الا رآك اهلا لأشرف منها ، صنعا من الله لك بما وفقك له من طاعته ، ووهب لك من جميل مراتبه ، والمكان منه والأثرة عنده •

فصـــل ـ فضل مشاركتنا اياك فى محبوب الأمور ومكروهها يحملنا فى السرور بالنعمة عندك ـ فجددها الله لك ـ ويوجب الشكر بما يكون لحقها قاضيا ، وللمزيد فيها موجبـا •

سعيد بن حميد ـ شغلك يقطعنا عن مطالبتك بالحق فى جوابات كتبنا اليك ، وصدق مودتنا لك يمنعنا من التقصى فى الحجة عليك ، ومن يكلك الى رأيك فانه لا يفى بك الا لك ، صلة اخوانك والتعاهد لهم من برك ، بما يشبه فضلك والنعمة عليهم فيك •

وفلان بينى وبينه مودة أقدمه بهـا على الأخوة ، لأنك تعلم قرب ما بين المودة والقرابة ، وقد بلوته على الحالات كلها ، فلم يزدنى اختباره الا اختيارا له ، ولا أعلم بالعسكر جليلا الا وهو لى صديق ، يشكر بشكره ويوجب على نفسه المنة فيما آتى اليه ، فأما من بين اخوانه فلست أعدل عن قضـاء حقـه ، ولا أتأخـر عن معروف أسدى اليه ، فان رأيت أن تحله بالمحل الذى يستحقه بنفسه وسلفه ، فوالله ما رأيت سوق الأحرار أنفق منها عندكم أهل البيت ، أبقى الله تبـارك وتعـالى باقيكم ورحم ماضيكم •

فصـــل ـ ان أحدا ليس بمستخلص شيئا من غضارة عيش الا من بين خـلال مكاره ، فمن انتظر بعاجل الدرك آجل الاستقصاء سلبته الأيـام فرصته ، لأن مـن صناعتها السلب ، ومن شرط الزمان الافاتة •

فصـــل ـ ان الأمير قد جل فضله عن أن يحيط به وصف ، أو يأتى على تعداده اجتهاد ، فلو كان شيء أكثر من الشكر لكان الأمير يستحقه علينـا ، ويستوجبه منا •

فصـــل ـ قد أصبح المختلفون مجتمعين على تقريظه ومدحه ، حتى ان العـدو يقول اضطرارا ما يقوله الولى اختيارا ، والبعيد يثق من انعامه علينـا بما يثق به القريب خاصـا •

فصـــل ـ المائلون اليه بين نعم مكتنفة من تالد به يستديمونه ، وطارف منه يستعبدونه ، ومواهب متجددة ، وفوائد مترادفة ، هى مبسوطة به الى بركة أيامه ،

وعلو حظ (١) من اتصل به ، فزاده الله من فضله ، وزاد أولياءه به وببركة دولته ٠

فصـــل ـ اعتمدت أخا لا يذم اخاؤه ، ولا تنكر أحواله ، على بعد الدار وقربها ، وانصال المكاتبة وانقطاعها ، تجده متصرفا معك فى الخطوب التى يطرق بها الزمان ، ويدا لك فى الامور التى يمتحن فيها الاخوان ٠

فصـــل ـ أسأل الله أن يجعل ما تطول به فيه من الجلالة فى القلوب والعيون عند الولى والعدو موصولا بالانساء فى مدته ، والادامة لعزه وسلامته ، والاعلاء ليده وكلمتـــه ٠

أحمد بن يوسف ـ عندى فلان وفلان ، فان كنا من شأنك فقد آذناك ٠

فى صـفة حرب ـ كانت لكم الكرة ، وعليهم الدبرة ، فحملوا حمـلة كاذبة ، اتبعناها بأخرى صادقة ٠

فصل فى هدية ـ قد أهديت اليك من فنون كلامى وعيون مقالى ، دفترا ظريف المعانى ، شريف المبانى ، صحيح الألفاظ ، يلذ بأفواه الناطقين ، ويلين على أسـماع الصـــامتين ٠

فصل فى شفاعة ـ لفلان قبلك حاجة ، ليس يحتاج فيها الى معدلتك وتصفنك المبسوطتين لمن يتوسل بخلطتك ومعرفتك ، ولكنه يريد ما فى ذلك العدل والانصاف من الرفق والاحسان المذخورين للخاصة والاخوان ٠

فصل لرجل تميمى ـ ضعف حالى يدعونى الى كثرة الطلب ، ومعرفتى بجميل رأيك تحجزنى عن الالحاح عليك ، خوفا أن أكون جاهلا بعنايتك ، وحسن نظرك ، والكرم يستحيى بعضه لبعض ، ويبعث بعضه بعضا ، ودين حيلته الغير على العقود ، فبعثه كرمه للنهوض ، أو دعاه هواه الى المنح ، فجاء عقله على البذل ، وحالى جانحة لدى فضلك ونعمة الله عليك من سد خلتها ، ومداواة علتها بجاهك الواســـع ، ورفدك النافع ٠

أحمد بن يوسف ـ قد بذلت لنا من نفسك أعز مبذول وأنفسه ، والمودة التى كلما يحمد من صاحبها ، فهو لها نافع ٠ وثقتنا بك واستنامتنا الى ناحيتك ، على أحسن

---

(١) فى الأصل : « حظة » والسياق يقتضى ما أثبتناه ٠

ما آكد الله بيننا وبينك ٠ وان كان مدى اللقاء بيننا لم يطل فأنل منه ما يرعاه أهل الوفاء والمخالصة ، ويقصر في المحافظة عليه وعلى أكثر منـــه ، من دخلت نيتـــه . وضعفت خلتـــه ٠

فصـــل ـ قد أصبحت للخاصـــة عـدة ، وللعـامة عصمة ، وللأنام ثقة في مناصحتك ٠

فصل في الصفح لأبي علي ـ ان الذي فرط منك ، وان تجـــاوز مني ما أرضاه لك ، لم يبـلغ ما يغضبني عليك ، وحيث انتهى ما يخالفني من قولك وفعلك ، فان وراءه تغمدا مني لاساءتك وصفحا عن زلتك ، فان تأمنا لا نخنك ، وان يسؤ ظنـك فانما نحتاج الى اصلاحه منك ٠

أحمد بن يوسف ـ الى ابراهيم بن المهدي في هدية استقلها :

بلغني استقلالك لما ألطفتك ، والذي نحن عليه من الأنس سـهل علينـا قلة الحشمة لك في البر ، فأهدينا هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم ٠

كتب عقال بن شبة ـ الى خالد بن عبد الله في شفاعة :

ان الله انتخبك من جوهرة كرم ومنبت شرف ، وقسم لك خطرا شهرته العرب وتحدثت به الحاضرة والبادية ، وأعان خطرك بقدرة مبسوطة ، ومنزلة ملحوظة ، فجميع أكفائك من جماهير العـــرب ، يعرف فضلك ، ويسره ما خار الله لك ، وليس كلهم أداله الزمان ولا ســاعده الحظ ، وأنت أحق من تعطف على أهـل البيوتات ، وعادلهم بمـا يبقى له ذكره ويحسن به نشره ، مثلك ٠ وقد وجهت اليك فلانا ، وهو من دنية قرابتي وذوى الهيئة من أسرتي ، وعرف معروفك ، وأحببت أن تلبســه نعمتك وتصرفه الى وقد أودعتني واياه ما تجده باقيا على النشر ، جميلا في الغب ٠

فصـل في التوديع

أستودع الله الأمير بأحسن وداعه ، وأسأله أن يجعله في كنفه وحرزه ، فقد أكرم المثوى ، وأحسن الابتغاء ، فأطال الله له البقاء ، وأدام عليه النعماء ٠

في الصـــفح

بلغني كتابك ، تذكر كتابي اليك بوضعي عنك موجدتي ، وردى لك الى أحسن ما عهدت من منزلتك عندى ، وقد حللت منا المحل الذي خلطناك فيه بأنفسنا ، وأدخلناك

منه مداخل أهل ثقتنا ، ولست تؤتى من جهالة بما أنت فيه ، ولبعض ما أنت عليه من التجارب تستفاد بمثلها العبر ، وينتفع بها فى عطف الأمور .

جواب فى فتح

كتب سالم بن هشام الى يوسف بن عمر حين قتل زيد بن على رحمة الله عليه :

قد بلغ أمير المؤمنين كتابك بما أبلى الله فى مدره السوء ، وأنه لما عضتهم الحرب ، وآلمهم الحديد ، عاذوا بالمسجد الجامع ، قد آكذب الله ظنونهم ، وخذل مخرجهم ، وقتل امام ضلالتهم ، وحفظ لأمير المؤمنين ما ضيعوا من حقه ، وحاط له ما أباحوا من الغدر فيه ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يجعل من شكر الله على نعمه ، الصفح عنهم ، وتغمد حرمهم وأن يعمهم من عدله ، بما يرد به الجاهل عن جهله ، والغوى عن غوايته ، ويعلمون مكانه من الله واستجابته لعزه ونصره ، وأنه الخليفة المتقى ، والامام المتألف ، وأنه يقدم العفو فى الطاعة ، على الحجة فى العقوبة ، والحسبة فى الاستصلاح ، على القوة فى التأييد ، فأمسك عنهم بيدك ، فان أمير المؤمنين قد وهب ذلك كله لله ، ورجا به ما ليس ضائعا عنده من ثوابه .

فى الصفح عن الجفاء

لو كان من نازع الى الغدر ، قلدناه عنان الهجر ، لم يكن أقرب منا الى الذنب ، ونحن نرد عليك من نفسك ، ونأخذ لنفسك منك ، حتى يكون تركنا اياك ، وعذرنا فيه وافرا .

فصل ــ الحمد لله على البلية التى طال أمدها ، وبعد ما بين طرفيها .

آخر ــ اقتفرت فى التثبت أناة ذوى الحجى ، وقدمت المقدم من الأناة على العجالة ، واطعت فى أمرك النذارة ، وانتهيت الى العذرة والمعرفة ، فملكت ما ملكك ، وحكمت على الذى حكم عليك ، فأخذت مثل الذى أعطيت .

فصل ــ بدء أسباب الأمور دليل على عواقب الأمر فيها ، والخيرة بعد الله عز وجل .

فصل اعتذار

لو كان الناس يقضون الحقوق التى تجب عليهم ، ويحافظون على الأمور التى تلزمهم ، لقلت اللائمة ، وخلصت المودة ، وارتفعت أسباب العتاب ، ولكنهم عجزة منقوصون ، يضعفون عن العلم ، بأكثر ما تدركه عقولهم ، وتعوقهم عن ذلك أشغال

لا يجب بها العذر ، ولا تستحق الايثار ، ولم أزل عاتبا على نفسى فيما ضيعت من مكاتبتك ، مع معرفتى بفضلك ، وموقع ذلك عندك ، وما اعتذارى اليك ، سوء ظن بك ، ولا مخافة للائمتك ، ولئن فعلت ما ظلمت ، غير أنى أحببت أن آكفيك المؤونة ، فيما عسيت أن تقبض عنه من مقايستى ومعاتبتى ، وأنا أحب أن تقبل العذر ، وتعين على مستقبل البر ·

فصل — أنت فى زمان ان لم تغالط أهله ، وتختلهم على ما فى أيديهم ، وتصبر على مكاره الأمور بعد المطالبة ، لم تصل الى شيء ، ولم تجد أحدا ما على فضل منك وان عرفه فيك ، ولم يفته من محاسنك شيء ، الا رأى فى مساوىء غيرك عوضا منه ، فكان بذلك أثلج ، واليه أسكن ، فعليك بالصبر ، فان غايته الى خير ، وأقل ما فيه أن صاحبه لا يلوم نفسه ، ولا يلومه أحد ، ولعله يظفر أو يدلل ·

الى المأمون من عامل

قل من يسارع الى بذل الحق من نفسه ، اذا كان الحق مضرا به ، وقل من يدع الاستعانة بالباطل ، اذا كان فيه صلاح معاشه ، وسبب مكتسبه واذا تفرق الحق فى أيدى جماعة فطولبت به ، تشابهت فى الكره لبذله ، وتعاونت على دفعه ومنعه ، بالحيل وبالشبه قولا وفعلا ، واحتاج المبتلى باستخراج ذلك الحق من أيديها ، الى استعمال مجاهدتها ومصابرتها على الحيلة فى مدافعتها ·

ابن الكلبى

كان خبر ما أبلاك الله فى فلان بعد أمانه ما عزمت عليه من الأمان ، خبرا عظم مكانه من أمير المؤمنين ، وحسن موقعه من الدين ، ثم ردف خبرك باذعانه عندما عضه من بأسك ، ومسه من مؤلم ايقاعك للاستسلام ، وطلب عقد الأمان ، وانك بذلت له ما طلب لا لرهبة بقيت فى ناحيتك ، الا الاحتذاء على مثال أمير المؤمنين وأدبه ، فكان ابازه ما عرضت عليه فى أول أمره ذخيرة حظ فيما كشفت عنه البلوى من محمود أثرك ، واجتمع لك فى ذلك حظان : الظفر آخرا ، والدرك لما حاولته أولا ، فلا زلت على نصيبك من الحظ ، مؤيدا بالنصر والمعونة ، والحمد لله على ما حقق من الظن (١) ·· من هذه النعمة على يديك وبسعيك ·

(١) بياض فى الأصل · ولعل الكلمة المتروكة « وآتى » ·

وصل الى كتابك بخط يدك المباركة ، فلم أر قليلا أجمع ، ولا ايجازا أكفأ من اطناب ، ولا اختصارا أبلغ في معرفة وفهم منه ، وما رأيت كتابا على وجازته ، أحاط بما أحاط ، وضربت ظني في فلان فعظم ذلك سروري ، وقد يستعطف الظالم ، ويستعتب المتجني . وفي رفقك وعلمك بالأمور ما يصـــلح الفاسد ، ويذلل الصعب ، ويقبل المدبر . ولا يمنعنك جور من جار عليك ، من الاعتقاد في الحجة عليه ، والأخذ بالثقة في أمره ، فان الله عز وجل لم يجعل عليك في ذلك منقصة ولا غضاضة ، بل فيه الاعذار والانذار والاستبصار ، وقضاء حاجـة النفس ، مع التأدية الى الســـلامة ، والأمن من الندامة .

فصـــل ـ أنا في حال عافية ، تتجاوز الى حال نعمة ، والحمد لله حتى يرضى ، فقد أرضى ، فاما ما أشرت به ، وخبرت من امضاء رأيك فيه ، والامساك عنه ، فمثلك جعل لمن نصحه شركاء في كل أمره ، ولم يجعل رأيه فرضا لبعضه أن يتعدى (١) . وذكرت أدب فلانة ، وعندنا لفلانة الطمع المستقبل مع الانعام المتقدم ، مع أنه لا شيء لها عندنا قل ولا جل ، ولو كان ما استحللنا حبسه صفقة كف ، ولا تغميض طرف ، وذكرت أنه لا يستغنى مثلنا عن مثلها ، وأبدال الله كثيرة عتيدة ، وما بان علينا فقد أحد ممن كان قبلها في دارنا ، فحال بيننا وبينه حائل ، ولا اختللنا له مع نظر الله تبارك وتعالى وأخلافه ، وبعد هذا فأحسن الله جزاءك ، وحاط لي فيك ما أحب منك ، وكفاك المهم وكفانيـــه بك ، فما تقوم نفس لو كانت لي أخـــــرى مقامك في نصيحتي وبــــري ، والاهتمام لي ، بما أنا عنه ساهية لاهية من أمري ، لا أعدمنيك الله ولا النصيحة منك .

فصـــل ـ قال أبو جعفر الكرماني للحسن بن سهل ووعده شيئا فأبطأ عليه :
أنا أعرف تكامل الثقة فيك ، ورجاحة الفضـــل بك ، وأعلم أن فعلك يربي على قولك ، وأن انجازك أكثر من وعدك ، فقدم لي من كرمك ، ما أثمره الى أن (١) يلحقه المتأخـر عنه ، والا فدلني على ما أقول اذا سألني من بعثته على شكرك ، عما بلغه من الحظ على نيتك . فقال الحسن : تحول ما ينبغي ، فقال : فافعل ما ينبغي أقله .

---

(١) بياض في الأصل . وما وضعناه يناسب المقام .

وصل الى كتابك ، على ظمأ منى اليه ، وتطلع شديد ، وبعد عهد بعيد ، ولوم منى على ما مسستنى به ، من جفائك ، على كثرة ما تابعت من الكتب ، وعدمت من الجواب ، فكان أول ما سبق الى من كتابك السرور بالنظر اليه أنسا بما تجدد لى من رأيك ، فى المواصلة بالمكاتبة ، ثم تضاعف المسرة ، بخبر السلامة ، وعلم الحال فى الهيئة ، ورأيتك بما تظاهرت من الاحتجاج ، فى تـــرك الكتاب ، ســـالكا ســبيل التخلص مما أنا مخلصك منه ، بالاغضاء عن الزامك الحجة ، فى ترك الابتداء والاجابة ، وذكرت شغلك بوجوه من الأشغال كثيرة متظاهرة ممكنة ، لا أجشمك متابعة الكتب ، ولا أحمل عليك المشاكلة بالجواب ، ويقنعنى منك فى كل شهر كتــاب ، ولن [تلزم] (١) من نفسك فى البر قليلا ، الا ألزمت نفسى عنه كثيرا ، وان كنت لا أستكثر شيئا منك ، أدام الله مودتك وثبت اخاءك ، واستماح لى منك ، فرأيك فى متابعة الكتب ومحادثتى فيها بخبرك موفقا ان شاء الله ٠

عيسى بن واضح الى الفضل بن الربيع

قد أكد الله من حرمتى بك ، ووصل من الشعب بينى وبينك ما جعله ذخيرة ليوم الحاجة ، وعدة عند ملم النازلة ٠

حبل بن يزيد

أما بعد ، فان من صحب الدنيــا لم يخل من تصرف أحوالهــا ، وكثرة معاريض فجائعها ، فى اخترام الأنفس فى خواصها ، ومواقع البلايا بين ذلك فيما يهدها ، ويفر من الأشياء عليها ، وكان ذلك لا سبيل الى دفعه ، ولا حيلة يستعان بها عند نزوله ، الا الرضا عن الله عز وجل فيما قضى ، والتسليم لأمره فى كل ما أتى ، والسكون الى الأسوة التى نهج الله سبلها ، وخفف بها مواقع المصيبات على أهلهـــا ، ثم الرجـاء بعد ذلك لحسن ثواب الله ، [وقد] جعله الله لمن لزم أمره وأجشم نفسه مكروهها فى مواطن الصبر على المصيبة ، والشكر فى حال العافية ٠

---

(١) السياق يقتضى وضع هذه الكلمة ، وهى متروكة فى الأصل ٠

وله فى المطـــر

قد كتبت كتبت الى أمير المؤمنين أعلمه المطرة التى أصابتنا ، وما أنزل الله بها من رحمته ثم عادت لنا بعدها من الله عائدة رحمـــة ، بولى مطر أنزله الله بأحسن ما رأينا من المطر وابلا جودا ، لا يفتر غزيره ولا يرعوى جوده ، الا الى ديمة عن ديمة ، يتراخى اليها يسيرا ريثما تعود ، فأقامت علينـا سـماؤه مستهلة بذلك وكذلك الى غـروب الشمس ، ثم انقطع مطرها بسكون من الريح ، وفتور من القر ، وفضل من الله عظيم ، ينشر به رحمته ، ويبسط به رزقه ، فأسبغ النعمة ، وأوسع البركة ، وأوبق بحمد الله معارف الخصب والحمى • والله محمود على آلائه ومشكور على بلائه ، وما أنزل الله من سقياه ورحمته ، بعد الذى أقبلت به الســـنة البرية والقحط وعـدم الامطـــار ، وشدة ما بلغ الناس من القنوط وسوء الظنون •

وله الى بعض اخوانه

أما بعد ، فان أعظم الأمور فيما بين الناس حقا أمران : منهما الاخاء فى الدين ، فهو سبب وصية الله بين عباده بالألفة والمحبـة التى انقطعت بهـا قرائن القلوب من بعضهم الى بعض ، فاتصلت بحبائلهم مرائر حبليهـــا ، وتقطعت فيما بينهـم عاطفات وصلها ، ومنهما مجاملة جميل الأعداء ، وحفظ ما يحق لأهل حسن البلاء ، ثم الصنائع بعد ذلك فى مواقعها فضائل بقدر ما جرت به أسبابها ولطفت مداخلها •

فصـــل ـ الصناعة ليست يزيدها الأخلاق الجميلة ، ويزيد فى أسبابهـــا أواصر المودة ، وقد جعلك الله فى صناعتك مقـــدما ، وفى مودتك متفضلا ، فلا زالت عنك نعم الله ، ولا برحت سكنا لاخوانك ، وأنسا وموضعا لما تستميحون من معروفك ، ويستميرون من يدبرك •

فصـــل ـ ان لك من قلبى لموضـــعا معمورا بالمودة والثقة ، والاسترسال والأنسة ، فلا يخرج فلانا من سعة جميل برك ، الى عقبى استحقاقه •

آخـــر

قد طالت الصبابة اليك ، وللدهر عقب عائدة بالنفع والصنع ، ولاســيما لمن كان على مثل شاكلتك فى أدبك وفضلك وانصافك اخوانك وبرك بهم ، وما توجبه على نفسك لهم مما يقصرون عن شأنك فيه •

الكلبي

كان أسلافنا تقارضوا ديونا من الصفاء يستاديها كل عقب من صاحبه ، وقد أورثونا مودة لا نعجز عن اكتساب مثلها ·

ابن أعين كاتب الخيزران

ليس يكون منك شيء وان حسن ، الا وحسن ظني بك يبلغه ، فاستتم أحسن ما كان منك ، يتم لك أحسن ما تحب مني · ولا يمنعنك الاكتفاء بحالك اليوم من طلب الزيادة في غد ، فانه لقل شيء لا يزيد الا نقص ، والزمان يمحق الكثير ، كما يربو على الزيادة القليل ·

ابن الكلبي

أنت من أطول بمكانه وأثق بجميل رأيه ، وأعتمد على رفده ، وارجو درك كل فضيلة به ، ومما أحب علمه مقر نعم الله عز وجل لديك ·

على بن عبيدة الى ابن الكلبي

وصل الله أيام عمري باتباع موافقتك ، ولولا موعد أخذ على ، لأطعتك فيما أمرت به ، متبعا مع اجابتك سرور نفسي برؤيتك في السلامة ·

أما بعد ، فاني أصبحت وقد استفرغ الأمير مني كل مودة ونصيحة ، ومبلغ جهد وطاقة فيما عرفت له فيه موافقة ·

فصل ــ فان الذى شعب الله بيننا من التواصل والتكاتب ، يدعوني الى متابعة الكتب اليك في تعهد حقك ، وان كان الخبر عن ظاهر الحال قلما يغني ، فان له من الأنس والموقع في الكتب ما ليس لمستعرضات الأخبار ·

فصل ــ قد كنت أعلمت الأمير انقطاع بني فلان الى فلان ، بأهوائهم وبصائرهم وشراء (١) ما قبله بغيره ، وما كان وصل الينا في ذلك من الأمور التي حملوا اصرها ،

---

(١) في الأصل : « ··· وسراه ما قبله ··· » :

يبقى لنا أجرها وذكرها ونافلتها وسابقتها ، فنحن عدد الأمير وخبيئاه وذخائره ، ومن يأمل يومه وغده ، ولا متخطى له عنه ولا مقتصر دونه ٠

عمـــارة

بلغنى كتابك يصف كذا ٠ فان رأيت ألا تعتمد على ما لصقت [به] من عذرك ، وأطعت فيه الهوى من قبول عفـــوك ، وتجعلنى أحد من يسر بسرورك ، وتشركه فى مهمات أمورك ، فانى أحدهم وأوسطهم عناية بما عناك وتوسطا لما عراك ، فعلت ٠

فصـــــل ـ والدنو من دارك اذ الدار جامعة والحبل متصـــــل ، اذ نحن فى الاستيفاء بالخبر والعلم بدخلة الحال ، بمنزلة من تأنه يعانى من يشتاق اليه ويصبو به فى كل يوم ، حتى نأت النوى ، وأنت فى اللقاء والانظار فى كل أمر وعلى كل حال من لا يشك فى صفاء غيبه ، وصدق اخائه ٠

فصـــــل ـ مشاركتنا اياك فى محبوب الأمور ومكروهها يحلنا محلك فى السرور بالنعمة يجددها الله لك ، ويوجب من الشكر علينـــا (١) مثل الذى يوجب عليك ٠ فوصل الله كل نعمة يهبها لك من الشكر بما يكون لحقهـــا قاضـــــيا ، وللمزيد فيها موجبا ٠

سعيد بن عبد الملك

كتبت على شغل فى قطع من القرطاس ، ولم يقطع بى حسن الظن بك فى قبولك العذر . وتحسينك ما أنت أهل لتحسينه ، فانك تقبل دون حقك ، وتهب الذنب فيه ، فيكون شكرك جاريا على سبيلين ، كلاهما يبين لك عن فضلك ، ويوجب لك ما لا يقصر معه الا معبون الحظ خسيس النصيب ٠

فصـــــل ـ وقد ظهر من أمير المؤمنين فى فلان بعد وفاته ، ما هو أعدل شاهد على حسن منقلبه ، وورد اليك من رأيه وتفقده ما أرجو ان يكون فيه أعظم العوض ٠ والله أسأل أن يتولى لك أمورك فى السراء والضراء ، والشـــدة والرخـــاء ، والشكر وحسن العزاء ٠

---

(١) فى الأصل : « عليها ٠٠٠ » وهو لا يؤدى الغرض المراد ٠

جبل بن يزيد الى بعض اخوانه

تمم الله علينا وعليك النعم ، وأجزل لنـا (١) ولك محاسـن صـالح القسم . ان الله تبارك وتعـالى أجرى بيننا وبينك لطيف مودة ، وخاص أخوة ، غير أن المعرفة قد تحمد بعد الخبرة ، والثقة انما تعرف بعد التجـربة . وقد أحببت أن يعـلم من قبلك (٢) الذى أحدث الله لك من حال دولتك . وأن يعلم هل أبقت لنا منك النعمة سعة ، أم تركت لنـا منك صفحة نعرف بهـا عهدك ونأمل بها وصلك ؟ فان أصحاب السلطان ، بحال بلوى فى التغيير والانتقال ، الا من نالته من الله تبارك وتعالى عصمة . فان كنت على ما رجونا من الوفاء ، وحسن الحفظ للمودة والاخاء ، فمثلك لم يرض لنفسه الا بأجمل الأخلاق وأوفقها للسداد . وان حجزك عن ذلك ما تأتى به الأقدار فى متصرف الليل والنهار ، نعذرك بما نعذر به أهل السلطان ، اذا غيرتهـم الحال ، وتنكرت شمائلهم بين الاخوان .

وله الى بعض اخوانه أيضا :

اعلم أنى مشوق ، وأن صلة الاخوان كرم ، وخير الصلات ما لم يكن لها وجه الا الرجاء والحفظ وتجديد المودة وتصحيح الاخاء ، فان الذى يكاتب اخوانه على حال الرغبة يكفى القائل كتابه حيث شاء ، ان أحب مال به الى الصحة ، وان شاء وضعه للرغبة ، والرغبة أملكهما به (٣) . والذى يكاتب اخوانه على حـال الضرورة ، فقـد يستقطع الصلة عند الحدث مخافة الملامة (٤) من الناس على القطيعة الشنعاء المشهورة لاخوانه ، فان الذى لا مودة له قد يصل ذلك فى تلك القطيعة بأهل البلاء .

والكتاب على مثل حالنا وحالك اليوم شـاهد على أن ذلك ليس الا صحة الاخاء والشوق الى المحادثة بالكتاب ، حين لا يلومك اللائمـون لمنزلة البلاء تلك اللائمة على التقصير . ولا يوضع منك الرغبة فى الاطماع . اياك أن تعتل بالأشغال أن كنت فى خاصة نفسك ، فان أداء الحق وصلة الاخوان أعظم الخاصة بك خاصة . وانما أمرنا فى كل هذا كأمرك فى الذى يستغنى من خاصتك تلك التى لنا ، فان لنا ما لك ، وهذه التى لنا لك ، أليس ما سرنا سرك وما سلبناه حظا لك ، فهذه كذلك وذلك كهذى .

---

(١) فى الأصل : « وأجزلنا ... » .
(٢) فى الأصل : « ما قبلك » .
(٣) فى الأصل : « وأملكها ... » .
(٤) فى الأصل : « مخافة السلامة من الناس ... » .

والله يوفقنا وإياك · وأنت أبا يوسف · هكذا حال بيننا وبينك ما وصفت لأبي سعيد ، غير أنه سألنا أمرا لم يسألناه قط ، فله فضل السبق علينا في المسألة ، وإنا فضل المنزلة عليك في اللائمة · ولن أدعك والفعل ، دون أن تشفعه بالعمل الذى هو صلة القول · وسلام عليك ورحمة الله ، وقضى الله عز وجل بالحسنى لنا ولك ·

فصل - أتاني كتابك ، فأنعمت أن يسرني بسلامتك ، وما حاق فيه كرم برك ، ولطيف عنايتك ، ما لم أوقد في حالة من حالاتك ، فكان الكتاب مصدقا لما سلف ، مبشرا بما يستأنف ، مذكرا منك عهدا موصو ···· (١) مثاله طرفي وقلبي ، ملصقا ذكره بلساني وقلبي · فلا عدمتك ، بل أمتعني الله بك فأطال ، وكثرني ببقائك ·

فصل - أتاني كتابك فطامن قلبي وطرفي ، بعد ما كان شاخصا اليه ، متشوقا الى رؤيته ، ثم ملأني سرورا ما رأيت فيه من آثار برك وكريم تفقدك · وأفضل ما عندي منك قبله ، مما ان ذكرته ، فللاستراحة (٢) الى الذكر ، وان أمسكت ، فللعجز عن الشكر · فأما الضمير فمبني على الاقرار بفضلك ، والنية خالصة بشكرك · وقليل ذلك لك ، فأعطاك الله فأطاب ، ووهب فأجزل ·

فصل - وصل الى كتابك فخيل لى حين نظرت الى أثر يدك بمجرى قلمك في بطن صحيفتك ، أنك ماثل بين عيني : أنظر الى شخصك وأسمع من لفظك ، فابتعث ذلك مني طربا شائقا ، وصبابة هيجت الأحزان وذكرت الاخوان · وكنت من اخواني الذين أفخر بسلامتهم للود الذى أجرى الله بيننا وبينك ، فتواصلنا بحرمته ، وتعاطفنا بوصله ·

فصل - ان الله جعل عاقبة كل نعمة وان عظمت ، تبعا لأولها ، وجعل الشكر عليها سببا لتمامها وموجبا لأحسن الزيادة منها ·

فصل في شكر - فان الله جعلك للخير معدنا ، وللفضل موضعا ، فيما حملته نفسك من ثقل أعباء المروءة ، وحملتها عليه من عظام المكارم ، حتى صرت بما أنعم الله به عليك ، منتهى كل أمل وغاية كل رغبة · ثم ألبست النعمة لباس التواضع ، وناسبت في الأخلاق من سبقت به عليك الأمور ، حتى كأنهم في النعمة لك شركاء · وتحننت على الأقربين والمتقربين من الاخوان والأكفاء ، حتى كأنهم لك ولد ، وأجبرت نفسك حين ساعدك الدهر ، على طبيعة التقرب الى العامة ، فكلهم يدلى اليك بدلو

---

(١) في الأصل بياض ·

(٢) في الأصل : « فلاستراحة ··· » ·

رغبته ، ويمتاح منك متاحة فضل ، فلا عدمت ألا تزال تنعش سقطة ، وتقيل عثرة ، وتسد خللا ، وتنيل أملا ، ولا عدم من شهد ذلك منك ، أن يستتم هذه النعمة عليك وعلى نفسه ، فان من سعادة العامة أن يجعل سارها عند خيارها • ومن البلاء العظيم عليها الموجع لها ، أن يخص شرارها بموضع رغباتها •

فاسلم كلاك الله بهذه النعمة ، غير منغص بها ، ولا مكدر عليك (١) صفوها ، حتى تسلمك النعمة العاجلة الى النعمة الباقية ، فانا وان علمنا أن من شأن الدهر الغدران في العواقب فقد علمنا أنك فيما أهدى الله اليك من النعمة ، قد أديت حق الله عز وجل ثم حق اخوانك فيها ، فكنت آخر من نال فضلك ، كرما في السناء ، ورضا في الأثرة ، غير متطاول لما نأمل ، ولا متضعضع لما تحذر ، فانا نجزى شكر الماضى منك ، ورجاء الباقي ، فنرى تضييعا منا في عقد الرأى ، وازراء بنا في وثائق الأمور ، ألا نمنحك من أنفسنا مودة الولد ورقة الوالد • واذا أعطاك امرؤ ثمرة فؤاده ، فقد فرغ اليك من جميع حقك ، لأن ذات يد امرىء في البذل أهون عليه من ذات نفسه في الشكر • وكفى لامرىء من امرىء أن يستولى عليه حتى لا يدع لغيره فيه فضلا • وكفى بك لنا من غيرك • وكثير منا أن نقوى على أداء أدنى صنوف حقك ، غير أن أوثق أدورنا فيك عند أنفسنا ألا نسأم النظر الى فنائك بهجين بك ان برزت ، وعاذرين لك ان شغلت •

فصــــل – ان الهدى والضلالة يقتسمان دول الأزمنة ، لغير كرامة للباطل ، ولا هوان للحق • وأهل الحق كيف تصرفت أحوالهـم في كرامة من الله عز وجــل • ونعمة بين دولة تكون لهم ، يقومون لله فيها بحقه ويظهرون هداه ودينــه ، ودولة تكون للباطل ، يكونون فيها كهوفا للخيرات ، ومعدنا للحسنات ، يستكن الحق في صدورهم ، ويأوى البر والصدق اليهم ، فهم بين يومى صبر وشكر ، ليس أحدهما دون صاحبه في الفضل •

وأهل الباطل كيف تصرفت أمورهم بين سخط الله وعقوبته ، لأن الله تعالى لم يجعل في الباطل فرجا لأهله ، وان كانت لهم دولة كانت املاء واستدراجا ، وكانوا فيها على مدرجة هلكة وسبيل نقمة ، وان كانت الدولة لأهل الحق ، كانوا فيها بين ذل وضيم ، وخوف وجزع ، وقد ســدت عليهم المطالع ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت • ففى أى يوميهم مستراحهم : أيوم دولتهم ، وهم لا يشــكرون النعمة ولا يقطعون أسباب النقمة ؟ أم يوم علو الحق عليهم ، وهم لا يصبرون على المحنة

---

(١) في الأصل : « ولا مكدر عليها صفوها ... » .

ولا يبصرون من العمى ؟ وأهل الحق بين حالي غبطة وحسبة ، وأهل الباطل بين حالي املاء ونقمة .

فصل في صفة الجند — ان الغالب على أهواء جماعة من فئام أولياء الأمير وجنده اعظام الامير ومعرفة فضله ، والتقرب الى الله بمحبته ومناصحته وطاعته ، ومعاداة عدوه ، وتلك نعمة يعتدونها ويتقربون الى الله بها ، ويتوسلون الى الأمير بخزى قوم خالفوا .

فصل — حل بين فلان وبين التشريد بهم والاجتياح لهم ، فان ذلك أرضى لربك ، وأجمع للألفة ، وأقوم لعمود الخلافة الذى سدد الله دعائم الاسلام وأس الدين به . واعلم أن من حاط الله دينه ، ورمت عن فوقه الجماعة ، وعادى أهل النقض لها ، ابتعثه الله آمنا من هول الحساب وضيق المحشر ، والله بنصره أحق وأولى . وكن لله بحيث افترض عليك ، فانه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : **(يأيها النبى جاهد الكفار)** .

كتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى رجل لم يكاتبه

لست بما صرفت الى من معروفك بأسر منى ، بما أهديت الى من قضاء الحق عنك ، وقلة ذوى الحرمة بك ، لأنك قد تصل من لا يثق ولا يأنس الا بمن يعتمد عليه .

كتب الفضل بن يحيى الى رجل يشاوره فى أمر حدث

ليس كل امرىء وان كان ذا عزيمة فى رأيه ، وأصالة فى عقله ، بمستغن عن مكاشفة أهل الرأى ، لتوزيع الله عز وجل ، أقسام الفضل فى خلقه ، واشراكه اياهم فى عطاياه ، فرأيك فى كذا .

وكتب ابراهيم بن المهدى الى أحمد بن يوسف ، فكتب أحمد الى اسحاق بن ابراهيم الموصلى

عندى من أنا عبده ، وحجتنا عليك ، اعلامنا اياك .

توسل

توسل رجل الى رجل بمحمد بن عبد الملك وادعى قرابته منه ، وبلغ ذلك محمدا فكتب الى المتوسل اليه :

بلغنى أن رجلا ادعى قرابتى ، وأورد عليك كتابا ذكر أنه منى ، وما أنكر أن ينتفع بى من توسل بنسبى ، الا أنه من ادعى قرابة ، ولا قرابة له ، كان استعمال الشفاعة فى أمره أولى ·

كتب طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل

أسعدك الله بمحاربتك ، التى بذلت فيها مهجتك ، ومهج من هو موصـــول بك منـــا ·

محمـــد بن الجهـــم

وليس فى جميع الناس أعدى لك : من صديق مؤمل ، أو حميم راج ، ان منعتهما شتماك وبهتاك ، وان أعنتهما الناهـــه (١) اغتالاك ·

محمد بن مســـعر

قال : كنت أنا ويحيى بن آكثم عند سفيان ، فبكى سفيان ، فقال له يحيى : ما يبكيك يا أبا محمد ؟ قال :

بعد مجالســـتى من جالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتليت بمجالستكم ، فقال له يحيى : فمصيبة من جالست منهم بمجالستهم اياك بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من مصيبتك بنا ، فقال : ياغلام ، أظن السلطان سيحتاج اليك ·

دخل ميمون بن مهران على بعض خلفاء بنى أمية ـ وأحسبه عمر بن عبد العزيز ـ فقال له وقد قعد فى أخريات مجلسه : عظنى ، فقال له : انك لمن خير أهلك ان وقيت ثلاثا ، قال : ما هن ؟ قال : السلطان وقدرته ، والشباب وغرته ، والمال وفتنته ، فقال : أنت أولى بمكانى منى فارتفع الى : فأجلسه معه على سريره ·

ابن وهب فى الاعتذار

لو لم نعذرك لم نعذر أنفسنا بقطيعتك ، فكن لنا فى لائمة نفسك ، كما كنا لك فى عذرك ·

---

(١) هكذا وردت فى الأصل ·

وفى مثـــله

ليس فى الاساءة فضل عن الاعتذار ، وفى عائدتك فضل عن اساءتنا ، فمن اين يسقط بين فضلك والاعتذار !

آخـــر

فلان من حملة المعروف ، يكثر عندهم قليله فى شكرهم ، ويقل لهم كثيره فى عظيم حقوقهم .

فصل ــ لئن عميت عن الرأى فيك ، لقد أبصرته بك .

فصل ــ تغيب فأشتاق ، ونلتقى فلا أشتفى .

٢ ــ فصول من رسائل مختارة فى كل فن
وهى مثل مما كتب به الكتاب فى أبواب لا نظير لها

فمن ذلك ما كتب به فى التحميد لله عز وجل فى أوائل الفتوح وأواخرها وأوائل الكتب التى فيها تحميد الله عز وجل .

التحميـــد الأول

الحمد لله القادر القـــاهر ، المتوحد بالســـلطان والربوبية ، والمتفرد بالبقاء والقدرة ، والمتجبر بالكبرياء والعظمة ، ذى الجلال والاكرام ، والافضال والانعام ، والعز والبرهان ، والأسماء الحسنى ، والمثل الأعلى ، الأول بلا غاية ، والآخر بلا نهـــاية ، الذى لا يحيط به وصف الواصـــفين ، ولا تبلغ مدى عظمته أوهام المتوهمين ، ولا تدركه الأبصـــار ، وهو يدرك الأبصـــار ، وهو اللطيف الخبير ، لا يؤوده حفظ كبير ، ولا يعزب عنه علم صـــغير ، يعلم خائنة الأعين ومـــا تخفى الصدور ، وما تســـقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين .

التحميـــد الثـــانى

الحمد لله الذى خلق الأشياء على غير مثال ولا رسول ، وأنشأها على غير حدود ،

ودبر الأمور بلا مشير ، وقضى في الدهور بلا ظهير ، وسمك السماء بقدرته ، وبناها على ارادته ، وأسكنها ملائكته الذين اصطفاهم لمجاورته ، وجبلهم على طاعته ، ونزههم عن معصيته ، وجعلهم حملة عرشه ، وسكان سماواته ، ورسله الى أنبيائه ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ودحا الأرض وبسطها لكافة خلقه ، وقسم بينهم الأرزاق ، وقدر لهم الأقوات ، فهم في قبضته يتقلبون وعلى أقضيته يجرون ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ٠

وصـــدر تحميـــد مفـــرد

الحمد لله العلي مكانه ، المنير برهانه ، التامة كلماته ، الشافية آياته ، والحمد لله ولي أوليائه وعدو أعدائه ٠

وصـــدر تحميـــد

الحمد لله الغالب الذي لا يغلب ، والمقتدر الذي لا يهـــان ، والمنجز وعـــده ، والمؤيد أولياءه ، والخاتم بالفلج (١) والظهور لهم ، والمديل من أعدائه ، ومحيط دائرة الســـوء بهم ٠

ولكاتب خزيمة بن خازم في فتح الصنارية تحميد مختار

أما بعد ، فالحمد لله ذي الملكوت والقدرة ، والجبروت والعزة ، والســـلطان والقوة ، أهل المحامد كلها ، ومدبر الأمور ووليها ، وخالق الخلائق وبارئها ، ومميتها ومحييها ، وباعثها ووارثها ، الذي أوجب على نفسه بما نفذ من مشيئته ، وسبق من علمه ، وثبت في اللوح المحفوظ عنده اعزاز دينه ، واظهار حقه ، واعـــلاء كلمته ، وابلاج حجته ، وازهاق باطل أعدائه ، والصارفين عن طاعته ، والجاحدين لربوبيته ، المكذبين بكتبه ورسله ، بلغ بذلك أمره ، ونطق به كتابه ، فانه يقول تبارك اسمه في المنزل من فرقانه : **(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)** ٠

وتحميد لأحمد بن يوسف الى الولاة عن الخليفة

أما بعد ، فالحمد لله ذي المنن الظاهرة ، والحجج القاهرة ، الذي قطع بينه وبين

---

(١) الفلج : الغلب والظفر ، يقال فلج فلان على خصمه ، أي غلب وظفر ٠

عباده المعذرة ، ورادف عليهم البينة ، ومهلة النظرة ، وجعل ما أتاهم من حظوظ الدنيا بالقسم المكتوب ، وما ذخر لهم من ثواب الآخرة بالنجح المطلوب ، فهم فى العاجلة شركاء فى النعمة ، وفى الآجلة شتى فى الرحمة ، يختص بها أهلها المنتفعين بما ضرب لهم من الأمثال ، وتصريف الحال بعد الحال ، المبادرين بأعمالهم الى انقضاء مدد آجالهم ، قبل حلول ما يتوقع ، وفوت ما لا يرتجع ٠

وتحميد لابراهيم بن العباس فى فتح اسحاق بن اسماعيل

الحمد لله معز الحق ومديله ، وقامع الباطل ومزيله ، الطالب فلا يفوته من طلب ، والغالب فلا يعجزه من غلب ، مؤيد خليفته وعبده ، وناصر أوليائه وحزبه ، الذين أقام بهم دعوته ، وأعلى بهم كلمته ، وأظهر بهم دينه ، وأدال بهم حقه ، وجاهد بهم أعداءه ، وأنار بهم سبيله ، حمدا يتقبله ويرضاه ، ويوجب أفضل عواقب نصره ، وسوابغ نعمائه ٠

التحميد الثانى

الحمد لله الغالب ذى القدرة ، والقاهر ذى العزة ، الذى لم يقابل بالحق باطلا فى موطن من مواطن التحاكم بين عباده ، الا جعل أولياء الحق منهم حزبه وجنده ، وجعل الباطل بهم فلا منكوبا ، ودحيضا زهوقا ، ان نهض به أولياؤه كانت مراصد عواقبه مفرقة ما جمع ، ومبترة ما أعد ، وقائدة بأشياعه الى مصرع الظالمين ، حتى يكون الحق الطالب الأعز ، والباطل المطلوب الأذل ، وأولياء الحق الأعين يدا وأيدا ، وأشياع الضلال الأخسرين أعمالا وكيدا ، قضاء الله وسنته ، وعادة الله وارادته ، فى الفئة المنصورة أن تعز فلا ترام ، وأن يمكن لها فى الأرض كما مكن للذين من قبلها ، وفى الفئة الناكبين عنه ، أن تزل فتكون كلمتها السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم ٠

وتحميد له مبتدأ مقام بين يدى خليفة

أما بعد ، فالحمد لله الأول بلا أبد يحصى ، والآخر بلا أمد يفنى ، الظاهر لخلقه بعزته ، العزيز فى سلطانه بعظمته ، الفرد فى وحدانيته بقدرته ، المدبر فى ملكه بجبروته ، الذى نأى عن الأشياء أن يكون فيها محويا ، واتصل بها فلم يك من علمها خليا ، وهو فيها غير مستكن ، ومعها غير مماس فى لجج البحار ، ومفاوز القفار ، وشوامخ الجبال ، وكثبان الرمال ، مع كل خلق ، وفى كل أفق ، وعلى كل شرف ومكان ، وفى كل وقت وأوان ، موجود اذا طلب ، وقريب حيث ندب ، عالم خفيات الغيوب ، وخطرات القلوب ، وما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من

نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ٠

وتحميد ثان يتــــلو الأول

الحمد لله المتعالى عن تشبيه الجاهلين ، وتحديد الواصفين ، وتكييف الناعتين ، يوصف لا بالعرض والطول ، وينعت بغير الشبح المثول ، ويحد لا بالخلق المعدود ، والجسم الموجود ، بل يتناهى من وصفه ، الى ما دل عليه من صنعه ، ويوقف عليه من نعته ، على ما أخبر به عن نفسه ، وكيف يوصف من لم يره أحد ، ويحد من لم يحده بلد ، أو يشبه غير ذى أعضاء ، أو يكيف غير ذى أجزاء ، لو رئى لوصف ، ولو وصف لمثل ، ولو مثل لكان له نظير ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، لا تجنه الأقطار ولا يحويه قرار ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، لا يوصف أولاه ، ولا يدرك أخراه ، ولا يعرف منتهاه ، عظم أن يحصره وهم ، وجل أن يدركه فهم ، وامتنع من أن يخاله علم ، ولا يغيره ليل ولا يوم ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنــده الا باذنه ، يعــلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم ٠

وتحميـــد ثالث

الحمد لله الذى ألهمنا من الاقرار بربوبيته ، والايمــان بوحدانيته ، وأنه غير ذى صـــاحبة يسكن اليها من وحشة ، ولا ولد يتكثر به من ضعف قلة ، ولا شريك يعاونه من عجز قدرة ، ولا ظهير يكانفه لملال فترة ، ما جعل لنــا به أوثق الأسباب لديه ، وأرجى الوسائل اليه ، اذ كان من أنكر ما دللنا الاقرار به يصير بجحد ما أقنعنا الاعتراف فيه ، الى أليم عقوبته بالمعصية التى استحكمت الســـخطة على أهلها ، وحلت النقمة بمن فارقها ، ثم جعلنا تبع اشراف كثير على أنفسنا فى مشيئة منه ، بسط اليها آمالنا وأحسن عليها أطماعنا بكرم عفوه ، وعظيم حلمه ، وسعة رحمته ، التى وعد أهل الايمان بها ، اذ صار من فارقهم فى ذلك بما استهوت عليهم ، بتزيينه لهم شياطينهم ، ورانت على أفئدتهم (١) ٠٠٠ وما ظلمته قرباؤهم الى الناس من كل طمع يجدى وخبر ينجى ، جزاء بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد حبط عمله ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ٠

---

(١) فى الأصل بياض ، وفى العبارة اضطراب ظاهر ٠

وتحميد يتلو الثالث فى هذا المقام

الحمد لله الذى ابتدع لا من شيء ما أنشأ ، وابتدأ على غير مثال ما ابتدأ ، فجعل كثيرا من لطائف تقديره ، وصنوف تدبيره ، وتصاريف أموره ، حججا واضحة ، وآيات بينة ، وعبرا شافية ، تشهد له بعزة القدرة ، ونفاذ الحول والقوة ، فخلق مدبرا بلا مشورة أحد ، سبعا دحاهن على الماء على غير سند ، مبسوطات فى تكاثف أجزائهن ، على معين ماء مسخر من تحتهن ، فجر خلالهن أنهارا ، وقدر فيهن من المعاش أقواتا ، وجعل لهن من الجبال أوتادا ، ثم استوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين • ففطر من الدخان فى خفته على الهواء سبعا ، جعل بينهن من الجو متسعا ، سبع سموات طباقا مرتفعات ، بلا دعائم قبلها ولا علاقات ، يمسكهن بقدرة أن يرتفعن فوق ما حبسهن عليه ، وأن يهوين الى قرار دون ما رفعهن اليه ، فأتقن صنعها ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بالمصابيح النيرة ، والشهب الثاقبة ، والنجوم الواضحة ، وسخر الشمس والقمر علما للمهتدين ، وسراجا للمبصرين ، ورجوما للشياطين ، وأوقاتا لاختلاف السنين ، ومعرفة لكل حين ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ، فقضاهن سبع سموات فى يومين ، ولو شاء خلقها فى أسرع من طرف العين ، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، بلا معاناة لقول ، ولا ضعف من حول ، ثم أسكنهن من خلقه ملائكة اصطفاهم لعبادته ، واجتباهم لتبليغ رسالته ، معصومين من أن يشركوا بالله ، ما لم ينزل به سلطانا ، وأن يقولوا على الله افكا وبهتانا ، يسبحونه بالليل والنهار لا يفترون ولا يسأمون من عبادته ، ولا يستحسرون عن طاعته ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون •

وتحميد فى فتح لابن العباس

أما بعد ، فالحمد لله الذى حمد نفسه ، وفرض حمده على خلقه ، وأعز دينه وأكرم بطاعته أولياءه ، وأكرم طاعته بأوليائه ، فجعل جنده منهم المنصورين ، وحزبه منهم الغالبين ، نهج بهم سبيله ، وأقام بهم حجته ، وجاهد بهم أعداءه ، وأظهر بهم حقه • وقمع بهم الباطل وأهله ، وأعلى كلمتهم ، وأنصرهم ، وألف لهم وبهم ، ومكن لهم فى الأرض ، فجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين •

والحمد لله المعز لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لخلفائه ، الممكن لحزبه ، المنتقم بهم ممن صدف عنه ، مؤيدا دينه بالنصر ، ليظهره على الأديان ، وحفه بالعز ، فلا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجنوده بالفلج فهم الاعلون ان استنصر بهم ، والأعزون ان كاد بهم ، والاقربون منه اخلاصا وعملا ، حمدا يؤازى نعمه ، ويمترى بمثله فواضله ومزيده .

وله فى فتح ابن البعيث لما ظفر به

أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلفائه ، وهادى أوليائه ، أولياء الحق وحزب الهدى ، الذين أقام بهم سبل الرشاد ، ونصب بهم مناهج الدين ، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وله صدر كتاب الخميس فى تحميد الله وتمجيده

أما بعد ، فالحمد لله الذى جلت نعمه ، وتظاهرت مننه ، وتتابعت أياديه ، وعم احسانه ، اله كل شىء وخالقه ، وبارئه ومصوره ، والكائن قبله ، والباقى بعده ، كما قال فى كتابه : (**كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون**) . العالى فى مشيئته والقاهر فوق عباده ، المتعالى عن شبه خلقه ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، خالق العباد بقدرته ، وهداهم برحمته ، وأوضح لهم السبيل الى معرفته بما نصب لهم من دلائله ، وأراهم من عبره ، وصرفهم فيه من صنعه ، كما قال جل جلاله : (**الذى أحسن كل شىء خلقه بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**) .

وذلك كله من خلقه اياهم بتمثيله ما مثل لهم من الدلائل التى نصبها لهم ، والأعلام التى جعلها ازاء قلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، ويسر لهم خواطرهم وفكرهم ، والهيئة التى هيأهم لها ليقع الأمر والنهى عليهم ، فلا يكلفهم فوق طاقتهم ، ولا يجشمهم ما يقصر عنه وسعهم ، نظرا منه تبارك وتعالى اليهم ورحمة بهم ، ليؤمنوا به ويعبدوه ، فيستحقوا به رحمته ورضوانه ، والخلود فى النعيم المقيم ، والظل المديد ، والعيش الدائم ، كما قال تعالى ذكره : (**الا من رحم ربك ولذلك خلقهم**) . وكان من نظره ورأفته بهم أن بعث فيهم أنبياءه ورسله ، يدعونهم الى طاعته ، ويبينون لهم هداه ، ويوضحون لهم سبيله ، ويهدونهم الى رحمته ، ويعدونهم ثوابه ، وينذرونهم عقابه ، ويبسطون لهم توبته ، ويحذرونهم سخطه ، ويبينون لهم سنته وشرائعه ، ويكشفون لهم مواعظه ، ويعلمونهم كتابه وحكمته ، كما قال تبارك وتعالى : (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم**) . وكان من رأفته بهم ، ونظره لهم ، أن بعثهم اليهم بالحجج الظاهرة ، والأعلام البينة ، والشواهد الناطقة ، التى أظهر بها صدقهم ، وأقام بها برهانهم ، وأوضح بها دليلهم ، وأثابهم عمل

..مواهم ، ليكون آدعى لهم الى تصـديقهم ، والقبول عنهم ، وأوكد للحجة على من آبى ذلك منهم .

وتحميد أحمد بن يوسف في صدر رسالة الخميس التي كانت تقرأ بخراسان

أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذي العز والسلطان ، والنور والبرهان ، فاطر السماء والأرض وما بينهما ، والمتقدم بالمن والطول على أهلهما ، قبل استحقاقهم لمثوبته ، بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذي جعل ما أودع عباده من نعمته ، دليلا هاديا لهم الى معرفته ، بما أفادهم من الألباب ، التي يفهمون بها فصل الخطاب ، حتى اقتنوا علم موارد الاختبار ، وثقفوا مصادر الاعتبار ، وحكموا على ما بطن بما ظهر ، وعلى ما غاب بما حضر ، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ، ومتقن صنعته ، وحاجة متزايل خلقه ومتواصـله ، الى القوام بما يلمه ويصلحه ، على أن له بارئا هو أنشأه وابتدأه ، ويسر بعضـه لبعض ، فكان من أقرب وجودهم ، ما يباشرون به من أنفسهم ، في تصرف أحوالهم ، وفنون انتقالها ، وما يظهرون عليه من العجز عن التأتي لما تكاملت به قواهم ، وتمت به أدواتهم ، مع أثر التدبير والتقدير فيهم ، حتى صاروا الى الخلقة المحكمة ، والصورة المعجبة ، ليس لهم في شيء منها لطف ينيممونه ، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم ، فانه قال تعالى ذكره : **(يأيهـا الانسان ما غـــرك بربك الكريم الذي خلقك فســواك فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك)** . وما يتفكرون فيه من خلق السماء ، وما يجرى فيها من الشمس والقمر ، والنجوم مسخرات على مسير لا يثبت العالم الا به ، من تصاريف الأزمنة ، التي بها صلاح الحرث والنسل ، واحياء الأرض ، ولقاح النبات والأشجار ، وتعاور الليل والنهار ، وممر الشهور والأيام ، والسنين التي تحصى بها الأوقات ، ثم ما يوجد من دليل التركيب ، في طبقات السقف المرفوع ، والمهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه والتئامها ، وخرق الأنهـار ، وارسـاء الجبال ، ومن التئام الشاهد على ما أخبر الله به من انشائه الخلق وحدوثه بعد أن لم يكن ، مترقيا في النماء ، وثباته الى أجله في البقاء ، ثم محاره منقضـــيا الى آخر الفنـــاء ، ولم يكن له مفتتح عدد ، ولا منقطع أمد ، وما ازداد بنشوء ، ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ، لأن ما لا حد له ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة ، ثم أجرى فيما ذكر من خلق الله وخلق الانسان الى ذكر ما تفضل الله به على عباده الأنبياء ، وما اختصـــهم به من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، الى ذكر الخلفاء أولا ، ثم الى ذكر المأمون ودولتـــه .

وتحميد للعباس في مقام له بين يدى المأمون

الحمد لله على نعمه علينا ، واحسانه الينا ، بالأرض المبســوطة ، والســماء المرفوعة ، والرياح المسخرة ، والأمطار النازلة ، والأوقات القائمة ، والمنافع الدائمة ،

والدين المبين ، والأدب القويم ، حمدا يكون اليه صاعدا ، ولديه ناميا ، ولملكوته مالئا ، والحمد لله حمدا يثبت رضوانه ، ويورث احسانه ، ويوجب مزيده ، فهو المنعم المحمود ، والمتطول المشكور ، لا اله الا هو لا شريك له ، كما شهد الله وملائكته قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم •

وتحميد لعبد الحميد فى أبى العلاء الحروى

الحمد لله الناصر لدينه ، وأوليائه وخلفائه ، المظهر للحق وأهله ، والمذل لأعدائه وأهل البدعة والضلالة ، الذى لم يجمع بين حق وباطل ، وأهل طاعة ومعصية ، الا جعل النصرة والفلج والعاقبة لأهل حقه وطاعته ، وجعل الخزى والذلة والصغار ، على أهل الباطل والخلاف والمعصية ، حمدا يتقبله ويرضاه ، ويوجب به لأمير المؤمنين وأهل طاعته الزيادة التى وعد من شكره ، والحمد لله على ما يتولى من اعزاز أمير المؤمنين ونصره وافلاجه واظهار حقه ، على ما وقع بأعدائه وأهل معصيته والخلاف عليه من سطواته ونقماته وبأسه ، فيما ولى أمير المؤمنين من موالاة من والاه ، وعداوة من بغى عليه وعاداه ، لا يكله فى شىء من الأمور الى نفسه ، ولا الى حوله وقوته ومكيدته ، فانه لا حول ولا قوة لأمير المؤمنين الا به •

وتحميد فى آخر فتح

الحمد لله المعز لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لأوليائه ، المنتقم من أعدائه أهل الكفر ، المنزل بهم من بأسه ، ونقمته وجوائحه ، الذى لم يجمع بين أهل حقه ، وباطل عدوه ، فى موطن من مواطن التحاكم ، الا جعل فيه لأوليائه الظفر ، وأفرغ عليهم الصبر ، ومنحهم النصر ، وجعل الدائرة وسوء العاقبة على عدوه ، وأهل الكفر ، حمدا كثيرا يرضاه من الشكر ، ويحسن به المزيد •

وتحميد فى فتح الى أمير لقمامة

الحمد لله الفتاح العليم ، الذى خص الأمير بأفضل الكرامة وأتم النعمة ، وأحسن الولاية ، وأعظم الكفاية ، وحفظ ما استرعاه ، وأعز أولياءه ، وقمع بالمذلة أعداءه ، وجعل حسن العاقبة له ولأهل طاعته ، ودائرة السوء على أهل معاندته ، حمدا يحسن به القضاء ، وتزيد به النعماء •

وصدر تحميد لغسان بن عبد الحميد فى خطبة موجزة

الحمد لله الذى لا يدرك خير الا برحمته ، ولا ينال الفضل الا بنعمته ، ولى التسديد للحسنات ، والعصمة من السيئات •

تحميد لعبد الحميـــد في فتح

الحمد لله العلي مكانه ، المنير برهانه ، العزيز سلطانه ، الثابتة كلماته ، الشافية آياته ، النافذ قضاؤه ، الصادق وعده ، الذى قدر على خلقه بملكه ، وعز في سماواته بعظمته ، ودبر الأمور بعلمه ، وقدر بحلمه ، على ما يشاء من عزمه ، مبتدعا لها بانشائه اياها ، وقدرته عليها ، واستصغاره عظيمها ، نافذة ارادته فيها ، لا تجرى الا على تقديره ، ولا تنتهى الا الى تأجيله ، ولا تقع الا على سبق من حتمه ، على كل ذلك بلطفه وقدرته ، وتصريف وحيه ، لا معدل لها عنه ، ولا سبيل لها غيره ، ولا علم أحـد بخفاياها ومعادها الا هو ، فانه يقول فى كتـــابه الصـــادق : **(وعنده مفاتح الغيب .....)** الى آخر الآية .

وتحميـــد ثان

الحمد لله علا بالحجب التى استتر بها عن جميع خلقه ، واستغنى بها عنهم لما توحد به دونهم من عبادة الذين فطرهم على المعرفة ، رءوفا عليهم بمنه ومتطولا وهو فيما يمضى من أقداره ، مفصلا لهم بابتدائه خلقهم فى أحسن تقويم ، واعطائه اياهم عاجل كل خير مقسوم ، وتسخيره لهم جميع ما فى السموات والأرض ، وبسطه لهم فى معايشهم أوسع الرزق ، واسباغه عليهم فيها أفضل النعم التى لطفت فبطنت ، وعظمت فظهرت ، ولبست فعمت ، وأنتشرت فجللت ، وكثرت فلا يحصيها عاد ، وجزلت فلا يؤدى حق ما افترض منها شاكر ، فانه يقول : **(وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم)** .

والحمد لله الذى لم يقتصر بهم فى اكرامه وتفضيله اياهم على عاجل ، فانه مضمحل زائل مما أعطاهم اياه ولم يكلهم فى معرفة خالقهم تبارك وتعالى ، ومتولى النعم عليهم ، والاحسان اليهم ، والارتياش لهم ، ولا فى مبتغى سبيل طاعته ، وأداء حقه ، وشكر نعمته ، واستيجاب غبطة المعاد اليه الى أن يعوا ذلك بعقولهم ، والنظر فيه بألبابهم ، والتصريف له على أهوائهم ، فانه لو ألجأ ذلك اليهم ، وأفردهم فيه الى أنفسهم ، ووكلهم فيما أمرهم به الى مقدرتهم ، لحارت عنه منهم الأبصار ، ولتاهت فيه منهم العقول ، ولأضلهم عن قصده العمى ، ولمال بهم الى غيره الهوى ، ولاستحكم عليهم شرك الردى ، ولكنه بعث فيها أنبياءه الهادين ، يدعونهم الى الصراط المستقيم ، بنوره المضىء ، ودينه القويم ، وآياته البينة ، وكتبه الفارقة التى بين فيها محابه ومكروهه ، وطاعته ومعصيته ، وثواب الفريقين فى ذلك من عباده ليحذروا ما حذرهم فيه من سخطه ، ونزل بهم فيه من نقمته ، وليسارعوا فيما جعل لأهله به الى أفضل المثوبة ، وأحسن العاقبة فى الدنيـــا والآخرة ، وكشف لهم الجهالة ، وهدى من

الضلالة ، وبصرهم سبيل الحق ، وبين لهم معالم الاسلام ، ليرجع جائر ، ويقصد زائغ ، ويعرف جاهل ، وليعبد الرب بما وحد به نفسه ، وليستبين العلم ، ويستضيء الحق ، وليبتغى من الله الثواب بلزوم دينه الذى شرع ، وأداء فرائضه التى فرض ، وايثار طاعته التي أوجب ، وليكون لله الحجة البالغة على عباده فيما تركوا من ذلك وسفهوا بعد استبانته لهم ، واستفاضته فيهم واعذاره اليهم ، فانه يقول : **(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم)** ويقول : **(ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى)** •

لانس بن أبي شيخ

الحمد لله الذى بالقلوب معرفته ، وبالعقول حجته ، الذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم أدينا فوفى له ، ومبلغا فأدى عنه فحج به المنكر ، وتألف به المدبر ، وثبت به المستبصر ، الى أن توفاه على منهاج طاعته ، وشريعة دينه ، ثم أورثكم عهده وختمكم بكلمة التقوى ، وجعلكم الأمة الوسطى •

ولعبد الحميد فى فتح

يعظم فيه أمر الاسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد ، فالحمد لله الذى اصطفى الاسلام دينا رضى شرائعه ، وبين أحكامه ونور هداه ، ثم كنفه بالعز المؤيد ، وأيده بالظفر القاهر ، وآزره بالسعادة المنتجبة ، وجعل من قام به داعيا اليه من جنده الغالبين ، وأنصاره المسلطين ، كلما قهر بهم مناوئا أورثهم رباعتهم المأمولة ، وأموالهم المثرية ، ودارهم الفسيحة ، ودولتهم المطولة ، أمرا حتمه على نفسه ، ثم جعل من عاندهم وابتغى غير سبيلهم مسلما قد استهوته ذلة الكفر بظلمها ، وحيرة الجهالة بحوارها ، وتيه الشقاء بمغاويه ، وكلما ازدادوا لدعوة الحق اباء ، ازداد الحق اليهم ازدلافا ، وعليهم عكوفا ، وفيهم اقامة ، الى أن يحل بهم عز الغلبة ، ونجاة المتجاوز ، راغبين فيما شوقهم اليه ، محافظين على ما ندبهم له ، قد بذلوا فى طاعة الله دماءهم ، وقبلوا المعروض عليهم فى مبايعة ربهم لهم بأنفسهم الجنة • محمود صبرهم ، مسهل بهم عزمهم ، الى خير الدنيا والآخرة •

والحمد لله الذى أكرم محمدا صلى الله عليه بما حفظ له من أمور أمته ، أن اختار لمواريث نبوته ما أصار الى أمير المؤمنين من تطويقه ما حمل بحسن نهوض به وشح عليه ، ومنافسة فيه ، أن فعل وفعل • والحمد لله الذى تمم وعده لرسوله

وخليفته في أمه نبيه مسددا له فيما اعتزم عليه • والحمد لله المعز لدينه ، المتولى نصر امنه بنبيه المتحلى ممن عاداهم وناواهم ، حمدا يزيده به من رضى شكر ، وحمدا يعلو حمد الحامدين من اوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف . وجلت اياديه فلا تحصى ، الذى حملنا ما لا قوة بنا على شكره الا بعونه . وبالله يستعين امير المومنين على ذلك ، واليه يرغب . انه على كل شيء قدير •

ولعبد الحميد أيضا

أما بعد ، فالحمد الله الذى اصطفى الاســـلام لنفسه ، وارتضاه دينا لملائكته ، وأهل طاعته من عباده ، وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه ، وأكرمهم وفضلهم وجعلهم بما أنعم عليهم منه أوليـــاءه المقربين ، وحزبه الغالبين ، وجنده المنصورين ، وتوكل لهم بالظهور والفلج ، وقضى لهم بالعلو والتمكين ، وجعل من خالفه وعزب عنه وابتغى سبيل غيره أعداءه الأقلين ، وأولياء الشيطان الأخسرين ، وأهل الضلالة الأسفلين ، مع ما عليهم فى دنياهم من الذل والصغار ، وما عجل لهم فيها من الخذلان والانتقام ، الى ما أعد لهم فى آخرتهم من الخزى والهوان المقيم ، والعذاب الأليم ، انه عزيز ذو انتقام •

وفى ذكر الاسلام وأهله وما فضلهم الله تعالى به

اما بعد ، فالحمد لله الذى عظم الاسلام تعظيما ، وفضله تفضيلا ، فلم يبق ملك مقرب ولا نبى مرسل ، ولا امام لأهل حق مهتد إلا دان به ، واتصل الى ولاية الله بما هداه له منه ، وليس فى دين الله الذى ارتضى ، وخيرته من أهل الاسلام الذين اصطفى ، تغاشم ولا تظالم ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ولا تدابر ، ولكنهم كما وصفهم الله عــز وجــل بالتبار والتراحم والتواد والتناصف ، قلوبهم متفقة ، وأهواؤهــم مؤتلفة . وأيديهم على أهل معصيته مبسوطة ، أعوانا على الحق ، واخوانا فى الدين ، ألف الله بينهم ، وجعل الاسلام نسبهم ، فقال فى كتابه : (محمد رسول الله والذين معه •••) الى آخر الآية • فهذه صفة الله أهل دينه فيما بينهم ، وكذلك كان أسلاف الحق قبلهم ، فى توادهم وتبارهم ، وتواصلهم وتعاونهم ، وبذلك دان أهل السماء ، فلم يختلفوا فيه ، ولم يرغبوا عنه ، ولم يحتذوا مثالا غيره ، وبه يدين لله الباقون من خلقه . المتمسكون بحقه الى يوم القيامة ، سنة مسنونة ، وشريعة متبوعة ، لا يبتغون بها بدلا ، ولا يريدون عنها حولا ، فأهل طاعة الله أهل سلامة فى دنياهم ، واخوان كما قال الله عز وجل فى آخرتهم ، لم تنقطع الولاية فيما بينهم ، لانقطاع الدنيا عنهم ، وعصم بالاسلام ألفتهم •

تحميـــد

الحمد لله المثيب على حمده وهو ابتداؤه ، والمنعم بشكره وعليه جزاؤه ، والمثنى بالايمان وهو عطاؤه ٠

ولقمـــامه

الحمد لله الذى أكرم الاسلام وفضله ، وشرفه وعظمه ، وأعلى منزلته ، وجعل أهله القائمين به ، والحامدين عليه ، أولياءه وحزبه الذين قضى لهم بالتمكين ، والظهور على الدين كله ولو كره المشركون ٠

ولزيد بن على رحمة الله عليه خطبة

الحمد لله الواصل النعم بالشكر ، والشكر بالمزيد ، حمد من يعلم أن الحمد فريضة واجبة ، وأن تركه خطيئة مهلكة ، وأومن بالله ايمانا نفى اخلاصه الشرك ، ويقينه الشك ، وأتوكل عليه توكل الواثق به ثقة أهل الرجاء ، ومفزع أهل التوكل ٠

تحميد فى الاســـلام

الحمد لله الذى اختار الاسلام دينا لنفسه ، وأنبيائه ورسله ، وشرفه وعظمه ، وأناره ، وأظهره ، ونزهه وأعزه ومنعه ، ولم يقبل غيره ، ولم يجعل حسن الجزاء الا لأهله ، الذين كتب لمن أسعده بالوليجة فيه منهم الرضوان والمغفرة والرأفة ، وعلى من خالفه وابتغى غير سبيله الحسرة والندامة ، والذلة والصغار فى الآخرة والأولى ، والممات والمحيا ، اذ يقول الله عز وجل : **(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)** والحمد لله الذى اجتبى محمـدا صلى الله عليه وسلم بما اصطفاه من نبوته ، واختاره له من رسالته ، وحباه بفضيلته ، واجتباه من أفضل عمائر العرب ، وأشرفها منصبا ، وأعرقها حسبا ، وأكرمها نسبا ، وأوراها زنادا ، وأرفعها عمادا ، فبعثه بالنور ساطعا ، وبالحق صادعا ، وبالهدى آمرا ، وعن الكفر زاجرا ، وعلى النبيين مهيمنا ، والى سبيل ربه داعيا ، وبالكتاب عاملا ، فبلغ عن الله الرسالة ، وهدى من الضلالة ، وانتاش من الهلكة ، وأنهج معالم الدين وأدى فرائضه ، وبين شرائعه ، وأوضح سننه ، ونصح لأمته ، وجاهد فى سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم ٠

تحميد لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي شرع لاظهار حقه وانفاذ سابق قضائه فيمن ذرأ وبرأ من عباده ، بادخال من أراد أن يدخل في رحمته ، وانجاز ما حق له من العبادة على خلقه ، بابتدائه خلقهم ، ومظاهرته الآلاء عليهم ، واحسانه البلاء عندهم ، وابلاغه في الحجج الى عامتهم ، دينا رضيه لنفسه وملائكته الذين أسكن سماواته ورسله ، فأتمن على وجه من لم يرض الا به ، ولم يقبل الا اياه ، ثم كان ما أعز به نفسه ، وأظهر به نوره ، وأراد أن يبلو به عباده ، تحقيقا لما سبق به علمه ، وانفاذا لما جرت به مقاديره ، أن بعث لما شرع من دينه ، واصطفى لتسبيحه وتقديسه من ملائكته المقربين ، من ارتضى واختار من أنبيائه ورسله المجتبين ، لتبليغ رسالته واظهار حقه ، واستشلاء (١) من أراد سعادته من خلقه بالرحمة التي اطلعت عليهم وعمتهم ، ليعبد مخلصا له ، محمودا بما استحمد به الى خلقه ، مشهودا له بما أشهد به من كلمة الحق ، فكان منهم التبليغ لما أرسلوا به ، والنصيحة لمن أرسلوا اليه ، غير مختلفين فيما بعثوا له ، ولا متفرقين فيما استعملوا فيه ، يدعوهم آخر الى ما دعاهم اليه أول ، فيصدق بذلك بعضهم بعضا ، ويهدون الى الحق والى طريق مستقيم ، فمضت رسل الله وأنبياؤه على ذلك سالكين منهاج الحق وسبيله ، والدعاء الى الله عز وجل والى طاعته ، هادين مهديين غير مبخوسين شيئا مما كانوا أهله في المنزلة عند الله ، والقربة منه ، والوسيلة اليه ، هم ومن آمن بهم وعززهم ، واتبع النور الذي أنزل معهم ، حتى تقضت بهم الأعمار ، وتقطعت بهم الآثار ، وتخرمتهم الآجال .

وكذا لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي جعل الاسلام رحمة قدمها لعباده قبل خلقه اياهم ، واستيجابهم اياها منه ، فاصطفاه لنفسه وشرعه لهم دينا يدينون به ، ثم جعل تحديه وحيه ومتابعة رسله رحمة تلافاهم بها بعد تقديمها ، ومنة ظاهرها عليهم قبل استيجابهم لها ، تطولا على العباد بالنعماء ، واعذارا اليهم بالحجج ، وتقدمة بالوعد ، وانذارا اليهم عواقب سخطه في المعاد .

والحمد لله الذي ابتعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهداه وشرائع حقه على فترة من الرسل ، وطموس من معالم الحق ، ودروس من سبل الهدى ، عند الوقت الذي بلغ في سـابق علمه ومقاديره ، أن يجتبي لدينه الأصفياء ، ويختار له الأولياء ،

---

(١) الاستشلاء : الانقاذ .

الظاهرين بحقه ، القاهرين لمن ابتغى سبيلا غير سبيله ، فعظم حرمته ، ووسع حوزته ، وصدع بأمره ، وجاهد عن حقه فى حومات الضلالة وظلمات الكفر ، بالحق المبين ، والسراج المنير ، ثم جعله مصدقا لمن سبقه من الرسل ومجددا لما بعثوا له وهدى ورحمة ، ثم جعل لدينه وظائف وظفها على أهله ، وشرائع شرعها لهم لا يكمل دينهم الا بها ، وجعل اداءها اليه ، والاعتصامهم بها اماما لدينه ، ونظاما لنوره ، وقواما لحقه ، واستيجابا لما وعد عليه من ثوابه ، وأمنا لما أوعد من خالفه من عقابه ، فليس يسع أهل الايمان بالله الذين أكرمهم به وأجزل لهم فضله وأجره ، وجعل لهم عزه وعلوه ، واختار لهم الغلبة والعاقبة على من فارقهم فيه الا معرفتها ، وأداؤها بما يستكمل به حدودها ، ومما لها من كذا وكذا .

ابراهيم بن المهدي ـ صدر رسالة له في الخميس

الحمد لله الذى اختار الاسلام دينا لنفسه ، ورضى أن يعبده من فى سمواته من الملائكة المقربين ، ومن فى أرضه من النبيين والمرسلين ، ومن آمن بالنور الذى هداهم له من الثقلين ، واختار لرسالته فى سابق علمه ، والذكر الحكيم عنده ، محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتابه وجعل طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم موصولة بكذا فقال : **(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)** .

تحميد

الحمد لله المتكبر فى جبروته المتعزز بسلطانه ، المتعالى فى سمواته ، المحتجب عن خلقه ، وحكم فيهم فجرى حكمه على ارادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعز صفات الواصفين ، الذى لا يؤوده عظيم ، ولا يفوته مطلوب ، ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم .

تحميد آخر

الحمد لله الحكيم العدل ، الذى فصل بين الحق والباطل ، فنفذ قضاؤه فى خلقه ، وحكم فيهم فجرى حكمه على ارادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعز والفلج ، والتمكين للحق وأهله ، وبالذل والوقم والخزى والصغار للباطل وأهله ، وجعل ذلك من فضله وحكمه عادة جارية ، باقية ، وسنة ماضية ، لا راد فيما قضى منه لقضائه .

والحمد لله الذى اختص محمدا صلى الله عليه بكراماته ، واصطنعه لرسالاته ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من

حكيم حميد ، بما أحل وحرم ، ورضي وسخط ، وأمر به ونهى عنه ، وجعله خاتم النبيين والمهيمن عليهم ، وكتابه الذى أنزل ، آخر الكتب المصدق بها النبى صلى الله عليه وسلم .

تحميد في الاسلام وما امتن به على أهله من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في صدر الجهاد

أما بعد ، فان لدين الله الذى ارتضاه لنفسه ، ولمن اصطفاه من خلقه ، واجتباه من عباده وجعله معلما بين الهدى والضلالة ، وفرقانا بين الحق والباطل ، وحاجزا بين الكفر والايمان ، وظائف وظفها على أهلها ، وشرائع شرعها لهم ، فجعل أداءها اليه ومعرفتها له ، ومحافظتهم عليها ، واعتصامهم بها قواما لدينه ، ونظاما لنوره وثباتا لخلقه ، واستيجابا لما وعد من ثوابه ، وأمنا لما أوعد من عقابه ، فليس يسع أهل الايمان بالله والاقامة على حقه من المسلمين الذين سماهم المسلمين بالاسلام ، وأحرز لهم فضله وعزه ، وأصار لهم الغلبة على من خالفهم وفارقهم بما ركنوا اليه من الصدود عن سبيله ، والتكذيب بكتبه ورسله ، ودلتهم فيه قرباؤهم ، وقادتهم اليه أهواؤهم ، من الملل الضالة ، والأديان المجموعة ، التي لم ينزل بها من الله سلطان ، ولا كتاب ولا برهان ، الا معرفتها وأداؤها بما يستكمل من حدودها ومعالمها .

تحميد في الجهاد وما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم

أما بعد ، فان الله خلق الخلائق بقدرته ، وقدر الأمور بعلمه ، وأنفذ على ما مضى من مشيئته ، من غير أن يكون له ظهير في ملكه ، أو معين على ما يرى من عجائب خلقه ، واحتذاء منه على سابق من صنعة غيره ، فوحد نفسه بما تفرد به دون غيره من خلقه ، ليعبد مخلصا مبرأ من الأنداد ، اتمـاما لنوره ، وتعزيزا لتوحيده ، وتأييدا لدينه ، واعلاء لمن اعتصم به ، واقلالا لمن خالفه وعند عنه وعبده غيره ، واحقاقا لكلمته ، فانه يقول : (**كذلك حقت كلمة ربك**) الآية ، بذلك أنزل كتبـه ، وأرسل رسله ، واحتج بهم وبما أنزل اليهم على من مضى من القرون السالفة ، والأمم الخالية ، يدعو آخرهم الى ما سبق اليه أولهم ، من عبادته وتوحيده ، لا يستوحشـــون من قلة ، ولا يؤتون من كثرة ، يعزهم الله بقوته ، ويؤيدهم بجنده ، وينصرهم وينصر بهم الى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصهم به ، وجعله مصدقا لهم ، ومهيمنا عليهم ، وخاتم النبيين بعدهم ، يمضي لأمر الله ، ويجاهد من لم يجبه الى الدخول في دين الله ، فأظهره الله وأنار حقه ، وأزهق عدوه ، وأنجز له ما وعده وأتم بذلك النعمة عليه وعلى من اتبعه ، فانه يقول : (**هو الذى أرسل رسوله بالهـدى**) .

تحميد فى فتح

الحمد لله الفتاح العليم ، الرحمن الرحيم ، العزيز الحكيم ، الذى أعز الاسلام بقدرته ، وأيده بنصره ، فلم يلحد فيه ملحد ، ويسع فى تشتيت الكلمة وشق العصا ساع ، ويوضع فى الكفر والمعصية موضع ، ويمتنع من قضائه وارادته ممتنع الا أذله الله وقصمه ، وأضرع خده ، وأتعس جده ، وضلل سعيه ، وعجل بواره واستئصاله ، حمدا دائما لا انقطاع له ، ولا نفاد لمدته ٠

تحميـــد ثان

والحمد لله الذى اختار الاسلام وشرفه ، وكرمه وطهره ، وأظهره وأعزه ، وفطر عليــه ملائكتــه ، وبعث به أنبياءه ورسله ، واختار له خيرته من خلقه محمدا صلى الله عليه ، فبعثه برسالتــه ، وأكرمه بوحيه ، واصطفاه على خلقه ، يبشر بالجنة من أطاعه ، وينذر بالنار من عصاه ، وجعله دينه القيم الذى لا يقبل دينا غيره ولا يثيب أحدا الا عليه ٠

تحميد فى فتـــح

الحمد لله العزيز فى ملكوته القاهر فوق بريته ، الذى خلق بقدرته ، وأنفذ فيهم ارادته ومشيئته ، وقدر كل شىء وأتقنه وأحكمه ، وأحاط علما به ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ٠

صـــدر تحميد فى فتح

الحمد لله الذى ابتدع الخلق لا من شىء ، وجعل الليل والنهار كهفا ومستجنا لكل حى ، بقدرته تبحرت البحار ، وجرت لمواقيتها الأنهار ، فدار وتطارد الليل والنهار ، لا اله الا هو رب العرش العظيم ٠

والحمد لله الذى فات بعظمته أبصـــار المرتئين ، وعـــلا بمجده عن خطرات الحاسبين ، واحتجب بأستار جبروته عن مواقع فكر المحصلين المتعمقين ، فلم تحوه الكميـــة ، ولم يقع عليـــه أدوات التحصـــيل والكيفية ، ولا أدركه هاجس تبعيض ولا كلية ، ولم ينسب الى زيادة فى حين ، ولا الى تقصير فى شهور ولا سنين ، فكل أمره ــ عز جلاله ــ تمام ودوام ، وكل صفات صنعه اعتدال وكمال ، وكل ما دونه يحتكم فيه الفناء والزوال ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ٠

والحمد لله الذى عرفنا ربوبيته الهاما ، ونهج لنا سبل طاعته منا واكراما ، وتعبدنا بفرضه تقويما وتعليما وامتنانا ، فقامت علينا وعلى الخلق حجته ، بالصادع بأمره ، والمبلغ لرسالته ، والمجاهد فيه حق جهاده ، محمد صلى الله عليه وسلم • والحمد لله الذى أعز دينه ، وأظهر تمكينه ، ونصر وليه ، وخذل عدوه ، وأوقع بأسه ونقمته بمحل الفرية ، وجرثومة الضلالة ، ومناخ الشرك ، ومركز الكفر ، بعد طول الاملاء ، والاعتداء فى سفك الدماء ، والمثلة بالأسرى ، وقلة المراقبة والارعواء •

تحميد

الحمد لله حمدا يكون رضاه منتهاه ، والمزيد من فضله جزاءه • والحمد لله حمدا انيه يتناهى حمد الحامدين ، وشكر الشاكرين • والحمد لله الذى لا تحصى نعماؤه ، ولا تجزى آلاؤه ، ولا يكافأ بلاؤه ، ولا يبلغ شكره الا بمنه وتوفيقه ، حمدا يرضاه ويتقبله ، ويزكو لديه ، ويوجب ما تأذن للشاكرين من يده •

تحميد فى فتح

أما بعد ، فالحمد لله الواحد القهار ، العزيز الجبار ، ذى المن والانعام ، والجلال والاكرام ، الذى اصطفى الاسلام دينا ، واصطفى له من عباده أهلا هداهم له ، وأكرمهم به وبين لهم ما يأتون ، ولم يتركهم فى ريب من أمرهم ، ولا شبهة من دينهم ، فله الحجة البالغة ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة ، وان الله لسميع عليم •

والحمد لله الذى ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة ، وانتجبه لتبليغ الرسالة ، وبعثه الى خلقه كافة ، فبلغ رسالته ، وصدع بأمره ، وقام فيما بعثه له بحقه ، ثم أنجز له وعده ، وأتم له كلمته ، وأظهر دين الاسلام به على الدين كله ولو كره المشركون •

تحميد فى فتح

أما بعد ، فالحمد لله الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، الولى الحميد ، القوى العزيز ، الذى لا يقدر العباد قدره ، ولا يحصون نعمه ، ولا يبلغون شكره ، المحيط بكل شىء علما ، والمحصى كل شىء عددا ، فلا يعجزه كبير ، ولا يعزب عنه صغير ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون •

تحميـــد

الحمد لله المتوحد بالخلق والأمر ، قادرا قاهرا أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، وملأه عظمة ، ووسعه عدلا ، وأتقنه صنعا • والحمد لله الذى أعز بالحق من أطاعه ، وأذل بالباطل من عصاه ، وجعل الطاعة والجماعة حرزا حريزا ، وموئلا منيفا ، فلم يجمع بين أهل كفر وايمان ، وطاعة وعصيان ، الا توحد بالصنع لأهل طاعته ، وأنجح سعيهم ، وأعلى كلمتهم ، وأفلج حجتهم ، وأنزل بأهل الكفر المعاندين عنه ، الرادين لأمره الذلة والصغار فى عاجلهم وآجلهم ، حمدا يكون لمزيده موجبا ، ولحقه مؤديا •

تحميد فى فتح لسعيد بن حميد عن وصيف

اما بعد ، فالحمد لله الحميد المجيد ، الفعال لما يريد ، الذى خلق الخـــلق بقدرته ، وأمضاه على مشيئته ، ودبره بعلمه ، وأظهر فيه آثار حكمته التى تدعو العقول الى معرفته ، وتشهد لذوى الألباب بربوبيته ، وتدل على وحدانيته ، لم يكن له يكن له شريك فى ملكه فينازعه ، ولا معين على ما خلق فتلزمه الحاجة اليه ، فليس يتصرف عباده فى حال الا كانت دليلا عليه ، ولا تقع الأبصار على شيء الا كان شاهدا له ، بما رســـم فيه من آثار صنعه ، وأبان فيه من دلائل تدبيره ، اعذارا بحجته ، وتطولا بنعمته ، وهداية الى حقه ، وارشادا الى سبيل طاعته ، وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم •

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذى اصطفى الاسلام واختاره ، وارتضاه وطهره ، وأعلاه وأظهره ، فجعله حجة أهله على من شاقهم ، ووسيلتهم الى النصر على [من] عند فى حقهم ، وابتغى غير سبيلهم ، وبعث به رسله يدعون الى حقه ، ويهدون الى سبيله بالآيات التى يبينون بها عن المخلوقين ، ويوجبون بها الحجة على المخالفين ، حتى انتهت كرامة الله الى خاتم أنبيائه ، وحامل كتابه ، ومفتاح رحمته صلى الله عليه وسلم ، على حين فترة من الرســل ، واختــلاف من الملل ، ودثور من اعلام الحق ، واستعلاء من الباطل ، والناس عاندون عن سبيل ربهم ، يتسافكون دماءهم ، ويحلون ما حرم الله عليهم ، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ، ولا ينفعهم ، وأيده بالبرهان الواضح ، والحجج القواطع ، والآيات الشواهد ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــه تنزيل من حكيــم حميد ، وجعل فيــه أوضـــح الدليل على رسالتــه ، وأعدل الشـــواهد على نبوته ، اذ عجز

المخاوقون عن أن يأتـوا بمثله على مر الأيـام ، وكثـرة الأعـداء والمنازعين ، يتحداهم به في المواسم ، ويقصدهم بحجته في المحافل ، ولا يزدادون عنه الا حسورا وعجزا ، ولا تزداد حجة الله عليهم الا تظاهرا وعلوا ، ثم أيده بالنصر بأنصار ألف بينهم بطاعته ، وجمعهم على حقه ، ولم شعثهم بنصرة دينه ، بعد الشقاق المتصل بينهم ، والحرب المفرقة لجماعتهم ، كمـا قال عز وجـل : (**هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين**) • وقدم اليه وعده بالنصرة والتمكين ، فجعله بشرى للمؤمنين ، وحجة على الكافرين ، ودليلا على ما بعثه به من الدين ، فهزم بالقليل من عددهم الكثير من عدد أعدائهم ، وغلب بضعفائهم أهل القوة ممن ناوأهم ، ففل به حدهم ، وفض جموعهم ، وافتتح حصونهم ، وحريز معاقلهم ، وأظهر بحجته ونصره عليهم ، وأنجز سابق وعده لهم وفيهم ، والله لا يخلف الميعاد •

تحميـــد لابن المقفع

الحمد لله ذى العظمة القاهرة ، والآلاء الظاهرة ، الذى لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه ، ولا يدفع قضاؤه ولا أمره ، (**وإنما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون**) والحمد لله الذى خلق الخلق بعلمه ، ودبر الأمور بحكمه ، وأنفذ فيما اختار واصطفى منها عزمه • بقدرة منه عليها ، وملكة منه لها ، لا معقب لحكمه ، ولا شريك له فى شيء من الأمور ، يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان للناس الخيرة فى شيء من أمورهم ، سبحان الله وتعالى عما يشركون •

والحمد لله الذى جعل صفوة ما اختار من الأمور دينه الذى ارتضى لنفسه ولمن أراد كرامته من عباده ، فقام به ملائكته المقربون ، يعظمون جلاله ، ويقدسون أسماءه ، ويذكرون آلاءه ، لايستحسرون عن عبادته ولا يستكبرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وقام به من اختـار من أنبيائه وخلفائه وأوليائه فى أرضـه ، يطيعون أمره ، ويذبون عن محارمه ، ويصدقون بوعده ، ويوفون بعهده ، ويأخذون بحقه ، ويجاهدون عدوه ، وكان لهم عند ما وعدهم من تصديقه قولهم وافلاجه حجتهم ، واعزازه دينهم ، واظهاره حقهم ، وتمكينه لهم ، وكان لعدوه وعدوهم عندما أوعدهم من خزيه ، واحلاله بأسهم ، وانتقامه منهم ، وغضبه عليهم ، مضى على ذلك أمـره ، ونفذ فيه قضاؤه فيما مضى ، وهو ممضيه ومنفذه على ذلك فيما بقى ، ليتم نوره ولو كره الكافرون ، وليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون •

والحمد لله الذى لا يقضى فى الأمـور ولا يدبرها غيره ، ابتدأها بعلمـه ، وأمضاها بقدرته ، وهو وليها ومنتهاها ، وولى الخير فيها ، والامضاء لما أحب أن يمضى منها ، يخلق ما يشـاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعـالى عما يشركون •

والحمد لله الفتاح العليم ، العزيز الحكيم ، ذى المن والطول ، والقدرة والحول ، الذى لا ممسك لما فتح لأوليائه من رحمته ، ولا دافع لما أنزل بأعدائه من نقمته ، ولا راد لأمره فى ذلك وقضائه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ٠

والحمد لله المثيب بحمده ومنه ابتداؤه ، والمنعم بشكره وعليه جزاؤه ، والمثنى بالايمان وهو عطاؤه ٠

لآخر

الحمد لله الذى يتطول بالنعم مبتدئا ، ويعطى الخير من يشاء ويثيب عليه ٠

تحميد لغسان بن عبد الحميد

كاتب جعفر بن سليمان فى المطر :

الحمد لله الذى نشر رحمته فى بلاده ، وبسط سعته على عباده ، الذى لا يزال العباد منه فى رزق يقتسمونه ، وفضل ينتظرونه ، لا ينقضه ما قبله ، ولا ينقضى ما بعده ٠

لأحمد بن يوسف فى فتح السند

الحمد لله ولى الحمد ، وأهل الثناء والمجد ، خالق الخلق ، ومدبر الأمر ، المسبغ على عباده والموجب عليهم حجته ، فليسوا يرجون الا سعة فضله ، ولا يحذرون الا ما اجترحوا من معصيته ، لما سبق من جزيل احسانه ، وتظاهر من امتنانه ، وتقدم به الاعذار والانذار اللذان لا يستخف بما عظم منهما الا من استحوذ عليه الشيطان ، واستولى عليه الخذلان ، وقاده الحين الى موارد الهلكة ٠

التحميد الثانى

الحمد لله الذى اصطفى الاسلام دينا فطهره وأسناه ، وأظهره وأعلاه ، وزينه بكل حسنة ، ونفى عنه كل سيئة ، وجعله الى مذخور كرامته سببا واصلا ، وسبيلا نهجا ، وبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ليهدى من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ٠

تقريظه في الخليفة

الحمد لله الذي اصطفى أمير المؤمنين لخلافته ، وتلافى الأمة بسلطانه ، فجعله القائم فيهم بقسطه ، والمستفرغ في التماس مصلحتهم همه .

لأحمد بن يوسف

عن ذي الرياستين الى ابراهيم بن اسماعيل بن داود صدر فتح :

أما بعد ، فالحمد الله الذي حفظ من دينه ما ضيع الملحدون ، ورأب منه ما [فرقته] (١) الصدعة ، وأعاد من حبله ما حاولوا نقضه ، حتى أعاد لعباده أحسن ألفتهم ، ورد اليهم أجمل عودهم ، من الاستشلاء بعد التردي في قحم المعاطب ، والاستنقاذ بعد التوريط في المهالك ، وبلغ خليفته القائم بحقه ، المؤتم بكتابه ، الذائد عن حريم الدين ، وميراث النبيين ، أجزل ما بلغ للخلفاء الراشدين المهديين ، من اعلاء الكلمة ، وغلبة الأعداء ، والفوز بالعاقبة التي وعدها المتقين ، وفرغه لما أشعر قلبه ، وشرح له صدره ، من امضاء حكم الفرائض الموجبة ، واقتفاء السنن البادية ، حيث سلك به دن المناهج ، حمدا يوازي نعمه ، ويبلغ أداء شكره ، ويوجب مزيده .

والحمد لله على ما خصنا به من اعلاء الدرجة ، واسناء الرتبة ، في مشايعة أمير المؤمنين ـ أيده الله ـ والمجاهدة عن حقه ، والوفاء لله بما عقده له ، لانريد بما كان منا الا وجهه ، ولا نسعى فيه الا لرضاه ، حمدا لايحصى عدده ، ولا ينقطع أمده .

تحميد لأبي عبيد الله

أما بعد ، فالحمد لله ذي الآلاء والقدرة ، والطول والعزة ، الذي اصطفى الاسلام دينا لنفسه ، وملائكته وأنبيائه ومن كرم عليه من خلقه ، فبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم اختصاصا له في ذلك بكراماته ، واصطفاه له به على عباده ، فأعزه ومنعه ، وكفاه وحاطه ، وتوكل لأهله بالعلم والتمكين ، والظهور والتأييد ، فلم يلحد فيه ملحد ، ولم يزغ عن قبول حقه زائغ ، بعد اعذار الله اليه ، واعادة الحجة لله عليه ، الا أنزل به من الذل والصغار والاجتياح والاستئصال ما يجعل له فيه قمعا ، حمدا كثيرا دائما مرضيا له ، مؤمنا من غيره ، موجبا لأفضل مزيد ثوابه .

---

(١) بياض في الأصل . وما اثبتناه يناسب المقام .

تحميد لسعيد بن حميد فى فتح

اما بعد ، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته . والقادر فلا يعارض في قدرته ، والعزيز فلا يغالب في أمره ، والحكم العدل فلا يرد حكمه ، والناصر فلا يكون نصره الا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن سلطانه ، والهادى الى سبيل رحمته فلا يضل من انقاد لطاعته ، والمقدم اعذاره ليظاهر به حجته ، الذى جعل دينه لعباده رحمة ، وخلافته عصمة ، وطاعة خلفائه فرضا واجبا على كافة الأمم ، فهم المستحفظون فى أرضه على ما بعث به رسله ، وأمناؤه على خلقه فيما دعاهم اليه من دينه ، والحاملون لهم على مناهج حقه ، لئلا تشعب بهم الطرق المخالفة لسبيله ، والهادون لهم الى صراطه ليجمعهم على الجادة التى ندب اليها عباده ، بهم حمى الدين من البغاة الطاغين ، وحفظت معالم الحق من الغواة المخالفين ، محتجين على الأمم بكتاب الله عز وجل الذى استعملهم به ، ورعاة للأمر بحق الله الذى اختارهم له ، ان جادلوا كانت حجة الله معهم ، وان حاربوا فالنصر لهم ، وان جاهدوا كان من طاعة الله نصرهم ، وان بغاهم عدو كانت نكاية الله حائلة دونهم ، ومعقلا لهم ، وان كادهم كائد فالله فى عونهم ، نصبهم الله لاعزاز دينه ، فمن عاداهم فانما عادى الذين عز بهم وحرس بهم حقه ، ومن ناوأهم فانما طعن على الحق الذى تكلؤه حراستهم ، جيوشهم بالرعب منصورة ، وكتائبهم بسلطان الله من عدوهم محوطة ، وأيديهم بذبها عن دين الله عالية ، وأشياعهم بتناصرهم غالبة ، وأحزاب أعدائهم ببغيهم مقموعة ، وحجتهم عند الله وخلقه داحضة ، ورسائلهم الى النصر مردودة ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره باسلامهم الى أوليائه جارية ، وعادته فيهم وفى الأمم السالفة والقرون الخالية ماضية ، ليكون أهل الحق على ثقة من انجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوجين بما قدم اليهم من الانذار ، معجلة لهم نقمة الله بأيدى أوليائه ، معدا لهم العذاب عند ردهم اليه خزيا موصولا بتواصيهم فى دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد . وصلى الله على محمد أمينه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، والمنقذ من الضلالة والعمى ، صلاة نامية بركاتها ، دائما اتصالها ، وسلم تسليما .

والحمد لله تواضعا لعظمته ، والحمد لله اقرارا بربوبيته ، والحمد لله اعترافا بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته .

فيما يقرظ به الخليفة

والحمد لله الذى حاز لأمير المؤمنين وراثته ، وساق اليه خلافته ، بالحاجة منها اليه ، والرغبة منه عنها ، واستخلص من خلقه من جعله ظهيرا للحوادث ، وعدة

للنوازل ، فلما أفضت الخلافة اليه حسر أمامه أحاجلته (١) ، وكشف قناعه لمحاربته ، فالحمد لله الذى اختص أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لولاية أمر أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والقيام بحقه ، والذب عن حرماته ، وحاط له ما استرعاه من ذلك ، وقلده بحسن الولاية الكفاية ، وتوكل له بالحفظ والتأييد ، والنصر والغلبة والظهور على من عند عن طاعته ، وصدف عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، كرامة من الله تطول بها عليه ، ومنة منه توحد بها له ٠

والحمد لله الذى جعل نية أمير المؤمنين عزيمته ، وفكره ورويته ، منذ أفضى الله بالخلافة اليه ، وجعله القائم بارث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واستحفظه من عباده وبلاده فيما فيه عز الدين ، ونظام أمر المسلمين وترهين الشكر ، واذلال الأعداء ، واشجاؤهم ووقمهم ، وتحصين البيضة ، واشحان الثغور ، ولم المنتشر ، وضم الأطراف ، لا يفثأه عن ذلك فاثىء ، ولا يذهله عن تفقد كبير أمره وصغيره ومقابلته ذاهل ، يستقل كثير ما ينفق من الأموال فى سد الثغور ، وتحصينها وحراستها ، لما يرجو فيه من جسيم الحظ ، وجزيل الذخر ، وكثير الأجر ، تقربا الى الله واحتسابا له فى جنب ثوابه ، وكريم مآبه ، حتى رأب به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبل ، وأقام به العوج ، وأفلج به الحجج ، وأعلى به الدرج ، وأزهق به الباطل ، وأحيا به الحق ، وأشام به سيوف أهل الضلالة والفتنة ، لا تأخذه فى القيام بحق الله والانتصار لدينه ، والانتصاح لأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والذب عن حوزتهم ، والرمى من ورائهم ، ودفع بائقة أهل الشقاق والنفاق والخلاف والمعصية عنهم فترة ولا سآمة ، توفيقا من الله ، وتسديدا لحرمته ، وتاييدا لعزمه ، اذ كان لله شاكرا ، ولدينه ناصرا ، وبحقه قائما ، وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله وحده ، عليه يتوكل وعليه يتوكل المتوكلون ٠

والحمد لله الذى لم يزل منذ أفضى الى أمير المؤمنين بخلافته ، وحياه بكرامته ، يختصه بالخيرة فى كل ما أمضى من أمره ، ويتولاه بالتوفيق فى كل ما أبرم من تدبيره ، ويحمل عنه أعباء ما حمله ، ويعينه بتأييده على ما قلده ، ويحوطه بجميل الصنع فيما ولاه واستحفظه ، ويلهمه جهاد عدوه ، ويحبوه بنصره ، حمدا قاضيا لحق نعمته ، موجبا أفضل مزيده ٠

والحمد لله الذى أورث أمير المؤمنين مواريث نبوته ، وصير اليه مقاليد خلافته ، وأوجب ذلك له بالقرابة برسوله صلى الله عليه وسلم ، والوراثة لوراثته من عصبته وأولى الناس به ، ثم أعز نصره ، وأعلى كلمته ، وأفلج حجته ، وأظهره على المشركين

(١) هكذا وردت فى الأصل ٠ ولم نوفق الى تحقيقها ٠

والمنافقين ، ومن حاده وعانده من الناكثين والمارقين ، والباغين والملحدين ، فأتعس جدودهم وفعل وفعل .

والحمد لله الذى عرف أمير المؤمنين منذ استخلفه فى أرضه ، وائتمنه على خلقه ، من عظيم نعمه ، ولطيف صنعه ، وجميل بلائه ، واعزاز نصره ، واعلاء يده وكلمته ، وأفلاج حجته على من ضاده وحاده ، ان الله بعظيم طوله ومنه ارتضى أمير المؤمنين لدينه ، واصطنعه لخلافته ، فحلاه سربالها ، ورده بهاءها وجمالها ، فاستعمله بالكتاب والسنة والحق والعدل فيها ، فأيده بقوته ، وأعزه بنصره ، وحاطه بكفايته ، وتولى الصنع له فى جميع أموره ، فلم يكده كائد ، ويعانده معاند ، ويمرق عن طاعته الواجبة مارق ، ويلحد فى امامته ملحد ، ممن يعالن بمعصية وشـــقاق ، أو ينطوى على غل ونفاق ، الا أوهن الله كيده ، وأتعس جده ، وعاجل المبادىء بعداوته ، الشاهر على الدين والمسلمين سيفه ، باصطلام وبوار ، وأمكن منه بذلة وصـــغار ، وقتل المسر غيره ، المنطوى على غله بغيظه وغمه ، وأماته بدائه وحسرته ، انجازا منه جل ثناؤه لوعده ، واتماما لكلمته فيما وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من استخلافهم فى أرضه ، والتمكين فى دينه ، وله الحمد دائما ، والشكر خالصا ، كما هو أهله وكما ينبغى أن يحمد ويشكر ، لا اله الا هو الواحد القهار .

والحمد لله الذى لم يبق لأمير المؤمنين عدوا من الناكثين والجاحدين ، والمشركين والمنافقين ، حاول نقضا لامامته التى صيرها الله اليه ، وقلده اياها ، أو صاول جيشا من جيوشه التى أعدها للمحاماة عن دين الله ومحـــارمه ، واقامة ســـنته ومعـــالمه ، الا أحل به النقمة ، وأصـــاره الى الصغار والذلة ، والبـــوار والهلكة ، وعجله الى ناره وعذابه .

والحمد لله الذى لم يزل يتولى امير المؤمنين بحياطته ، ويتوحد له من أعزاز نصره واعلاء كلمته ، وافلاج حجته ، وتاييد أوليـــائه وانصار حقه ، وأنزل البأس والنقمة والمثلات والسطوة بمن عانده ، والذب عن حريم المسلمين وأهله ، بما يبين به عن مكانه منه ، ومنزلته عنده ، حميدا ربنا بذلك كما هو أهله ومستحقه ، مشكورا بعظم منه فيه وطوله ، مسئولا لتمام أحسن عائدته وماضى سنته ، فان الله المحمود على نعمه ، المشكور بآلائه ، لم يزل ما يتوحد به لأمير المؤمنين بسلطانه من التعزيز ، وفى أوليائه من التأييد بنصره ، عادة يتبين بها برهانه ، ويفلج بها حجته ، ويدل بها على كرامته عليه ، ويخبر بها عن منزلته عنده ، ويجعل ما نزل بأعدائه المتولين عنه ، الراغبين الى غيره ، الملحدين فى حقه ، عظة لمن قسا قلبه ، وران عليه سوء عمله ، ليكون مايعطيه من البسط فى ملكه ، والتمهيد فيما خوله له ، ويوفقه من السطوة بعدوه ، والتنكيل

بمن خالفه ، حجتين متظاهرتين ، وعبرتين نعس (١) . فيعتصم معتصم ، وينجو ناج ، وليشجب [شاجب] (٢) ويهلك هالك ، وقد مضت من الله المشيئة ، ووضح منه الاعذار ، وكان الله بعباده عليما ، وبأعمالهم خبيرا .

والحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بخلافته : وجعله وارث وحيه ، وقيمه بكتابه فى عباده ، وأكرم هذه الأمة التى جعلها خير أمة أخرجت للناس به ، فهو الميمون فى تدبيره المنجح حويله ، الميمون النقيبة ، الموفق الرأى والسياسة ، فان الله عز وجل خالق الخلائق بقدرته ، واختارهم بعلمه ، فاختار أمير المؤمنين لخلافته ، واصطنعه للقيام فى العباد والبلاد بأمره وقسطه ، وألهمه اقامة أحكامه وفرائضه ، والعمل بحقه وعدله ، وأبلى أهل الشرك به ، وأخرها الى أيام دولته ، وحظرها عمن كان قبله ، حتى حاز له أجرها ، وأبقى له سناءها وذكرها ، ونشر عنه أحدوثتها وسماعها ، وفتح عليه البلدان القاصية ، والمدائن المتنائية ، التى لم تكن ترام من أهلها ، ولا يطمع فى زوالها ، وذلت له الملوك القديم عتوها وعنادها ، والأمم المستصعب مراسها وجهادها ، الحامية فى آباد الدهور حماها ، فأنفذ فيهم مكيدته ، وأنجح سعيه ، ورماهم بالتخويف ، وملأ قلوبهم رعبا منه ، فأذعن مذعنوهم بطاعته ، وانقادوا لأمره ، وصاروا يدا وأعوانا لأوليائه على أعدائه .

أما بعد ، فان أعظم النعم قدرا ، وأجلها أمرا ، وأسرها موقعا ، وأوجبها شكرا ، ما عم الاسلام والمسلمين نفعها ، وعادت عليهم عائدتها ، وجعل الله فيه عز الدين ، وذل المشركين ، وقد جعل الله ذلك فى خلافة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بيمنه وبركاته ، وما أخلص الله من نيته وطاعته ، وتأدية حقه فيما استحفظ من أمر دينه وعباده ، وفرغ له نفسه ، وأنصب فيه بدنه ، وأسهر فيه ليله ، من حياطة حريم الاسلام ، والزيادة فى حدودها متصلا متتابعا ، والنعم متاظرة ومتوافرة ، فسهل الصعب ، وذلل له العزيز ، وقصم عتاة الأعداء ومتكبريهم ، والمستعصين منهم ، فى آباد الدهور على من رامهم ، وفتح عليهم حصون مدائنهم ، وممتنع قلاعهم ، وأنفذ مكيدته فيهم ، فبين مقتول ومأسور ، وشريد طريد عن محلته ، وموضع عزه ومنعته ، مستسلم معط قياده باخع بطاعته ، وكذا فان الله بمنه وطوله قد أوصل لأمير المؤمنين من صنعه له فيما قلده من خلافته ، وحياطته اياها فيما يحوطه من دينه ، وعرفه من كفايته فيما قام به من حقه ، وأيده من نصره فيما جاهد عنه فى سبيله ، ما قد جعل النعمة به عامة ، والشكر به لازما ، والمنة به واجبة ، والصنع عظيما ، فالحمد لله على نعمه فى ذلك كثيرا .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها بالفتين .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها وليشجب .

والحمد لله الذى جعل اجتهاد أمير المؤمنين ومقام أمره وتدبيره ، فى آناء الليل ونهاره ، فيما فيه صلاح عباده ، واعزاز دينه واقامة حقه ٠

تحميـــــد

الحمد لله الذى لما افترض من الطاعة لولاة الأمر من خلفائه جعل أوائلها ناطقة عن فضل أواخرها ، وبوادئها مخبرة عن حميد عواقبها ، ومواردها مبشرة بالعلو فى مصادرها ، بما يعقبه أهلهــا من السعادة فى الماضـين من أوليائها القائمين بحقها ، وعاد من الشقوة على مقارفى المعصية الملحدين اليها ، حين أقبلت بهم هوادى الفتن ، وكشفت لهم تواليها عن البوار والهلكة ، معتذرين حين لا عذر ولا حجـــة ، طالبين للمهارب بعد أن كانت منازل السلامة بهم مطمئنة ، وخائفين وقد كانت سبل الأمن لهم واضحة ، قد جعلتهم النقمة الواقعة بهم أمثالا سائرة ، وفرقت بينهـــم وبين النعم الشاملة ، وحصلت السعادة لمن اتعظ بهم باقية ، سنة من الله فيهم ماضية ، وعادة جارية ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ٠

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لخلافته فحرس به دينه من البغاة الناكلين عنه ، واختصه باعلاء رتب كرامته ، وافترض طاعته على عبــاده ، وجعلها بمواقعها فى دينه نظـاما لسائر فرائضه ، فتاركها مفارق لعصمة حقه ، خارج من جملة الأمة التى سبقت لها رحمته ، يستنصر أشياع الباطل والله خـــاذله ، ويغالب الحق والله غالبه ، ويطلب ما لا سبيل له اليه والله طالبه ، حتى يخلجه أجله عن أمله ، وأقدار الله فيه عن تقديره ، ونفوذ قضاء الله فيه عن نفوذ حيله ، فضلا من الله على أوليائه وقضاء منه عدلا فى أعدائه ، والله ذو الفضل العظيم ٠

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لرعاية عبـــاده ، وحفظ بلاده ، وتنفيذ أحكامه ، واقامة حدوده ، فجمع به الألفة ، وكف به بوائق الفتنة ، وأصلح به أمور الأمة ، وسكن به الدهماء ، ودفع به عظيم البلاء ، وأنقذ به من الجهد واللأواء ، وجدد لرعيته العبر الشافية ، والعظة الناهية ، وجعل همه السعى لربه ، وطلب الحق الذى أوجبه له من خلافته ، ليؤدى فرضــه فى الأمانة التى حملهــا ، فيوجب له بذلك ما لا يزول ولا ينقطع من ثوابه ، فأعمــل رأيه فى الرأفة بمن ولاه أمــره ، والحياطة له ، والعناية بصلاحهم ، فأعطاه لين الموعظـــة فى وقت التانى ، والنفـوذ لاقامة الحجة والبينة ، وشدة السطوة على من غمط النعمة وعند به الاصرار عن النزوع والفيئة ، منا من الله وتفضلا ، واحسانا وتطولا ، والله ذو فضل عظيم ٠

ويسال الله أمير المؤمنين مبتدئا ومعقبا ، وأولا وآخرا ، وقبل كل مسألة ، وأمام كل رغبة ، ومقدمة كل طلبة ، أن يصلى على صفوته من عباده ، وخيرته وخاتم أنبيائه

ورسله ، محمد عبده ورسوله ، أفضل صلواته ، ويبارك أكثر بركاته ، وأن يديم له كرامته ، ويجرى عنده أجمل عاداته ، ويتمم له ما اختص به من احسانه . حتى يملأ الأرض عدلا وقسطا ، والاسلام تأييدا وعزا ، والشرك ذلا وقمعا ، انه ولى كل نعمة ، ومنتهى كل رغبة ، وغاية كل حاجة .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ الوقت الذى أفضى الله اليه بخلافته ، وأكرمه برد حقه من ارث نبوته ، يتلقى عظيم النعمة فى ذلك بالاخلاص للنية والطوية فى الصفح عن كل زلة ، والاقالة لكل عثرة ، والتعمد للهفوة وقبول الفيئة ، والانابة ممن عظم جرمه وجل ذنبه ، وظن أن لا توبة له ، وكلما جدد الله له نعمة ، جدد له فى ذلك نية حسنة، شكرا لله عز وجل على ما ابتدأه به ، وارتهانا لنعمه عنده ، والاستزادة من جزيل مواهبه ، وتقديم الاهتمام بما فيه صلاح رعيته ، واستقامة أمورها ، وحياطتها والذب عنها ، وكف الأذى والمكروه عن الدانى والقاصى منها ، ويتخلص الى ذلك بكل ما يجد اليه السبيل ويجتهد فيه ، ويعمل لكثرة أوقات دهره فى كل ما بلغه محبته نظرا لها ، وحدبا على كافتها ، واشفاقا من سوء حالها ، اذ كان لها والدا برا ، وراعيا كالئا ، وناظرا لطيفا ، ويستعمل كل ما يرجو ائتلافها ، والابقاء على أحوالها ، والسلامة لها فى دينها ودنياها ، وينصب لذلك ليله ونهاره ، ويذيب فيه نفسه ، ويجعله شغله دون غيره .

والحمد لله الذى اصطفى أمير المؤمنين بخلافته ، وأكرمه بارث نبوته ، وجعل خلافته خلافة يمن وبركة ، ولطف وسعادة ، انتاش بها أولياءه من موارد الهلكة فرفع منزلتهم ، وشرف درجتهم ، وأعلى كلمتهم ، وأذل بها أعداءهم ، وجذ دوابرهم ، ورد دائرة السوء عليهم ، وحباه مزية نصره وتمكينه ، واعزازه وتأييده ، واظهاره على من ناوأه وعند عن حقه ، وصدف عن طاعته ، فان الله لما اختار أمير المؤمنين لخلافته فأيده بها ، جعل الحق نيته ، واعزاز الدين بغيته ، ومجاهدة أعداء الله شرقا وغربا وبرا وبحرا نهمته وارادته ، ثم يسره فى ذلك لما أحسن به عونه ، على من استحفظه وقلده ، فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .

والحمد لله الذى كان لسابق علمه وسالف قضائه ، الذى لايستطيع الناس رده ، ولا منعه ولا صرفه ، ما ولى أمير المؤمنين من خلافته ، وما ابتعثه له من النصر لدينه ، والطلب لحقه ، والجهاد لأعدائه ، وأحسن فى ذلك عونه فيه وبلاءه ، وأيده فى نفسه ، لم ينقصه خذلان خاذل ، ولا مخالفة من خالف ، ولم يزد أمره فى شىء من ذلك الا تماما واحكاما ، حتى أظهر حقه ، وأفلج حجته ، ومحق باطل أعدائه ، وأدحض حججهم ، وجعل أهل طاعته حزبه الغالبين ، وجنده المنصورين ، وجعل عدوه وعدوكم حزب الشيطان الخاسرين ، وأولياءه الأذلين ، بغير حول من أمير المؤمنين فى شىء مما ولاه وأبلاه ، ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

لأبي عبيد الله

والحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بما أصار اليه من الخلافة وارث النبوة ، وجعله القائم بأمر عباده وبلاده ، والمحيي لسنته ، والذاب عن دينه وحقه ، والمناصب لأهل الشرك والجحود به ، ثم نصره وأظهر فضل أيامه ودولته ، ولكن له فى بلاد عدوه ، وجعل كلمته العليا وأنصاره الغالبين ، ومن ناوأه من أهل الخلاف الأذلين المقهورين ، وعرفه من نعمته فى ذلك ومنته وجميل صنعه وعاداته ، أحسن ما عود أحدا من أوليائه الذابين عن الاسلام وأهله ، حمدا متتابعا لا انقطاع له ولا انصرام ، دون بلوغ حقه ، وقد كان كذا وكذا .

ما يكتب به فى المخالفين فى وقت الهزيمة

نكصوا على أدبارهم منكوبين مهزومين ، قد ضرب الله وجوههم ، وفت فى أعضادهم ، ومنح الأولياء أكتافهم ، فقتلوهم فى كل فج ، وعلى رأس كل تلعة ومهرب ومسلك ، أباد الله خضراءهم وغضراءهم ، وخضد شوكتهم ، وفل حدهم ، وأباخ (١) نيران ضلالتهم وكفرهم ، وشفى منهم الصدور ، وأدرك منهم الاحن ، ونفل المسلمين أموالهم وذراريهم ، وجعلهم لهم خولا وعبيدا ، وأرثهم أرضهم وديارهم ، وأحل الله بهم من البأس والنقمة والجائحة والظهور والغلبة جزاء من الله لمن أخلد الى المعصية وابتغى غير سبيله المسلوكة . وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، ان الله لا يخلف الميعاد . ثم أنزل الله عز وجل من صار الى الأمصار منهم هربا ، واعتصم بالحصون ، وتعوذ بالجبال ، ولاذ بالقلاع ، ولجأ الى الأودية ، من صياصيهم ، وأمكن من نواصيهم ، واستخرجهم من أوزارهم ومعاقلهم ومتعوذهم ، وأخذ أسيرا ذليلا منكوبا خائفا قد نخب الوجل قلبه وملأ الرعب صدره ، متوقعا أن ينزل الله به من النقمات والمثلات ما لا مرد له عن مثله من القوم الظالمين ، وفشت فى الكثرة الجراحات ، وعضتهم السيوف ، وشرعت فيهم القنا ، وهزتهم نار الحرب ، وغالهم النزال ، ومارسهم الأبطال ، واستحر فيهم القتل ، فصبر لهم الأولياء أحسن صبر ، فلم يطيقوا بالموت مراما ولا على الحرب مقاما .

فى صفة الخالعين

الناصبين لدين الله ، المكذبين بآياته ، الجاحدين رسله ، الجاعلين معه الها ، لا اله الا هو ، لطول مدتهم ، وشدة شوكتهم ، وصعوبة مرامهم ، وقطعهم السبل

---

(١) اباخ النار : أطفأها .

وانتهاكهم المحارم وسفكهم الدماء التي أوجب الله على من سفكها بغير حلها واقترف واحتمل وزرها ، أليم العذاب وشديد العقاب ، فأبوا الا تماديا في ضلالتهم ، وعتوا في طغيانهم ، وثبوتا على عصيانهم ، ومقاما على كفرهم ، لأحداثه السالفة ، وغوائله المتقدمة ، وبوائقه المشجية ، فوقف مميلا بين تكل التقـــدم وحقيقة الاصـــطلام في التأخر ، دعاهم الى الفيئة والمراجعة والانابة وقبول الأمان والدخول في الطـــاعة ، استظهارا بالحجة عليهم ، ورجاء لصنع الله فيهم • فلما بلغهم نزولي فيمن معي ، جمع أصحابه ، وضم جنده ، وتحرز في معسكره ، وخندق على منزله ، واحترس بجهده ، فاقمت معسكري ، وأنا مع ذلك في كل يوم أوجه رسلي وأدعوه الى حظه ، من طاعة أمير المؤمنين والدخول في أمانه ، وأعلمه أن له نظراء ممن غمط الطاعة ، وســـقه الجماعة ، وقد ركضوا في الفتنـــة عمرهم وسعوا فيـــه دهرهم ، فانتشر خبرهم ، وكثر تبعهم ، وكبر وزرهم ، وثقل وقرهم ، ثم أذعنــــوا لطاعتهـــم ، واســـتقلوا ناهضين من عثرتهم ، ومنتعشين من زلتهم ، فغفرت ذنوبهم ، وقبلت توبتهم ، وفسح لهم في أمانهم ، وشرفت منزلتهم ، واستبدلوا بالخوف أمنا وبالذل عزا ، فأبى به ميل الهوى ، وغلبة الشـــقوة ، ومستعلى الغواية ، والقدر المحارب ، والقضاء المحتوم • وتقدمت في موافقتهم وترغيبهم ، والأخذ بالمخنق منهم ، من غير قتال ، ولا تنـــاول سلاح ، ولا تناوش صيال (١) ، وعرضت عليهم التوبة ، ودعوتهم الى الانابة ، وأعطيتهم الأمان ، وأعلمتهم أنهم ان قبلوا حمدتهم وأخمدت نار الحرب بيني وبينهم ، وان أبوا الا تماديا في غيهم ونكوصا على شقائهم ، وليت مناجزتهم وعرفت من الله الخيرة في محاربتهم ، واستعنته عليهم واستكفيته أمرهم ، ورجوت حسن عادته عند أمير المؤمنين في أمثالهم • ثم وجهت الأولياء فنفذوا نحو عسكرهم ليلا وهم متفرقون في رحالهم ، مغترون في أوطانهم ، قد أمنوا خدع الحروب ومكرها ومكيدتها ، ووقعـــة البيـــات وهولها ، الا طائفة منهم أهل عدد وعدة ، وبأس في أنفسهم وقوة ، اتخذوا الليـــل جملا ، وسروا نحونا يرجون غرتنا ويأملون غفلنا ، فوقف جندنا بمكانهم آخــذين أهبتهم ، متمسكين بالطاعة فيما به امرتهم ، فأسرعت اليهم من أعدائهم طائفة فدفعوهم عن أنفسهم ، ونالوهم بجراحات مع قتلى منهم عند تناوشهم ، ثم نكصوا على أدبارهم ، ورجعوا القهقرى على أعقابهم الى الباقين من سريتهم ، فاستجاشوهم فأجاشوهم بالمكانفة والمؤازرة ، وأقبلوا بحميتهم وحنقهم حتى حملوا حملة رجل واحد ، وضاق الفضاء وطارت أفئدة جندنا رعبا من حملتهم ، وبلغت القلوب الحناجر منهم ، الا طائفة قليلة من لواقح الحرب ومواضي رواسخها وأشبال لبدتها ، تزينـــوا بالطاعة فأموا حسن العاقبة ، ونصروا الدين ، فوثقوا بالتمكين ، وانتدبوا اليهم ، ووقفوا لهم ، وازدادوا بصيرة في أمرهم ، ونفاذا وجدا في اجتهادهم ومجاهدتهم ، فثبتوا قائمين بالقسط في أحوالهم ، قائلين بالعدل في أملائهم ، يسألونهم الكرة بعد الكرة ، ويعدونهم الغلبة ،

---

(١) الصيال مصدر صال على قرنه : سطا عليه •

ويمنونهم السلامة ، ويضمنون لهم الغنيمة ، ففاءوا اليهم ، ورجعوا الى الحق لله عز وجل عليهم ، نشافعوا ساعة بالقنى بعد تراميهم ارشاقا بالسهام . فلما رأى أعداء الله جدهم ، وعرفوا صدقهم ، وخافوا حدهم ، نكصوا على أعقابهم ، يريدون اللحاق بمعسكرهم ، وتحرك أصحابنا في طلبهم ، ورجوا سوء الصباح لهم ، فأمعنوا في أثرهم ، فلما أحسوا الفساق أعطوهم الضمة وولوا الى ديارهم لا يلوى قريب على قريب ، ولا ذو رحم على حبيب ، ونالتهم القنى فدسرتهم ، وعضت هامهم السيوف فكلمتهم ، وحيل بينهم وبين الدخول من باب عسكرهم ، فأخذوا في غير طريقه منهزمين . قد فل الله حدهم ، وقلل كثرتهم ، وقتل عامتهم ، ورجع أصحابنا الى معسكر أعدائهم بعد التشريد والتفريق بجماعتهم ، فأحاطوا بهم في آخر ليلتهم ، فلما رأوا غفلتهم ، وأمنوا غرتهم ، وانتهزوا مكان الفرصة منهم أحاطوا بهم وهم نائمون ، قارون غافلون متفرقون ، فوضعوا السلاح فيهم ، ضربا بالسيوف ، وطعنا بالرماح ، وضربا بالأعمده ، وذبحا بالشفار ، لا يشوون من جرحوا ، ولا يبقون من كلموا ، غير مدفوعين ولا ممنوعين ، حتى انثنت السيوف ، وتحطمت القنى واندقت الأعمدة ، وكلت الشفار ، وبقيت منهم عدة يسيرة وشرذمة قليلة ممن لم ينله القتل ، فأخذوا أسرى ، وأوثقوا حديدا ، وكبلوا قيودا ، وكان أول رأس أتاني بخبره (١) بشيرهم وأسرع به الى ذو المعرفة منهم رأس (٢) عدو الله المارق الباغي ، الشاق لعصا المسلمين ، ملأني رئيس ضلالتهم ، وقائد جهالتهم ، ومستغوى جماعتهم ، فعرفته بحليته ونعته وصفته في عدد كثير من رءوس قواده وأهل الفتنة وأئمة البدعة ، فلم يلبثوا الا ريثما تصدعوا في كل جبل وخمر ، منهزمين هاربين ، لا يستطيعون لما أتاهم من عذاب الله دفعا ولا منعا بأيد ولا قوة ، ولا يلجئون الى ركن وعصمة ، قد تشتت بهم نظامهم ، وفارقهم وجوههم وأعلامهم ، فأخذهم أسرا قسرا قد منهم النصب ، وملأ قلوبهم الرعب وتخرمتهم الوقائع ، ونخبتهم الهزائم ، وتحيفهم القتل ، وغلب الله عز وجل لأمير المؤمنين على حصنه الذى كان مناف عزه ، وموضع منعته في نفسه ، ومجتمع عدته ، ومادة قوته ، فقوضوا عساكرهم ، وأقشعوا عن حصنهم يتبع آخرهم وأولهم ، متحيرين متلددين ، أذلة خاسرين ، فتفرقوا لا نظام لهم ولا جامع لشتاتهم . فلما استحر القتل فيهم ، وفشت الجراحات في عامتهم ، وطحنتهم الحرب بكلكلها ، وألموا وقع حديد أنيابهم ومساعرها ، قذف الله الرعب في قلوبهم وزلزل بهم أقدامهم ، فولوا منهزمين مغلولين ، وركب المسلمون أكتافهم ، يقتلونهم في رءوس جبالهم ، وخلال غياضهم ، وبطون أوديتهم ، ومقاصي تلاعهم ، وفي كل ناحية من نواحيهم ، حتى عجز الليل دونهم ، وأعجزوهم هربا في معاقلهم .

(١) في الأصل : « يخبرهم » .

(٢) في الأصل « برأس عدو الله » .

وفي العصـــاة

حتى اذا ظن أن قد عز بضلاله ، وتحصن بمعاقله ، واستكمل قواه ، وكثف تدبيره ، ولجأ الى مانع منه ودافع عنه ، عطفت عليـــه عواطف الحق بأولياء الحق وأنصاره ، ناقضين ما أبرم ، ومتداولين ما سد ، ومتوغلين الى غيه ببصائرهم ، والى باطله بحقهم ، فاستنزل عن موضع عزه قسرا ، وأمكن الله أولياءه أسرا ، سنة الله فيمن عند عن سبيله ، وألحد فى دينه ، ومرق عن الطـاعة وثائقهـا ، واسـتبدل بالحق ومنهاجه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، ولن تجد من دونه ملتحدا ولا نصيرا ، حتى اذا نراءى الجمعان تبرأ الشيطان من حزبه ، وأرهق الله باطلهم بحقه ، وجعل الفلج والظفر لأولى الحزبين به ، بذلك جرت سنة الله فى الماضين من خلقه ، وذلك ما وعد من تمسك بأمره وطاعته ·

وفي مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم

لما بلا من طاعته ، واختبر من نصيحته ، ويمن نقيبته ، وشدة شكيمته ، وصحه عزيمته ، وصدق نيته ، وثقل وطأته على أعداء الله وأعداء الدين والمسلمين ، وعلمه بمراوضة الحرب وممارستها ، ومكايدة الأعداء ومواقفتهم فيها ، فشمر تشمير أهل الحسبة وحسن الظن بالله من غير ونية ولا فترة ولا بقاء جد ولا اجتهاد ، راجيا أن ينجح الله سعيه ، ويفلج حجتـه ، ويظهـره على عدوه من الاسـتقلال الذى حمله ، والاضطلاع بما أسند اليه ، والامتثال لسيرته ، والانتهاء الى أمـره ، والقبول لأدبه ، والخفوف بما يستنهضه له من حروبه وأموره مثل الذى جعل عند فلان : يفضلهم بطوله ، ويطولهم بمحاسنه ، ويتقدمهم بحسن بلائه وغنائه ، ومواقفه ومساعيه ، لم يختبره أمير المؤمنين فى جميع خصاله الا وجده عند الاختبار والتحصيل سالكا لمناهجه ، قابلا لأمره ، متبعا لأثره ، ســاميا بهمته الى أقصى الغايات وأعلى الدرجات ، حتى صار عند أمير المؤمنين مقدما فى القدر والرتبة ، مخصوصا بالمنزلة والرفعة ، يرى ذلك قليلا فى كثير ما وجب بطاعته ونصيحته ، فبارك الله عليه وليا ظهيرا · فاقدموا متوكلين على الله مسلمين لأمره صابرين على ما نالهم من اللأواء والجهد والتعب وكلب الشتاء وحمارة القيظ ، وصعوبة المرام من أعداء الله الكفرة ، يرجون نصر الله وتنجز ما وعد الصابرين والمجاهدين فى سبيله من الظفر والنصر والغلبة على عدوهم ، توحد به من نصرهم واعزازهم أن كان الله عز وجل تكفل لأوليائه بالنصر والعز والحيطة ، وجعل حسن العاقبة لهم وكبت من حادهم وأخلد الى المعصية والكفر والأسر ، ليكونوا بذلك عظة ونكالا لمن أمهله الله منهم ، ولتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، والله عزيز حكيم ، أعظمهم غناء ، وأحسنهم بلاء ، وأشدهم صولة ، وأقساهم نكاية ، وآمنهم سريرة ، وامضاهم عزيمة وأربطهم جاشا ، وأصدقهم بأسا ، وأملأهم للأقران ،

وأرعاهم لوثائق الايمان ، وأشدهم تحدبا على السلطان ، فآزره بهم ، وحصن اطراف خلافته بأيديهم ، فكفوه المهم وقاموا دونه بالملم ، غير مستطيلين بغناء ، ولا متعرضين لطلب جزاء ، قد تعبدهم الوفاء ، وغنوا بقربة الولاء ، فان الله جعل آباءه أعلاما في الطاعة يهدون اليها وأوليته قادة الى سبيل النصيحة يتمسك المناصحون بآثارهم فيها ، باقيا على كر الأيام ذكر مساعيهم ، وزائدة على تصرف الأيام حقوقهم ، وباديا للعيون حميد أفعالهم ، لاتنصرم الأخبار عن سالف لهم الا وصلوه بحادث ، ولايتقادم لهم من بلائهم أول الا اتبعه آخر • ففلان يجري في أمره على منهاج قد أوضحوه له ، ويسلك في الطاعة طريقا قد سهلوا له مذاهبه ، ويتمسك بعرى وثيقة قد رأى آثارها على من تقدمه ، والله محمود • ولم يزل الله يعرف أمير المؤمنين في كل ما أسنده الى فلان من أعماله وقلده من أموره ، المبالغة في قضاء الحق عليه ويمن النقيبة فيما يتولاه ، والاجتهاد في كل ما قربه من الله وخليفته • وأمير المؤمنين يحمد الله على ما يخصه به من نعمته ، واياه يستعين على قضاء حقه ، انه سميع قريب • فان كتابك ورد على أمير المؤمنين بما لم يزل يتطلع اليه منك ويؤمله عندك ، ويرجو أن يوفقك الله فيه لرشدك ، ويؤثرك منه بحظك ، للذي كان يبلغه وينتهي اليه من خبرك ، في أحوالك وتصرفك في خصال الخير ، وتنقلك في درجتها ، مساميا لأهل الفضل في مراتبهم ، متزينا بصالح أفعال الملوك في قصد سيرتهم ، وحسن طريقتهم ، ولين اكنافهم • فحقق الله ظنه بك ، وأجاب دعاءه لك ، وبلغ بك أمنيته ، وأعطاه فيك رغبته • وكنت فيما هديت له بانقيادك اليه راغبا ، ودخولك فيه محتسبا ، مستوليا على أسنى الأمور مؤونة ، وأفضلها ذخيرة ، وأعلاها درجة ، وخيرها عاقبة ، واعمها سلامة ، وأمنعها كهفا ، وأبقاها شرفا ، وأعدلها حكما ، وأطولها سلما ، مستحقا بذلك على الله عز وجل زيادة الملك فيها ، وبهاء الثروة ، وانبساط القدرة ، واتساع المملكة ، وظهور الغلبة وعز التمكين ، والنصرة في الدار التي حببت فيها بقليل ما ترجو أن تصير اليه من ثواب الله عز وجل وحسن مجازاته بالنعيم المقيم في دار الأمد ، ومحل الأبد ، بما لا يبلغه احصاء ، ولا يكون له انتهاء ، وملأه فرحا وابتهاجا ، وسرورا وجذلا ، ورجاء لك من الله عز وجل حسن عونه وتوفيقه أن يغلب لك على حظك ، وأن يأخذ الى تقواه بقلبك ويجعل فيما عنده رغبتك ، والى ذلك سموك وهمتك • وليس ينفك أمير المؤمنين مقتفرا فيك أثرا يحمده ، ومتصفحا بخبر يبهجه ، ومستحدثا نعمة من الله عز وجل يرجو اتصالها واتساقها لديك بك ، حتى يتناهى الى الدرجة العليا ، والغاية القصوى ، فيما [يبتغيه] (١) من اجتثاث أرومة الفسقة وقطع دابرهم • وبالله الثقة والحول والقوة ، متعرفا من الله فيما فارقه من جهاد عدوه أتم مصادق وعد القائمين بحقه ، الصابرين في جنبه ، وأحسن ما أبلى ، ذائدا عن حريم ، ومحصنا لبيضة ، ومدافعا عن ملة ، فشمر شاريا لله نفسه ، طارحا عنه لباس الغفلة ، متجافيا

(١) بياض في الأصل والسياق يقتضي ما أثبتناه •

عن مهاد الوطاة ، وليس تدخله الخلة والوحشة عن من كنت قريبـا منه ، ولا يمتنع لأمير المؤمنين طرف أنت فيه ، ولا امر يعين عليه ويتمسك بسبب من اسبابه .

وصف الأولياء فى الكتب

وصار أهل السمو الى الدرجة العليا ، والاعتصام بالعروة الوثقى ، من أولياء امير المؤمنين وشيعته ، منشرحة صدورهم بمكانفته ، منبسطة أيديهم بمعاونته ، وقسم لأمير المؤمنين من أوليـاء دينه وأنصاره ، قوم آزرهم بالنصر ، وكنفهم باليقين ، وألف بصائرهم على الحق ، وأيدهم بمؤيدات التقوى ، فلما أمرهم أطاعوا أمره ، ولما فرضـوا فى ذات الله طاعته ، فرض الله نصرهم وتمكينهم ، فجاهد مجاهدهم مستبصرا محتسبا ، وقام قائمهم بالحق عليه مخلصا مجتهدا ، وقادتهم طلائع الدين ودواعيه أرسالا قدما ، فاتبعوا سبيله لا ناكلين عن اقدام ، ولا متوقفين عن ارتياب ، ولا منهيبين ، مع دخائلهم وبصائرهم ، عدوا ولا عنادا ، طالبين بثأر الدين بغاته ، وبطوائل الاسـلام عداته : من صنوف أمم الكفر ومردة النفاق وأئمة الملحدين ، متقلدين للحق ونصرته ، ولئن تمم الحق بهم ومضى ، ولين مع الحق من نكث عنه بألسنتهم وأيديهم ، حتى فتح الله عز وجل لأمير المؤمنين معاقل الشرك وأممه ، وأناخ الباطل وأركانه ، وأعلام البدع وأتباعها ، فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم ، ان عززتهم قطعوا قطع الحسـام ، وان أجريتهم فى عظيمة وقعوا وقع الجياد ، وان استغنيت ودام الغناء لك عن جميع العاملين ، كانوا رصدا لك فوق أعناق الحاسدين .

ما يقرظ به أمير المؤمنين فى أواخر الكتب

ليعرفوا موقع نعم الله عند أمير المؤمنين ، يحوطه به فى أوليـائه ، من النصر والتمكين ، وعلى أعدائه من الوقم (١) والتوهين ، ويشكر الله على النعمة فى ذلك ، ان الشكر محصن للنعم ، وأمان من الغير ، لتحلو مواقع النعمة عليهم ، فيما يجمع الله بأمير المؤمنين من كلمتهم ، ويحوط من حريمهم ، ويحل من بأسه ونقمته بمن صدف عن سبيله وحاول تشتيت جماعتهم وتوهين حقهم ، ويقابلون ذلك بما ترتبط به نعمه ، ويستدر مزيده .

سعيد بن حميد

ليشكروا الله على ما منح خليفته من هؤلاء المراق الخارجين من جماعة المسلمين ، فان الشكر أمان من الغير ومادة للمزيد .

---

(١) الوقم : القهر والذلة .

٣ ـ التحاميد فى أواخر الكتب

تحميد لسعيد بن نصر فى آخر كتاب فتح له

الحمد لله المعز لدينه ، المظهر لحقه ، المؤيد لأوليائه ، الصانع للاسلام وأهله ، الناصر لخليفته ، الحافظ لما استحفظه ، المتوحد بالنعمة عليه فيما حمله ٠

تحميد لابراهيم بن العباس فى آخر كتاب فتح

فالحمد لله المزيل لما يمهد المبطلون ، ويمكر به الماكرون ، ويكيد به الملحدون ، تمكينا لعبده وخليفته ، وذبا عن دينه وحقه ، واظهارا لأوليائه وحزبه ، وامضاء لعزائمه وقدرته ، منعما قادرا ، وممليا ممهلا ، عدلا اذا استدرج ، متفضلا اذا أنعم ، حمدا يستنزل به نصره ، ويبلغ به رضوانه ، ويمترى بمثله فواضل مزيده ٠

تحميد فى فتح لابراهيم بن العباس

والحمد لله بجميع محامده التى حمد بها ، على جميع آلائه وجميل بلائه ، فيما ولى به خليفته ، ونصر به دينه ، وأقام به حقه ، وأعز به وليه ، وقمع به من ألحد عن سبيله ، حمدا يؤدى حق نعمته ، ويوجب به أفضل مزيده بمنه وطوله ٠

تحميد لأبى عبيد الله فى آخر كتاب

فالحمد لله على ما يحدث لأمير المؤمنين فى دولته وسلطانه ، ولعامة المسلمين من صنعه وكرامته ، فى جسيم الأمور ولطيفها ، وخاصها وعامها ، بما يجعله للنعمة تماما ، وعلى ما يحل بعدوه من بأسه وقوارعه ، ويوقع بهم من جوائحه واستئصاله ، ما يكون لموعوده انجازا ، حمدا يبلغ رضاه ويستوجب مزيده ٠

تحميد آخر

الحمد لله الذى تمم لأمير المؤمنين نعمته ، وكمل دعوته ، وجعل العاقبة فيه لمن اختاره لخلافته ، ورد اليه من شذ عنه من رعيته ، وآتى أمير المؤمنين بصنعه على حد نيته وقدر أمنيته ، ولم يفل رأيه ولم يخلف ظنه ، حمدا كثيرا دائما بما يزكو عنده فيتقبله ، ويرفع اليه فيبلغ رضاه ، حمدا يكون لأسبغ نعمه جزاء ، ولأفضل احسانه

كفاء . وللمزيد من فضله واحسانه موجبا ، والى أعلى الدرجات عنده مؤديا ، وللخلود في جنته وسيلة وسببا •

آخـــر :

الحمد لله الذى جمع لأمير المؤمنين ما حبـــاه بمزية نصره وتمكينـــه واعزازه وتأييده ، واظهاره على من ناوأه وصد عن حقه ، وصدف عن طاعته ، ووفقه لاختصاص فلان بما وكله اليه وعصبه به من أعباء أموره وجلائل أعماله ، وأجرى بفلان وعلى يديه وبركته وسعادة جده ويمن طائره ، من تتابع الفتوح ، وتواتر النصر ، واقبال الصنع ، واعلاء الحق وانارته ، وازالة الباطل وابادته ، حمدا يؤدى حقه ، ويرى عزه ، ويمير من أحسن (١) مزيده بكرمه وجوده •

آخـــر :

الحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بالخلافة ، وخصه بالامامة ، وقلده من أمـــور عباده وبلاده ما تـــولاه بكفايتـــه وكلاءته وتأييده وحياطتـــه ، حمدا يوجب المزيد من فضله •

ولابراهيم بن العباس

الحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأيد جنده ، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين اقامة حق وادالة باطل وازالة عاند وابادة عائد واقالة (١) مستقل - ويسأل الله أمير المؤمنين ، مسألة العبد سيده ومولاه رغبة اليه متذللا له أن يصلى أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه •

دعاء أمير المؤمنين فى الكتب والدعاء له

وأمير المؤمنين يســـأل الله ربه ووليه ، أن يكنفه فيما حباه واستحفظه عليه بأفضل تأييده وأعز نصره ، وأن يهب له مع كل نعمة يجددها له حارسا من شكرها ، يتابع به أفضل مزيده ، فان النعمة منه ، والشكر بتوفيقه ، والمزيد لمن شكره •

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه وربكم وولى النعم عليه وعليكم ، أن يلهمه واياكم

---

(١) سقطت فى الأصل كلمات فأثبتنا ما يقوم مقامها •

أداء حقه وشكر نعمته وحمده عليها ، ويطوقه واياكم أفضل الأعمال وأرضاها عنده وأشدها استيجابا لما وعد الشاكرين من مزيده ، انه سميع قريب ٠

وأمير المؤمنين يسأل الله الذى ولاه خلافتــه وأعلاه بهــا ، أن يطوقه ما حمله ، ويلهمه العدل بين رعيته ، ويلهمهم نصيحته وطاعته ، ويصلح أمرهم به فى ولايتـــه وخلافته ٠ ويرغب الى الله الذى أيده بنصره ومكن له بغير حول منه ولا قوة ، أن يلهمه واياكم شكره وذكره وخشيته ، ويشمله واياكم بطاعته ومرضاته ومحبته ، وأن يعرفه واياكم الزيادة فى نعمه والنصر على عدوه والتمكين فى بلاده ، انه ذو فضل عظيم ٠

والى الله يرغب أمير المؤمنين فى اعانته على نيته وتبليغه منتهى سؤله وغاية همته واعزاز دينه واذلال من صد عن سبيله ، انه سميع قريب ٠ وأمير المؤمنين يسأل الله الذى دل على الدعاء تطولا وتكفل بالاجابة حتمـا ، فقال : (**ادعونى أستجب لكم**) أن يجمع على رضاه ألفتكم وأن يصل على الطاعة حبلكم ، وأن يمتعكم بأحسن ما عودكم من دننه ، ويوزعكم عليها من شـــكره ما يواصل لكم به مزيده ، وأن يكفيكم كيـد الكائدين ، وحسد الباغين ، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم ، أفضل ما حفظ به امام هدى فى أوليائه وشيعته ، ويحمل عنه ثقل ما حمله من أمركم ، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوى من جزائكم بالحسنى ، وحملكم على الطريقة المثلى ، وبه يرضى لكم ناصرا ووليا ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ٠

ويســـأل الله أمير المؤمنين ، أن يحسن على صـــلاح نيتـــه عونه ، وأن يتولاه فيما استرعاه ، ولاية جامعة ، لصلاح ما قلده ، انه سميع قريب ٠

ويسأل الله أمير المؤمنين الذى بيده مفاتيح مقاديره وفواضله ، أن يصلى أفضل صلواته على أفضل أنبيائه ، وأن يجعل ما ادخر لأمير المؤمنين الى دولته وخلافته ، وحباه به من وسائل الخير عنده ، أن يجمع الى أحسن توفيقه لما يرضى من شكره وحسن معونته على ما أصلح له ربه ، فانه شاكر يحب من شكره ويوجب لمن وفق لشكره مزيدا بمنه وطوله وفضله وانعامه ، انه جواد كريم ٠

ويسأل الله أمير المؤمنين مبتدئا ومعقبا وأولا وآخرا ، وقبل كل مسألة ، وأمام كل رغبة ومقدمة كل طلبة ، أن يصلى على صفوته من عباده وخير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله ، محمد عبده ورسوله ، أفضل صلواته ، ويبارك عليه أكثر بركاته ، وأن يديم له كرامته ، وأن يجرى عنده على أجمل عاداته ، وأن يتمم له ما اختصه به من احسانه ، حتى يملأ الأرض عدلا وقسطا . والاسلام تاييدا وعزا ، والشرك ذلا وقمعا ، انه ولى نعمته ومنتهى كل رغبة وغاية كل حاجة ، وهو على كل شىء قدير ٠

وأمير المؤمنين يقول : الحمد لله طاعة لأمره ، واعتصاما من الفتنة بشكره ، واستدامة لنعمه المتزايدة (١) عنده ، انه سميع قريب ٠

وأمير المؤمنين ، يسأل الله السامع كلام من جهر ، والعالم بغيب من أسر ، المطلع على ضمائر العباد ووسوستهم ، والمستنقذ من يشاء برحمته ، والممتن على من يشاء بقدرته ، أن يجمع على الحق أهواءكم وينصركم على أعدائكم ويصلح ذات بينكم ولا يكلكم فى موطن من مواطن اللقاء ، والتحاكم والتناجز ، الى أنفسكم ، ويكفيكم ويكفى بكم انه سميع قريب ٠

الدعاء لأمير المؤمنين فى أواخر الكتب

ونسأل الله أن يهنأ أمير المؤمنين ما صنع له ، ويعينه على شكر ما أولاه ، انه ولى ذلك وانا فيه راغبون والسلام ٠

وله ... :

ونسأل الله أن يهنأ أمير المؤمنين الكرامات التى يتابعها ، والنعم التى يظاهرها عليه ، والفتوح التى جعلها فى خلافته ، وولايته ودولته ، ويهب له من المعرفة بحقه فى ذلك والشكر له بحسن بلائه فيه ، ما يبلغ أعظم رغبة وأقصى أمنية ، من ذخائر الخير وفضيلة الأجر وحسن الثواب فى الدنيا والآخرة ٠

أسأل الله لأمير المؤمنين فى غابر أموره ، أحسن ما عوده فى سالفها ، من السلامة التى حرسه بها من المكاره ، والعز الذى قهر له به الأعداء ، والنصر الذى مكن له فى البلاد ، والهدى الذى وهب له به المحبة ، والرفق الذى أدر له به الحلب ، والاستصلاح الذى اتسقت له به الرغبة ، حتى يكون بما أعطاه من ذلك ، وما هو مستقبل به ، أبعد خلفائه ذكرا ، وأبقاهم فى العدل أثرا ، وأطولهم فى العمر مدة ، وأحسنهم فى المعاد منقلبا ٠

أسأل الله لأمير المؤمنين نعمة لا تزول ، وكرامة لا تنفد ، وعزا لا يضام ، ونصرا لا يغلب ، وكفاية ينتظم بها جميع الصلاح ، حتى لا يكون بأول من ذلك أسعد منه بآخر ، ولا بماض أسر منه بمستقبل ٠

أسأل الله لأمير المؤمنين فى عاقبة كل نعمة أفضل ما وهب له فى عاجلها ، حتى يجعل كل نعمة أنعم بها عليه وكرامة حازها له ، موصولة بالتمام ، محوطة بالحفظ ، مكلوءة من الغير ، ممدودة الى طول غايات البقاء ، لا يشوب صفوها كدر ، ولا سلامتها

---

(١) فى الأصل المنازل ، وما أثبتناه صحيح ٠

غير ، ولا سرزرها تنغيص ، وهنأ الله أمير المؤمنين الظفر ، وأدام له عادة النصر والتمكين الموضح ، وحجته المدحضة لحجة أعدائه ، والغلبة المظهرة لحقه ، المجتاحة لمن خالفه ، ثم لا برحت نعمة الله راهنة بمثله في الأوليـــاء نصرا ، وفي الأعداء اباحـة ، وفي الناكثين تنكيلا ٠

سر الله أمير المؤمنين بما أهدى له من كفايته ، وحاطه به من منعته ، وأيده به من نصره ، وجعله وما استرعاه من دينه وسلطانه ، في كنفه الذى لا يستباح وتحت يده المانعة وجناحه المحفوظ ٠

أدام الله لأمير المؤمنين السرور بما يقذى به عيون أعدائه في تمكينه وتوهينهم ، ونصره وخذلانهم ، واعزازه والمجاهدة لهم ، ولا زالت نعمة الله تزيده في قوة الظفر ، وعزة النصر ، وتفد من آفاق الأرض بالبشارات والفتوح ، حتى تملأ له ما بين طرفي ملكه أمنا وعزا ، ويملأ به قلوب أعدائه خوفا ورعبا ، ويعدهم على خلافه سـطوة وتنكيلا ٠

أحمـد بن يوسف

وهنأ الله أمير المؤمنين نعمه ، وملأه وكرامته ، وأولى له فتوحه ، وأدام اعزازه ، وتولى حياطته وكفايته ، فيما دنا منه وما غاب عنه ، وأطال بقاءه والامتناع به ٠

مختار ما كتب من باب التهاني فى كل فن

تهنئة خليفة بظفر

الحمد لله الذى جمع لأمير المؤمنين مع الغلبة الحجة ، ومع الظفر المعذرة ، وجمع لعدوه مع الذل السطوة ، ومع دحوض الحجة النكال ، فلم يجمعه والناكثين موطن من مواطن الصبر ، الا جعل الحجة عليهم فيه ، ولسان العذر فيه معه ، ويد الظهور فيه له ، ثم وهب له عند الظفر من الشكر ، وعند الفلج من التواضع ، وعند القدرة من العفو ، ما جعله مستوجبا لما أصفاه به ، معرفا بأن العذر منقطع ممن نكبه ، وأن مستزاد الحجة ومطلب السلامة ، فى التمسك بطاعته ومناصحته ، والمجاهدة دونه ٠

وفى مثـــله :

ادام الله لأمير المؤمنين السرور بما يقذى به عيون أعدائه ٠

وكتب ابراهيم بن المهدى الى المعتصم يهنئه بخروجه عن أرض الروم

بعد فتح عموريه

الحمد لله الذى تمم لأمير المؤمنين غزوته ، فأذل بها رقاب المشركين وشفى بها صدور قوم مؤمنين ، ثم سهل الله له الأوبة سالما غانما ، وكذا وكذا ، وليهنئه ما كتب الله له ، مما احصاه فلا ينساه ، ليقفه به موقفا يرضـــاه ، فانه عز وجـل يقول : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية ، فطوى الله لأمير المؤمنين نازح البعد برا وبحرا ، ووقاه وصب السفر سهلا ووعرا ، وحاطه بحراسته كالئا ، ودافع عنه بحفظه راعيا ، حتى يؤديه الى المحل من داره ، والوطن من قراره ، وجزاه عن الاســلام خاصة ، وعن رعيته كافة ، بتخيره مستخلفا عليهم ، وقائما مقامه فيهم هرون ابن أمير المؤمنين ، فقد استخلفه رفيقا شفيقا ، حليما وقورا ، يقظان ساكنا ، لم يشذب عليه أمر ، ولم ينتشر عليه طرف ، ولم يضع معه ســـبيل ، ولم يسخط وليا مكانفا ، ولا عدوا مخالفا ، بلا سيف أشرعه ، ولا سور أقرع به ، فمثـــل جزاء امير المؤمنين فى تخيره اياه ، فجزاه الله على ما حفظ من وصــــاياه ، على محمـــود مقامه ، انه مجيب الداعي ٠

وكتب أحمد بن يوسف الى عبد الله بن طاهر

يهنئـــه بظفر

بلغنى ـ فتح الله عليك ـ خروج ابن السرى اليك ، فالحمد لله الناصر لدينه المعز لوليه وخليفته على عباده ، المذل لمن صد عن حقه ورغب عن طاعته ، ونسأل الله أن يظاهر النعم ويفتـح بلدان الشرك به ، والحمد لله على ما والاك منـذ ظعنت لوجهك ، فانا نتذاكر سيرتك فى حربك وسلمك ، ونكثر التعجب لما وفقت له ، من وضع الشدة واللبان بموضعهما ، ولا نعلم سائر جند ولا رعية عدل بينهم عدلك ، ولا عفا بعد القدرة عمن آسفه وأضغنه عفوك ٠

تهنئة خليفة بحج

أصلح الله أمير المؤمنين وأراه من الزيادة فى نعمه ، ما يكون تماما لما ابتدأه به من فضله ، والحمد لله على ما خص به أمير المؤمنين من كرامته ، وأعطاه من الفضل فى نيته ، وجعله يستعين على دينه ، بما بسط فى دنياه ، ويحمل على بدنه النصب فيما يتقرب به اليه ، فيجفو عن دعته على لينها ، ويشخص عن طمأنينته على فضلها ،

ايثارا لآخرته ، وأداء لحق ربه ، بادر له بذلك ليكرمه ، ثم يستعمل فيه نفسه ، تقربا اليه ، فيسعده بالاذن فى ذلك حين كان من الله له ، وبالعمل فيه حين كان لله منه ، فيكون قبوله الخير حين يعرضه له ، دليلا على قبوله الخير عنه حين يعمل لربه ، وكان من ذلك ما آذن الله لأمير المؤمنين فى زيارة نبيه صلى الله عليه وسلم العام ، وموافاة مشاعره العظام ، فى وقتها من الايام ، التى لا توافى الا معها . ولا تكون مناسكه الا فيهـا ، فكتب الله له فى ذلك الآثار الصالحة والأعمال المبرورة ، فدخل فى الاحرام له بتعظيم حقه ، وخرج منه بقضـاء نسـكه ، أجرا عقده الله عليه فى ابتدائه ، ثم أتمه له باستيفائه .

ولمحمد بن مكرم تهنئة لحاج

بلغك الله الرضا فى أملك من نجح كل حاجة وابلاغ كل أمنية ، وتقبل كل دعوة خصصت بها نفسك أو عممت بها أحدا من أهلك ، فى مجامع وفوده ، ومعتزل قراره ، فكنت شافع من شاهدك ، ووافد من غاب عنك ، يستفتح بدعائك ، ويرجى بركة محضرك ، والقربة الى الله عز وجل بفضل جاهك .

تهنئـــة بولاية

نرى ما أحدث الله لك من الولاية ، لنا خاصا والينا واصلا .

آخـــر :

ولم تتخطنى النعمة اذ أصابتك ، ولم تتعدنى اذ دخلت بك ، ولم أخل من لازم شكرها ، وما ينفلك الله منها ، اذ قلدتها اعتدادا بكل ما طوقت من المنن ، وايجابا على نفسى ما جملت من الشكر .

ولسعيد بن حميد الى بعض اخوانه

سرك الله بتتابع نعمه ، وترادف احسانه ، وزادك من فواضل أقسامه . بلغنى ــ أكرمك الله ــ ما وهب الله لك من سلطانك ، فقواك الله على ما استرعاك ، ورزقك الشكر على ما أولاك .

وفى مثل ذلك :

أكمل الله لك السعادة ، وزادك فى الكرامة ، وخصك بدوام النعمة . بلغنى ما وهب الله لك من سلطانك ، فسررت به ، وسألت الله اتمام نعمه عليك فيه بتأييدك ،

وتوفيقك للعدل في سيرتك . وغرس المحبة لك في قلوب رعيتك ، وأن يعينك عليه ، ويرزقك السلامة في الدين وفي الدنيا .

وله في مثله :

أنا أهنيء بك العمل الذى وليته ، ولا أهنئك به ، لأن الله أصاره الى من يورده موارد الصواب ، ويصدره مصادر الحجة ، ويصونه من كل خلل وتقصير . ويمضيه بالرأى الأصيل ، والمعرفة الكاملة ، قرن الله لك كل نعمة بشكرها ، وأوجب لك بطوله المزيد منها ، وأوزعك من المعرفة بها ما يصونها من الفتن ، ويحوطها من النقص .

آخــــر :

قد وليت من العمل ما أسأل الله عز وجل أن يرزقك بركة بدئه وعاقبته ، ويعطيك الرضا ممن وليت له وعليه .

آخــــر :

هنأك الله هذه النعمة المقبلة ، الدال أولها على تمامها ، وأوزعك شكرها .

آخــــر :

أسعدك الله بهذه الولاية وجعلها مباركة ، تنتقل بظل السلامة منها ، ونيل الكفاية فيها الى أملك بنهايته ورجائك بغايته ، ورزقك السلامة ممن وليت له وعليه .

آخــــر :

سرك الله بما جدد لك من هذه المنزلة ، ونفعك بهذه الولاية ، وأرضى عنك من وليت له ومن وليت عليه .

وكتب محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار :

نحن من السرور أيها الأمير بما قد استفاض من جمل أثرك فيما تلى من أعمالك ، وزمك اياها بحزمك وعزمك ، وانتياشك (١) أهلها من جور من وليهم قبلك ، وسرورهم بتطاول آيامك والكون فى ظل يدك وجناحك ، فى اعانة من تخصه وتعمه نعمتك ، وتحول به الحول حيث حالت بك ، فالحمد لله الذى جعل العاقبة لك ،

---

(١) انتياشك أهلها : استنقاذهم .

ولم يردد علينا آمالنا فيك منكوسة ، كما ردها على غيرنا فى غيرك . ولوددت ان أباك كان عاين آثارك هذه ومناقبك ، وان كان الافتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلفه ، وألقى اليك بأمره ومعاقد ثقته ، وجعلك موضع اختصاصه وأثرته . وصرف ذلك عمن لا يستحقه ، وذم سالف رأيه فيك وفيه وحمد آخره ، ثم نعمة اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورك فاعتدلت ، وتلاحمت عليها واتسقت ، ما منحت فى كاتبك ، ومستقر ثقتك ، وحامل أعبائك ، من الكفاية والنصيحة ، ووضعه عن قلبك مؤونة التهمة والقص لأثره ، وادخاله راحة الطمأنينة اليه وروح الثقة به ، لا كما ابتلى أخوك ، فانه صحبه فخلط عليه أمره ، وأفشى أسراره الى صاحب بريده ، فأنغل ذلك بينهم ، وقطع حبالهم ، حتى هجنت آثاره مع حسنها ووضوحها ، وصفرت يده من حظ عمله ، ولزمه الذم من أهله ، فهذه كتبه الى ، فى اطراح نصيحة له كانت فيه ، ويسألنى أن أشخص اليه كاتبا يحمل ثقله ، ويفتح له ما أرتجه من أمره . وهذا من سعادة جدك ، ويمن طائرك ، واقبال الأمور اليك ، وسعيها على طريق موافقتك ، وهنيئا هنأك الله نعمه خاصها وعامها ، وأوزعك ، وأوجب لك الشكر أحسن المزيد فيها .

تهنئـة بعزل

كتب رجل الى مالك بن طوق لما عزل عن عمله :

أصبحت والله فاضحا متعبا : أما فاضحا فلكل وال قبلك بحسن سيرتك ، وأما متعبا فلكل وال بعدك أن يلحقك .

فصـــل

سواء علينا أوليت أم صرفت ، انا لنشهد بك الولاية ، بما بسط الله من يدك ببذل العرف ، ونهنئك بالعرف بما يلحقك من ثناء ما أسلفت من الجميل ، ولا نخاف عليك أن تفارق عملا وأنت محل له ، ولا أن تصحبه وليس به فاقة اليك . فهنأك الله النعمة ، وأعانك على الشكر وأيدك بالمزيد .

تهنئة بعزل عامل عن عمله

بلغنى صرفك ، فخار الله لك ، وهناك لطيف نظره وجليل احسانه ، فانى أرى الرجل عند خروجه من العمل سالما نقيا من مأثمه ودنسه ، أولى بالتهنئة منه عند دخوله فيه ، وأرى الدعاء له عند بدء تلبسه به بالخلاص منه معصوما بريئا من تبعاته ورواجع آثامه ، أولى بمن عنى به وأحب صلاحه ، ولذلك قدمت تهنئتك .

ولسعيد بن حميد فى مثله الى بعض اخوانه :

حفظك الله بحفظه ، وأسبغ عليك كرامته ، وأدام اليك احسانه · ان سرورى بصرفك ، أكثر من سرور أهل عملـــك بما خصـــوا به من ولايتـــك · وقد كنت – أعزك الله – فيما يربأ بك عنه ، بما أنت عليه فى قدرك واستئهالك ، ولكنا رجونا أن يكون سببا لك الى ما تستحق ، فطبنا نفسا بالذى رجونا · فالحمد لله الذى سلمك منه ، ونسأله تمام نعمه عليك وعلينا فيك ، بتبليغك أملك وآمالنا فيك ، وشفاع ما كان من ولايتك بأعظم الدرجات وأشرف المراتب ، ثم خصك الله بجميل الصنع ، وبلغك غاية المؤملين · ان من سعادة الوالى – حفظك الله – وأعظم ما يخص به فى عمله وولايته السلامة من بوائق الاثم ، ونوائب الدنيـــا وشرهـــا ، والعاقبة مما يخاف منها ، وقد خصك الله منها بمنه وطوله ما نرجو أن يكون سببا لك الى نيل ما تستحق من المراتب · والله نسأل ايزاعك شكر ما من به عليك ، وتبليغك غاية أملك فى جميع أمورك ، برحمته وفضله ·

آخـــر :

ما أحسن ما كشفت عنك الولاية ، وأجمل ما أبرز منك العمل ، قد كسبك الله حمد ولايتك وعزل عنك لائمتها ، بما انتشر عنك من عدلك ، وظهر من معروفك ، فاذا ساءك هذا فليسرك ·

وكتب محمد بن مكرم الى ابراهيم بن المدبر :

الحمد لله رب العالمين حمدا يجوز حمد الحامدين ، الذى جعل قضاءه خيرة لك ، فان زادك نعمة وفقك لشكرها ، وان امتحنك ببلوى من نفث حاسد أو كيد كائد ، أنار برهانك وأفلج حجتك وجمع بين وليك وعدوك فى الشهادة لك ، وان نقل أمرا عن يدك ، فربما يرجعه اليك مختلا لفقدك · هذا الى ما جعل عندك من خواص النعم التى ان ذكرناها فأطنبنا أو تجوزنا فقصرنا ، كان غايتنـــا الى الحسور دون مدى غايتك · وقد زادك الله بهذا الحادث فضلا عظيما ، لما ظهر من وله العـــامة اليـــك وتطلعها الى ما كانت فيه : من لين انصافك وكريم أخلاقك ، ووحشة الخاصة لما فقدت من حسن معاملتك وكثير تفضلك · وأيقن أهل الرأى والتأمل لصفحات الأمور ، أن كل ما خرج عنك فعائد اليك ومتصل به غيره ، حتى تستقر فى يدك عرى الأمور ومعاقدها ، وتفتح برأيك وتدبيرك أبوابها ومغالقها ، فليهنك أن كل ما زاد غيرك نقصا زادك فضلا ، وكل ما نقص من الرجال وحطها ألحق بك شرفا · فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويجرى منها على سبيل طاعتك ·

وكتب سعيد بن حميد الى بعض اخوانه :

جعلنى الله من السوء والمكروه فداءك ، وأطال فى الخير والسرور بقاءك ، وأتم نعمه عليك ، وأحسن منها مزيدك ، وبلغك أقصى أمنيتك ، وقدمنى أمامك ، وقد بلغنى ما اختار الله لك ، فسرت من حيث يغتم لك من لا يعرف قدر النعمة عليك ، ولا يراك بعين استحقاقك . ولئن ساءنى ما ساء اخوانك من عزلك ، لقد سرنى ما يسر الله لك . والحمد لله الذى جعل انصرافك محمودا ، وقضى لك فى عاقبتك الحسنى ، وأقول :

ليهنـك أن أصـبحت مجتمع الحمد * وراعى المعـالى والمحامى عن المجـد
وأنـك صـنت الأمر فيما وليتـه * ففرقت ما بين الغـواية والرشـد
فلا يحسب البـاغون عزلك مغنمـا * فان الى الاصـدار عاقبـة الـورد
وما كنت الا السـيف جـرد للوغى * فأحمـد فيهـا ثم رد الى الغمـد

وقد قال الأول :

فمن يكن بورود العـزل مكتئبـا * فاننى بورود العـزل مسـرور
بعـد الولاية عـزل يسـتبين به * طـول الـولاة وبعـد العـزل تامير

أما ما عندى مع تصور العاقبة لك فى نفسى ، فيمسنى فى أمرك فى حال المحنة ما يخصنى منه فى وقت تجدد النعمة . وبحسب ضميرك الشاهد على ما عندى ما أجده لك فى نفسى . فلا زلت فى نعم متتابعة متجددة ، ولا عدمت الثروة والزيادة ، وبلغك الله أقصى أملك ، وأمل أخيـك لك ، وكبت أعداءك ، وجعلنى وقاءك المقدم عنك . أحب أن تشرح لى صورة الأمر الام تأدت ، وكيف كان الابتداء ، فانى لا أشك أنها حيلة ونية من عز الصاحب الجليل القدر ، ولها عاقبة منه ان شاء الله محمودة ، وتفضى من ذلك الى ما تسكن اليه نفسى ، ان شاء الله .

تهنئة بتزويج وبناء بأهل

بطائر اليمن فليكن هذا البناء ، وبأسباب السعادة فليتصل عقد هذا الاجتماع ، وبكل ذكاء الولد ، وثروة العدد ، فلتجر لك الأقدار ، وفى أطول غايات البقاء فلتدم هذه الغبطة والسرور .

تهنئة بتزويج

بلغني تزوجك من فلانة ، فبالرفاء والبنين ، تهنئة السلف الصالحين ، ومبلغ سنة المجتهدين المتبحرين ، ونقول على يمن الطائر ، وسعادة الجد ، ونماء العدد ، واتفاق الهوى ، وطيب المناسمة ، واجتماع الشمل ، وثبات الربع ، وتملى النعم . أسأل الله الذى قضاها أن يجعلها لك سكنا ويجعلك لها شجنا ، وأن يؤخر حمامها الى انتهاء نفسك عنها ، وجعلك جائزا تربها ، ووليت المال وهناءة العيش وملاهاة الغوانى بعدها .

تهنئة لغسان بن عبد الحميد بتزويج

قد بلغنى جمع الأمير أهله على الحال التى جمعهم عليها من نعمة الله عليه . فالحمد لله على كل ما يرى الأمير فيما له فيه نعمة . فأسأل الله أن يجعل الطائر فى ذلك ميمونا ، والشمل مجتمعا ، والبركة عظيمة ، والأمور سليمة ، وكذلك فقد عظم الله القسم منه لزوجه ، جعل الأمير سكنا لها ، وأجرى المودة والرحمة بينهما ، فانه ، بقول عز وجل : **(جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** . فلما كان الأمير هو المنظور اليه ، وهى المنظور اليها ، اختارها الأمير لنفسه واختار نفسه لها ، وأراد الله عز وجل أن يزيدها مع فضلها فى نفسها فضلا باختيار الأمير اياها ، وباختصاص الله لها بالأمير دون غيرها ، فكان ذلك فضلا من الله زينه بفضل ، وكرامة من الله وصل بعضها ببعض . فنرغب الى الله عز وجل فى أن يزيد الأمير فى كل سعة مبسوطة ، ونعمة مقسومة ، ويعطيه فى ذلك شكرا يكون لرضاه موجبا ، كما أعطاه فضلا كان الشكر له به واجبا ، ثم يملى الأمير ذلك بأحسن ما ملى أحدا من خلقه كرامة اصطنعها عنده .

تهنئة بمولود

كتب العباس بن الحسن الطالبى الى المأمون يهنئه بمولود له :

قد كان أجذلنى ما أحدث الله لأمير المؤمنين من الموهبة التى ليس ، وان كان أولى بها من غيره ، بأعظم فيها حظا من رعيته . فعمر الله لك يا أمير المؤمنين قلوبهم بنور الحكمة وأبصارهم حتى يشد بهم عضدك ، ويسد بهم ثلمتك ، ويبلغهم الغاية المأمول لهم بلوغها بعدك ، غير مقعد بك مهل ، ولا محل بك أجل ، ولا مكذبك أمل ، ولا منقطعة أيامك ، حتى تخترم أنفسنا قبلك .

وكتب أحمد بن يوسف الى بعض اخوانه يهنئه بمولود له :

بارك الله في مولودك الذى أتاك ، وهنـــأك نعمته بعطيته ، وملاك كرامته بفائدته ، وأدام سرورك ، وجعله بارا تقيا ، ميمونا مباركا زكيا ، ممدودا له في البقاء ، مبلغا غاية الأمل ، مشدودا به عضدك ، مكثرا به ولدك ، مداما به سرورك ، مدفوعا به الآفات عنك ، مشفوعا بأكثر العدد ، من طيب الولد •

وله في مثل ذلك :

هنأك الله هذه الفائدة التى أفادكها ، وبارك الله فى الهبة التى رزقكها ، وشفعها باخوة متواترين ، يسرونك فى حياتك ويخلفونك فى عقبك •

تهنئـــة بمولود

كتب رجل الى رجل يهنئه بمولود :

جعلت فداءك • للبقاء مولودك ، في السناء نباته ، وفي اليمن شبابه ، وعلى البركة ميلاده •

تهنئـــة بمولود

كتب الحسن بن سهل الى ذى الرياستين :

انه ليس من نعم الله ، وفوائد قسمه ـ وان خص موقعها ووجب شكرها ـ نعمة تعدل النعمة فى الولد ، لنمائها فى العدد ، وزيادتها فى قوة العضد ، وما يتعجل به من عظيم بهجتها ، ويرجى من باقى ذكرها فى الخلوف والأعقاب ، ولاحق بركتها فى الدعاء والاستغفار • وان الله قد أفادك وأنالك غلاما سريا ، سميته فلانا ، فكان ميلاده عند فتح الله على أمير المؤمنين • فرجوت أن تكون موافاته بالنصر الذى أظهرنا الله به على عدو الدين والمسلمين من دلائل بركته ويمنه ، وشواهد سعادته والسعادة به • فبارك الله لأمير المؤمنين فى طارف نعمه وتالدها ، وشفع له قديم مننه بحادثها ، ورزقه ذكورا طيبين مهذبين ، يأنس بهم ربعه ، ويتصل بهم نجاحه ، ويجعلهم ذرية زاكية ، وبقية صالحة •

آخـــر :

بلغنى الذى وهب الله لك ، فجعله الله ذخرا سنيا ، وعقبا كريما •

عمرو بن مسعدة الى الحسن بن سهل

أما بعد ، فان هبة الله لك هبة لأمير المؤمنين ، وزيادته اياك في عدده لمحلك عنده ومكانك في دولتك من دولته · وقد بلغ أمير المؤمنين أن الله وهب لك غلاما سريا ، فبارك الله لك فيه ، وجعله بارا تقيا ، مباركا سعيدا زكيا ·

تهنئـــة بمولود

الحمد لله الذى رضى منا بيسير القول عند عظيم النعمة ، حمدا تستوجب به بقاء هذه الموهبة للنماء والفائدة ، فان نعمة الله وان كانت لم تزل متتابعة ، فقد كان ما يقبض الأمل منا ذكر انفراد الأمير بنفسه وقلة نسله ، وما لا يؤمن من انقطاع الذكر بفوات الأجل ، ومن دثور الأنام ، بواقع الحمام ، وقد أصبحنا من الله من يدين في فسحة المهل ، ومده مواقع الأجل ، لمن أراد فيه موضع أملنا في حسن الخلافة من الأمير واحياء ذكره ·

تهنئـــة بمولـــود

سرورك سرور يخصنى منه ما يخصك ، وتلبسنى فيه النعمة ما تلبسك ، والحمد لله على النعمة فيك وعندك ·

كتب أحمد بن يوسف الى بعض اخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد ، فقد بلغنى من متجدد نعم الله عز وجل عليك ، واحسانه اليك فيما رزقك من الهبة ما اشتد جذلى به ، وسألت الله أن يشفعه بأمثاله ، ولذلك أقول :

قد شـــفع الـواحد بالوافـد * وأرغـم الأنـف من الحاســد
ابا حســـين قر عينـــا بمـا * أعطيتـــه من هبـــة الماجد
قـد قـلت لمـا بشرونى بـه * بـــورك فى المولـــود للـوالد
انا لنرجـــو وافـــدا مثـــله * والطـــائر الميمون للوافـــد

وله الى بعض اخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد ، فانه ليس من أمر يجعل الله لك فيه سرورا وفرحا ، الا كنت به بهجا ، أعتد فيه بالنعمة من الله الذى أوجب على من حقك وعرفنى من جميل رأيك • فزادك الله خيرا ، وأدام احسانه اليك • وقد بلغنى أن الله وهب لك غلاما سريا ، أكمل لك صورته ، وأتم خلقه ، وأحسن البلاء فيه عندك ، فاشتد سرورى بذلك ، وأكثرت حمد الله عليه • فبارك الله فيه ، وجعله بارا تقيا ، يشد عضدك ، ويكثر عددك ، ويقر عينك •

وكتب اسحاق بن يحيى الى بعض اخوانه يهنئه بابنة له :

رب مكروه أعقب مسرة ، ومحبوب أعقب معرة • وخالق المنفعة والمضرة ، أعلم بمواضع الخيرة •

كتب ابن المقفع الى صديق له ولدت له جارية :

بارك الله لك في الابنة المستفادة ، وجعلها لكم زينا ، وأجرى لكم بها خيرا ، فلا تكرهها ، فانهن الأمهات والأخوات ، والعمات والخالات ، ومنهن الباقيات الصالحات ، ورب غلام ساء أهله بعد مسرتهم ، ورب جارية فرحت أهلها بعد مساءتهم •

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى أخ له في مولود ولد له وهو أول مولود كان :

أما بعد ، فان مما أتعرف من مواهب الله ، نعمة خصصت بمزيتها ، واصطفيت بخصيصتها ، كانت أسر لى من هبة الله ولدا سميته فلانا ، وأملت ببقائه بعدى حياة وذكرى ، وحسن خلافتى فى حرمتى ، واشراكه اياى فى دعائه ، شافعا الى ربه عند خلواته فى صلاته وحجه ، وكل موطن من مواطن طاعته ، فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدى وظهر به سرورى ، وتعطفت عليه منه أنه الولد ، وتولت عنى به وحشة الوحدة ، فأنا به جذل فى مغيبى ومشهدى ، أحاول مس جسده بيدى فى الظلم ، وتارة أعانقه وأرشفه ، ليس يعدله عندى عظيمات الفوائد ، ولا منفسات الرغائب • سرنى به واهبه لى على حين حاجتى ، فشد به أزرى ، وحملنى من شكره فيه ما قد آدنى بثقل حمل النعم السالفة الى به ، المقرونة سراؤها فى العجب بقدر ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجاذبة المنايا اياه ، ووجلا من عواطف الأيام عليه • فأسأل الله الذى امتن علينا بحسن صنعه فى الأرحام ، وتأديته بالزكاء ، وحرسه بالعافية ، أن يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفى غيره ، وأن يجعل ما يهب لنا من سلامته والمدة فى عمره موصولا بالزيادة ، معروفا بالعافية ، محوطا من المكروه ، فانه المنان بالمواهب والواهب بالمنى ، لا شريك له • حملنى على الكتاب

اليك لعلم ما سررت به علمي بحالك فيه وشركتك في كل نعمة أسداها الى ولى النعم . وأهل الشكر أولى بالمزيد من الله جل ذكره . والسلام عليك .

تهنئة بنقلة الى دار جديدة

تناهى الى نقلتك الى الدار التي أرجو أن يجعلها الله نقلة المكروه عنك ، ونقلة السرور اليك ، ودوام نعمة الله عليك . جعلها الله لك أيمن دار وأعظمها بركة ، ووصل نعمه فينا عندك ونعمه عندنا فيك .

تهنئة لمحمد بن مكرم الى نصراني أسلم

أنا أقول الحمد لله الذى وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، فطهر من الإرتياب قلبك ، ومن الافتراء عليه لسانك . وما زالت مخايلك ممثلة لنا جميل ما وهب الله لك ، حتى كأنك لم تزل بالاسلام موسوما ، وان كنت على غيره مقيما ، وكنا مؤملين لما صرت اليه ، مشفقين لك مما كنت عليه ، واذ كان اشفاقنا يستعلى رجاءنا ، أتت السعادة بما لم تزل الأنفس تعد منك . فأسأل الله الذى نور لك في رأيك وأضاء لك سبيل رشدك ، أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار .

باب المنظـــوم

١ ـ أبو نواس (١)

كان أبو نواس ينادم ولد المهدى ويلازمهم فلم يلف مع أحد من الناس غيرهم ، ثم نادم القاسم بن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكرهت له ، ففارقه ٠

---

(١) هو أبو علي الحسن بن هانيء ، الشاعر المتفنن ، الجاد الماجن ، صاحب الصيت الطائر ، والشعر السائر ورأس المحدثين بعد بشار ٠ وهو فارسي الأصل ٠ ولد بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ ونشأ يتيما فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فتعلم العربية ورغب فى الأدب ، فلم تعبأ أمه بحاله وأسلمته الى عطار بالبصرة ، فمكث عنده لا يفتر عن معاناة الشعر والاختلاف الى الأدباء والمجان ، الى أن صادفه عند العطار والبة بن الحباب الشاعر الماجن الكوفى فى احدى قدماته الى البصرة ، فأعجب كل منهما بالآخر ، فأخرجه والبة معه الى الكوفة ، فبقى معه ومع ندمائه من خلعاء الكوفة وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعا ٠ وقدم بغداد وقد أربت سنه على الثلاثين ، فاتصل ببعض الأمراء ومدحهم ، وبلغ خبره الرشيد فأذن له فى مدحه بقصائد طنانة وحبسه مرة على هجوه مضر ٠

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم الخصيب عامل مصر ، ثم انقطع الى مدح محمد الأمين ، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ، ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد ٠

وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المحضر ، كثير الدعابة ، حاضر البديهة ، متينا فى اللغة والشعر والأدب ، متعصبا لليمانية على المضرية ٠ وأجمع أكثر علماء الشعر ونقدته وفحول الشعراء على أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفننا وأرصنهم قولا وأبدعهم خيالا مع دقة لفظ وبديع معنى ، وأنه شاعر مطبوع برز فى كل فن من فنون الشعر ٠

وامتاز عن كل الشعراء بقصائده الخمريات ومقطعاته المجونيات ، وكان شعره لقاح الفساد والقدوة السيئة ، لنقله الغزل من أوصاف المؤنث الى المذكر والخروج بذلك عن مألوف العرب وآدابهم اذا لم يكن ذلك معروفا قبله وقبل شيطانه والبة ٠ وزاد على ذلك انفراده بالابداع فى وصف الخمر ، فكان نموذج سوء لمن تأخر ، فافتتن بشعره الشبان فى زمانه وبعده وحاكوه وغلب عليهم هذا المذهب حتى صار الشاعر لا يعد ظريفا الا اذا مزج شعره بشيء من ذلك وان لم يقع فى محظوراته ٠

ووصفه عبد الله الجماز فقال : كان أظرف الناس منطقا ، وأغزرهم أدبا ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جوابا ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النغمة والاشارة ، ملتف الأعضاء بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الألفاظ ، حلو الشمائل ، كثير =

ثم جلس أبو نواس الى الناشىء الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرمه ، فاقبل الناشىء على أبيه هانىء وقال له : ان عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقولنه بلسان شتوم ·

ثم اتصل بوالبة بن الحباب الأسدى ، لقيه بدار النجاشى الأسدى والى الأهواز للمنصور ، فقال له والبة : انى أرى فيك مخايل فلاح ، وأرى أنك لا تضيعها ، وستقول الشعر وتعلو فيه ، فاصحبنى حتى أخرجك ، فقال : ومن أنت ؟ قال : أبو أسامة ، قال : والبة ؟ قال : نعم ، قال : أنا والله جعلت فداك فى طلبك ، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بغداد من أجلك ، قال : ولماذا ؟ قال ، شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك ، قال : وما هى ؟ فأنشده :

ولهـــا ولا ذنـب لهـــا * حب كاطـــراف الرمـــاح
جرحت فـــؤادى بالهـــوى * فالقـــلب مجـروح النـــواحى
ســـل الخليفـــة صــارما * هو للفســـاد وللصـــلاح
أجـــداه كـــف أبى الوليـــ * ـــد يدا مبـــارية الرياح
الـــقى بجـــانب خصره * أمضى من الأجـــل المتـــاح
وكأنمـــا ذر الهبـــا * ء عليـــه أنفـــاس الرياح

فمضى معه ، ثم سأله أن يخرج الى البادية مع وفد بنى أسد ليتعلم العربية والغريب ، فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبة ورجع الى بغداد ·

وكان أبو نواس متكلما جدلا راوية فحلا ، رقيق الطبع ثابت الفهم فى الكلام اللطيف · ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره ، منها قوله :

وذات خـــد مـــورد * فضـــية المتجـــرد
تأمـــل العـــين منهـــا * محاســـنا ليس تنفـــد
فبعضـــه قـــد تنـــاهى * وبعضـــه يتـــولد

= النوادر وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راوية للأشعار ، علامة بالأخبار ، كان كلامه شعر موزون· توفى سنة ١٩٦ هـ · وتجد ترجمه وأخباره وأشعاره فى كتاب خاص باسم « أخبار أبى نواس » لابن منظور طبع مصر ســنة ١٩٢٤ والأغانى (ج ١٨ ص ٢) و (ج ٦ ص ١١٠ ، ١٧٠ ، ١٨٦) و (ج ١٦ ص ١٤٨) وابن خلكان (ج ١ ص ١٣٥) وطبقات الأدباء (ص ٩٦) والشعر والشعراء (ص ٩٦) والشعر والشعراء (ص ٥٠١) والفهرست (ص ١٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٧) ·

والحسن في كل شيء * منها معاد مردد

ومنها قوله :

يا عاقد القلب عني * هلا تذكرت حلا
تركت غيي قليلا * من القليل أقلا
يكاد لا يتجزى * أقل في اللفظ من لا

ومنها قوله في امرأة اسمها حسن (بضم فسكون) :

ان اسم حسن لوجهها صفة * ولا أرى ذا في غيرها جمعا
فهي اذا سميت فقد وصفت * فيجمع الاسم معنيين معا

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة :

قل لزهير اذا حدا رشدا * أقلل أو أكثر فانت مهذار
سخنت من شدة البرودة حـ * ـتي صرت عندي كانك النار
لا يعجب السامعون من صفتي * كذلك الثلج بارد حار

هذا شيء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند ، فانهم يقولون : ان الشيء اذا أفرط في البرودة انقلب حارا ، وقالوا : ان الصندل يحك من اليسير فيبرد ، فاذا أكثر منه سخن .

قالوا : كان أبو نواس دعيا يخلط في دعوته . فمن ذلك قوله يهجو عرب البصرة :

ألا كل بصري يرى أنما العلا * مكمهة سحق لهن جرين (١)
فان تغرسوا نخلا فان غراسنا * ضراب وطعن في النحور سخين
فان أك بصريا فان مهاجري * دمشق ولكن الحديث فنون

---

(١) المكمهة : الفراس الكثيرة . والسحق : الطويلة ، يريد النخل . والجرين هنا : موضع تجفيف التمر .

مجاور قــوم ليس بيــني وبينهم * أواصر الا دعـــوة وظنـــون
اذا ما دعا باسمي العريــف أجبته * الى دعـــوة ممـــا على تهـــون

ثم هجا اليمن في هذه القصيدة بقوله :

لأزد عمـــان بالمهـــلب نــزوة * اذا افتخـــر الأقـــوام ثم تلـين
وبـكر تـرى أن النبـــوة أنزلت * على مســمع في الرحـم وهو جنين
وقالت تميم لا نـرى أن واحـدا * كأحنفنـــا حتى الممـــات يـكون
فما لمت قيســا بعدهــا في قتيبة * وفخـــر به ان الفخــار فنــون

وانما نشأ أبو نواس بالبصرة وليس له بدمشق قبل ولا بعد .

ومما هجا به اليمن أيضا قوله لهاشم بن حديج :

وردنـــا عـــلى هاشـــم مصره * فبـــارت تجارتنـــا عنــده

يقـــول فيها :

رأيتـــك عنـــد حضـــور الخـوا * ن شـــديدا على العبـــد والعبده
وتحتـــد حتى يخـــاف الجليـــ * س شـــذاك عليـــه من الحـــده
وتخـــتم ذاك بفخـــر عليـــه * بكنـــدة فاســـلح على كنـــده
فـــان حديجـــا له هجـــرة * ولكنهـــا زمـــن الـــرده
ومـــا كـــان ايمـــانكم بالرســـول * ســـوى قتلكم صـــهره بعـــده
تعـــدونهـــا في مســـاعيكم * كعـــد الأهـــلة معتـــده
وما كان قاتـــله في الرجـــال * بحمـــل لطهـــر ولا رشـــده
فلـــو شـــهدته قـــريش البطا * ح لـــما محشـــت ناركم جـــلده (١)

وقوله أيضـــا :

ما منـــك سلمى ولا أطلالهـــا الدرس * ولا نواطـــق مـــن طـــير ولا خرس
يا هاشـــم بن حـــديج لو عـــددت أبا * مثـــل القلمس لم يعلـــق بك الدنس
اذ أصـــبح الملك النعمـــان وافـــده * ومن قضـــاعة أسرى عنـــده حبس

---

(١) المحش : قشر الجلد عن اللحم .

فابتاعهم باخاء الدهر ما عمروا * فلم ينل مثلها من مثلهم أنس
أو رحت مثل حوى فى مكارمه * هيهات منك حوى حين يلتمس
أو كالسموءل اذ طاف الهمام به * فى جحفل لجب الأصوات يرتجس
فاختار ثكلا ولم يغدر بذمته * اذ قيل أشرف تر الأوداج تنبجس
ما زاد ذاك على تيه خصصت به * وكيف يعدل غير السوءة الغرس

وقوله :

يا هاشم بن حديج ليس فخركم * بقتل صهر رسول الله بالسدد
أدرجتم فى اهاب العير جثته * فبئس ما قدمت أيديكم لغد
ان تقتلوا ابن أبى بكر فقد قتلت * حجرا بدارة ملحوب بنو أسد
وطردوكم الى الأجبال من أجأ * طرد النعام اذا ما تاه فى البلد
وقد أصاب شراحيلا أبو حنش * يوم الكلاب فما دافعتم بيد
ويوم قلتم لزيد وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
وكل كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى ومنفرد
ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية * عن ثاره وصفات النوء والوتد

وقد رثى أبو نواس خلفا الأحمر بعد موته بقصائد من شعره ، ومنها قصيدته التى أولها قوله :

لو كان حى وائلا (١) من التلف * لوألت شغواء فى أعلى شعف
أم فريخ أحرزته فى لجف (٢) * مزغب الألغاد لم يأكل بكف
كأنه مستقعد من الخرف * هاتيك أو عصماء فى أعلى شرف
تروغ فى الطباق (٣) والنزع الألف * أودى جماع العلم مذ أودى خلف
من لا يعد العلم الا ما عرف * قليذم (٤) من العياليم الخسف
كنا متى نشاء منه نغترف * رواية لا تجتنى من الصحف

---

(١) وائلا : ناجيا • ووألت : لجأت • والشغواء : العقاب • والشعف : رءوس الجبال •

(٢) اللجف : الغار فى الجبل • ومزغب : صار ذا زغب ، والزغب صغار الريش • والألغاد جمع اللغد بالضم وهو لحمة فى الحلق •

(٣) الطباق والنزع : نوعان عن الشجر •

(٤) القليذم : البئر الغزيرة • والعياليم : جمع عيلم وهى البئر الكثيرة الماء • والخسف جمع خسيفة وهى البئر التى حفرت فى حجارة فنبع منها ماء غزير لا ينقطع •

ومنهـا قوله يرثيه :

لا تئـل العصم في الهضـاب ولا ※ شـغواء تغذو فرخين في لجـف
يكنهـا الجـو في النهـار ويـؤ ※ ويهـا سـواد الدجى الى شرف
تحنـو بجؤشوشـها (١) على ضرم ※ كقصـدة المنحنى من الخـرف
ولا شـبوب (٢) باتت تؤرقه النـ ※ ـثرة منهـا بوابـل قصـف
دان على الأرض والوصـيد وفي ※ بهـو أمين الاياد ذى هـدف (٣)
ديـدنه ذاك طـول ليلتـه ※ حتى اذا انجـاب حاجب السدف
غـدا كوقـف الهـلول ينهفت الـ ※ ـقطقط (٤) من منبتيـه والـكتف
كأن شـذرا وهت معـاقده ※ بـين صـلاه فملعب الشـنف
وأخـدرى صـلب النـواهق صلـ ※ ـصال أمين الفصـوص والوظف
منفـرد في الفـلاة توسـعه ※ ريـا ومـا يختليـه من علـف
ما ترك المـوت من أولى شـبحا ※ بادت بتـلك القـلال والشعف
لمـا رأيت المنـون آخـذة ※ كل شـديد وكل ذى ضـعف
بت أعـزى الفـؤاد عن خلـف ※ وبات دمـعي الا يفض يكـف
أنسي الـرزايا ميت فجعـت بـه ※ أمسى رهـين التـراب في جـدف
كان يسـنى (٥) برفقـه غلقـا ※ في غـير عى منـه ولا عنـف
يجـوب عنـك التى غشيت بهـا ※ من قبـل حتى يشـفيك في لطف
لا يبهـم الحاء في القـراءة بالخـا ※ ء ولا لامهـا مـع الألـف
ولا يعمـى معنـى الكـلام ولا ※ يكـون انشـاده عن الصـحف
وكان ممن مضى لنـا خلفـا ※ فليس منـه اذ بـان من خـلف

---

(١) الجؤشوش : الصدر · والضرم : فرخ العقاب ·

(٢) الشبوب : الشاب من الثيران والغنم · والنثرة : منزلة من منازل القمر ·

(٣) الوصيد : بيت كالحظيرة يتخذ من الحجارة للمال أى الغنم وغيرها في الجبال · والاياد : التراب يجعل حول الحوض أو الخباء يقوى به أو يمنع ماء المطر · والهدف : كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ·

(٤) ينهفت : يتساقط وينخفض · والقطقط : المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر وقيل هو دون الرذاذ وقيل البرد أو صغاره ·

(٥) سناة تسنية : سهلة وفتحه ·

واختلف أبو نواس الى أبى زيد فكتب الغريب من الألفاظ ، ثم نظر فى نحو سيبويه ، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد ويحيى القطان وأزهر السمان وغيرهم ، فلم يتخلف عن أحد منهم ، وأدرك الناس فعلم ، ثم قدم بغداد بعد ذلك ٠

وكان أيضا يتنزر ويدعي للفرزدق ٠ ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازني ، فهجاه الحكم وذكر بريه العود وبغى عليه ونكبه ٠ ولما قال أبو نواس قصيدته التى يهجو بها خندف ، وهي :

ألم تربع على الطلل الطماس ❋ عفاه كل أسحم ذى ارتجاس (١)
وذارى الترب مرتكم حصاه ❋ نسيج الميث معنقة الدهاس (٢)
سوى سفع أعارتها الليالى ❋ سواد الليل من بعد اغبساس (٣)
وأورق حالف المثواة هاب ❋ كضاوى الفراخ من الهلاس (٤)
منازل من عفيرة أو سليمى ❋ أو الدهماء أخت بنى الحماس
كأن معاقد الأوضاح منها ❋ بجيد أغن نوم فى الكناس
وتبسم عن أغر كأن فيه ❋ مجاج سلافة من بيت راس (٥)
فمن ذا مبلغ عمرا رسولا ❋ فقد ذكرت ودك غير ناس
فلم أهجرك هجر قلى ولكن ❋ نوائب لا نزال لها نقاسي
نوائب تعجز الأدباء عنها ❋ ويعيا دونها اللقن النطاسي
وقد نافحت عن أحساب قوم ❋ هم ورثوا مكارم ذى نواس
فان تك أوقدت للحرب نار ❋ فما غطيت خوف الحرب راسي
بأبى خير ما أبلى محام ❋ اذا ما النبل ألجم بالقياس (٦)
وسمت الوائلين بفاقرات ❋ بهن وسمت رهط أبي فراس
وقالت كاهل وبنو قعين ❋ حنانك اننا لسنا بناس

---

(١) طماس بالكسر : دارس ٠ والأسحم : السحاب ٠ والارتجاس ٠ الرعد ٠
(٢) المعنقة : حبل فى الرمل ٠
(٣) الاغبساس : بياض فيه كدرة ٠ والسفع : يريد بها الأثافى ٠
(٤) الهلاس : الضمور ، وهاب : لونه لون الهباء ٠
(٥) بلدة بالشام تنسب اليها الخمر ٠
(٦) جمع قوس ٠

فمـا بال النعـاج ثغت بشـتمي ✻ وفي زمعـاتهن دم الفـراس
ومـا حـامت عن الأحسـاب الا ✻ لترفـع ذكرهـا بأبي نـواس

عارضه الحكم وهجاه ، فانقلب على النزارية وادعى أنه من حاء وحكم ، فزجره يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى وقال له : أنت خوزى ، فمالك ولحاء وحكم ! فقال له : أنا مولى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض : انه لظريف اللسان غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكايد عنا ويهجو النزارية ، فكان كما قالوا وكما ظنوا ، فانقلب الى اليمن وعدل عن كنيته بأبى فراس واكتنى بأبى نواس ، تشبها بكنية ذى نواس كما كانت اليمن تكتنى ، وندم على هجاء اليمن ، ووجدهم له أنصر ولدعوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكندى من هجائه ، ومدح اليمن فقال :

أهاشـم خذ مني رضـاك وان أتى ✻ رضـاك على نفسي فغـير ملـوم
فاقسـم ما جاوزت بالشـتم والدى ✻ وعـرضي ومـا مزقت غـير أديمى
فعـذت بحقـوى هاشـم فاعاذنى ✻ كريـم أراه فـوق كل كريـم
وان امرأ أغضى على مثـل زلتـى ✻ وان جرحت فيـه لجد حـليم
تطاول فوق النـاس حتى كأنمـا ✻ يرون بـه نجمـا أمام نجـوم
اذا متـازت الأحسـاب يوما بأهلهـا ✻ أنـاخ الى عاديـة وصـميم
الى كل معصـوب به التـاج مقول ✻ اليـه أيادى عـامر وتميـم

وكان قبل أن ينتمى لليمن ويدعى لنزار يتعاجم فى شعره ، فمن ذلك قوله :

فاسقنيهـا وغن صـو ✻ تا ، لك الخـير ، أعجما
ليس في نعت دمنـة ✻ لا ولا زجـر أشـأما

وكان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبى نواس شعرا يفضل هذه القصيدة وهى :

ودار نـدامى عطلوهـا وادلجـوا ✻ بهـا أثر منهـم جديد ودارس
مسـاحب من جر الزقاق على الثرى ✻ وأضـغاث ريحـان جنى ويابس
حبست بهـا صحبى فجددت عهدهم ✻ وانى عـلى أمثـال تـلك لحـابس
ولم أدر منهم غـير ما شـهدت به ✻ بشرقى سـاباط الديار البسـابس
أقمنـا بهـا يوما ويوما وثالثـا ✻ ويومـا له يـوم الترحـل خـامس
تدار علينـا الراح فى عسـجدية ✻ حبتهـا بأنواع التصـاوير فارس

قرارتهـا كسرى وفي بتنباتهـا * مهـا تدريهـا بالقسي الفـوارس
فللخمر (١) ما زرت عليه جيوبهـا * وللمـاء ما دارت عليـه القلانس

وقوله يصف كرمة وعبر عنها بالهجمة وهو يريد الدنان :

لنـا هجمـة لا يدرك الذنب سخلها * ولا راعهـا نـزو الفحالة والخطـر
اذا امتحنت ألوانهـا مال صفوهـا * الى الـكمت الا أن أوبارهـا خضر
وان قـام فيهـا الحالبـون اتقتهم * بنجلاء ثقب الجـوف درتهـا الخمر
مسـارحها الغربي من نهر صرصر * فقطربـل فالصـالحية فالعقـر
تراث أبي سـاسـان كسرى ولم تكن * مواريث ما أبقت تميـم ولا بـكر
قصرت بهـا ليـلى وليـل ابن حرة * له حسـب زاك وليس لـه وفـر

وفي تعاجم أبي نواس في شعره يقول الرقاشي يهجوه :

نبـطي فاذا قيـل لـه * أنت مـولى حـكم قال أجـل
هو مـولى الله اذ كـان بـه * لاحقـا فالله أعـلى وأجـل
واضـعا نسبته حيث اشتهي * فـاذا ما رابـه ريب رحـل

فقال أبو نواس يهجوه :

هجوت الفضـل دهري وهو عنـدي * رقاشي كمـا زعـم المسـول
فلمـا سـوئلت عنـه رقـاش * لنعـلم ما تقـول وما يقـول
ولمـا أن نصصنـاه اليهـا * لتعـلم ما يقـال ومـا نقـول
وجـدنا الفضـل أبعـد من رقاش * من الأتن ادعت فيهـا الفيـول
وجـدنا الفضـل أكرم من رقاش * لأن الفضـل مـولاه الرسـول

يريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا مولى من لا مولى له » .

---

(١) يعني أن الخمر مصبوب فيها الى حلوق الصور صرفا . وقوله : وللماء ، يعني انهم صبوا الماء في مزجها حتى علا رءوسها .

وقال أيضا يهجوه :

قـل للرقاشي اذا جئتـه ❊ لو مت يا أحمق لم اهجكـا
لأننـي أكـرم عـرضي ولا ❊ أقـرنه يوما الى عرضكـا
ان تهجني تهـج فتى ماجـدا ❊ لا يرفـع الطـرف الى مثلكـا
دونك عرضي فاهجه راشـدا ❊ لا تدنس الأعراض من هجوكـا
والله لو كنت جريـرا لمـا ❊ كنت بأهجى لـك من أصلكـا

وقال أيضا يهجوه :

عربيـا من صـنعة السـوق ❊ وصـنعة السـوق ذات تشـقيق
مـا رأيكـم يا نزار في رجـل ❊ يدخـل فيكم من خـلق مخلوق
ويحمـل الوطب والعـلاب ولا ❊ يصـلح الا لحمـل ابريـق
لقـد ضربنـا بالطبـل في الـ ❊ ـقوم صحيـح وصـيح في البوق
فالنـاس يسـعون للعـلا قـدما ❊ وهـم وراء مكسر والسـوق
هـذا كـذا كم وفي الهيـاج اذا ❊ هيج فما شئت من بواشـيق (١)

وقال أيضا يهجوه :

أصـبح الفضـل ظاهر التيه ❊ وذاك مـذ صرت أهاجيـه
لله شـعري ، أي مفـواهة ❊ لكل مـن دوني قوافيـه
كم بين فضـل منذ هاجيتـه ❊ وبينـه قبـل أهاجيـه
فالحمـد لله وان كنت لـم ❊ أحفـل بقوم نصـحوا فيـه
رضـيت أن يشـتمني ساقط ❊ شسعي خـير مـن مواليـه

وكان أبو نواس في دعاويه يتماجن ويعبث ويخفي نسبه واسم أمه لئلا يهجى ، وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم . والمذكور من أمره أنه كان مـولى الحكميين ، يفتخر باليمن ويمدحهم لذلك ، ويمـدح العجم ويذكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال في العجم ما قال .

---

(١) جمع باشق وهو اسم طائر ، أعجمي معرب .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو عبيدة يقول : ذهبت اليمن بجد الشعر وهزله : امرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله • وكان يقول : ذهبت اليمن بجيد الشعر في قديمه وحديثه : امرؤ القيس في الأوائل ، وأبو نواس في المحدثين • وكان يقول : شعراء اليمن ثلاثة : امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس • وقال أيضا : أبو نواس في المحدثين مثل امرىء القيس في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعاني وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه • وكان يقول : يعجبني من شعر أبي نواس قوله :

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم
فلو رد في كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفاني دون كل نديم

وسئل يعقوب بن السكيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء ، فقال : اذا أردت من الجاهليين فلامرىء القيس والأعشى ، ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ، ومن المحدثين فلأبي نواس فحسب • وقيل : للعتبي من أشعر الناس ؟ قال : عند الناس أم عندي ؟ قيل عند الناس ؟ قال : امرؤ القيس ، قيل : فعندك ؟ قال : أبو نواس •

وقال عبد الله بن عائشة : من طلب الأدب فلم يرو شعر أبي نواس فليس بتام الأدب • وسئل : من أشعر المحدثين ؟ فقال : الذي يقول :

كأن ثيابه أطلعـ * ـن من أزراره قمرا
يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا
بعين خالط التفتيـ * ـر من أجفانها الحورا
ووجه سابري لو * تصوب ماؤه قطرا
وقد خطت حواضنه * له من عنبر طررا

وقال ابراهيم بن العباس الطويل : اذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبي نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورائد ظرفه •

وكان أبو نواس يقول عن نفسه : سفلت عن طبقة من تقدمني من الشعراء وعلوت عن طبقة من معي ومن يجيء بعدي ، فأنا نسيج وحدي •

وحدث جماعة من الرواة ممن شاهد أبا نواس قالوا : كان أقل ما في أبي نواس قول الشعر ، وكان فحلا راوية عالما •

وقال أبو عبيدة : بلغني أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فتلقاني وهو سكران ما طر شاربه بعد ، فقلت له : كيف فلان عندك ؟ فقال : ثقيل الظل ، جامد النسيم ، فقلت : زد ، فقال : مظلم الهواء ، منتن الفناء ، فقلت : زد ، فقال : غليظ الطبع ، بارد الشكل ، قلت : زد ، فقال : وخم الطلعة ، عسر القلعة ، قلت : زد ، قال : ناتىء الجنبات ، بارد الحركات ، قال : فخففت عنه ، فقال : زدني سؤالا ، أزدك جوابا ، فقلت : « كفى من القلادة ما أحاط بالعنق » .

وقال سليمان بن أبي سهل لأبي نواس : ما الذى استجيد من أجناس شعرك ؟ فقال : أشعارى فى الخمر لم يقل مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعرى ان لم يزاحم غزلى ما قلته في الطرد .

وكان يقول : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى ، فما ظنك بالرجال ؟ واني لأروى سبعمائة أرجوزة ما تعرف .

وكان قد استأذن خلفا فى نظم الشعر . فقال : لا آذن لك فى عمل الشعر الا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ، فغاب عنه مدة وحضر اليه فقال له : قد حفظتها ، فقال : أنشدها ، فأنشده أكثرها فى عدة أيام ، ثم سأله أن يأذن له فى نظم الشعر ، فقال له : لا آذن لك الا أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له : هذا أمر يصعب على فانى قد أتقنت حفظها ، فقال له : لا آذن لك الا أن تنساها ، فذهب الى بعض الديرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال : قد نسيتها حتى كأن لم أكن قد حفظتها قط ، فقال له : الآن فانظم الشعر .

وكان أبو نواس يقول : لا أكاد أقول شعرا جيدا حتى تكون نفسى طيبة ، وأكون فى بستان مونق ، وعلى حال أرتضيها من صلة أوصل بها أو وعد بصلة ، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعارا لا أرضاها . وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياما ، ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيرا منها ويترك صافيها ، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره . وكان يهمه الشعر فى الخمر فلا يعمله الا فى وقت نشاطه . ولم يكن فى الشعر بالبطىء ولا بالسريع بل كان فى منزلة وسطى .

وكان الأصمعي يقول : يعجبنى من شعر الشاعر بيت واحد قد أجاد قائله وهو :

ضعيفة كر الطرف تحسب أنها * قريبة عهد بالافاقة من سقم
وانى لآتى الأمر من حيث يتقى * ويعلم سهمى حين أنزع من أرمى

قال العتابى لرجلين تناظرا فى شعر أبى نواس : والله لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد ٠

وقال أبو عمرو الشيبانى : أشعر الناس فى وصف الخمر ثلاثة : الأعشى والأخطل وأبو نواس ٠

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعر فى عصر أبى نواس الا وهو يحسده لميل الناس اليه وشهوتهم لمعاشرته ، وبعد صيته وظرف لسانه ٠

وقال أبو حاتم : سئل أبو نواس عن شعره فقال : اذا أردت أن أجد ، قلت مثل قصيدى « أيها المنتاب عن عفره » ، واذا أردت العبث قلت مثل قصيدى : « طاب الهوى لعميده » ، فأما الذى أنا فيه وحدى وكله جيد فاذا وصفت الخمر ٠

وقال أبو ذكوان : كنا عند التوزى فذكرت عنده أبا نواس ، فوضع منه بعض الحاضرين ، فقال له التوزى : أتقول هذا لرجل يقول :

يخافه الناس ويرجونه * كأنه الجنة والنار

ويقول :

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

ويقول :

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

قال ابن الأعرابى يوما لجلسائه : ما أشعر ما قال أبو نواس فى الخمر ؟ فقال بعضهم :

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقال آخر :

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقال آخر :

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقا * وما لم تـكن فيـه من البيت مغـربا

وقال آخر :

فكأن الكؤوس فينـا نجـوم * دائرات بروجهـا أيدينـا

وقال آخر :

صـفراء لا تنزل الأحزان ساحتها * لـو مسـها حجـر مسـته سراء

فقال ابن الأعرابى : ان هذا كله لشاعر انفرد بالاحسان فيه ، وتقدم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله فى قوله :

لا ينزل الليـل حيث حلت * فـدهر شـرابهـا نهـار

قال مسلم بن بهرام : لقيت أبا العتاهية فقلت له : من أشعر الناس ؟ قال : تريد جاهليها أو اسلاميها أو مولدها ؟ قال : كلا أريد الذى يقول فى المديح :

اذا نحن أثنينـا عليـك بصـالح * فأنت كما نثنى وفـوق الذى نثنى
وان جرت الألفـاظ يومـا بمدحـة * لغـيرك انسـانا فأنت الذى نعنى

والذى يقول فى الزهد :

ألا رب وجـه فى التـراب عتيـق * ويارب حسـن فى التـراب رقيـق
ويارب حـزم فى التـراب ونجـدة * ويارب رأى فى التـراب وثيـق
فقـل لقريب الدار انـك راحـل * الى منزل نـائى المحـل سـحيق
وما النـاس الا هـالك وابن هـالك * وذو نسـب فى الهـالكين عريـق
اذا امتحن الدنيـا لبيب تكشـفت * له عن عـدو فى ثيـاب صـديق

وكان يقول : سبقنى أبو نواس الى ثلاثة أبيات وددت أنى سبقته اليها بكل ما قلته فانه أشعر الناس فيها ، منها قوله :

يا كبير الذنب عفـو الـ * ـه من ذنبـك أكبـر

وقـــوله :

مــن لــم يــكن لله متهمـــا * لم يمس محتــاجا الى أحــد

وقـــوله :

اذا امتحن الدنيـــا لبيب تكشفت * له عن عــدو فى ثيـــاب صــديق

ثم قال : قلت فى الزهد ستة عشر ألف بيت وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيـات ٠

وقال الجاحظ : سمعت النظام يقول ، وقد أنشد شعرا لأبى نواس : كأن هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه ٠ وقال بعضهم : كأن المعانى حبست عليه ، فأخذ حاجته وفرق الباقى على الناس ٠ وقال أبو حاتم : كانت المعانى مدفونة حتى أثارها أبو نواس ٠

حدث الحسين بن الخصيب الكاتب ، قال : قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون ، وهو مستلق على قفاه ، فقـال لعبد الله ابن طاهر : يا أبا العباس ، من أشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم ؟ فقال : أمير المؤمنين أعرف بهذا وأعلى عينـا ، فقال له المأمون : على ذلك تقل ، تكلم أنت يا أحمد بن يوسف ، فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذى يقول :

ويا قبر معن كنت أول حفـرة * من الأرض خطت للسماحة منزلا

قال أحمد بن يوسف الكاتب : فقلت : بل أشعرهم الذى يقول :

أشبهت أعدائى فصرت أحبهـم * اذ كان حظى منـك حظى منهم

فقال المأمون : يا أحمد أبيت الا غزلا ! أين أنتم عن الذى يقول :

يا شـــقيق النفس من حــكم * نمــت عــن ليـــلى ولم أنـم

فقلنا : صدقت يا أمير المؤمنين ٠

وكان المأمون يقول : لو سئلت الدنيا عن نفسها فنطقت ، لما وصفت نفسها كما وصفها أبو نواس فى قوله :

اذا امتحن الدنيـــا لبيب تكشفت ❊ له عن عـــدو في ثيـــاب صـديق

ورد على العتابي بحلب عدة من الكبار من أهل قنسرين ، فدخلوا وسلموا ، وكان في يده رقعة ينظر اليها ، فقال لهم : لقد سلك صـــاحب هذه الرقعة واديا ما سلكه أحد قبله ، فنظروا فاذا هو شعر أبي نواس في جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفي ، وهو قوله :

ربـــع الثـرى بين الجفون محيـــل ❊ عفى عليـــه بكى عليـــك طويل
يا ناظـــرا ما أقـلعت لحظـــاته ❊ حتى تشـــحط بينهن قتيـــل
أحللت قـــلبي من هـــواك محـــله ❊ مـــا حلهـــا الشروب والمأكـــول
بكمـال صـــورتك التي من دونهـا ❊ يتحـــير التشبيـــه والتمثيـــل
فـوق القصـيرة والقصـيرة فوقهـا ❊ دون السمين ودونهـــا المهـــزول

ومما أنشده العتابي لأبي نواس فقال أحسن وأجاد :

متتـــايه بجمـــاله صـــلف ❊ لا يســـتطاع كـــلامه تيـــها
للحسن في وجنـــاته بـــدع ❊ ما ان يمـــل الدرس قاريهـــا
لو كانت الأشـــياء تعقله ❊ أجللنه اجـــلال باريهـــا
لو تســـتطيع الأرض لانقبضت ❊ حتى يصـــير جميعه فيهـــا

وقـــوله :

ان السـحاب لتستحيي اذا نظرت ❊ الى نـــداك فقاســـته بمـــا فيهـــا
حتى تهـــم باقـــلاع فيمنعهـــا ❊ خـوف من السخط من اجلال منشيها

قال محمد بن صالح بن بيهس الكلابي : لما دخلت العراق صرت الى مدينة السلام فسألت عمن بها من الشعراء المحسنين ، وذلك في أيام خلافة الأمين أو عند موته قبل دخول المأمون بيسير ، فقيل لى : قد غلب عليهم فتى من أهل البصرة يقال له الحسن بن هانىء ويعرف بأبي نواس ، وقد كنت سمعت شيئا من شعره ، فأتاني فتى كان من أهل الأدب ، فقلت له : هل تروى لأبي نواسكم هذا شيئا ؟ قال : أروى له أبياتا في الزهد وليس هو من طريقته ، فقلت أنشدنيها ، فأنشدني :

أخي ما بال قلبك ليس ينقى * كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا بن الذين فنوا وبادوا * أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما للنفس عندك من مقام * اذا ما استكملت أجلا ورزقا
وما أحد بزادك منك أحظى * ولا أحد بذنبك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد * اذا جعلت الى اللهوات ترقى

فقلت له : أحسن والله ! قال : أفلا أنشدك أحسن من هذا ؟ قلت بلى ، فأنشدني في رثاء محمد الأمين :

طوى الموت ما بيني وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر
فلا وصل الا عبرة تستديمها * أحاديث نفس مالها الدهر ذاكر
لئن عمرت دور بمن لا أوده * لقد عمرت ممن أحب المقابر
وكنت عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

فقال : بحق ما غلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره .

قال محمد بن جعفر الأصم : كنا عند أبي نعيم ، فتذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين ذكرت شعر لبيد يرثى أخاه اربد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتا ، قلنا : أنشدناها ، فقال :

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا * خلفا في أراذل النسناس
في أناس نعدهم من عديد * فاذا فتشوا فليسوا بناس
كلما جئت أبتغي الفضل منهم * بدروني قبل السؤال بياس
وبكوا لي حتى تمنيت أني * مفلت عند ذاك رأسا براس

ثم قال : أتدرون لمن الشعر ؟ قلنا : لا ، قال : للحسن بن هانيء .
قال أبو عبد الرحمن الضرير : رأيت مسلم بن الوليد بجرجان وهو يتولاها ، فسألني عمن خلفت من الشعراء ، فقلت له : أما من الكوفيين فأبو نواس ، وهو مقدم عندهم ، فقال : ويحك ! كيف يتقدم وهو يقول : رويدك يا انسان لا أنت تقفز

أرأيت قوله : « تقفز » خرجت من بين فكي شاعر فط ! تم قال : ويلك ! وكيف يكون كذلك وهو يحيل ويتخطى من صفة المخلوق الى صفة الخالق ؟ فقلت : مثل ماذا من قوله ؟ قال : أما فيما أحال فكقوله :

وأخفت أهـل الشرك حتى انـه ✻ لتخافـك النطف التى لم تخـلق

وهذا من الاغراق المستحيل فى العقول ومما ليس على مذهب القوم ، وأما فى تخطيه بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقوله :

يجـل أن تلحـق الصـفات بـه ✻ فـكل خـلق لخـلقه مثـل

وكقـوله :

✻ برئ من الأشباه ليس له مثل ✻

ومما قيل عن أبى نواس ان الشعر انما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يحسنهما ، وأجـود شعره فى الخمر والطرد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له وانما سرقه ، وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبنى عليه حتى يجئ به قبيحا ، مثل قوله : « وداونى بالتى كانت هى الداء » أخذه من قول الأعشى : « وأخرى تداويت منها بها » والذى أخذه منه أحسن · ومنها أيضا قوله : « ان الشباب مطية الجهل » أخذه من قول النابغة الجعدى : « فان مطية الجهل الشباب » · وقوله : « كطلعة الأشمط من اهابه » أخـذه من قول أبى النجم : « كطلعة الأشـمط من كسائه » · ولكن رزق أبو نواس فى شعره أن سـار وحمله الناس وقدمه أهل عصره ، وان له على ذلك لأشياء حسـانا لا يدفعها ولا يطرحها الا جاهل بالكلام أو حاسد ·

ومن أحسن مدائح أبى نواس قـوله من أرجـوزته التى يمدح بها الفضـل ابن الربيع وهى :

وبلـــدة فيهــــا زور ✻ صـــعراء تخطى فى صـــعر
مرت (١) اذا الـذئب اقتفر ✻ بهــا من القــوم الأثــر

(١) المرت (بفتح فسكون) : الأرض لا نبات فيها ، واقتفر الأثر : اقتفاه وتبعه ·

كـــان له من الجــــــزر * كــل جنين ما اشــتكر (١)
ولا تعــــلاه شــــعر * ميــت النســــاحي الثغر
عســفتها (٢) على خطــر * وغــرد مــن الغــرر
ببـــازل حـــين فطــر * يهـــزه جـــن الأشـــر
لا متشــك من ســدر (٣) * ولا قـــريب من خـــور
كأنــــه بعــد الضــمر * وبعـد ما جـال الضـفر (٤)
وانمــــح فى فحســــر * جــاب (٥) ربــاع المثغــر
يحــدو بحقـب كالأكـــر * ترى بأثبــــاج القصــر (٦)
منهــن توشــيم الجـــدر * رعـــين أبكـــار الخضــر
شـــهرى ربيـــع وصــفر * حتى اذا الفحــل جفـر (٧)
وأشـــبه الســـفى الابر * نش أذخـــار النقـــر (٨)
قلـن لــه : مـا تأتمـــر ؟ * وهـــن اذ قلــن : أشــر
غـــير عـــواص ما أمــر * كأنهـــــا لمـــن نظـــر
ركـب يشـــــيمون مطـــر * حتى اذا الظـــل قصــر
يممـــن من جنبـى هجـــر * أخضــــر طمـــــام العكـــر
وبـــين أحقـــاف القتـــر * ســـــار وليس للســــمر
ولا تـــــلاوات الســــور * يمســـح مرنانــا يسر (٩)

---

(١) الجزر (بفتحتين) : ما يذبح من الشاه ذكرا كان أو أنثى • واحدته : جزرة • وما اشتكر : لم يثبت له الشكر وهو الضعيف من الشعر الذى لا يكاد يظهر •

(٢) عسفها : سلكها متخبطا • والغرر . الخطر •

(٣) السدر : التحير •

(٤) الضمر (بالضم وبضمتين) : الهزال • والضفر : جمع ضفار (بالفتح) وهو ما يشد به البعير من شعر مضفور •

(٥) الجأب : الحمار الغليظ من حمر الوحش •

(٦) الأثباج جمع ثبج وهو وسط الشيء ، والقصر جمع قصرة وهى أصل العنق •

(٧) جفر : امتنع عن الضراب •

(٨) السفى : كل شجر له شوك ، ونش : نضب ، والنقر : جمع نقرة وهى الوهدة المستديرة من الأرض •

(٩) المرنان : القوس •

زمت بمشزور المرر * لأم كحلقوم النغر (١)
حتى اذا اصطف السطر * أهدى لها لو لم تجر
دهياء يحدوها القدر * فتلك عنس لم تدر
شهبا اذا الآل ظهر * اليك كلفنا السفر
خوصا يجاذبن النظر * قد انطوت منها السرر
طي القرارى (٢) الحبر * لم تتقعدها الطير
ولا السنيح المزدجر * يا فضل للقوم البطر
اذ ليس في الناس عصر * ولا من الخوف وزر
ونزلت احدى الكبر * وقيل صمصاء الغير
فالناس أبناء الحذر : * فرجت هاتيك الغمر
عنا « وقد صابت بقر » (٣) * كالشمس في شخص بشر
أعيا مجاريك الخطر * أبوك جلى عن مضر
يوم الرواق المحتضر * والخوف يفري ويذر
كهزة الغضب الذكر * قام كريما فانتصر
لما رأى الأمر اقمطر (٤) * ما مس من شيء هبر (٥)
وأنت تقتاف الأثر * من ذي حجول وغرر
معيد ورد وصدر * وان علا الأمر اقتدر
فأين أصحاب الغمر * اذ شربوا كأس المقر (٦)
وقصروا فيمن قصر * هيهات لا يخفى القمر

---

(١) زمت : شدت ، ومشزور : مفتول ، والمرر : جمع مرة وهي قوة الفتل ، واللأم : الشديد والنغر : كصرد البلبل • والعرب تشبه الدقيق بالأوتار وحلاقيم النغران •

(٢) القرارى : الخياط •

(٣) القر : القرار ، يقال اذا وقع الأمر موقعه : صابت بقر وقعت بقر • قال طرفة بن العبد البكرى :

كنت منهم كالمغطي راسه * فانجلى اليوم غطائي وخمر
سادرا احسب غيي رشدا * فتناهيت وقد صابت بقر

(٤) اشتد •

(٥) هبر : قطع •

(٦) المقر : المر •

أصحرت (١) اذ دبــوا الخمر * شــكرا ، وحــر من شــكر
فالله يعطيك الشــبر (٢) * وفى أعاديــك الظفــر
والله مــن شـــاء نصـر * وأنت ان خفنـا الحصر (٣)
وهــر دهــر وكشـر * عــن ناجـذيه وبسر (٤)
أغنيت مــا أغنى المطـر * وفيــك أخــلاق اليسر
فــان أبــوا الا العســر * أمررت (٥) حبــلا فاستمر
حتى تــرى تلـك الزمـر * تهــوى لأذقان الثغر (٦)
من جـذب ألـوى (٧) لو نتر * اليـه طـودا لانأطـر (٨)
صـــعب اذا لاقـى أبـر * وان هفـا القــوم وقــر
أو رهبــوا الأمــر جسر * ثم تســـامى ففغـــر
عـن شقشـــق ثم هــدر * ثم تنـــاجى فخطـــر
بذى سبيب (٩) وعــذر * يمضــغ أطــراف الوبـر
هـل لك والهل (١٠) خـير * فيمــن اذا غبـت حضــر
أو نالــك القــوم ثــأر * وان رأى خـــيرا شــكر

* أو كان تقصـير عـذر *

ولما عمل أبو نواس القصيدة التى أولها : * ومستعبد اخوانه بثرائه * بلغت الأمين ، فبعث اليه ، وعنده سليمان بن جعفر . فلما دخل عليه وقال له : يا عاض بظر أمه العاهرة ، ويا مدعى ولاء حاء وحكم ! أتدرى يا بن اللخناء من توليت والى من ادعيت ؟ الى ألأم قبيلتين فى اليمن ، علوج باغين . أنت تكتسب بشعرك أوساخ

---

(١) اصحرت : برزت الى الصحراء . ودبوا الخمر : مشوا مختفين . والخمر : ما سترك من شجر أو بناء أو نحوه .
(٢) الخير والقوة .
(٣) الضيق .
(٤) كشر : أبدى عن ناجذيه ، وبسر . عبس .
(٥) اى أحكمت فتله .
(٦) جمع ثغرة وهى ونقرة النحر .
(٧) الألوى : الشديد الخصومة .
(٨) أعوج وانثنى .
(٩) السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية ، والعذر جمع عذار .
(١٠) قصد لفظ هل الاستفهامية فأدخل عليها الألف واللام .

أيدى الناس اللئام ، وتقول : * ولا صاحب التاج المحجب فى القصر * أما والله ما نلت منى شيئا بعد ذلك أبدا ! فقال له سليمان بن أبى جعفر : اى والله ! نعم هو مع هذا من كبار الثنوية (١) (وكان يرمي بذلك) ، فقال له محمد الأمين : وهل يشهد عليه شاهد بشيء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة نفر ، فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مطير فوضع قدحه تحت السماء فى المطر فوقع فيه المطر ، فقالوا له : ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال : أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة ملك ، فكم ترانى اشرب من الملائكة ! ثم شرب ما فى القدح ، فغضب محمد ، وأمر به الى السجن . فذلك قول أبى نواس :

يارب ان القوم قد ظلمونى	وبلا اقتراف معطل حبسونى
والى الجحود بما عرفت خلافه	ربى اليك بكذبهم نسبونى
ما كان الا الجرى فى ميدانهم	فى كل خزى والمجانة دينى
لا العذر يقبل لى ويفرق شاهدى	منهم ولا يرضون حلف يمينى
ما كان - لو يدرون - أول مخبأ	فى دار منقصة ومنزل هون
أما الأمين فلست أرجو دفعه	عنى ، فمن لى اليوم بالمأمون

فبلغت أبياته المأمون ، فقال : والله لئن لحقته لأغنينه غنى لا يؤمله . فمات قبل دخول المأمون بغداد .

لما وصلت الخلافة الى محمد الأمين وولى الفضل بن الربيع الوزارة ، تفرغ محمد للهو والصيد والنزهة ، وكان لا يخرج الا لصيد أو لنزهة . فخرج ذات يوم وقد أمر الجند والقواد فركبوا ، ولبس ثيابه وتقلد سيفه ، وأعدت الحراقات (٢) والزلاجات فى دجلة ، فقال له اسماعيل بن صبيح - وكان كاتب سره - : يا أمير المؤمنين ان قوادك وجندك وعامة رعيتك قد خبثت نفوسهم ، وساءت ظنونهم ، وكبر عندهم ما يرون من احتجابك عنهم فلو جلست لهم ساعة من نهار فدخلوا عليك ! فان فى ذلك تسكينا لهم ومراجعة لآمالهم ! فجلس فى مجلسه وأذن للناس عامة فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم ، وقام الخطباء فخطبوا ، والشعراء فأنشدوا ، فلم يكن أحد منهم يتعدى الى الاطناب والتطويل ، الا أمر بالسكوت ومنع من القول .

---

(١) الثنوية أصحاب الاثنين الأزليين وهم الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان . بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام .

(٢) الحراقات : ضرب من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر .

وقام فيمن قام ابو نواس ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء الشعراء اهل حجر ومدر ، وابل ووصف للبقر وبيوت الشعر ، قد جفت الفاظهم ، وغلظت معانيهم ، ليس لهم بصر بمدح الخلفاء وشر مكارمهم ، فان رأى امير المؤمنين ان يأذن لى فى انشاده فليفعل فأذن له فانشده :

أيا دارهـــا بالمـــاء حتى تلينهـــا ❋ فلـن تكـــرم الصـــهباء حتى تهينها
اغـالى بهـــا حتى اذا ما ملكتهـــا ❋ أهنت لإكـــرام الخليـل مصـــونها
وصفراء قبل المزج بيضـــاء بعـده ❋ كأن شعاع الشمس يلقـاك دونهـــا
ترى العين تستعفيـــك من لمعانهـــا ❋ وتحسر حتى ما تقـــل جفونهـــا
نزوع بنفس المرء عمـــا يســـوؤه ❋ ويجـــذله ألا يـزال قرينهـــــا
كأن يواقيتـــا رواكـــد حولهـــا ❋ وزرق ســـنانير تـديرعيونهـــا
وشـــمطاء حل الدهر منهـا بنجوة ❋ دلفت اليهـــا فاســـتللت جبينهـــا
كأنا حلـول بين أكنـــاف روضـــة ❋ اذا ما سلبناهـــا مع الليـل طينهـا

الى أن أكمل القصيدة • فقال له محمد : ألم أنهك عن شرب الخمر ! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، والله ما شربتها منذ نهيتني عنها ومنعتنى من شربها ، وأنا الذى أقول :

أيهـــا الرائحـان باللوم لوما ❋ لا أذوق المـــدام الا شـــميما
نالنى بالمـــلام فيهـــا امـام ❋ لا أرى لى خـــلافه مســـتقيما
فاصرفاها الى ســـواى فانى ❋ لست الا على الحـــديث نديما
كبر حظى منهـا اذا هى دارت ❋ أن أراهـــا وأن أشـم النسيما
فكـــأنى وما ازين منهـــا ❋ قعـــدى يحسن التحكيمـا (١)
كل عن حمله السلاح الى الحر ❋ ب فأوصى المطيـــق ألا يقيمـــا

فتبسم محمد ، وقال له : أحسنت ! وقال بعض الشعراء فأنشد :

ترقى فى فضـــائله الأمين ❋ وزايله المشـــاكل والقـــرين
وأورق زهرة التقـوى وعـزت ❋ خلافتـه وصـــدقت الظنـــون
تمس منـــابر الخلفـــاء منـه ❋ يد بخـــلاف طاعتهـــا المنـون
يخاف الخوف صـولته ويرجو ❋ نـــداه الجـود فهـو له خدين

---

(١) القعدى من الخوارج : الذى يرى رأى القعدة الذين يرون التحكيم حقا ، غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس •

فقال عدة ممن حضر : قد أوجز وأجاد ، أكرم الله أمير المؤمنين ، فقال أبو نواس أشعر منه يا أمير المؤمنين الذى يقول :

ألا يا خير من رأت العيون * نظيرك لا يحس ولا يكون
وفضلك لا يحد ولا يجارى * ولا تحوى حيازته الظنون
فأنت نسيج وحدك لا شبيه * نحاشيه عليك ولا خدين
خلقت بلا مشاكلة لشىء * فأنت الفوق والثقلان دون
كأن الملك لم يك قبل شيئا * الى أن قام بالملك الأمين

قال : ففضله محمد وأحسن جائزته . ويقال : انه قالها بديها .

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك ، فركب الحراقة الى الشماسية ، واصطفت له الخيل وعليها الرجال على شاطىء دجلة ، وحملت معه المطابخ والخزائن . وكان ركوبه حراقة (١) على مثال الأسد . فما رأى الناس منظرا كان أبهى ولا مسيرا كان أحسن من ذلك المنظر والمسير . وركب أبو نواس معه يومئذ وهو ينادمه ، فقال :

سخر الله للأمين مطايا * لم تسخر لصاحب المحراب (٢)
فاذا ما ركابه سرن بحرا * سار فى الماء راكبا ليث غاب
أسدا باسطا ذراعيه يعدو * أهرت الشدق(٣) كالح الأنياب
لا يعانيه باللجام ولا السو * ط ولا غمز رجله فى الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو * رة ليث تمر مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه * كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحـ * ـين تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا ما اسـ * ـتعجلوها بجيئة وذهاب
بارك الله للأمين وأبقا * ه وأبقى له رداء الشباب
ملك تقصر المدائح عنه * هاشمى موفق للصواب

---

(١) وذلك أنه كان للامين ثلاث من السفن المعروفة بالحراقات لركوبه خاصة . وهى الليث والعقاب والدلفين .

(٢) صاحب المحراب هو سليمان بن داود عليه السلام لأنه بنى بيت المقدس .

(٣) أهرت الشدق : واسعه . وكالح الانياب : كاشرها .

ويقال : ان هذا الشعر قاله أبو نواس في محمد ، وقد ركب حراقته الدلفين . فقال له شيخ الى جانبه : اتق الله يا هذا ! فقال له أبو نواس : يا شيخ ، ان الله لم يسخر لصاحب المحراب الدلفين ، وقد سخر له ما هو خير من الدلفين ، فأى شيء تنكر من هذا ؟

قال ابن حبيب : كنت مع مؤنس بن عمران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد ، فقال مؤنس : لو دخلنا على أبي نواس في السجن فسلمنا عليه ! ففعلنا ، فقال أبو نواس لمؤنس : أين تريد ؟ فقال : أريد أبا العباس الفضل بن الربيع ، قال فبلغه رقعة أعطيكها ، قال : نعم ، فأعطاه رقعة فيها :

ما من يد في الناس واحدة * كيد أبو العباس مولاها
نام البغاة على مضاجعهم * وسرى الى نفسي فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمنني * من أن أخافك خوفك الله
فعفوت عني عفو مقتدر * وجبت له نقم فألغاها

فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من السجن .

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكران ، فمر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة ، فدخل فقام في الصف الأول ، فقرأ الامام : **(قل يأيها الكافرون)** فقال أبو نواس من خلفه : لبيك ، فلما قضيت الصلاة لببوه (١) وقالوا له : يا كافر نشهد عليك بالكفر ودفعوه . فبلغ خبره الرشيد ، فدعا له حمدويه صاحب الزندقة ، وأحضر أبا نواس فقال له حمدويه : يا أمير المؤمنين ، ان هذا ماجن ، وليس هو بحيث يظن ، فقال له الرشيد : ويحك ! انه وقع في نفسي منه شيء ، فامتحنه . قال : فخط له صورة ماني (٢) ، وقال له : ابصق عليها ، فأهوى أبو نواس بفيه ليقيء عليها ، فقال له حمدويه : قد قلت لك يا أمير المؤمنين انه ماجن . قال :

---

(١) لببوه : أخذوا بلببه ، وهو موضع القلادة في الصدر .

(٢) هو ماني بن فاتك الحكيم ، الذي ظهر في زمن سابور ذي الاكتاف بن أزدشير ، وقتله بهرام ابن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام . اتخذ له دينا بين المجوسية والنصرانية . وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق ، وكان في الأصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم ، أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور والآخر ظلمة ، وانهما أزليان لم يزالا ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء الا من أصل قديم ، وانهما لا يزالان قوتين حساستين سميعتين بصيرتين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادتان ، وفي الحيز متحاذيتان تحاذي الشخص والظل .
(انظر الملل والنحل للشهرستاني) .

ودعا برجل من الزنادقة مشهور ، وقال له : ابصق عليها ، فقال : وما معنى البصاق ! انه من أخلاق الشرك ولا أفعله ، وأبى أن يفعل • فقال الرشيد لبعض خدم القصر : امض بهذا (يعني أبا نواس) الى السندي ، فقل له : أدبه وأطلقه ، وبهذا (يعني الزنديق) فقل له : احبسه قبلك الى أن تستتيبه ، فان تاب والا قتلناه • قال : فمضى بهما الخادم ، فلما صار في آخر الصحن ، قال أبو نواس للخادم : الى أين تذهب بنا ؟ قال : الى السندي ، قال : فما تقول له ؟ قال : أقول له : يحبسك قبله حتى تستتاب أو تقتل ، ويؤدب هذا ويطلقه • قال : فرفع أبو نواس يده ولطمه ، وقال له : يابن الزانية ، من الساعة نسيت ! • وبصر بهم الرشيد ، فقال : ردوهم ، فقال لأبي نواس : ما هذا الذي رأيت منك ؟ قال : أراد الله أن يهلكني ويطرحني بحيث أنسى أبدا أو أبقى مخلدا ، سله يا أمير المؤمنين عن الرسالة ، فاذا هو قد غيرها ، فضحك من أبي نواس وأطلقه •

قال رزين الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نواس وعلي بن الخليل في سوق الكرخ • وكنا نجتمع ونتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار ونتحدث بها • فقال أبو نواس : أدبر من كان في نفسي وكان أسرع الخلق في طاعتي ، فما أدري ما أحتال له ؟ فقال علي بن الخليل يمازحه : يا أبا علي ، سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك ، فقال له أبو نواس : من تعني ؟ قال : من أنت في طاعته ليلك ونهارك (يعني ابليس) فان لم يقض لك هذه الحاجة ، فما ينبغي لك أن تسأله مسألة ولا أن تقر عينه بمعصية ، فقال : هو أسد لرأيه من أن يخل بي أو يخذلني ، وانقضى مجلسنا ذلك • فلما كان بعد أيام اجتمعنا في ذلك الموضع ، وأخذنا في أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ، فقلنا له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول علي بن الخليل يومئذ : سل شيخك يعطفه عليك • حينئذ قد سألته يا أبا الحسن فقضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتاني من غير أن أبعث اليه ومن غير أن أستزيره ، فعاتبني واسترضاني ، وكان الغضب منه والتجني ، وأحسب الشيخ (يعني ابليس) كان يتسمع علينا في وقت كلامنا ، وقد قلت أبياتا في ذلك ، فقلنا : هاتها ، فأنشد :

لما جفاني الحبيب وامتنعت * عني الرسالات منه والخبر
واشتد شوقي فكاد يقتلني * ذكر حبيبي والهم والفكر
دعوت ابليس ثم قلت له * في خلوة والدموع تنحدر :
أما ترى كيف قد بليت وقد * أقرح جفني البكاء والسهر ؟
ان انت لم تلق لي المودة في * صدر حبيبي وانت مقتدر
لا قلت شعرا ولا سمعت غنا * ولا جرى في مفاصلي السكر
ولا ازال القرآن أدرسه * أروح في درسه وابتكر

وألــزم الصـــوم والصـــلاة ولا * نزال دهـــرى بالخـــير آتمـــر
فمـــا مضـــت بعـد ذاك ثالثـة * حتى أتانـي الحبيب يعتـــــــذر
ويطلـب الـــود والوصـــــال على * أفضـــــل ما كان قبـل يهتجـــر
فيـا لهـــا منـــة لقـــد عظمت * عنـــدى لابليس ما لهـــا خطـــر

لما قدم أبو نواس على الخصيب (١) بمصر أذن له وعنده جمـــاعة من الشعراء فاستنشده ، فقال له : هنا جماعة من الشعراء هم أقدم منى وأسن ، فأذن لهم فى الانشـــاد ، فان كان شعرى نظير أشـــعارهم أنشدت والا أمسكت ، فاستنشدهم الخصيب ، فأنشدوا مديحا فى الخصيب ، فلم تكن أشعارهم مقاربة لشـــعر أبى نواس ، فتبسم أبو نواس ثم قال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصـــا موسى تتلقف ما يأفكون ؟ قال هات ، فأنشده قصيدته التى أولها :

أجـارة بيتينـــا أبـــوك غيـــور * وميســـور ما يرجى لديـــك عسـير

حتى أتى على آخرها ، فانفض الشعراء من حوله .

ويقال : ان أبا نواس كان خرج الى مصر فى زى الشطار (٢) وتقطيعهم بطرة قد صففها وكمين واسعين وذيل مجرور ونعل مطبـق ، وكان خروجه مع سليمان ابن أبى سـهل ، فلما دخـل على الخصيب بهذه الصورة ازدراه واستخف به ، وكان تورد عليه كتب الجلة ممن بباب السلطان ، ووردت كتب أبى نواس فيها فقرأها ولم يستنشده ، فانصرف مهموما . وجاءه أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأنشدوه للخصيب ، فاستحضره فأنشده :

أجـــارة بيتينـــا أبـــوك غـــيور * وميســـور ما يرجى لديـــك عسـير
فان كنت لا خلما (٣) ولا أنت زوجة * فلا برحت دونى عليك ســـتور
وجـاورت قـــوما لا تزاور بينهـــم * ولا وصـــل الا أن يكون نشـــــور
فمـا أنـا بالمشـغوف ضربة لازب * ولا كـل ســـــلطان عـلى قـــدير

---

(١) هو الخصيب بن عبد الحميد العجمى امير مصر على الخراج . واليه تنسب منية الخصيب بالوجه القبلى وليس بابن صاحب نهر أبى الخصيب ، ذاك عبد للمنصور يقال له مرزوق . وكان هذا رئيسا فى أراضيه . فانتقل الى بغداد وصار كاتب مهرويه الرازى ، ثم انتقل الى الامارة .
(٢) الشطار : جمع شاطر وهو من أعيا أهله خبثا .
(٣) الخلم : الصديق .

وانى لطرف العين بالعين زاجر * فقد كدت لا يخفى على ضمير
كما نظرت والريح ساكنة لها * عقاب بأرساغ اليدين ندور (١)
طوت ليلتين القوت عن ذى ضرورة * أزيغب لم ينبت عليه شكير (٢)
فأوفت على علياء حين بدا لها * من الشمس قرن والضريب يمور (٣)
تقلب طرفا فى حجاجى مغارة * من الرأس لم يدخل عليه ذرور (٤)

ولما قال أبو نواس :

تقول التى من بيتها خف مركبى : * عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب ؟ * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى فى جريهن عبير
ذرينى أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

قال له الخصيب :

اذن يكثر حسادها وتبلغ أملها ، وأمر له بألف دينار ٠

وتمامها :

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأى فتى بعد الخصيب تزور !
فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
ولم تر عينى سوددا مثل سودد * يحل أبو نصر به ويسير
وأطرق حيات البلاد لحية * خصيبية التصميم حين تسور (٥)
سموت لأهل الجور فى حال أمنهم * فأضحوا وكل فى الوثاق أسير
اذا قام غنته على الساق حلية * لها خطوه عند القيام قصير

---

(١) الندور : خروج العظم من موضعه أو زواله وفى البيت من سوء التركيب ما فيه ، والتقدير فيه كما نظرت عقاب لها بأرساغ اليدين ندور والريح ساكنة ٠

(٢) أزيغب تصغير أزغب وهو الفرخ ذو الزغب أى الريش الدقيق اللين ٠ والشكير : الريش أول ما ينبت ٠

(٣) الضريب : الثلج أو الجليد ٠ ويمور : يتحرك أو يجىء ويذهب أو يسيل على وجه الأرض ٠

(٤) الحجاجان مثنى حجاج وهو العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب ٠ والذرور : ما يذر فى العين من الدواء ٠

(٥) تسور : تثب ٠

فمن يك أمسى جاهـــلا بمقـــالتي ❊ فـــان أمـــير المؤمنـــين خبـــير
فما زلت توليـــه النصيحة يافعـــا ❊ الى أن بدا في العارضـــين قتير (١)
اذا غـــاله أمـــر فامـــا كفيتـــه ❊ وامـــا عليـــه بالكفـــاء تشـــير
اليـــك رمت بالقوم هـــوج كأنمـــا ❊ جماجمهـــا تحت الرحـــال قبـــور
رحلن بنـــا من عقرقوف (٢) وقد بدا ❊ من الصـــبح مفتوق الأديم شـــهير
فما نجدت (٣) بالماء حتى رأيتهـــا ❊ مع الشـــمس في عيني أباغ تغـــور
وغمـــرن من مـــاء النقيب بشربة ❊ وقد حان من ديـــك الصـــباح زمير
ووافـــين اشرافـــا كنـــائس تدمـــر ❊ وهن الى رعـــن المدخـــن صـــور (٤)
يؤممن أهـــل الغوطتين كأنمـــا ❊ نهـــا عنـــد أهـــل الغوطتين تؤور
وأصبحن بالجولان يرضخن (٥) صخرها ❊ ولم يبـــق من أجـــراحهن شـــطور
وقاســـين ليلا دون بيسان لم يكـــد ❊ ســـنا صـــبحه للناظرين ينير
وأصـــبحن قد فوزن من نهر فطرس ❊ وهن عـــن البيت المقدس زور (٦)
طـــوالب بالركبـــان غرة هاشـــم ❊ وفي الفرما من حاجهن شقور (٧)
ولمـــا أتت فســـطاط مصر أجارهـــا ❊ على ركبهـــا أن لا تـــزال مجـــير
من القـــوم بســـام كـــأن جبينه ❊ سنا الفجر يسري ضـــوؤه وينير
زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى ❊ وفي الســـلم يزهـــو منبر وســـرير
جواد اذا الأيـــدي كففن عن النـــدى ❊ ومن دون عـــورات النســـاء غيـــور
له ســـلف في الأعجمين كأنهـــم ❊ اذا اســـتوذنوا يوم الســـلام بدور
واني جـــدير اذ بلغتـــك بالمنـــى ❊ وأنت بمـــا أملت منـــك جـــدير
فان تولني منـــك الجميل فأهـــله ❊ والا فـــاني عـــاذر وشـــكور

---

(١) القتير : الشيب ·

(٢) عقرقوف : اسم موضع ·

(٣) نجدت : عرقت ·

(٤) صور : مائلات ·

(٥) يرضخن : يكسرن ·

(٦) زور : جمع زوراء بمعنى مائلة ·

(٧) جمع شقر وهو الامر الملتصق بالقلب المهم له ·

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع واجاد :

ســاد الملـــوك ثـــلاثة ما منهـــم * ان حصـــــــلوا الا أغــر قريـــع
ســاد الربيــع وســاد فضــل بعــد * وعلت بعبـــاس الكريـــم فــروع
عبـــاس عبــاس اذا احتــدم الوغى * والفضـــل فضـــل والربيــع ربيــع

وقال يعاتب عمر الوراق :

يا من جفـــاني ومـــلا * نسيت أهـــلا وســـهلا
ومـــات مـــرحب لمـــا * رأيت مـــالي قـــــلا
اني أظنـــــك تحـــكي * فيما فعلت القرلى (١)
تلقـــاه في الشر ينـأى * وفي الرخـــا يتـــدلى

وله في عزة النفس :

ومســـــتعبد اخـــوانه بثـــرائه * لبست له كبـــرا أبـــر على الكبـــر
اذا ضـــمني يومـــا واياه محفـــل * يرى جانبي وعـــرا يزيد على الوعـــر
اخالفـــه فـــي شـــكله وأجـــره * على المنطق المبـــرور والنظر الشزر
وقد زادني تيها على الناس انى * اراني اغناهم وان كنت ذا فقر
فوالله لا يبدي لســـاني لجاجـــة * الى أحـــد حتى أغيب في قبري
فلا يطمعن في ذاك مني طامع * ولا صاحب التاج المحجب في القصر
فلو لم أرث فخرا لكانت صيانتي * عن الناس حسبي من سؤالي من الفخر

دخل أبو نواس بعد ما نسك على قوم من اخوانه عندهم شراب ومغن ، فعرضوا عليه الجلوس فأبى ، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب :

اذا لم تنه نفسك عن هواها * وتحسن صونهـــا فاليك عني
فاني قد شبعت من المعاصي * ومن ادمانهـــا وشـــبعن مني
ومن أســوا وأقبح من لبيب * يـــرى متطنزا في مثل سني

---

(١) القرلى : كان لحمير وكان لا يسمع لأحد شيئا الا جاء اليه وداخله ولا يتخلف عن طعام لأحد ، واذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك ، فضرب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوفى عليه : القرلى .

ومن شعر أبى نواس :

عفى المصلى وأقوت الكثب * منى فالمربدان فاللهب
منازل قد عمرتها يفعا * حتى بدا فى عذارى الشهب
فى فتية كالسيوف هزمهم * شرخ شباب وزانهم أدب
ثم أراب الزمان فانقسموا * أيدى سبا فى البلاد فانشعبوا
لن يخلف الدهر مثلهم أبدا * على هيهات شأنهم عجب
لما تيقنت أن روحتهم * ليس لها ما حييت منقلب
أبليت صبرا لم يبله أحد * واقتسمتنى مآرب شعب
لذاك أنى اذا رزئت أخا * فليس بينى وبينه نسب
قطربل مربعى ولى بقرى الـ * كرخ مصيف وأمى العنب
ترضعنى درها وتلحفنى * بظلها والهجير يلتهب
اذا ثنته الغصون جللنى * فينان (١) ما فى أديمه جرب
تبيت فى مأتم حمائمه * كما تراعى الفواقد السلب
يهب شوقى وشوقهن معا * كأنما يستخفنا الطرب
فقمت أحبو الى الرضاع كما * تحامل الطفل مسه السغب
حتى تخيرت بنت دسكرة * قد عجمتها السنون والحقب
هتكت عنها والليل معتكر * مهلهل النسج ما له هدب
من نسج خرقاء لاتشد لها * أخية فى الثرى ولا طنب
ثم توجأت خصرها بشبا الـ * اشفى فجاءت كأنها لهب
فاستوسق الشرب للندام وأجـ * ـراها علينا اللجين والغرب (٢)
أقول لما تحاكيا شبها * أيهما للتشابه الذهب
هما سواء وفرق بينهما * أنهما جامد ومنسكب
ملس وأمثالها محفرة * صور فيها القسوس والصلب
يتلون انجيلهم وفوقهم * سماء خمر نجومها حبب
كأنها لؤلؤ تبدده * أيدى عذارى أفضى بها اللعب

---

(١) الفينان : الظل الكثيف ، والجرب ، أى لا خلل فيه .
(٢) الغرب : الذهب .

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأمين من شرب الخمر ، وذلك أن المأمون أمر الخطباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبي نواس ويقولوا هو جليسه ونديمه وينشدوا على المنابر شعره ، فمنعه الأمين فقال :

غننا بالطلول كيف بلينا ❊ واسقنا نعطك الثناء الثمينا
من سلاف كأنه كل طيب ❊ يتمنى مخبر أن يكونا
أكل الدهر ما تجسم منها ❊ وتبقى لبابها المكنونا
ثم شجت فاستضحكت عن لآل ❊ لو تجمعن في يد لاقتنينا
واذا ما لمستها فهباء ❊ تمنع الكف ما تبيح العيونا
في كؤوس كأنهن نجوم ❊ جاريات بروجها أيدينا
طالعات من السقاة علينا ❊ فاذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد ❊ قلت قوم من قرة يصطلونا
وغزال يديرها ببنان ❊ ناعمات يزيدها العسر لينا
ذاك عيش لو دام لي غير أني ❊ عفته مكرها وخفت الأمينا
أدر الكأس حان أن تسقينا ❊ وانقر العود انه يلهينا
ودع الذكر للطلول اذا ما ❊ دارت الكأس يسرة ويمينا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر :

غرد الديك الصدوح ❊ فاسقني طاب الصبوح
اسقني حتى ترانى ❊ حسنا عندي القبيح
قهوة تذكر نوحا ❊ حين شاد الفلك نوح
نحن نخفيها ويأبى ❊ طيب عرف فيفوح
فكأن القوم نهبى ❊ بينهم مسك ذبيح
أنا في دنيا من العبـ ❊ ـباس أغدو وأروح
هاشمي عبدلي ❊ عنده يغلو المديح
علم الجود كتاب ❊ بين عينيه يلوح
كل جود يا أميري ❊ ما خلا جودك ريح
انما أنت عطايا ❊ أبدا ما تستريح
بح صوت المال مما ❊ منك يشكو ويصيح

ما لهـذا أحـد فـو ❊ ق يـديه أو نصـيح
جـدت بالأمـوال حتـى ❊ قيـل مـا هـذا صـحيح
فهـو بالمـال جـواد ❊ وهو بالعـرض شـحيح
صـور الجـود مثـالا ❊ ولـه العبـاس روح

قال محمد بن عيينة : لقيت أبا نواس بعسكر مكرم فقلت له : أحب أن تنشدني من شعرك شيئا تضن به على غيرى ، فأنشدنى :

يكفـى الكريم مـن الكلا ❊ م لمن يحـادثه أقله
والشيء شيء لـم يـزل ❊ بأدقـه يأتـى أجـله
ان لم يصبك من الكريـ ❊ ـم الحـر وابـله فطله
يبـدى مكارمه كمـا ❊ يبـدى فرند السيف سله
والنـذل يوقـع نفسـه ❊ متعمـدا فيمـا يذله
والحـر يكرم نفسـه ❊ بالصـفح عمـن لا يجـله

وقال أبو نواس يمدح الأمين :

صببت على الأمين ثياب مدحى ❊ فكل النـاس حسن واستجادا
ولولا فضله ما جـاد شـعرى ❊ ولا أعطتنى الفطـن القيـادا
وقالوا قد أجـدت فقلت انـى ❊ وجـدت القول يمكننى فجـادا

ومن خمرياته :

ذكـر الصبوح بسـحرة فارتاحا ❊ وأمله ديـك الصـباح صـياحا
أوفى على شرف الجدار بسدفة ❊ غـردا يصفق بالجنـاح جنـاحا
فأدر صباحك بالصبوح ولا تكن ❊ كمسوفين غدوا عليك شـحاحا
ان الصبوح جـلاء كل مخمـر ❊ بدرت يداه بكأسـه الاصباحا
وخـدين لذات معلل صـاحب ❊ تقتات منـه فكاهة ومزاحـا
نبهتـه والليل ملتبس بـه ❊ وأزحت عنـه نعاسه فانزاحـا
قال ابغنى المصباح ، قلت له اتئد ❊ حسبى وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة ❊ كانت له حتى الصـباح صباحا

من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلا فالبسها المزاج وشاحا
شك البزال فؤادها فكأنها * أهدت اليك بريحها تفاحا
صفراء تفترس النفوس فلا ترى * منها بهن سوى السبات جراحا

ومنها :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أجدته حمرتها فى العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة * من كف لؤلؤة ممشوقة القد
تسقيك من طرفها خمرا ومن يدها * خمرا فما لك من سكرين من بد
لى نشوتان وللندمان واحدة * شيء خصصت به من دونهم وحدى

كان الأصمعي يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة :

أما ترى الشمس حلت الحملا * وطاب وقت الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا
واكتست الأرض من زخارفها * وشى ثياب تخاله حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد * أصبح وجه الزمان مقتبلا
من قهوة تذهب الهموم فلا * أرهب فيها الملام والعذلا
كرخية تترك الطويل من العيـ * ش قصيرا وتبسط الأملا
تلمع لمع السراب فى قدح الـ * قوم اذا ما حبابها اتصلا
يقول صرف اذا مزجت له * من لم يكن للكثير محتملا
فسق هذا بقدر طاقته * واحمل على ذا بقدر ما احتملا
عجنا بشيئين من طبائعها * حسن وطيب ترى به المثلا

كان أبو نواس لا يستنشد شيئا من شعره الا أنشد هذه القصيدة :

وخيمة ناطور (١) برأس منيفة * تهم يدا من رامها بزليل (٢)

---

(١) الناطور : حافظ النخل والكرم والزرع وفى البارع : الناطر والناطور بالطاء المهملة حافظ الزرع ، من كلام أهل السواد وليس بعربى محض ٠

(٢) الزليل مصدر كالزلل ٠

اذا عارضتها الشمس فاء ظلالها ❊ وان واجهتها آذنــت بدخول
حططنا بها الأثقال فل (١) هجيرة ❊ عبـــورية تذكى بغير فتيـــل
تأنت (٢) قليـــلا ثم فاءت بمذقة ❊ من الظل في رث الأباء ضئيل
كأنا لديهـا بين عطفى نعامة ❊ جفا زورها عن مبرك ومقيل
حلبت لأصحابي بها درة الصبا ❊ بصهباء من ماء الكروم شمول
اذا ما أتت دون اللهاة من الفتى ❊ دعـا همه من صـدره برحيـل
فلما توفى الشمس جنح من الدجى ❊ تصابيت واستجملت غير جميل
وعاطيت من أهوى الحديث كما بدا ❊ وذللت صعبا كان غـير ذليل
فغنى وقد وسدت يسراى خده ❊ ألا ربما طالبت غـــير منيـــل
وأنزلت حاجاتي بحقوى مساعد ❊ وان كان أدنى صاحب وخليل
واصبحت أحى السكر والسكر محسن ❊ ألا رب احسان عليك ثقيـــل
كفى حزنا أن الجواد مقتر ❊ عليه ولا معروف عند بخيل
سأبغى الغنى اما جليس خليفة ❊ يقوم سواء أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جنـــانه ❊ اذا نوه الزحفان باسم قتيل
لنخمس مال الله من كل فاجـــر ❊ أخى بطنة للطيبـــــات أكول
الم تر أن المال عون على الندى ❊ وليس جـــواد مقتر كبخيل

فان استزيد أنشد هذه القصيدة الأخرى :

كان الشـــباب مطية الجهل ❊ ومحســـن الضـــحكات والهزل
كان الجمـــال اذا ارتديت به ❊ ومشيت أخطـــر صيت النعل
كان البليغ اذا نطقـــت بـــه ❊ وأصــــــاخت الآذان للممل
كان المشـــفع فـــى مآربـــه ❊ عنـــد الفتاة ومدرك التبـــل
والآمـــرى حتى اذا عزمـــت ❊ نفسي أعان يـــدى بالفعـــل
فالآن صرت الى مقـــــاربة ❊ وحططت عن ظهر الصبا رحلى

---

(١) أى منهزمى هاجرة ، وعبورية تسبها الى الشعرى العبور وأيام طلوعها أيام الحر الشديد •
(٢) يعنى الشمس ، أى توقفت فى الجو عند زوالها • وفاءت بمذقة ، أى دخلت عليهم من تلك الخيمة التى ثبتت على الأباء الضعيف من القصب الرث فلم تقو الشمس عليهم ، ولم تمنعهم الخيمة بستر قوى فيصير ظلا ولكنه شمس وظل ، فشبهت بالمذوق من اللبن ، أى الممزوج •

والـراح أهواهـا وان رزأت * بلغ المعـاش وقللت فضـلي
صـفراء مجـدها مرازبهـا * جلت عن النظـراء والمثـل
ذخـرت لآدم قبـل خلقتـه * فتقدمتـه بحظـوة القبـل
فأتـاك شيء لا تلامسـه * الا بحسـن غريزة العقـل
فترود منهـا العين في بشر * حر الصفيحة ناصع سـهل
فاذا علاها المـاء ألبسـها * حببا شبيه جلاجـل الحجل
حتى اذا سـكنت جوامحها * خطت بمثـل أكارع النمـل
خطين مـن شـتى ومجتمع * غفـل من الاعجام والشـكل
فاعذر أخـاك فانه رجـل * مرنت مسامعـه على العـذل

ومن طيب شعره ، والشطر الأول من القصيدة لفظ ابن الدمينة :

أعاذل ما على وجهـي قتوم * ولا عرضي لأول مـن يسوم
يفضني على الفتيـان أني * أبيت فـلا ألام ولا ألـوم
أعـاذل ان يكن برداي رثـا * فلا يعـدمك بينهما كريـم
شققت من الصبا واشتق مني * كما اشتقت من الكرم الكروم
فلسـت أسـوم للذات نفسي * مياومة كمـا دفـع الغـريم
ومتصـل بأسـباب المعـالي * له فـي كـل مكرمة قديـم
رفعت له النـداء بقم فخذها * وقد أخـذت مطالعها النجوم
بتفدية تزال النفس فيهـا * وتمتهـن الخؤولة والعمـوم
فقال وقمت من أخوين هاجا * على طـرب وليلهما بهيـم
أجـر الزق وهو يجر رجـلا * يجور به النعاس ويسـتقيم
سل الندمان ما أولتـه منهـا * وسلها ما احتوى منها الكريم
كلا الشخصين منتصـف ولكن * قضت وطرا وذا منهـا سقيم

وقـال :

اني صرفت الهوى الى قمـر * لم تبتذله العيون بالنظـر
اذا تأملتـه تعاظمـك الـ * اقـرار أنـه مـن البشر

ومن قـوله :

يا شقيق النفس من حكم * نمت عـن ليـلى ولم أنـم
فاسقني البكر التي اختمرت * بخمـار الشيب في الرجـم
ثمت انصات الشباب لهـا * بعد ما جازت مدى الهـرم
فهي لليـوم التي بزلت * وهي ترب الدهر في القدم
عتقت حتى لـو اتصـلت * بلسـان ناطـق وفـم
لاحتبت فـي القـوم مائلة * ثم قصـت قصـة الأمم
فرعتهـا بالمزاج يـد * خلقـت للسـيف والقـلم
في نـدامى سـادة زهـر * أخـذوا اللذات مـن امم
فتمشـت فـي مفاصلهم * كتمشي البـرء في السـقم
فعلت في البيت اذ مزجت * مثل فعل الصبح فـي الظلم
فاهتـدى سـاري الظلام بها * كاهتـداء السفر بالعـلم

ومن طرديات أبي نواس في صفة الكلب :

انعت كلبا اهله مـن كـده * وقد سـعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنـده * وكل رفد نالهـم من رفده
يظـل مـولاه له كعبـده * يبيت أدنى صاحب من مهده
وان عـرى جلله ببـرده * ذا غـرة محجـلا بزنـده
تلذ منه العين حسـن قده * يا حسن شدقيه وطول قده
تلقى الظبـاء عنتا من طرده * يشرب كاسـا شدها من شده
* يا لك من كلب نسيج وحده *

أبو نواس وجنـان

قال أبو الفرج : كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة ، ويقال : ان أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها ، وقيل له يوما ان جنان قد عزمت على الحج ، فكان هذا سبب حجـه وقال : أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا ان أقامت على عزيمتها ، وقال وقد حج وعاد :

ألم تـر أنني أفنيت عمـري ❊ بمطلبهـا ومطلبهـا عسـير
فلما لم أجد سـببا اليهـا ❊ يقـربني وأعيتنـي الأمـور
حججت وقلت قد حجت جنان ❊ فيجمعني وايـاها المسـير

قال من شهده حين حج مع جنان وقد أحـرم : لما جنه الليـل جعل يلبي بشعر ويحدو به ويطرب ، فغنى به كل من سمعه وهو قوله :

الهنـا مـا أعـدلك ❊ مليـك كـل مـن ملك
لبيـك قـد لبيت لـك ❊ لبيـك ان الحمـد لـك
والملك لا شريـك لـك ❊ والليـل لمـا أن حلك
والسابحـات فـي الفلك ❊ عـلى مجـاري المنسـلك
ما خـاب عبـد أمـلك ❊ انـت له حيث سـلك
لولاك يـارب هـلك ❊ كـل نبـي ومـلك
وكـل مـن أهـل لـك ❊ سـبح أو لبـى فلك
يـا مخطئـا مـا أغفلك ❊ عجـل وبـادر اجـلك
واختـم بخـير عملك ❊ لبيـك ان الملك لـك
والحمـد والنعمـة لـك ❊ والعـز لا شريـك لـك

وفيهـا يقول :

جفن عينـي قـد كاد يسـ ❊ ـقط من طـول مـا اختلج
وفـؤادي مـن حـر حبـ ❊ ـك والهجـر قد نضـج
خبرينـي فدتـك نفـ ❊ ـسي وأهـل متى الفـرج
كـان ميعادنـا خـرو ❊ ج زيـاد فقـد خـرج
أنـت مـن قتـل عاشـ ❊ ـقك في أضـيق الحـرج

قال الأصفهاني : قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي : دخلنا على أبي نواس نعوده في علته التي مات فيها ، فقال له علي بن صالح الهاشمي : يا أبا علي ، أنت في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنـات ، فتب الى الله عز وجل ، فبكى ساعة ثم قال : سانِدوني سانِدوني ، ثم قال : أألخوف بالله عز وجل وقد حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال

رسول الله ﷺ : « لكل نبى شفاعة وانى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من امتى يوم القيامة » أفترانى لا أكون منهم ؟

ومن قوله في مرض موته :

دب في السقام علوا وسفلا * وأرانى أموت عضوا فعضوا
ليس تمضى من لحظة بى الا * نقصتنى بمرها فى جزوا
ذهبت جدتى بحاجة نفسى * وتطلبت طاعة الله نضوا
لهفت نفسى على ليال وأيا * م تجاوزتهن لعبا ولهوا
قد أسأنا كل الاساءة فاللـ * ـهم صفحا عنا وغفرا وعفوا

ثم قال :

شعر حى أتاك من لفظ ميت * صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى * كاد عن عين الخلائق يخفى
لو تأملتنى لتبصر وجهى * لم تبن من كتاب وجهى حرفا
ولكررت طرف عينيك فيمن * قد براه السقام حتى تعفى

وكان عمر أبى نواس تسعا وخمسين سنة ، وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين (سنة ١٩٨) .

٢ ــ العتابي (١)

قال أحمد بن سهل : تذاكرنا شعر العتابي فقال بعضنا : فيه تكلف ، ونصره بعضنا ، فقال : شيخ حاضر ، ويحكم ! أيقال ان في شعره تكلفا وهو القائل :

رسل الضمير اليك تترى ❊ بالشوق ظالعة وحسرى
متزجيات (٢) ما ينيـ ❊ ن على الوجا من بعد مسرى
ما جف للعينين بعـ ❊ ـدك يا قرير العين مجرى
فاسلم سلمت مبرأ ❊ من صبوتي أبدا معرى
ان الصبابة لم تدع ❊ مني سوى عظم مبرى
ومدامع عبرى على ❊ كبد عليك الدهر حرى

---

(١) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي التغلبي من ولد عتاب بن أسيد ثم من بني تغلب بن وائل ، شاعر مترسل بليغ مطبوع متصرف في فنون الشعر مقدم ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعا الى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ وعظمت فوائده منه .

وكان حسن الاعتذار في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والأدب واللغة وكان يقيم في رأس عين بعيدا عن دور الخلفاء والأمراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب أشخاصه اليه فجاء وعليه قميص غليظ وفروه وخف ، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل ، فلما رفع الخبر بقدومه الى الرشيد أمر بأن تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا ، فكانت المائدة اذا قدمت اليه أخذ منها رقاقة وملحا وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فاذا كان وقت النوم نام على الأرض ، والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله . وسأل الرشيد عنه فأخبروه فأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له : « ارتفع » فقال : « لم آتك للجلوس » قال : « فما حاجتك » ؟ قال : « دابة أبلغ عليها الى رأس عين » فقال : « يا غلام ، أعطه الفرس الفلاني » : فقال : « لا حاجة لي في ذلك ولكن تأمر ان تشتري لي دابة أتبلغ عليها » : فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى فعدل به العتابي الى سوق الحمير فقال الغلام : « انما أمرني أن أبتاع لك دابة » : فقال له « انه أرسلك معي ولم يرسلني معك فان عملت ما أريد والا انصرف » : فمضى معه فاشترى حمارا بمائة وخمسين درهما وقال : « ادفع اليه ثمنه » : فدفعه اليه فركب الحمار عريا ببرشحة عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد « فضحتني ! أمثلي يحمل مثلك على هذا ! » فضحك وقال : « ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين .

توفي سنة ٢٢٠ هـ وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٢ ص ٢) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ١٣٧) .

(٢) أي متبلغات بالقليل حتى يصلن اليك .

أو يقال انه متكلف وهو الذى يقول :

فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظـــر
لمثلتــه لــك حتى تراه * لتعلم أنــى امرؤ شــاكر

زجد الرشـيد على العتابى فدخـل سرا مع المتظلمين بغير اذن . فمثل بين يدى الرشيد وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد آذتنى الناس لك ولنفسى فيك ، وردنى ابتلاؤهم الى شكرك ، وما مع تذكرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائن لنفسى كنت لو أعاننى عليك الصبر ، وفى ذلك أقول :

أخضنى المقام الغمر ان كان غرنى * سنا خلب أو زلـت القـدمان
أتتركنى جـدب المعيشـة مقترا * وكفـاك مـن ماء النـدى تكفـان
وتجعلنى سهم المطامع بعـد ما * بلك يمينى بالنـدى ولسـانى

فأعجب الرشيد قوله ، وخرج وعليه الخلع ، وقد أمر له بجائزة .

كلم العتابى يحيى بن خالد فى حاجـة بكلمات قليلة ، فقال له يحيى : لقد نزر كلامك اليوم وقل ، فقال له : وكيف لا يقل وقد تكنفنى ذل المســألة وحيرة الطلب وخوف الرد ؟ فقال : والله لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده ، وقضى حاجته .

قال يحيى بن خالد البرمكى لولده : ان قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابى فضلا عن رسائله وشعره ، فلن تروا أبدا مثله .

وقف العتابى بباب المأمون يلتمس للوصـول اليـه ، فصـادف يحيى بن أكثم جالسا ينتظر الاذن ، فقال له : ان رأيت أعزك الله أن تذكر أمرى لأمير المؤمنين اذا دخلت فافعل ، قال له : لست أعزك الله بحاجبه ، قال : فان لم تكن حاجبا فقد يفعل مثلك ما سألت ، واعلم أن الله عز وجل جعل فى كل شىء زكاة ، وجعل زكاة المال رفد المستعين ، وزكاة الجاه اغاثة الملهوف ، واعلم أن الله عز وجل مقبل عليك بالزيادة ان شكرت ، أو التغيير ان كفرت . وانى لك اليوم أصلح منك لنفسك ، لأنى أدعوك الى ازدياد نعمتك وأنت تأبى ، فقال له يحيى : أفعل وكرامة ، وخرج الاذن ليحيى ، فلما دخل لم يبدأ بشىء بعد السلام الا أن استأذن المأمون للعتابى ، فأذن له .

وقيل له : لو تزوجت ، فقال : انى وجدت مكابدة العفة أيسر على من الاحتيال لمصلحة العيال .

قال دعبل : ما حسدت أحدا قط على شعر كما حسدت العتابى على قوله :

هيبـــة الاخـوان قاطعـــة ❋ لأخى الحاجات عـن طلبـــه
فاذا مـــا هبت ذا أمـــل ❋ مات ما أملـــت مـن سـببه

كان العتابى جالسا ذات يوم ينظر فى كتاب ، فمر به بعض جيرانه ، فقال : أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له ؟ فأنشد العتابى قوله :

يا قاتل الله أقواما اذا ثقفوا ❋ ذا اللب ينظر فى الآداب والحكم
قالوا وليس بهم الا نفاسته (١) ❋ أنافع ذا من الاقتـــار والعدم
وليس يدرون ما الحظ الذى حرموا ❋ ـ لحاهم الله ـ من علم ومن فهم

ومن قوله أيضا :

لئن كانت الدنيـــا أنالتك ثروة ❋ فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الاثـــراء منك مخازيا ❋ من اللؤم كانت تحت ستر من الفقر

وقال أيضـــــا :

رحـــل الرجاء اليك مغتربا ❋ حشدت عليه نوائب الدهـر
ردت اليـــك ندامتـــى أملى ❋ وثنا اليـك عنانه شـــكرى
وجعلت عتبك عتـب موعظـة ❋ ورجـــاء عفـــوك منتهى أملى

لما سعى منصور النمرى بالعتـــابى الى الرشـــيد اغتاظ عليه فطلبه ، فستره جعفر بن يحيى عنه مدة وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما فى نفسه وأمنه ، فقال يمدح جعفر بن يحيى :

ما زلت فى غمرات الموت مطرحا ❋ قد ضاق عنى فسيح الأرض من حيلى
ولم تزل دائبـــا تسعى بلطفك لى ❋ حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

عاد عبد الله بن طاهر واسحاق بن ابراهيم بن مصعب كلثـــوم بن عمرو العتابى فى علة اعتلها ، فقال الناس : هذه خطرة خطـرت ، فبلغ ذلك العتـــابى ، فكتب الى عبد الله بن طاهر :

---

(١) حسده .

قالوا الزيارة خطرة خطرت ❊ وبجسار بسرك ليس بالخطر
أبطل مقالتهم بثانية ❊ تستنفد المعروف من شكري

فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو واسحاق فعاداه مرة ثانية .

كانت له امرأة من باهلة ، فلما مضى الى رأس عين قالت له : هذا منصور النمري : قد أخذ الأموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعا وأنت ههنا كما ترى ، فأنشأ يقول :

تلوم على تـرك الغنى باهلية ❊ ذوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن فى الثرى ❊ مقلدة أعناقهـا بالقلائـد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر ❊ من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصـنى ❊ مغصهما بالمرهفـات البـوارد
رأيت رفيعات الأمور مشوبة ❊ بمستودعات فى بطون الأساود
دعينـى تجئنى ميتتى مطمئنة ❊ ولم أتجشـم هول تلك الموارد

لما قدم العتابى مدينة السـلام على المأمون أذن له ، فدخل عليه وعنده اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وكان العتابى شيخا جليلا نبيلا ، فسلم فرد عليه وأدناه وقربه حتى قرب منه ، فقبل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسائله عن حاله وهو يجيبه بلسان ذلق طلق ، فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظن الشيخ أنه استخف به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الايناس قبل الابساس (١) ، فاشتبه على المأمون قوله ، فنظر الى اسحاق مستفهما ، فأومأ اليه وغمزه على معناه حتى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينار ، فأتى بذلك ، فوضع بين يدى العتابى وأخذوا فى الحديث ، وغمز المأمون اسحاق بن ابراهيم عليه ، فجعل العتابى لا يأخذ فى شيء الا عارضه اسحاق ، فبقى العتابى متعجبا ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم سل ، فقال لاسحاق يا شيخ ، من أنت وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس واسمى كل بصل ، فتبسم العتابى وقال : أما أنت فمعروف وأما الاسم فمنكر ، فقال اسحاق : ما أقل انصافك ! أتنكر أن يكون اسمى كل بصل ، واسمك كلثوم ، وكلثوم من الأسماء ، أو ليس البصل أطيب من الثوم ؟ فقال له العتابى : لله درك ! فما أحجك ، أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى أن أصله

---

(١) الابساس : دعوة الناقة الى الحلب .

بما وصلتني به ؟ فقال المأمون : بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله : فقال له اسحاق: أما اذ أقررت بهذه فتوهمني تجدني ، فقال : ما أظنك الا اسحاق الموصلي الذي يتناهى الينا خبره ، قال : أنا حيث ظننت ، وأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون ــ وقد طال الحديث بينهما ــ : أما اذ قد انفقتما على المودة فانصرفا متنادمين ، فانصرف العتابي الى منزل اسحاق فأقام عنده ·

قال عثمان الوراق : رأيت العتابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ! اما تستحيي ؟ فقال لي : أرأيت لو كنا في دار بها بقر كنت تستحي وتحتشم ان تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا ، قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر ، فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم : روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار ، فما بقي أحد الا أخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفه ويقدره حتى يبلغها أم لا ، فلما تفرقوا قال لي العتابي : ألم أخبرك أنهم بقر ؟

قال الفضل : رأيت العتابي بين يدي المأمون وقد أسن ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون ، فما زال المأمون ينهضه رويدا رويدا حتى أقله فنهض ·

وكتب كلثوم بن عمرو العتابي الى صديق له يستجديه :

أما بعد ــ أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه والجنة ــ فانك كنت عندنا روضة من رياض الكرم ، تبتهج النفوس بها ، وتستريح القلوب اليها ، وكنا نعفيها من النجعة (١) استتماما لزهرتها ، وشفقة على خضرتها ، وادخارا لثمرتها ، حتى أصابتنا سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها (٢) ، وغابت قطتها ، وكذبتنا غيومها ، وأخلفتنا بروقها ، وفقدنا صالح الاخوان فيها ، فانتجعتك · وأنا بانتجاعي اياك شديد الشفقة عليك ، مع علمي بأنك موضع الرائد (٣) ، وأنك تغطي عين الحاسد · والله يعلم أني ما أعدك الا في حومة (٤) الأهل · واعلم أن الكريم اذا استحيا من اعطاء القليل ولم يمكنه الكثير ، لم يعرف جوده ولم تظهر همته · وأنا أقول في ذلك :

اذا تكرمت عن بذل القليل ولم ٭ تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته ٭ فكل ما سد فقرا فهو محمود

قيل فشاطره جميع ماله ·

---

(١) النجعة : طلب الكلأ في موضعه ·
(٢) الكلب (بفتحتين) : القحط وبلاء الشتاء ومرض يصيب الكلاب ·
(٣) الرائد : الطالب ·
(٤) الحومة هنا : الجماعة والطائفة ·

٣ ــ دعبــل (١)

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسـن اليـه أم لم يحسن ، ولا أفلت منـه كبير أو صـغير ٠

وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه ٠ وقصيدته : « مدارس آيات خلت من تلاوة » من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة فى أهل البيت عليهم السلام ، وقصد بها أبا على بن موسى الرضا بخراسان ، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه ، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم ، فلم يبعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : انها انما تراد لله عز وجل وهى محرمة عليكم ، فدفعوا اليه ثلاثين ألف درهم ، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه ، فأعطوه فرد كم ، فان من أكفانه ٠

قال ابراهيم بن المهدى للمأمون قولا فى دعبـل يحرضـه عليه ، فضـحك المأمـون ٠

يـا معشر الأجنـاد لا تقنطوا ✻ وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية (٢) ✻ يلتـذها الأمـرد والأشمط
والمعبـديات (٣) لقوادكـم ✻ لا تدخـل الكيس ولا تربط
وهـكذا يـرزق قـواده ✻ خليفـة مصحفـه البربط
قـد ختـم الصك بأرزاقكم ✻ وصـحح العزم فلا تسخطوا
بيعـة ابراهيـم مشئومة ✻ يقتل فيهـا الخلق أو يقحطوا

---

(١) هو دعبل بن على بن رزين من خزاعة ، أصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد ٠ وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير أو صغير ، فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فانه هجاه هجاء شديدا واحتمل ذلك منه ٠ توفى سنة ٢٤٦ هـ ٠ وتجد أخباره فى الأغانى ج ١٨ ص ٢٩ وابن خلكان ج ١ ص ١٧٨ والشعر والشعراء ص ٥٣٩ والفهرست (ص ١٦١) ٠

(٢) يريد أصواتا منسوبة الى حنين الحيرى المغنى ٠

(٣) يريد أصواتا منسوبة الى معبد المغنى ٠

فقال له ابراهيم : فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه اياي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عباد ، فلما رآه المأمون من بعد قال لابراهيم : دعبل يجسر على أبي عباد في الهجاء ويحجم عن أحد ! فقال له : وكأن أبا عباد أبسط يدا منك يا أمير المؤمنين ، قال : لا ! ولكنه حديد جاهل لايؤمن ، وأنا أحلم وأصفح ، والله ما رأيت أبا عباد مقبلا الا أضحكني قول دعبل فيه :

أولى الأمور بضيعة وفساد * أمر يدبره أبو عباد
خرق على جلسائه فكأنهم * حضروا لملحمة ويوم جلاد
يسطو على كتابه بدواته * فمضمخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هرقل مفلت * حرد يجر سلاسل الأقياد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه * فأصح منه بقية الحداد

وكان « بقية » هذا مجنونا في البيمارستان .

قال أبو خالد الخزاعي لدعبل : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعا ، فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف ، فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ! فقال : ويحك ! اني تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم الا على الرهبة ، ولا يبالي الشاعر وان كان مجيدا اذا لم يخف شره ، ولمن يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب اليك في تشريفه ، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فاذا رآك أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ! ان الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع ، فضحك أبو خالد وقال : هذا والله مقال من لا يموت حتف أنفه .

كان سبب خروج دعبل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار ، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله ، فلما طلع مقبلا اليهما وثبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كمه ، فاذا هي ثلاث رمانات في خرقة ، ولم يكن كيسه ليتلئذ معه ، ومات الرجل مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان في ذلك ، فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة ، فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد .

قال أحمد بن خالد : كنا يوما بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دعبل ، فلما رأيناه

قلنا : هذا صيدنا ، فأخذناه ، فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنـا : نذبحه ، فذبحناه وشويناه • وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنـا ، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على باب المسجد ـ وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء وينتابهم الناس ـ فجلس دعبل على باب المسجد وقال :

أسر المؤذن صـــالح وضيوفه ※ أسر الكمى هفـا خـــلال الماقط
بعثوا عليـــه بنيهـم وبناتهم ※ من بين ناتفة وآخـــر سامط
يتنازعون كأنهـــم قد أوثقوا ※ خاقان أو هزموا قبائل ناعط(١)
نهشوه فانتزعت له أسنانهم ※ وتهشمت أقفـــاؤهم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لي أبي ، وقد رجع الى البيت : ويحكم ! ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دعبل ! ثم أنشدنا الشعر ، وقال : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه الا اشتريته وبعثت به الى دعبل والا وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك •

قال أحمد بن أبي كامل : كان دعبل ينشدني كثيرا هجـاء له ، فأقول له فيمن هذا ؟ فيقول ما استحقه أحد بعينه بعد ، وليس له صاحب ، فاذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه في الشعر •

كان دعبل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، وهو خرجه وفهمه وأدبه ، فظهر له منـــه جفاء وبلغـــه أنه يعيبه ويذكره وينـــال منه ، فقال يهجوه :

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابه ※ يستفرغ السم من صماء قرضابه
ما ان يزال وفيـه العيب يجمعه ※ جهلا لأعراض أهل المجد عيابه
ان عابني لـم يعـــب الا مؤدبه ※ ونفسه عـــاب لما عاب أدابه
فكان كالكلـب ضراه مكلبـــه ※ لغيره فعـــدا فاصـــطاد كلابه

كان دعبل يقول : ما كانت لأحد قط عندي منة الا تمنيت موته •
كتب دعبل الى أبي نهشل بن حميد الطوسي قوله :

---

(١) قبيلة من همدان ، واصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه •

انما العيش فى منادمة الاخـوا ❊ ن لا فى الجلوس عنـــد الكعاب
وبصرف كانهـــا ألسن البر ❊ ق اذا استرضت رقيق السحاب
ان تكونوا تركتـم لذة العيـ ❊ ـش حذار العقاب يوم العقاب
فدعـونى وما ألـذ وأهـوى ❊ وادفعوا بى فى صدر يوم الحساب

قال محمد بن زكريا الفرغانى : سمعت دعبلا يقول فى كلام جرى « ليسك » وأنكرته عليه ، فقال : دخل زيد الخيل على النبى ﷺ فقال له : « يا زيد ما وصف لى رجل إلا رأيته دون وصفه ليسك » يريد غيرك •

قال عمرو بن مسعدة : حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له المأمون : أى شىء تروى لأخى خزاعة يا قاسم ؟ فقال : وأى أخى خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعرا ؟ فقال : أما من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبى الشيص وداود بن أبى رزين ، وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله ، فقال : ومن عسى من هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل ! هات أى شىء عندك فيه ، فقال : وأى شىء أقول فى رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم ، فقرن احسانهم بالاساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم بازاء سيئة منه ، قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول فى المطلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصـــدق النـاس له وأقربهم منه ، وقد وفد اليه الى مصر فأعطاه الجزيل وولاه ، ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

اضرب ندى طلحة الطلحات متئدا ❊ بلؤم مطلب فينـــا وكن حكما
تخرج خزاعة من لؤم ومـن كرم ❊ فـلا تحس لهـــا لؤما ولا كرما

فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وألطفه وأدهاه ، وجعل يضحك • ثم دخل عبد الله بن طاهر فقال : أى شىء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ فقـال : أحفظ أبيـاتا له فى أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ويحك ! فأنشده :

سقيا ورعيـا لأيـــام الصبابات ❊ أيـــام أرفـــل فـــى أثـواب
أيام غصنى رطيب من ليانتـه ❊ أصبو الى غير جـــارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه ❊ واقذف برحلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديـــح أنت قائله ❊ نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون : انه قد وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله فى وصف غيرهم •

ومن قول دعبل وفيه غناء :

أين الشباب وأية سلكا * لا أين يطلب ضل من هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى
يا ليت شعري كيف يومكما * يا صاحبي اذا دمي سفكا
لا تأخذوا بظلامتي أحدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا

قال ابراهيم بن المدبر : لقيت دعبل بن علي فقلت له : أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول :

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

وأولها :

اخذ المشيب من الشباب الأغيد * والنائبات من الأنام بمرصد

فقال : يا أبا اسحاق ، أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصلبني عليها ٠

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرون به ، وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه : نفنف وشعف ، وكانا مغنيين ، فاقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه ٠ وأنشد دعبل لنفسه في بعد أسفاره :

حللت محلا يقصر البرق دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

قال البحتري : دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد ، لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصب له ٠

كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه ٠ وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله فهرب الى الجبل ، وقال يهجوه :

بكى لشتات الدين مكتئب صب * وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
وقام امام لم يكن ذا هداية * فليس له دين وليس له لب

وما كانت الأنبـــاء تأتي بمثله ※ يملك يوما أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا ※ من السلف الماضين اذ عظم الخطب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ※ ولم تأتنا عن ثامن لهـم كتـب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة ※ خيار اذا عــدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعــة ※ لأنك ذو ذنــب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم ※ وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وفضل بـن مروان يثلم ثلمـة ※ يظل لها الاسلام ليس له شعب

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه :

قد قلت اذ غيبــوه وانصرفوا ※ في خـــير قبر لخـير مدفون
لـــن يجبر الله أمـة فقــدت ※ مثلك الا بمثـــل هـــارون

فقال دعبل يعارضه :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ※ فــي شر قبـــر لشر مدفـــون
اذهب الى النار والعذاب فما ※ خلقــك الا مــن الشــياطين
مازلت حتى عقـدت بيعـة من ※ أضر بالمســـــلمين والديــن

وقال في ذلك وفي قيام الواثق :

الحمد لله لا صـبر ولا جــلد ※ ولا عزاء اذا أهل البـــلا رقـدوا
خليفة مات لـم يحزن له أحد ※ وآخر قام لم يفـــرح به أحد

ولقد أحسن في وصف سفر سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين تحملوا ※ الى وطن قبــل الممات رجـوع
فقلت ولم املك ســوابق عبرة ※ نطقن بما ضمت عليــه ضـلوع
تبين فكم دار تفــرق شملها ※ وشـمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليـالي صرفهن كما ترى ※ لكل أنـاس جــدبة وربيـــع

ثم قال : ما سافرت قط الا كانت هذه الأبيــات نصب عيني في ســـفري وهجيراي ومسليتي حتى أعود ·

ومن قول دعبل وفيه غناء :

سرى طيف ليلى حين آن هبوب * وقضيت شوقا حين كاد يذوب
فلم أر مطروقا يحل برحلة * ولا طارقا بقرى المنى ويثيب

ومن قوله :

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب * رأت بي عجلته خطوب
وما شيبتني كبرة غير أنني * بدهر به رأس الفطيسم يشيب

وقال في صالح بن عطيه الأضجم وكان من أقبح الناس وجهـا ، وخاطب فيها المعتصم :

قل للامام امام آل محمد * قول امرىء حدب عليك محام
أنكرت أن تفتر عنك صنيعة * في صالح بن عطية الحجام
ليس الصنائع عنده بصنائع * لكنهن طوائل الإسلام
اضرب به جيش العدو فانه * جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام : ما زال دعبل مائلا الى مسلم بن الوليد مقرا بأستاذيته ، حتى ورد عليه بجرجان فجفاه مسلم ، وكان فيه بخل ، فهجره دعبل وكتب اليه :

أبا مخلد كنا عقيدى مودة * هوانا وقلبانا جميعا معا معا
أحوطك بالغيب الذى أنت حائطى * وأجزع اشفاقا من ان تتوجعا
فصيرتنى بعد انتكاثك متهما * لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا
غششت الهوى حتى تداعت اصوله * بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
وأنزلت من بين الجوانح والحشى * ذخيرة ود طالما قد تمنعا
فلا تلحينى ليس لى فيك مطمع * تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا
فهبك يمينى استأكلت فقطعتها * وجشمت قلبى صبره فتشجعا

ثم تهاجرا فما التقيا بعد ذلك .

أجرى الرشيد على دعبل رزقا سنيا ، فكان أول من حرضه على قول الشعر . فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله من العطاء السنى والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة ، وقال فيه يهجوه من قصيدة مدح بها آهل البيت عليهم السلام :

وليس حي من الأحيـاء نعلمه ❊ من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
الا وهم شركاء في دمائهـم ❊ كما تشارك أيسار على جزر
قتـل وأسر وتحريق ومنهبـة ❊ فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين ان قتلوا ❊ ولا أرى لبني العبـاس من عذر
اربع بطوس على القبر الزكي اذا ❊ ما كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم ❊ وقبـر شرهم هذا مـن العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا ❊ على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات ، كل امرىء رهن بما كسبت ❊ له يداه فخذ ما شـئت أو فذر

١٤

استدعى بعض بني هاشـم دعبلا وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام ، فقصده اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاه ، فكتب اليه دعبل :

دليتني بغـرور وعدك في ❊ متلاطم مـن حومة الغـرق
حتى اذا شمت العدو وقد ❊ شهر انتقاصك شهرة البلق
أنشأت تحلف أن ودك لي ❊ صـاف وحبلك غير منحلق
وحسبتني فقعـا بقـرقرة ❊ فوطئتني وطئـا على حنـق
ونصبتني علما على غـرض ❊ ترمينني الأعـداء بالحـلق
وظننت أرض الله ضـيقة ❊ عني وأرض الله لم تضـق
من غير ما جرم سوى ثقة ❊ مني بوعدك حين قلت ثق
ومودة تحنـو عليك بهـا ❊ نفسي بـلا مـن ولا ملق
فمتى سألتك حاجـة ابدا ❊ فاشدد بهـا قفلا على غلق
وقف الاخاء على شفا جرف ❊ هـار فبعـه بيعـة الخلق
وأعـد لي قفـلا وجامعـة ❊ فاشدد يدى بها الى عنقي
أعفيك مما لا تحب بهـا ❊ واسـدد على مذاهب الأفق
ما أطول الدنيا وأعرضها ❊ وأدلنـي بمسالك الطـرق

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد :

جئت بلا حرمة ولا سبب ❊ اليـك الا بحـرمة الأدب
فاقض ذمامي فانني رجـل ❊ غير ملح عليك في الطلب

فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجه اليه بصرة فيها ألف درهم ، وكتب اليه :

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ✻ ولو انتظرت كثيره لم يقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ✻ ونكون نحن كأننا لم نفعل

مات دعبل بقرية من قرى السوس ، بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره بعكاز لها زج مسموم فمات من غد ٠

٤ ــ حسين بن الضحاك (١)

« شاعر (٢) ظريف شديد الظرف ، ربما انقطع نظيره في شعراء العصر العباسي كله ، وهو مع ظرفه واسرافه في المجون ، قليل الفحش في اللفظ ٠ غير متهالك على القول الآثم والألفاظ المنكرة ، لا يتخيرها ولا يقصد اليها ، وانما يعرض لها اذا اضطر اليها اضطرارا وهو على ظرفه ورقة حاشيته وحرصه على نقاء اللفظ وطهره شاعر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، مجود اذا فكر ، مظفر اذا بحث ، موفق الى اللفظ المتين ، والأسلوب الرصين في غير جفوة ولا غلظة ، لا يعرف التكلف في لفظ ولا معنى ، وانما ينطلق لسانه مع سجيته ، وسجيته سهلة مرسلة غنية غزيرة المادة ، لا تكاد تنضب ، ولا ينالها اعياء أو كلال ، وحياته كلها عبر وعظات ولكنها عبر وعظات مبتسمة ليست بالمظلمة ولا العابسة ولا بالتي تردك وتنفرك ، وتجعل للحزن والأسى الى قلبك سبيلا ، ولعلك لاتجد من شعراء هذا العصر رجلا مثله ، تقرأ أخباره فتظل مبتسما منذ تبتدىء الى أن تنتهي دون أن تعبس أو تقطب ٠ وربما تجاوزت الابتسام الى الاغراق في الضحك من حين الى حين ، ولكنك لن تترك الابتسام الى الحزن الشديد ٠ وربما اعترضتك في طريقك سحابة محزنة ولكن هذه السحابة رقيقة هادئة هينة ، فهي أضعف من أن تزيل ابتسامتك ٠ وكان هذا الشاعر من المعمرين ، بلغ

(١) هو مولى باهلة ، ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس . وكان خليعا فاسدا وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ولشعره قبول ورونق ، فهو من المتفننين وله معان جديدة في الخمر كان أبو نواس يأخذها عنه ، ومع أن أبا نواس مات سنة ١٦٨ هـ ، والضحاك مات سنة ٢٥٠ هـ فقد تعاصرا لأن مولدهما متقارب لأن ابن الضحاك عمر كثيرا ٠ وهو أول من نادم الأمين وله فيه مدائح كثيرة ، وعمر عمرا طويلا حتى قارب مائة السنة ومات في خلافة المستعين أو المنتصر ٠ وتجد أخباره في الأغاني (ج ٦ ص ١٧٠) وابن خلكان (ج ١ ص ١٥٤) ٠

(٢) من بحوث صديقي الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية ٠

المائة أو كاد ، وعاصر طبقات من الشعراء ، وألوانا من حاشية الخلفاء ، ولكنه ظل محتفظا بشخصيته الوادعة المبتسمة ، تغير الناس واختلفت الظروف ، وظل هو واحدا لم يتغير • كان خليعا ، بل كان يعـــرف بالخليع ، وكان كثير المجون مسرفا فيه ، وما احسب أن أبا نواس سبقه الى لذة أو برز عليه فى مأثم ، ولكنه على خلاعته واسرافه فى المجون وتهالكه على اللذات ، احتفظ طول حياته بشيء من كرم الخلق وطهـــارة العنصر وجودة الأصـــل ، كأنما كانت هذه اللذات والآثام تنزلق على نفســه وأخلاقه انزلاقا دون أن تترك فيهـا أثرا باقيـا ، وانما كانت الآثار التى تتركها لياليــه الساهرة ، وأيامه المملوءة بالعبث ، هذه الأشـــعار الجميلة الحلوة التى سأظهـــرك على طرف منها •

فلم يكن هذا الرجل كغيره من الشعراء الذين انما كانوا يصلون الى الخلفاء بعد الجهد والكد ، وبعد التلطف وحسن الحيلة ، وانما كان متصـــلا بالخلفــــاء اتصالا شديدا ، يعاشرهم ويرافقهم ويتدخل فى حياتهم الخاصـــــة ، وربما تدخل الى أكثر مما ينبغى • وكان الخلفاء يبحثون عنه ، ويحرصون على عشرته ويبذلون فى ذلك غير قليل من الالحاح والعطاء ، وكان شعره كله أو أكثره مرآة لحيــاة القصر فى أيــام طائفة غير قليلة من الخلفاء » •

فنرى من هذا الوصف أنه شاعر أديب ظريف مطبـــوع ، حسن التصرف فى الشعر حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صــاف ، وكان أبـــو نواس يأخذ معانيــه فى الخمر فيغير عليها ، واذا شــاع له شعر نادر فى هذا المعنى نســبه الناس الى أبى نواس ، وله معان فى صفتها أبدع فيها ، وهاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه ، وله غزل كثير جيد ، وهو من المطبوعين الذين تخلو أشـــعارهم ومذاهبهـم جمــــلة من التكلف •

قال : أنشدت أبا نواس قصيدتى التى قلتها فى الخمر وهى :

بدلت من نفحات الورد بالآء (١) ❋ ومن صبوحك در الابـــل والشــاء

فلما انتهيت منها الى قولى :

حتى اذا أسبنت فى البيت واحتضرت ❋ عنـــد الصبوح ببسامين اكفـــاء
فضت خواتمها فى نعت واصفها ❋ عن مثل رقراقة فى جفن مرهاء (٢)

---

(١) الآء : ثمر شجر واحدته آءة •
(٢) المرهاء : التى لا تكتحل •

فصعق صعقة أفزعتنى وقال : أحسنت والله يا أشقر ، فقلت : ويلك يا حسن ، انك أفزعتنى والله ، فقال : بلى والله أنت أفزعتنى ورعتنى ، هذا معنى من المعانى التى كان فكرى لابد أن ينتهى اليها أو أغوص عليها وأقولها ، فسبقتنى اليه واختلسته منى، وستعلم لمن يروى ألى أم لك ؟ فكان والله كما قال ، سمعت من لا يعلم يرويها له .

لما قدم المأمون من خراسان أمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك ، وكان من جلساء محمد المخلوع ، فلما رأى اسمه قال : أليس هو الذى يقول فى محمد :

هلا بقيت لسد فاقتنا * أبدا وكان لغيرك التلف
فلقد خلفت خلائفا سلفوا * ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لى فيه ، والله ولا يرانى أبدا الا فى الطريق ، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به ، وانحدر حسين الى البصرة فأقام بهما طول أيام المأمون .

قال أبو صالح بن الرشيد : دخلت يوما على المأمون ومعى بيتان للحسين بن الضحاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أحب أن تسمع عنى بيتين ، فقال : أنشدهما ، فأنشدتهما :

حمدنا الله شكرا اذ حبانا * بنصرك يا أمير المؤمنينا
فأنت خليفة الرحمن حقا * جمعت سماحة وجمعت دينا

فقال : لمن هذان البيتان ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحاك ، قال : قد أحسن ، فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله :

أجرنى فانى قد ظمئت الى الوعد * متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد بدا * تقطع أنفاس عليك من الوجد
أيبخل فرد الحسن عنى بنائل * قليل وقد أفردته بهوى فرد
رأى الله عبد الله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعبد
ألا انما المأمون للناس عصمة * مميزة بين الضلالة والرشد

فأطرق ساعة ثم قال : ما تطيب نفسى له بخير بعد ما قال فى أخى محمد ما قال .

ومن قوله يرثي محمدا الأمين :

أطل حزنا وابك الامام محمـــدا ❊ بحزن وان خفت الحسام المهندا
فلا تمت الأشـــياء بعد محمـد ❊ ولا زال شمل الملك منها مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعـــده ❊ ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

ولحسين في محمد الأمين مراث كثيرة جياد ، وكان كثير التحقق به والموالاة له لكثرة أفضاله عليه ، وميله اليه ، وتقديمه اياه ، وبلغ من جزعه عليه أنه خولط فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول : انه مستتر وأنه قد وقف على دعاته في الأمصـــار يدعون الى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه ٠

ومن جيد مراثيه اياه قوله :

سألونا أن كيف نحن فقلنا ❊ من هوى نجمه فكيف يكون ؟
نحن قوم أصابنا حدث الدهـ ❊ ـر فظلنا لريبـــه نستكين
نتمنى مـــن الأمين ايابـا ❊ لهف نفسي وأين مني الأمين

ومن جيد قوله في مراثيه اياه :

أعزى يا محمد عنك نفسي ❊ معاذ الله والأيدي الجســـام
فهلا مات قوم لم يموتـــوا ❊ ودوفع عنك لي يوم الحمام
كأن الموت صادف منك غنما ❊ أو استشفى بقربك من سقام

وقال أيضا يرثيه :

يا خير اسرته وان زعمـــوا ❊ انـي عليك لمثبت اســـف
الله يعـــلم أن لي كبـــدا ❊ حـــرى عليـك ومقـلة تكف
ولئن شجيت بما رزئت به ❊ اني لأضـــمر فوق ما أصف
هـــلا بقيت لســـد فاقتنـا ❊ أبـــدا وكان لغـيرك التلف
فلقد خلفت خلائفـا سلفوا ❊ ولسوف يعوز بعـــدك الخلف
لا بات رهطك بعد هفوتهم ❊ اني ترهطك بعدها شنف (١)

---

(١) مبغض متنكر ٠

هتكوا بحرمتك التى هتكت * حرم الرسول ودونها السجف
وثبت أقاربك التى خذلت * وجميعهـــا بالذل معترف
لم يفعلوا بالشط اذ حضروا * ما تفعـــل الغيرانة الأنف
تركوا حــريم أبيهــم نفلا * والمحصنات صــوارخ هتف
أبـــدت مخلخلهـــا على دهش * أبكارهــن ورنــت النصــف
سلبت معاجرهن (١) واجتليت * ذات النقاب ونوزع الشنف
فكأنهـــن خــــلال منتهـب * در تكشـــف دونه الصـــدف
ملك تخـــون ملكـه قـــدر * فوهى وصرف الدهر مختلف
هيهات بعدك أن يدوم لنا * عــز وأن يبقى لنـــا شرف
لا هيبـــوا صـــحفا مشرقة * للغـــادرين تحتهـــا الجدف
أفبعـــد عهـــد الله تقتـله * والقتــل بعـــد أمانة سرف
فستعرفون غـــدا بعاقبـــة * عـــز الاله فأوردوا وقفـــوا
يـــا مـــن يخـــون نومه أرق * هدت الشـــجون وقلبه لهف
قد كنت لى أملا غنيت به * فمضى وحـــل محله الأسف
مرج النظـــام وعـــاد منكرنا * عرفا وأنكر بعـــدك العـــرف
فالشـــمل منتشر لفقـــدك والـ * دنيا سدى والبـــال منكسف

وقال أيضا يرثيه :

اذا ذكـــر الأمين نعى الأمينا * وان رقد الخلى حمى الجفونا
وما برحت منازل بين بصرى * وكلواذى تهيج لى شـــجونا
عراص الملك خـــاوية تهادى * بهـــا الأرواح تنسجها فنونا
تخون عز ساكنهـــا زمـــان * تلعب بالقـــرون الأولينـــا
فشتت شـــملهم بعـــد اجتماع * وكنت بحسن ألفتهـــم ضنينا
فلم أر بعدهم حسنا سواهم * ولم ترهم عيـــون الناظرينـــا
فواأسفا وان شـــمت الأعادى * وآه عـــلى أمـــير المؤمنينـــا
أضل العرف بعـــدك متبعوه * ورفه عـــن مطـــايا الراغبينـــا

---

(١) جمع معجر بالكسر وهو ثوب تعتجر به المرأة أى تشده على رأسها .

وكن الى جنـــابك كل يوم ❋ يرحن على السعود ويغتدينــا
هو الجبل الذى هوت المعالى ❋ لهـــدته وريـــع الصالحونا
ستندب بعدك الدنيــا جوارا ❋ وتندب بعدك الديــن المصونا
فقد ذهبت بشاشة كل شىء ❋ وعاد الدين مطروحـــا مهينـــا
تعقد (١) عز متصـــل بكسرى ❋ وملتـــــه وذل المسلمـــونا

وقال أيضا يرثيه :

أسفا عليك سلاك أقرب قربة ❋ منى وأحزانى عليك تزيـــد

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى : حسين بن الضــحاك أشـعر المحدثين حيث يقول :

أى ديباجـــة حســـن ❋ هيجت لوعـــة حزنـــى
اذ رمانى القمـــر الزا ❋ هـــر عن فتـــرة جفـــن
بأبى شـــمس نهـــار ❋ برزت فى يـــوم دجـــن
قربتنـــى بالمنـــى حتـ ❋ ـــى اذا مـــا أخلفتنـــى
تركتنـــى بـــين ميعـــا ❋ د وخلـــف وتجـــنى
ما أرى فـــى من الصبـ ❋ ـــوة الا حســـن ظنى
انما دامـــت على الغد ❋ ر لمـــا تعـــرف منـــى
أســـتعيذ الله من اعرا ❋ ض مـــن أعـــرض عنـــى

لما ولى المعتصم أمر بمكاتبته بالقــدوم عليــه ، فلما دخــل وسلم استأذنه فى الانشاد ، فأذن له ، فانشده قوله :

هلا ســألت تلذذ المشـــتاق ❋ ومننت قبـــل فراقه بتـــلاق
ان الرقيب ليستريب تنفسا ❋ صعدا اليك وظاهـــر الاقلاق
ولئن أربت لقـــد نظرت بمقلة ❋ عبرى عليك ســـخينة الآماق
نفسى الفداء لخائف مترقب ❋ جعـــل الوداع اشـــارة بعنـــاق
اذ لا جواب لمفحـــم متحير ❋ الا الدموع تصـــان بالاطراق

---

(١) استحكم .

حتى انتهى الى قوله :

خير الوفود مبشر بخلافة * خصت ببهجتها ابا اسحاق
وافته فى الشهر الحرام سليمة * من كل مشكلة وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعة * قبل الأكف بأوكد الميثاق
سكن الأنام الى امام سلامة * عف الضمير مهذب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونها * وأجار مملقها من الاملاق

حتى أتمها ، فقال له المعتصم : ادن منى ، فدنا منه ، فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه ، ثم أمره بأن يخرجه من فمه ، فأخرجه وأمر بأن ينظم ويدفع اليه ويخرج الى الناس وهو فى يده . ليعلموا موقعه من رأيه ، ويعرفوا فضله ، فكان أحسن ما مدح به يومئذ .

ومن شعره قوله :

أمين الله ثق بالله * تعط الصبر والنصره
كل الأمر الى الله * كلاك الله ذو القدره
لنا النصر بعون الله * والكرة لا الفره
وللمراق أعدائك * يوم السوء والدبره
وكأس تلفظ الموت * كريه طعمها مره
سقونا وسقيناهم * ولكن بهم الحره
كذاك الحرب أحيانا * علينا ولنا مره

ومن قوله فى غضب حظية للواثق من زيارته أخرى فى نوبتها :

غضبت أن زرت اخرى خلسة * فلها العتبى لدينا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة * فاغفريها واصفحى عما مضى
واتركى العذل على من قاله * وانسبى جورى الى حكم القضا
فلقد نبهتنى من رقدتى * وعلى قلبى كنيران الغضا

كان الواثق يتحظى جارية له فماتت ، فجزع عليها وترك الشراب أياما ، ثم سلاها وعاد الى حاله ، فدعا الحسين ليلة وقال له : رأيت فلانة فى النوم فليت نومى كان طال قليلا لأتمتع بلقائها ، فقل فى هذا شيئا ، فقال :

ليت عين الدهر عنا غفلت ❊ ورقيب الليــل عنــا رقدا
وأقـام النـــوم في مدته ❊ كالذي كان وكنــا أبــدا
بأبـي زور تلفــت لــه ❊ اذ تقطعت عليـــه كبــدا
بينما أضـــحك مسرورا به ❊ فتنفســت اليـــه الصــعدا

لما أعيته الحيلة في رضا المأمون عنه رمى بأمره الى عمرو بن مسعدة وكتب اليه :

أنت طودي من بين هذي الهضاب ❊ وشهابي من دون كل شهاب
أنت يا عمرو قوتي وحياتي ❊ ولساني وأنت ظفري ونابي
أتراني أنسى أياديك البيـ ❊ ـض اذا اسود نائل الأصحاب
أين أخلاقك الرضية حالت ❊ في أم أين رقة الكتاب ؟
أنا في ذمة السحاب واظما ؟ ❊ ان هذا لوصمة في السحاب
قم الى سيد البرية عني ❊ قومة تستجر حسن الخطاب
فلعـل الاله يطفيء عنـي ❊ بك نارا على ذات التهاب

فلم يزل عمرو يلطف للمأمون حتى أوصله اليه وأدر أرزاقه ٠

ولما عفا المأمون عنه أمر باحضاره ، فلما حضر سلم ، فرد عليه السلام ردا جافيا ، ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك ، هل عرفت يوم قتل أخي محمد هاشمية قتلت أو هتكت ؟ قال : لا ، قال : فما معنى قولك :

وسرب ظباء من ذؤابة هاشم ❊ هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يدا مني اذا ما ذكرته ❊ على كبد حرى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ❊ ولا بلغت آمالهم ما تمنت

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني ، واحسان شكرته فأنطقني ، وسيد فقدته فأقلقني ، فان عاقبت فبحقك ، وان عطفت فبفضلك ، فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوت عنك ، وأمرت بادرار رزقك ، واعطائك ما فات منه ، وجعلت عقوبتك امتناعي من استخدامك ٠

ومن قوله :

وكالوردة الحمراء حيا بأحمر ❊ من الورد يمشي في قراطق كالورد

له عبثات عند كل تحيـــة * بعينيه تستدعى الحليم الى الوجد
تمنيت أن اسقى بكفيـــه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ومـن قوله :

وابـــابى مفحــــم لعزته * قلت له اذ خلوت مكتتما
تحب بالله من يخصك بالـ * ـود فمـــا قال لا ولا نعمـا
ثم تـولى بمقلتى خجـــل * أراد رجع الجواب فاحتشما
فكنت كالمبتغى بحيلتــــه * برءا من السقم فابتدا سقما

وقال فى هوى له :

عـــــالم بحبيــــــه * مطـــرق مـــن التيـــه
يوسف الجمـــال وفر * عــون فـــى تعــديه
لا وحق ما أنــا فيـ * ـه من عطف أرجيـــه
ما الحيـــاة نافعـــة * لى عـــلى تأبيـــه
النعيـــم يشـــغله * والجمـــال يطغيـــه
فهـــو غـــير مكترث * للـــــذى ألاقيـــــه
تائـــه تزهيـــده * فى رغبتى فيـــبـــه

ومن قوله فى هوى له :

ان من لا أرى وليس يـرانى * نصب عينى ممثـل بالأمانى
بأبى من ضميره وضميرى * أبـــدا بالمغيب ينتجيـــان
نحن شخصان ان نظرت ورو * حان اذا ما اختبرت يمتزجـان
فاذا ما هممت بالأمر أو هـــم * بشىء بدأتـــه وبـــدانى
كان وفقا ما كان منــه ومنى * فكـــانى حكيته وحكـــانى
خطرات الجفون منا سواء * وســـواء تحـــرك الأبدان

ومن قـــوله :

فديت من قـال لى على خفره * وغض من جفنه على حـــوره
سمع بأشعارك المليح فما * ينفك شاد بها على وتره
حسبك بعض الذى أذعت ولا * حسبت نصب لم يقض من وطره
وقلت يا مستعير سنالفة الـ * ـخشف وحسن الفتور من نظره
لا تنـــكرن الحبيب من طرب * عاود فيك الصـــبا على كبره

ومن قـــوله :

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهرى * وعن تتـــابع أنفـاسى وعن فـكرى
لم يخل قلبى من ذكراك اذ نظرت * عينى اليك على صحوى ولا سنـــكرى
سقيا ليـــوم سرورى اذ تنـازعنى * ضـــفو المـدامة بين الانس والخفر
وفضل كاســـك يأتينى فاشربه * جهـرا وتشرب كاسى غير مستتر
وكيف أشـــمله لثمى والزمه * نحـــرى وترفعـــه كفى الى بصرى
فليت مـــدة يومى اذ مضى سـلفا * كانت ومدى آيامى على قـــدر
حتى اذا ما انطوت عنا بشاشـــته * صرنا جميعـــا كذا جارين فى الحفر

ومن قوله لهوى كان له :

تعز بيـأس عن هـــواى فاننى * اذا انصرفت نفسى فهيهات عن ردى
اذا خنتم بالغيب ودى فمالكم * تدلون ادلال المقيم على العهد
ولى منـــك بـد فاجتنبنى ملمما * وان خلت أنى ليس لى منك من بد

لما ولى الواثق الخلافة أنشده حسين :

أكاتم وجدى فمـــا ينكتم * بمن لو شـــكوت اليـه رحم
وانى على حســـن ظنى به * لأحذر ان بحت أن يحتشـــم
ولى عند لحظته روعـــة * تحقق مـــا ظنـــه المتهـــم
وقد علم الناس أنى له * محب وأحســـبه قد عـــلم
وانى لمغض على لوعـــة * من الشوق فى كبدى تضطرم
عشية ودعت عن مقـــلة * سفوح وزفرة قلب ســـدم

فمــا كان عند النوى مســـعد * ســـوى العين تمزج دمعا بدم
سيذكر من بان أوطـــانه * ويبـــكى المقيمين من لـــم يقم

كتب الى الحسن بن رجاء فى يوم شك ، وقد أمر الواثق بالافطار ، فقال :

هززتك للصبوح وقد نهانى * أمير المؤمنين عن الصـــيام
وعندى من قيـــان المصر عشر * تطيب بهن عاتقـــة المدام
ومن أمثالهن اذا انتشينا * ترانا نجتنى ثمر الغـــرام
فكن أنت الجواب فليس شئ * أحب الى من حـــذف الـــكلام

فوردت رقعته ، وقد سبقه اليه محمد بن الحارث بن بسخنر ووجه اليه بغلام نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجه ، ومعهم رقعة كتبها كما تكتب المناشير ، وختمها فى أسفلها وكتب فيها يقول :

سر على اســـم الله يا أشـــ * ـــكل مـــن غصـــن لجـــين
فى ثـــلاث من بنى الرو * م الى دار حســـــــين
اشخص الكهل الى مـــو * لاك يـــا قـــرة عينى
اره العنـــف اذا استعـــ * ـــصى وطالبـــه بـــدين
ودع اللفـــــظ وخاطبـــ * ـــه بغمـــز الحـــاجبين
واحذر الرجعـــة من وجـــ * ـــهك فى خـــفى حنـــين

فمضى معهم .

ومن قوله لمن أعرض عنه :

تتيـــه علينـــا أن رزقت ملاحـــة * فمهـــلا علينا بعض تيهـــك يا بدر
لقد طال ما كنا ملاحـــا وربمـــا * صـــددنا وتهنـــا ثم غيرنا الدهر

وله فى هوى حجب عنه :

ظـــن من لا كـــان ظنـــ * ـــا بحـــبيبى فحمـــاه
أرصـــد البـــاب رقيبـــ * ـــن لـــه فاكتنفـــــاه
فـــاذا ما اشـــتاق قربى * ولقـــــائى منعـــــاه

جعـــل الله رقيبيـــ * ـه من السـوء فـداه
والذى أقرح فى الشـا * دن قلـبى ولـواه
كـل مشـتاق اليـه * فمن السـوء فـداه
سيما من حالت الأحـ * ـراس من دون منـاه

أمره المتوكل بأن ينادمه ويلازمه ، فلم يطق ذلك لكبر سنه ، فقال للمتوكل بعض من حضر عنده : هو يطيق الذهاب الى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك ، فبلغه ذلك ، فدفع الى أحمد بن حمدون أبياتا قالها وسأله ايصالها ، فأوصلها الى المتوكل ، وهي :

أما فى ثمـانين وفيتهـا * عـذير وان أنا لم أعتـذر
فكيف وقد جزتها صاعدا * مع الصاعدين بتسع اخر
وقد رفـع الله أقلامـه * عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة * والحـد فى دينه أو كفر
وانى لمـن أسراء الالـ * ـه فى الأرض نصب صروف القدر
فان يقض لى عملا صالحا * أثـاب وان يقض شرا غفـر
فلا تلح فى كبر هـدنى * فلا ذنب لى أن بلغت الـكبر
هو الشيب حل بعقب الشباب * فمن ذا يلوم اذا ما علر
وانى لفى كنف مغـدق * وعـز بنصر أبى المنتصر
يبارى الرياح بفضـل السما * ح حتـى تبـلد أو تنحسر
لـه أكـد الوحي ميراثه * ومن ذا يخالف وحي السـور
وما للحسـود وأشـباهه * ومن كـذب الحق الا الحجر

فلما أوصلها شيعها بكلام يعذره وقال : لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها ، فقال المتوكل : صدقت ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

٥ ـ محمد بن عبد الملك الزيات (١)

كان محمد شاعرا مجيدا لا يقاس به أحد من الكتاب ، وان كان ابراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فان ابراهيم مقل وصاحب قصار ومقطعات • وكان محمد شاعرا يطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغا حسن اللفظ اذا تكلم واذا كتب •

ولما تولى محمد الوزارة اشترط ألا يلبس القباء ، وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفا بحمائل ، فأجيب الى ذلك •

وكان يقول : الرحمة خور في الطبيعة ، وضعف في المنة ، ما رحمت شيئا قط ، فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول ، فلما وضع في الثقل والحديد قال : ارحموني ، فقالوا له : وهل رحمت شيئا قط فترحم ؟ هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها •

لما ماتت أم ابنه عمرو رثاها بقصيدة منها :

يقول لى الخلان لو زرت قبرها * فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر
على حين لم أحدث فاجهل قبرها * ولم أبلغ السن التى معها الصبر

ومن شعره قوله :

ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه * قد كنت أحسب أنى قد ملأت يدى
مالى اذا غبت لم أذكر بصالحة * وان مرضت فطال السقم لم أعد

---

(١) هو أبو جعفر محمد عبد الملك بن أبان بن حمزة واشتهر بابن الزيات لأن جده (آبان) كان يجلب الزيت من مواضعه الى بغداد ، وكان أديبا شاعرا عالما بالنحو واللغة ، وله ديوان شعر ومجموعة رسائل جيدة ، وكان في أول أمره من جملة الكتاب ثم صار وزيرا للمعتصم ولابنه الواثق • ولما تولى المتوكل قبض عليه وأمر بادخاله في تنور من حديد كان ابن الزيات أعده لتعذيب المصادرين وأرباب الدواوين المطالبين بالأموال وقيده بخمسة عشر رطلا من حديد ، ثم أمر باخراجه بعد أن مكث فيه أربعين يوما ، فوجدوه ميتا وذلك سنة ٢٣٣ هـ • وتجد ترجمته في الأغاني (ج ٢٠ ص ٤٦) وابن خلكان (ج ٢ ص ٧٨) •

ومن شـــعره قـــوله :

ألم تعجب لمكتئب حزين * خدين صبابة وحليف صبر
يقول اذا سألت به بخير * وكيف يكون مهجور بخير

وكان لمحمد برذون أشهب لم ير مثله فراهة وحسنا ، فسعى به محمد بن خالد الى المعتصم ووصف له فراهته ، فبعث اليه المعتصـــم فأخذه منه ، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه :

كيف العزاء وقد مضى لسبيله * عنا فودعنـــا الأحم الأشـــهب
دب الوشاة فأبعدوك وربما * بعد الفتى وهو الأحب الأقرب
لله يـــوم نايت عني ظاعنـــا * وسلبت قربك أي علق أسلب
نفس مفرقة أقام فريقها * ومضى لطيته فريق يجنب
فالان اذ كملت أداتك كلهـــا * ودعا العيون اليك لون معجب
واختير من سر الحدائد خيرها * لك خالصا ومن الحلى الأغرب
وغدوت طنـــان اللجام كأنما * فى كل عضو منك صنج يضرب
وكأن سرجك اذ علاك غمـــامة * وكأنما تحت الغمـــامة كوكب
ورأى على بك الصديق جلالة * وغدا العدو وصـــدره يتلهب
انســـاك لا زالت اذا منيته * نفسي ولا زالت يميني تنـكب
أضمرت منك اليأس حين رأيتني * وقوى حبـــالى من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة * لله ما فعل الأحـــم الأشـــهب

ولما وثب ابراهيم بن المهدى على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالا ، فأخذ من عبد الملك أبى محمد عشرة آلاف درهم وقال له : أنا أردها اذا جاءني مال ، ولم يتم أمره ، فاستخفى ثم ظهر ورضى عنه المأمون ، فطالبه الناس بأموالهم ، فقال : انما أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها من فيئهم ، والأمر الآن الى غيرى ، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة خاطب فيها المأمون ومضى الى ابراهيم بن المهدى فأقرأه اياها وقال : والله لئن لم تعطنى المال الذى اقترضته من أبى لأوصلن هذه القصيدة الى المأمون ، فخاف أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله ، فيوقع به فقال له : خذ منى بعض المال ونجم على بعضه ، ففعل ، والقصيدة قوله :

ألم تر أن الشيء للشيء عـــلة * تكون له كالنـــار تقدح بالزند
كذلك جربت الأمـــور وانمـــا * يدلك ما قد كان قبل على البعد
وظنى بابراهيم أن مكانه * سيبعث يوما مثل ايامه النكد

رأيت حسينا حين صار محمد * بغير أمان فى يديه ولا عقد
فلو كان أمضى السيف فيه بضربة * فصيره بالقاع منعفر الخد
اذا لم تكن للجند فيه بقية * فقد كان ما بلغت من خبر الجند
هم قتلوه بعد أن قتلوا له * ثلاثين ألفا من كهول ومن مرد
وما نصروه عن يد سلفت له * ولا قتلوه يوم ذلك عن حقد
ولكنه الغدر الصراح وخفة الـ * حلوم وبعد الرأى عن سنن القصد
فذلك يوم كان للناس عبرة * سيبقى بقاء الوحى فى الحجر الصلد
وما يوم ابراهيم ان طال عمره * بأبعد فى المكروه من يومه عندى
تذكر أمير المؤمنين مقامه * وأيمانه فى الهزل منه وفى الجد
أما والذى أمسيت عبدا خليفة * له شر ايمان الخليفة والعبد
اذا هز أعواد المنابر باسته * تغنى بليلى أو بمية أو هند
فوالله ما من توبة نزعت به * اليك ولا ميل اليك ولا ود
ولكن اخلاص الضمير مقرب * الى الله زلفى لا تبيد ولا تكدى
أتاك بها كرها اليك بأنفه * على رغمه واستأثر الله بالحمد
فلا تتركن للناس موضع شبهة * فانك مجزى بحسب الذى تسدى
فقد غلطوا للناس فى نصب مثله * ومن ليس للمنصور بابن ولا المهدى
فكيف بمن قد بايع الناس والتقت * لبيعته الركبان غورا الى نجد
ومن سك تسليم الخلافة سمعه * ينادى به بين السماطين من بعد
واى امرىء سمى بها قط نفسه * ففارقها حتى يغيب فى اللحد
وتزعم هذى النابتية أنه * امام لها فيما تسر وما تبدى
يقولون سنى وأية سنة * تقوم بصعل الرأس جون القفا جعد
وقد جعلوا رخص الطعام بعهده * زعيما له باليمن والكوكب السعد
اذا ما رأوا يوما غلاء رأيتهم * يحنون تحنانا الى ذلك العهد
واقباله فى العيد يوجف حوله * وجيف الجياد واصطكاك القنا الجرد
ورجالة يمشون بالبيض قبله * وقد تبعوه بالقضيب وبالبرد
فان قلت قد رام الخلافة قبله * فلم يؤت فيما كان حاول من جد
فلم أجزه اذ خيب الله سعيه * على خطأ اذ كان منه على عمد
ولم أرض بعد العفو حتى رفعته * وللعم أولى بالتغمد والرفد
فليس سواء خارجى رمى به * اليك سفاه الرأى والرأى قد يردى

تعادت له من كل أوب عصابة * متى يوردوا لايصدروه عن الورد
ومن هو في بيت الخلافة تلتقي * به وبك الآبـاء في ذروة المجد
فمولاك مولاه وجندك جنده * وهل يجمع القين الحسامين في غمد
وقد رابني من أهل بيتك أنني * رأيت مهم وجدا بما أيما وجد
يقولون لا تبعد من ابن ملمة * صبور على اللأواء ذى مرة جلد
فدانا وهانت نفسه دون ملكنا * عليه لدى الحال التي قل من يفدى
على حين أعطى الناس صفق أكفهم * على بن موسى بالولاية والعهد
فما كان فينا من أبي الضيم غيره * كريم كفى ما في القبول وفي الرد
وجرد ابراهيم للموت نفسه * وأبدى سلاحا فوق ذى ميعة نهد
وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده * فليس بمذموم وان كان لم يجد
فهذى أمور قد يخاف ذوو النهى * مغبتها والله يهديك للرشـد

وكانت الخلافة في أيام الواثق تدور على ايتاخ وكاتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب ، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة وأوصلها الى الواثق على أنها لبعض أهل العسكر ، وهي :

يابن الخلائف والأملاك ان نسـبوا * حزت الخلافة عن آبائك الأول
اجرت أم رقدت عينـاك عن عجب * فيـه البرية من خـوف ومن وهل
وليت اربعة أمر العبـاد معا * وكلهم حاطب في حبل محتبل
هـذا سليمان قد ملكت راحتـه * مشارق الأرض من سهل ومن جبل
ملكته السـند فالشحرين من عدن * الى الجزيرة فالأطـراف من ملـل
خلافة قد حواها وحـده فمضت * أحـكامه في دماء القوم والنفل
وابن الخصيب الذى ملكت راحتـه * خلافة الشـأم والغازين والقفل
فنيل مصر فبحر الشـأم قد جريا * بمـا أراد من الأمـوال والحلـل
كأنهم في الذى قسـمت بينهـم * بنو الرشـيد زمان القسـم للدول
حوى سليمان ما كان الأمين حـوى * من الخـلافة والتبـليغ للأمل
واحمد بن خصـيب في امـارته * كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل
أصبحت لا ناصح ياتيك مسـتترا * ولا عـلانية خـوفا من الحيـل
سل بيت مالك أين المـال تعرفه * وسل خراجك عن أموالـك الجمل
كم في حبوسـك ممن لا ذنوب لهم * أسرى التكذب في الأقيـاد والكبل
سميت باسم الرشـيد المرتضى قبه * تسـمى الأمور التي تنجي من الزلل
عث فيهم مثل ما عاثت يداه معـا * على البرامك بالتهـديم للقلل

فلما قرأ الواثق هذا الشعر غاظه ، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب ، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفي ألف دينار فجعلها في بيت المال ·

٦ ـ ابن البـــواب (١)

لما أتى المأمون بشعر ابن البواب الذى يقول فيه :

أيبخل فرد الحسـن فرد صـفاته * على وقـد أفردته بهـوى فـرد
رأى الله عبـد الله خـير عبـاده * فملكه والله أعـلم بالعبـد
ألا انمـا المأمون للناس عصـمة * مميزة بين الضلالة والرشـد

فقال المأمون : أليس هو القائل :

أعينى جودا وابكيا لى محمـدا * ولا تذخرا دمعـا عليـه وأسـعدا
فـلا فرح المأمون بالملـك بعـده * ولا زال فى الدنيا شريدا مطردا

واحدة بواحـدة ، ولم يصله بشيء · ولما سـخط عليـه قال قصـيدة يمدحه بهـا ، ودس من غناه في بعضها لما وجد منه نشاطا ، فسأل : من قائلها ، فأخبر به ، فرضى عنه ورده الى رسمه من الخدمة ، وهى :

هـل للمحـب معين * اذ شـط عنـه القرين
فليس يبكى لشـجو الـ * ـحزين الا الحـزين
ياظاعنـا غـاب عنـا * غـداة بـان القطين
أبـكى العيـون وكانت * بـه تقـر العيـون
يأيهـا المأمـون الـ * ـمبارك الميمـون
لقد صـفت بك دنيـا * للمسـلمين وديـن
عليـك نـور جـلال * ونـور ملـك مبين

---

(١) هو عبد الله بن عباب من أهل بخارى ، وجيء بجده وجماعة معه رهينة الى الحجاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فاقطعهم سكة بها ، فاختطوها ونزلوها طول أيام بنى أمية ، ثم انقطعوا من الدولة العباسية الى الربيع فخدموه ، وكان عبد الله بن محمد هذا يخلف الفضل بن الربيع على حجبة الخلفاء ، وكان صالح الشعر قليله وراوية لأخبار الخلفاء عالما بأمورهم ·

القــول منــك فعــال * والظن منــك يقــين
ما من يديك شـمال * كلتــا يديــك يمــين
كأنمـا أنت في الجــو * د والتــقى هــارون
من نال من كل فضــل * مـا نالــه المأمــون
تألف النـــاس منــه * فضــل وجــود ولين
كالبــدر يبــدو عليه * ســكينة وســكون
فالــرزق من راحتيــه * مقســـم مضــمون
وكل خصــلة فضــل * كانت فمنــه تــكون

ومما يغنى فيه قوله :

أفق أيها القلب المعذب كم تصبو ؟ * ونأت فليس لهــا اليــك مآب
أقول غــداة استخبرت مم علتي ؟ * من الحب كرب ليس يشـبهه كرب
اذا أبصرتك العين من بعــد غاية * فأدخلت شــكا فيك أثبتك القلب
ولو أن ركبــا يممــوك لقــادهم * نسـيمك حتى يستدل بك الركب

أملق ابن البواب حين جفاه الخليفة وعلت سنه عن الخدمة ، فرحل الى أبى دلف القاسم بن عيسى ومدحه بقصيدة ، فوهب له ثلاثين ألف درهم وعاد بها الى بغداد ، فما نفدت حتى مات ، وهى قوله :

طرقتــك صـائدة القلوب رباب * ونـأت فليس لهــا اليـك مآب
وتصرمت منهــا العهــود وغلقت * من دون نيــل طلابهــا الأبواب
فلأصـدفن عـن الهوى وطـلابه * فالحب فيــه بليــة وعــذاب
وأخص بالمـدح المهـذب سـيدا * نفحـــاته للمجتــدين رغـــاب
والى أبـى دلـف رحـلت مطيتـى * قـد شـفها الارقال (١) والاتعــاب
تعـلو بنــا قلل الجبـال ودونهـا * ممــا هـوت أهـوية وشــعاب
فاذا حللت لدى الأمـير بأرضـه * فلــت المنــى وتقضــت الآراب
ملــك تأثل عن أبيــه وجــده * مجــدا يقصر دونـه الطـــلاب

---

(١) الارقال : ضرب من الخبب .

واذا وزنت قديم ذى حسب به * خضعت لفضل قديمه الأحساب
قوم علوا أملاك كل قبيلة * فالناس كلهم له أذناب
ضربت عليه المكرمات قبابها * فعلا العمود وطالت الأطناب
عقم النساء بمثله وتعطلت * من أن تضمن مثله الأصلاب

٧ ـ الخريمى (١)

كان متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياد ، ثم رثاه بعد موته ، فقيل له : يا أبا يعقوب ، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مراثيك وأجود ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الوفاء ، وبينهما بون بعيد ٠

وهو القائل فى عينيه :

أصغى الى قائدى ليخبرنى * اذا التقينا عمن يحيينى
أريد أن أعدل السلام وأن * أفضل بين الشريف والدون
أسمع ما لا أرى فأكره أن * أخطىء والسمع غير مأمون
لله عينى التى فجعت بها * لو أن دهرا بها يواتينى
لو كنت خيرت ما أخذت بها * تعمير نوح فى ملك قارون
حق أخلائى أن يعودونى * وأن يعزوا عنى ويبكونى

---

(١) هو اسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب ، من العجم ، وهو القائل :

انى امرؤ من سراة الصغد البسنى * عرق الأعاجم جلدا طيب الخبر

وكان مولى ابن خريم الذى يقال لأبيه خريم الناعم ٠ وهو خريم بن عمرو من بنى مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان ٠ وعمى أبو يعقوب الخريمى بعد ما أسن ، وكان يقول فى ذلك شعرا ، فمنه قوله :

فان تك عينى خبا نورها * فكم قبلها نور عين خبا
فلم يعم قلبى ولكنما * ارى نور عينى اليه سرى
فاسرج فيه الى نوره * سراجا من العلم يشفى العمى

وهو القائل :

اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض عن بعض قريب
يمنيني الطبيب شفاء عيني * وهل غير الاله لها طبيب

وقال يذكر بغداد والفتنة التي كانت بها :

قالوا ولم يلعب الزمان ببغـ * ـداد وتعثر بها عواثرها
اذ هي مثل العروس باديها * مهول للفتى وحاضرها
جنة دنيا ودار مغبطة * قل من النائبات واترها (١)
درت خلوف الدنيا لساكنها * وقل معسورها وعاسرها
وانفرجت بالنعيم وانتجعت * فيها بلذاتها حواضرها
فالقوم منها في روضة أنف * أشرق غب القطار زاهرها
من غره العيش في بلهنية * لو أن دنيا يدوم عامرها
دار ملوك رست قواعدها * فيها وقرت بها منابرها
أهل العلا والثرى وأندية الـ * ـفخر اذا عددت مفاخرها
أفراخ نعمى في ارث مملكة * شد عراها لها أكابرها
فلم يزل والزمان ذو غير * يقدح في ملكها أصاغرها
حتى تساقت كاسا مثملة * من فتنة لا يقال عاثرها
وافترقت بعد ألفة شيعا * مقطوعة بينها أواصرها
يا هل رأيت الأملاك ما صنعت * اذ يزعها بالنصح زاجرها
أورد أملاكنا نفوسهم * هوة غي أعيت مصادرها
ما ضرها لو وفت بموثقها * واستحكمت في التقى بصائرها
ولم تسافك دماء شيعتها * وتبتعل فتية تكابرها
وأقنعتها الدنيا التي جمعت * لها ورغب النفوس ضائرها
ما زال حوض الأملاك [••• ••••] * مسجورها بالهوى وساجرها
تبقى فضول الدنيا مكاثرة * حتى أبيحت كرها ذخائرها
تبيع ما جمع الأبوة للـ * ـأبناء لا أربحت متاجرها

---

(١) مفزعها وذاعرها •

يا هل رأيت الجنان زاهرة * يروق عين البصير زاهرها
وهل رأيت القصور شارعة * تكن مثل الدمى مقاصرها
وهل رأيت القرى التي غرس الـ * أملاك مخضرة دساكرها
محفوفة بالكروم والنخل والـ * ريحان قد دميت محاجرها (١)
فانها أصبحت خلايا من الـ * انسان قد دميت محاجرها
قفرا خلاء تعوى الكلاب بها * ينكر منها الرسوم داثرها
وأصبح البؤس ما يفارقها * الفا لها والسرور هاجرها
بزند ورد والياسرية والـ * شطين حيث انتهت معابرها
وبالرحى والخيزرانية الـ * عليا التى أشرفت قناطرها
وقصر عبدويه عبرة وهدى * لكل نفس زكت سرائرها
فأين حراسها وحارسها * وأين مجبورها وجابرها
وأين خصيانها وحشوتها * وأين سكانها وعامرها
أين الجرادية الصقالب والـ * أحبش تعدو هدلا مشافرها
ينصدع الجند عن مواكبها * تعدو بها سربا ضوامرها
بالسند والهند والصقالب والـ * نوبة شيبت بها برابرها
طيرا أبابيل أرسلت عبثا * يقدم سودانها أحامرها
أين الظباء الأبكار في روضة الـ * ملك تهادى بها غرائرها
أين غضاراتها ولذتها * تعدو بها سربا ضوامرها
بالمسك والعنبر اليماني والـ * يلنجوج مشبوبة مجامرها
يرفلن في الخز والمجاسد والـ * موشي مخطومة مزامرها
فأين رقاصها ومزامرها * يجبن حيث انتهت حناجرها
تكاد أسماعهم تسل اذا * عارض عيدانها مزاهرها
أمست كجوف الحمار خالية * يسعرها بالجحيم ساعرها
كأنما أصبحت بساحتهم * عاد ومستهم صراصرها
لا تعلم النفس ما يبايتها * من حادث الدهر أو يباكرها
تضحي وتمسي درية غرضا * حيث استقرت بها شراشرها

---

(١) كذا في الطبري في حوادث سنة ١٩٧ هـ ، طبع بولاق وطبع أوربا .

لأسهم الدهر وهو يرشقها * محنطها مرة وباقرها
يا بؤس بغداد دار مملكة * دارت على أهلها دوائرها
أمهلها الله ثم عاقبها * لما أحاطت بها كبائرها
بالخسف والقذف والحريق وبالـ * ـحرب التي أصبحت تساورها
كم قد رأينا من المعاصي بها * كالعاهر السوء ... ...
حلت ببغداد وهي آمنة * داهية لم تكن تحاذرها
طالعها السوء من مطالعه * وأدركت أهلها جرائرها
رق بها الدين واستخف بذي الـ * ـفضل وعز النساك فاجرها
وخطم العبد أنف سيده * بالرغم واستعبدت مخادرها
وصار رب الجيران فاسقهم * وابتز أمر الدروب ذاعرها
من ير بغداد والجنود بها * قد ربقت حولها عساكرها
كل طحون شهباء باسلة * تسقط أحبالها زماجرها
تلقى بغي الردى أوانسها * كرقها للقاء طاهرها
والشيخ يعدو حزما كتائبه * يقدم أعجازها يعاورها
ولزهير بالقول مأسدة * مرقومة صلبة مكاسرها
كتائب الموت تحت ألوية * أبرح منصورها وناصرها
يعلم أن الأقدار واقعة * وقعا على ما أحب قادرها
فتلك بغداد ما يبن من الـ * ـدله في دورها عصافرها
محفوفة بالردى منطقة * بالصقر محصورة جبابرها
وبين شط الفرات منه الى * دجلة حيث انتهت معابرها
كهادي السفراء نافره * تركض من حولها أشاقرها
يحرقها ذا وذاك يهدمها * ويشتفي بالنهاب شاطرها
والكرخ أسواقها معطلة * يستن عيارها وعائرها
أخرجت الحرب من سواقطها * آساد غيل غلبا تساورها
من البواري تراسها ومن الـ * ـخوص اذا استلأمت مغافرها
تغدو الى الحرب في جواشنها الـ * ـصوف اذا ما عدت أساورها
كتائب الهرش تحت رايته * ساعد طرارها مقامرها
لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا * يحشرها للقاء حاشرها
في كل درب وكل ناحية * خطارة يستهل خاطرها
بمثل هام الرجال من فلق الـ * ـصخر يزود المقلاع بائرها

كأنما فوق هامها عدف * من القطا الكدر هاج نافرها
والقوم من تحتها لهم زجل * وهى ترامى بها خواطرها
بل هل رأيت السيوف مصلتة * أشهرها فى الأسواق شاهرها
والخيل تستن فى أزقتها * بالترك مسنونة خناجرها
والنفط والنار فى طرائقها * وهابيا للدخان عامرها
والنهب تعدو به الرجال وقد * أبدت خلاخيلها حرائرها
معصوصبات وسط الأزقة قد * أبرزها للعيون ساترها
كل رقود الضحى مخبأة * لم تبد فى أهلها محاجرها
بيضة خدر مكنونة برزت * للناس منشورة غدائرها
تعثر فى ثوبها وتعجلها * كبة خيل زيعت حوافرها
تسائل أين الطريق والهة * والنار من خلفها تبادرها
لم تجتل الشمس حسن بهجتها * حتى اجتلتها حرب تباشرها
يا هل رأيت الثكلى مولولة * فى الطرق تسعى والجهد باهرها
فى اثر نعش عليه واحدها * فى صدره طعنة يساورها
فرغاء تلقى النثار من يدها (١) * يهزها بالسنان شاجرها
تنظر فى وجهه وتهتف بالـ * ـثكل وعز الدموع خامرها
غرغر بالنفس ثم أسلمها * مطلولة لا يخاف ثائرها
وقد رأيت الفتيان فى عرصة الـ * ـمعرك معفورة مناخرها
كل فتى مناع حقيقته * تشقى به فى الوغى مساعرها
باتت عليه الكلاب تنهشه * مخضوبة من دم أظافرها
أما رأيت الخيول جائلة * بالقوم منكوبة دوائرها
تعثر بالأوجه الحسان من الـ * ـقتل وغلت دما أشاعرها
يطأن أكباد فتية نجد * يفلق هاماتهم حوافرها
أما رأيت النساء تحت المجا * نيق تعادى شعثا ضفائرها
عقائل القوم والعجائز والـ * ـعنس لم تختبر معاصرها

---

(١) كذا فى هامش النسخة الأوربية من الطبرى . وفى نسخة بولاق وأوربا (فى صلبها) :

★ فرغاء ينقى النثار مريدها ★

وهى رواية ظاهر عليها التحريف وفساد المعنى .

يحملن قوتا من الطحين على الـ * أكتاف معصوبة معاجرها
وذات عيش ضنك ومقعسة * تشدخها صخرة تعاورها
تسأل عن أهلها وقد سلبت * وابتز عن رأسها غفائرها
يا ليت ما والدهر ذو دول * ترجي وأخرى تخشى بوادرها
هل ترجعن أرضنا كما غنيت * وقد تناهت بنا مصايرها
من مبلغ ذا الرياستين رسا * لات تأتي للنصح شاعرها
بأن خير الولاة قد علم النـ * ـاس اذا عددت مآثرها
خليفة الله من بريته الـ * ـمأمون سائسها وجابرها
سمت اليه آمال امته * منقادة برها وفاجرها
شاموا حيا العدل من مخايله * وأصحرت بالتقى بصائرها
وأحمدوا منك سيرة جلت الـ * ـشك وأخرى صحت معاذرها
واستجمعت طاعة برفقك للـ * ـمأمون نجديها وغائرها
وأنت سمع في العالمين له * ومقلة ما يكل ناظرها
فاشكر لذي العرش فضل نعمته * أوجب فضل المزيد شاكرها
واحذر فداء لك الرعية والـ * أجناد مأمورها وآمرها
لا تردن غمرة بنفسك لا * يصدر عنها بالرأي صادرها
عليك ضحضاحها فلا تلج الـ * ـغمر ملتجة زواخرها
والقصد ان الطريق ذو شعب * أشأمها وعثها وجائرها
أصبحت في أمة أوائلها * قد فارقت هديها أواخرها
وأنت سرسورها وسائسها * فهل على الحق أنت قاسرها
أدب رجالا رأيت سيرتهم * خالف حكم الكتاب سائرها
وامدد الى الناس كف مرحمة * تسد منهم بها مفاقرها
أمكنك العدل اذ هممت به * ووافقت مده مقادرها
وأبصر الناس قصد وجههم * وملكت أمة أخايرها
تشرع أعناقنا اليك اذا الـ * ـسادات يوما جمت عشائرها
كم عندنا من نصيحة لك في اللـ * ـه وقربى عزت زوافرها
وحرمة قربت أواصرها * منك وأخرى هل أنت ذاكرها
سعى رجال في العلم مطلبهم * رائحها باكر وباكرها

دونـــك غـــراء كالـــوذيلة لا * تفقـــد فى بلـــدة سوائرهـــــا
لا طمعـــا قلتهـــا ولا بطـــرا * لكـــل نفس نفس تؤامرهـــــا
سيرهـــا الله بالنصـــيحة والـ * ـخشـــية فاســـتدمجت مرائرهـــا
جاءتـــك تحـــكى لك الأمـــور كما * ينشر بز التجـــار ناشرهـــا
حملتهـــا صـــاحبا أخا ثقـــة * يظـــل عجبـــا بهـــا يحاضرهـــا

ومن جيد شعره قوله :

النـــاس أخلاقهم شـــتى وان جبلـــوا * على تشـــابه أرواح وأجســـاد
للخـــير والشر أهل وكلوا بهما * كل له من دواعى نفســـه هـــاد
منهم خليـــل صـــفاء ذو محافظـــة * أرسى الوفـــاء أواخيـــه بأوتـــاد
ومشعر الغـــدر محنى أضالعـــه * على سريرة غمـــر غلهـــا بـــاد
مشـــاكس خـــدع جـــم غوائـــله * يبـــدى الصفاء ويخفى ضربة الهـــادى
يأتيـــك بالبغى فى أهل الصـــفاء ولا * ينفـــك يســـعى باصـــلاح لافســـاد

ومن جيد شعر الخريمى قوله :

اضـــاحك ضـــيفى قبل انزال رحاله * ويخصب عنـــدى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى * ولكنمـــا وجـــه الكريـــم خصيب

ومن جيد شعره قوله :

زاد معروفـــك عنـــدى عظمـــا * أنـــه عنـــدك محقـــور صـــغير
وتناســـيه كـــأن لـــم تأتـــه * وهو عنـــد النـــاس مشـــهور كبير

وهو القائل :

وان أشـــد الناس فى الحشر حسرة * لـــورث مـــال غـــيره وهو كاســـبه
كفى سفهـــا بالكهل أن يتبـــع الصبا * وأن يأتى الأمـــر الذى هـــو عائبـــه

ويستجاد له قوله :

ودون النـــدى فى كل قـــلب ثنيـــة * لهـــا مصـــعد وعر ومنحدر ســـهل

وود الفتى فى كل نيــل ينيله * اذا ما انقضى لـو أن نائـلـه جـزل
وأعلـم علمـــا ليس بالظن أنـه * لكـل أنـــاس من ضرائبـهم شـكل
وأن أخـلاء الزمـــان غنـاؤهم * قليـل اذا الانسان زلت به النعل
تزود من الدنيـــا متــاعا لغيرهـا * فقد شـمرت حذاء وانصرم الحبـل
وهل أنت الا هامة اليـوم أو غـد * لكل أناس من طوارقهـــا الثـكل

وفى هذا الشعر يقول :

أبالصــغد بأس اذ تعيرنى جمل * سفاها ومن أخلاق جارتى الجهـل
فان تفخــرى يا جمـل أو تتجملى * فلا فخـر الا فـوقه الدين والعقـل
أرى الناس شرعا فى الحياة ولا يرى * لقبـر على قبـر عــلاء ولا فضـل
وما ضرنى أن لم تلدنى يحابر * ولم تشـــتمل جـرم على ولا عكل

وهو القائل :

وما أحسن الغـيرة فى حينهـا * وأقبــح الغـيرة فى كـل حـين
من لم يـزل متهمـا عرســه * مناصــبا فيهـا لريب الظنـون
أوشـــك أن يغريهـــا بالـذى * يخـــاف أن يبرزهـــا للعيـون
حســبك من تحصــينها وضــعها * منــك الى عـرض صــحيح ودين
لا تطلـــع منـــك على ريبـــة * فيتبـــع المقــرون حبـل القـرين

٨ ـ عبد الله بن طـاهر (١)

كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء ، يستغنى به عن التقريظ له والدلالة عليه ، وأمره فى ذلك مشهور عند الخاصة والعامة ، وله فى الأدب مع ذلك المحل الذى لا يدفع ، وفى السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه أحد •

وكان أديبا ظريفا جيد الغناء ، نسب اليه صاحب الأغانى أصواتا كثيرة أحسن فيها وتقلها أهل الصنعة عنه ، وله شعر ورسائل ظريفة ، فمن شعره قوله :

نحن قوم تليننـا الحدق النجـ * ـل على أننـــا نلــين الحـــديدا
طـوع أيدى الظبـــاء تقتادنا العيـ * ـن ونقتـــاد بالطعـــان الأســـودا
نملك الصــــيد ثم تملكنـــا البيـ * ـض المصــونات أعينـا وخدودا
تتقى سخطنـــا الأســـود ونخشى * ســخط الخشف حين يبدى الصدودا
فترانـــا يـــوم الكريهـــة أحـــرا * را وفي الســـلم للغوانى عبيـــدا

أعطاه المأمون مال مصر لسنة ، خراجها وضياعها ، فوهبه كله وفرقه فى الناس ورجع صفرا من ذلك ، فغاظ المأمون فعله ، فدخل اليه يوم مقدمه ، فأنشده أبياتا قالها فى هذا المعنى ، وهى :

نفسى فداؤك والأعنــاق خاضــعة * للنائبـــات أبيـــا غـــير مهتضم

---

(١) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق كان سيدا نبلا عالى الهمة شهما ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه ، حسن الالتفات اليه لذاته ورعاية لحق والده وما أسلفه من الطاعة فى خدمته ، وكان واليا على الدينور فلما خرج بابك الخرمى على خراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الحمراء من أعمال نيسابور وأكثروا فيها الفساد واتصل الخبر بالمأمون بعث الى عبد الله وهو بالدينور يأمره بالخروج الى خراسان ، فخرج اليها وحارب الخوارج وقدم نيسابور فى رجب سنة ٢١٥ هـ• وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة ، فلما دخلها مطرت مطرا كثيرا ، فقام اليه رجل بزاز من حانوته وأنشده :

قد قحط النـــاس فى زمانهـم * حتى اذا جئـت جئـت بالـدرر
غيثـان فى ســاعة لنـا قدمـا * فمرحبـــا بالأمـــير والمطـــر

تولى الشام والعراق ومصر • وتوفى سنة ٢٣٠ هـ • ونجد ترجمته فى ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٩) والأغانى (ج ١١ ص ١١) •

اليـــك أقبلت من أرض أقمت بهـــا ❊ حـولين بعـدك فى شـــوق وفى ألم
أقفو مســـاعيك اللائى خصصت بها ❊ حـــذو الشراك على مثـــل من الأدم
فكـان فضــلى فيهــا أننى تبــع ❊ لمـــا ســـننت من الانعـــام والنعم
ولو وكلت الى نفسى عنيت بهـــا ❊ لـكن بـدأت فـــلم أعجـــز ولم ألم

فضحك المأمون وقال : والله ما نفست عليك مكرمة نلتها ، ولا أحدوثة حسن عندك ذكرها ، ولكن هذا شيء اذا عودته نفسك افتقرت ، ولم تقدر على لم شعثك واصلاح حالك • وزال ما كان فى نفسه •

لما فتح عبد الله مصر سوغه المأمون خراجها ، فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف ألف دينار أو نحوها ، فأتاه معلى الطائى وقد أعلموه ما صنع بالناس فى الجوائز وكان عليه واجدا ، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال : أصلح الله الأمير ، أنا معلى الطائى وقد بلغ منى ما كان منك من جفاء وغلظ ، فلا يغلظن على قلبك ، ولا يستخفنك الذى بلغك ، أنا الذى أقول :

يا أعظم النـــاس عفـوا عند مقـدرة ❊ وأظلم النـــاس عنـد الجـود للمال
لو أصبح النيـــل يجرى ماؤه ذهبـا ❊ لمـــا أشرت الى خـــزن بمثقـــال
تغـلى بمـــا فيـه رق الحمـد تملكه ❊ وليس شيء أعاض الحمـد بالغـــالى
تفـك باليسر كـف العسر من زمـن ❊ اذا اســـتطال على قـــوم باقـــلال
لم تخل كفك من وجـود لمختبط ❊ ومرهـف قاتـــل فى رأس قتـــال
وما بثثت رعيـــل الخيـــل فى بلد ❊ الا عصـــــفن بأرزاق وآجـــــال
ان كنت منـــك على بال مننت بـه ❊ فان شـــكرك من قلبـــى على بـــال
ما زلت مقتضـــبا لـــولا مجـاهرة ❊ من ألسن خضن فى صـدرى بأقـوال

فضحك عبد الله وسر بما كان منه وقال : يا أبا السمراء ، أقرضنى عشرة آلاف دينار فما أمسيت أملكها ، فأقرضه فدفعها اليه •

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مؤثرا مقدما ، فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك ، ثم انه وجد عليه فى بعض الأمر فجفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه ، فرجع حينئذ الى بغداد وقال :

ان كان عبـــد الله خـــلانا * لا مبـــدئا عرفا واحســـانا
فحسبنا الله رضـــينا بـــه * ثـــم بعبـــد الله مـــولانا

يعنى به المأمون ، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون ، فاستحسنه ووصله واياها ، فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر ، فغاظه ذلك وقال : أجل ! صنعنا المعروف الى غير أهله فضاع ·

ولعبد الله ألحان صاغها ، فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه فى شعر أخت عاصية فانه صوت نادر جيد صحيح العمل مزدوج النغم ، بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء ، وهو :

هـــلا ســـقيتم بنى ســـهم اسيركم * نفسى فـــداؤك من ذى غلـــة صـــادى
الطـــاعن الطعنـــة النجلاء يتبعهـــا * مضرج بعـــــد ما جـــادت بازبـــاد

ومن غنائه أيضا :

راح صـــحبي وعـــاود القـــلب داء * من حبيب طـــــلابه لى عنـــــاء
حسن الـــرأى والمواعيـــــد لا يلـــ * ـــفى لشىء ممـــا يقـــول وفـــاء
من تعـــزى عمـــن يحـــب فـــانى * ليس لى مـــا حييت عنـــه عـــزاء

ما قيل فى هجاء الأمين ورثائه

قيل فى هجائه :

لم نبكيـــك لمـــاذا للطـــرب * يا أبا موسى وترويـــج اللعب
ولترك الخمس فى أوقاتهـــــا * حرصـــا منهـــا على ماء العنب
وشـــنيف أنا لا ابـــكى لـــه * وعلى كـــوثر لا أخشى العطب
لم تكن تعرف ما حد الرضـــا * لا ولا تعرف ما حـــد الغضب
لم تـــكن تصـــلح للملك ولم * تعطك الطـــاعة بالملك العرب
أيهـــا البـــاكي عليه لا بكت * عـــين من ابـــكاك الا للعجب
لم نبـــكيك لمـــا عرضـــتنا * للمجانيق وطورا للســـلب
ولقـــوم صـــيرونا أعبـــدا * لهم يبلـــو على الرأس الذنب

في عذاب وحصـــار مجهـــد * سدد الطرق فلا وجـــه طلب
زعمـــوا أنـــك حي حـــاشر * كل من قد قـــال هذا قد كذب
ليت من قد قاله في وحـــدة * من جميـــع ذاهب حيث ذهب
أوجب الله علينـــا قتـــله * فـــاذا ما أوجب الأمر وجب
كـــان والله علينـــا فتنـــة * غضـــب الله عليـــه وكتب

وقال عبد الرحمن بن أبي الهداهد يرثيه :

يا غرب جودي قد بت من وذمه * فقد فقـــدنا الغزير من ديمـــه
الموت بدنيـــاك كف نائبـــة * وصرت مغضى لنـــا على نقمه
أصـــبح للموت عنـــدنا علم * يضـــحك سن المنون من علمه
ما استنزلت درة المنـــون على * أكرم من حل في ثرى رحمـــه
خليفـــة الله في بريتـــه * تقصر أيدى الملوك عن شـــيمه
يفتر عن وجهـــه ســـنا قمر * ينشق عن نوره دجى ظلمـــه
زلزلت الأرض من جوانبهـــا * اذ أولغ السيف من نجيع دمه
من سكتت نفســـه لمصرعـــة * من عمم الناس أو ذوى رحمـــه
رأيتـــه مثـــل ما رآه بـــه * حتى تلوق الأمر من ســـقمه
كم قد رأينـــا عزيز مملـــكة * ينقل عن أهـــله وعن خدمـــه
يا ملكا ليس بعـــده ملك * لخـــاتم الأنبيـــاء في أممـــه
جـــاد وحي الذي أقمت بـــه * سح غزير الوكيف من ديمـــه
لو أحجم الموت عن أخي ثقـــة * أسوى في العز مســـتوى قدمه
أو ملـــك لا ترام ســـطوته * الا مرام الشـــتيم في أجمـــه
خلدك العز ما سرى سدف * أو قـــام طفل العشي في قدمه
أصـــبح ملـــك اذا اتزرت به * يقرع سن الشـــقاة من ندمه
أثر ذو العرش في عداك كمـــا * أثر في عـــاده وفي ارمـــه
لا يبعـــد الله صـــيورة تليت * لخـــير داع دعاه في حرمـــه
ما كنت الا كحـــلم ذي حـــلم * أولج باب السرور في حلمه
حتى اذا أطلقتـــه رقـــدته * عاد الى ما اعتراه من علمـــه

وقال أيضـــا يرثيه :

أقول وقد دنــوت من الفرار * سقيت الغيث يا قصر القـــرار
رمتك يد الزمان بســـهم عين * فصرت ملـــوحا بدخـــان نار
أبن لى عن جميعك أين حـــلوا * وأين مزارهـــم بعـــد المزار
وأين محمـــد وابنـــاه مـــالى * أرى أطـــلالهم ســـود الديار
كأن لم يؤنســـوا بأنيس ملك * يطـــول على الملوك بخير جار
امام كان فى الحـــدثان عونا * لنـــا والغيث يمنح بالقطـــار
لقد ترك الزمان بنى أبيه * وقد غمرتهم ســـود البحار
أضاعوا شمسهم فجرت بنحس * فصاروا فى الظلام بلا نهار
وأجلوا عنهم قمـــرا منيرا * وداستهم خيول بنى الشرار
ولو كانوا لهم كفؤا ومثلا * اذا ما توجـــوا تيجان عار
ألا بـــان الأمـــام ووارثاه * لقد ضرم الحشى منـــا بنار
وقالوا الخلد بيع فقلت ذلا * يصير ببائعيه الى صـــغار
كذاك الملك يتبع أوليـــه * اذا قطع القرار من القرار

وقال مقدس بن صيفي يرثيه :

خليلى ما أتتك به الخطوب * فقد أعطاك طاعته النجيب
تدلت من شـــماريخ المنايا * منايا ما تقوم لهـــا القلوب
خلال مقابر البســـتان قبر * يجاور قبره أســـد غريب
لقد عظمت مصيبته على من * له فـــى كل مكرمة نصـــيب
على أمثـــاله العبرات تذرى * وتهتك فى مآتمـــه الجيوب
وما ادخرت زبيدة عنه دمعا * تخص به النسيبة والنسيب
دعوا موسى ابنه لبكاء دهر * على موسى ابنه دخل الحزيب
رأيت مشاهد الخلفاء منه * خلاء ما بساحتهـــا مجيب
ليهنك أننى كهـــل عليه * أذوب وفى الحشى كبد تذوب
أصيب به البعيد فخر حزنا * وعاين يومه فيه المريـــب
أنادى من بطون الأرض شخصا * يحركه النداء فما يجيب
لئن نعت الحروب اليه نفسا * لقد فجعت بمصرعه الحروب

وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

لخير أمام قام من خير عنصر * وأفضل سام فوق أعواد منبر
لوارث علم الأولين وفهمهم * وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني مستهل دموعها * اليك ابن عمي من جفوني ومحجري
وقد مسني ضر وذل كآبة * وأرق عيني يا ابن عمي تفكري
وهمت لما لاقيت بعد مصابه * فأمري عظيم منكر جد منكر
سأشكو الذي لاقيته بعد فقده * اليك شكاة المستهام المقهر
وأرجو لما قد مر بي مذ فقدته * فأنت لبثي خير رب مغير
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر فيما أتى بمطهر
فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالي وأحرق آدري
يعز على هارون ما قد لقيته * وما مر بي من ناقص الخلق أعور
فان كان ما أسدى بأمر أمرته * صبرت لأمر من قدير مقدر
تذكر أمير المؤمنين قرابتي * فديتك من ذي حرمة متذكر

وقال أيضا يرثيه :

سبحان ربك رب العزة الصمد * ماذا أصبنا به في صبحة الأحد
وما أصيب به الاسلام قاطبة * من التضعضع في ركنيه والأود
من لم يصب بأمير المؤمنين ولم * يصبح بمهلكة والهم في صعد
فقد أصبت به حتى تبين في * عقلي وديني ودنياي وفي جسدي
يا ليلة يشتكي الاسلام مدتها * والعالمون جميعا آخر الأبد
غدرت بالملك الميمون طائره * وبالامام وبالضرغامة الأسد
سارت اليه المنايا وهي ترهبه * فواجهته بأوغاد ذوي عدد
بشورجين وأغتام يقودهم * قريش بالبيض في قمص من الزرد
فصادفوه وحيدا لا معين له * عليهم غائب الأنصار بالمدد
فجرعوه المنايا غير ممتنع * فردا فيالك من مستسلم فرد
يلقى الوجوه بوجه غير مبتذل * أبهى وأنقى من القوهية الجدد
واحسرتا وقريش قد أحاط به * والسيف مرتعد في كف مرتعد
فما تحرك بل ما زال منتصبا * منكس الرأس لم يبدىء ولم يعد
حتى اذا السيف وافى وسط مفرقه * أذرته عنه يداه فعل متئد

وقام فاعتلقت كفــاه لبتـــه * كضيغم شرس مستبســل لبــد
فاجتره ثم أهوى فاســتقل به * للأرض من كف ليث محرج حرد
فكاد يقتـــله لو لم يكاثــره * وقام منفلتــا منـــه ولم يكد
هذا حـديث أمـير المؤمنين ومـا * نقصت من أمره حرفا ولم ازد
لازلـــت أندبه حتى الممات وان * أخنى عليه الذى أخنى على لبــد

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن أحمد الهاشمى حدثه أن لبابة ابنة على بن المهدى قالت البيتين الآتيين وقيل انهما لابنة عيسى بن جعفر وكانت مملكة لمحمد :

أبكيـك لا للنعيـم والأنس * بل للمعالى والرمح والترس
أبكى على هالك فجعت به * أرملنى قبل ليـلة العرس

هجاء يحيى بن آكثم (١)

وعدناك فى المجلد الأول أن نذكـر مثــلا من الهجـاء قاله بعض الشعراء فى يحيى بن آكثم ، وها هو ذا :

ارقه بــرح الهوى وسـدمه * ومـله الحـب فبـات يألمه
طــورا يعانيه وطورا يشتمه * مثل الحريق فى الحشا يضرمه
ففاضت العين بدمع تسجمه * نمت عليه كل شــوق يكتمه
وباح بالحـب الذى يجمجمـــه * وبات والقلب يســامى هممه
من لمحـــب قد تراه يرحمه * أصــبح بالبأســاء عار أنعمه
طال تصابيه وطال ســـقمه * وبلى الجسـم ورقت أعظمـــه
يشهدنى الله على من يظلمه * يمنعه طعم الكرى ويحـــرمه
واها له يصرم من لا يصرمه * أصبح هذا الدين رثـا رممه
عطله الجـــور وطـال قدمه * سحت من الجور عليـه ديمه
فباد مغنى ربعـه وأرسـمه * الا بقــايا قــومه وجممـــه

---

(١) انظر ما كتبناه عن يحيى بن أكثم فى المجلد الأول (ص ٤٤٠) .

أوطنه الجور فاضحى معلمه * يرود فيه شاؤه ونعمه
من يشهد الجور فنحن نعلمه * أنوك قاض في البلاد نعلمه
يقول حقا لا تعيث ترحمه * مذ ولي الحكم أبيح حرمه
وانتهكت من القضاء حرمه * واضطربت أركانه ودعمه
والله يبنيه ونحن نهدمه * يا ليت يحيى لم يلده أكثمه
ولم تطأ أرض العراق قدمه * ملعونة أخلاقه وشيمه (١)
والله والله لقد حل دمه * لو أن للدين عمادا يدعمه
يعدل عنه الميل أو يقومه * لكان قد رن عليه مأتمه
أرجو ويقضي الله لايسلمه * من وجهه هذا ولكن يقصمه

* بالسيف اذ حلت عليه نقمه *

وصف ثورة بغداد وحريقها

أما ما أصاب بغداد من سلب ونهب وتحريق وتخريب وفتنة شعواء وقتل ودماء ، فانا نترك الكلمة في ذلك لشعراء ذلك العصر ٠

قال الأعمى يصف دمار الحرب :

تقطعت الأرحام بين العشائر * وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم * لما اجترموه من ركوب الكبائر
فلا نحن اظهرنا من الذنب توبة * ولا نحن أصلحنا فساد السرائر
ولم نستمع من واعظ ومذكر * فينجع فينا وعظ ناه وآمر
فابك على الاسلام لما تقطعت * عراه ورجى ضره كل كافر
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم * فمن بين مقهور عزيز وقاهر
وصار رئيس القوم يمل نفسه * وصار رئيسا فيهم كل شاطر
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة * ولا يستطيع البر دفعا لفاجر
تراهم كأمثال الذئاب رأت دما * فامته لا تلوى على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم * تسل على أقرانها بالخناجر
فابك لقتلى من صديق ومن أخ * كريم ومن جار شفيق مجاور

---

(١) حذفنا بعد هذا البيت اربعة أبيات رأينا انها تنافي الآداب العامة ٠

ووالدة تبكي بحزن على ابنها * فيبكي لها من رحمة كل طائـر
وذات حليل أصبحت وهي أيم * وتبكي عليه بالدموع البوادر
تقول له قد كنت عزا وناصرا * فغيب عني اليوم عزي وناصري
وابك لاحراق وهـــدم منازل * وقتل وانهاب اللهى والذخائر
وابراز ربات الخـــدور حواسرا * خرجن بـــلا خمر ولا بمـــآزر
تراها حيــارى ليس تعرف مذهبا * نوافر أمثـــال الظبـــاء النوافر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظرا * وملـــهى رأته عين لاه وناظـــر
بلى هكذا كانت فأذهب حســنها * وبدد منها الشـــمل حكم القادر
وحل بهم ما حل بالنـــاس قبلهم * فأضـــحوا أحاديثا لبـــاد وحاضر
أبغـداد يا دار المـــلوك ومجتنى * صروف المنايا مســـتقر المنـــابر
ويا جنة الدنيـــا ومطلب الغنى * ومســـتنبط الأموال عند الضرائر
أبيني لنـــا اين الذين عهـــدتهم * يحلون في روض من العيش زاهر
وأين ملوك في المواكب تغتـــدى * تشـــبه حســـنا بالنجوم الزواهر
وأين القضـــاة الحاكمون برأيهم * لورد أمـــور مشـــكلات الأوامر
أو القـــائلون النـــاطقون بحكمة * ورصف كلام من خطيب وشـــاعر
وأين مراح (١) للملوك عهدتها * مزخرفة فيها صنوف الجـــواهر
ترش بماء المسك والورد أرضها * يفوح بها من بعد ريح المجـــامر
وروح الندامى فيه كل عشـــية * الى كل فيـــاض كريم العنـــاصر
وأين قيان تســـتجيب لنغمهـــا * اذا هـــو لبـــاها حنين المزامر
وأين الملوك الغر من آل هاشـــم * وأشياعهم فيها اكتفوا بالمعـــاذر
يروحـــون في ســـلطانهم وكأنهم * يروحون في سلطان بعض العشائر
يجادل عمـــا نالهـــم كبراؤهم * فنالتهمو بالكره أيدي الأصـــاغر
فاقســـم لو أن الملوك تناصروا * لذلت لها خـــوفا رقاب الجبـــابر

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكي بغداد ويهجو طاهرا ويعرض به :

من ذا أصـــابك يا بغـــداد بالعين * ألم تـــكوني زمانا قـــرة العـــين

---

(١) كذا في الأصل ولعلها صروح .

ألم يكن فيـك أقـوام لهم شرف * بالصـالحات وبالمعروف يلقـونى
ألم يكن فيك قـوم كان مسـكنهم * وكـان قربهـم زينـا من الزين
صـاح الزمان بهم بالبين فانقرضـوا * ما ذا الـذى فجعتنى لوعـة البين
استودع الله قوما ما ذكرتهمو * ألا تحـدر مـاء العـين من عينى
كانوا ففرقهـم دهـر وصـدعهم * والـدهر يصـدع ما بين الفريقين
كم كان لى مسـعد منهم على زمنى * كم كان منهم على المعروف من عـون
لله در زمـان كـان يجمعنـا * أين الزمـان الذى ولى ومن أيـن
يا من يخرب بغـدادا ليعمرها * أهلكت نفسـك مـا بين الطريقين
كانت قلوب جميع النـاس واحدة * عينـا وليس يـكون العين كالدين
لمـا استبيتهم فرقتهـم فرقـا * والنـاس طرا جميعـا بين قلبين

ولبعض فتيان بغداد :

بكيت دما على بغـداد لمـا * فقدت غضـارة العيش الأنيق
تبدلنـا همـوما من سرور * ومن سـعة تبدلنا بضـيق
أصـابتها من الحسـاد عين * فافنت أهلهـا بالمنجنيق
فقوم أحرقـوا بالنـار قسرا * ونائحـة تنـوح على غريق
وصـائحة تنادى واصـباحا * وباكيـة لفقـدان الشـفيق
وحـوراء المـدامع ذات دل * مضمخة المجاسـد بالخـلوق
تفر من الحريق الى انتهـاب * ووالدهـا يفر الى الحـريق
وسـالبة الغزالة مقلتيهـا * مضـاحكها كـلألاة البروق
حيـارى كالهدايا مبـكرات * عليهن القـلائد فى الحـلوق
ينادين الشـفيق ولا شفيق * وقد فقد الشفيق من الشفيق
وقوم أخرجوا من ظل دنيـا * متاعهـم يبـاع بكل سـوق
ومغترب قريب الدار ملـقى * بلا رأس بقـارعة الطـريق
توسـط من قتالهم جميعـا * فمـا يدرون من أى الفـريق
فـلا ولد يقيـم على أبيـه * وقد هرب الصديق من صديق
ومهمـا أنس من شىء تـولى * فـانى ذاكـر دار الـرقيق

* * *

بيان المصادر العربية والافرنجية الهامة

التى عولنا عليها فى المراجعة لكتاب عصر المأمون

نثبت لك هنا الهام من مراجع الكتاب عدا دواوين الشعراء ومعجمات اللغة التى أشرنا اليها فى مواضعها من الكتاب وهوامشه • وهى :

المصادر باللغة العربية :

تاريخ الطبرى ، طبعة مصر وليدن •

تاريخ الكامل لابن الأثير ، طبعة مصر •

تاريخ مروج الذهب للمسعودى ، طبعة مصر وباريس •

تاريخ اليعقوبى ، طبعة ليدن باشراف المسيو هتسما •

تاريخ أبى الفدا للملك المؤيد • طبعة الأستانة •

تاريخ علماء الأندلس لأبى الوليد عبد الله محمد بن يوسف ، طبعة أوربا •

تجارب الأمم لابن مسكويه ، طبعة مصر •

تاريخ العبر والمبتدا والخبر لابن خلدون، طبعة مصر •

الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى ، طبعة ليدن •

نظم الجوهر لابن البطريق ، طبعة أكسفورد سنة ١٦٥٩ للمستشرق ادوار بوكوك •

تاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوط •

تاريخ المشارقة لصليبا بن يوحنا ، مخطوط •

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، مخطوط •

تاريخ بغداد لابن طيفور (الجزء السادس طبعة أوربا) •

تاريخ التشريع الاسلامى للمرحوم الخضرى بك ، طبعة مصر •

تاريخ الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن طباطبا ، طبعة أوربا •

تاريخ النجوم الزاهرة لابن تغريبردى ، طبعة أوربا •

البدء والتاريخ لأبى زيد البلخى ، طبعة باريس سنة ١٨٩٩ « ارنست لرو » •

الآثار الباقية للبيرونى ، طبعة ليبزج •

مختصر تاريخ الدول لأبى الفرج الملطى، طبعة بيروت •

تاريخ الاسحاقى ، طبعة أوربا •

فتوح الشام للواقدى ، طبعة مصر •

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، طبعة مصر •

ولاة مصر وقضاتها للكندى ، طبعة بيروت •

مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعى ، طبعة مصر •

كشف الظنون لحاجى خليفة ، طبعة الأستانة وليبزج ومصر •

المستطرف للابشيهى ، طبعة بولاق •

معجم البلدان لياقوت الحموى ، طبعة ليبزج ومصر •

المزهر للسيوطى ، طبعة بولاق •

الأحكام السلطانية للماوردى ، طبعة أوربا •

أعلام الناس للاتليدى ، طبعة مصر •

كتاب المعارف لابن قتيبة ، طبعة أوربا •

معجم الأدباء لياقوت الرومى ، طبعة مصر واشراف مرجليوث •

الفهرست لابن النديم ، طبعة ليبزج •

طبقات الأمم لابن صاعد ، طبعة بيروت •

طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، طبعة مصر •

تراجم الحكماء للقفطى ، طبعة مصر •

طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنبارى ، طبعة مصر •

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبعة مصر •

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ، طبعة مصر •

الملل والنحل للشهرستانى، طبعة مصر •

ألف باء ليوسف البلوى ، طبعة مصر •

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ، طبعة دار الكتب •

فتوح البلدان للبلاذرى ، طبعة ليدن •

كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذانى ، طبعة ليدن •

كتاب البلدان لليعقوبى ، طبعة ليدن •

مسالك الممالك للاصطخرى ، طبعة ليدن •

المسالك والممالك لابن حوقل ، طبعة ليدن •

أحسن التقاسيم للمقدسى ، طبعة ليدن •

المسالك والممالك لابن خرداذبه ، طبعة ليدن •

الأعلاق النفيسة لابن رستة ، طبعة ليدن •

حسن المحاضرة للسيوطى ، طبعة مصر •

بلوغ الأرب فى أحوال العرب للألوسى طبعة بغداد •

مقدمة الياذة هوميروس تعريب البستانى طبعة مصر •

حضارة الاسلام فى دار السلام لجميل مدور ، طبعة مصر •

كتاب الأغانى للاصبهانى ، طبعة بولاق والساسى •

الجزء الأول من كتاب الأغانى ، طبع مطبعة دار الكتب المصرية •

نهاية الأرب ، طبع مطبعة دار الكتب المصرية والنسخة الفوتوغرافية بالدار ٠
صبح الأعشى ، طبع مطبعة دار الكتب المصرية ٠
كتاب التاج المنسوب للجاحظ ، طبع مطبعة دار الكتب المصرية ٠
كتاب الأمالى لأبى على القالى ، طبع مطبعة دار الكتب المصرية ٠
كتاب الكامل للمبرد ، طبعة مصر ٠
كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، طبعة مصر ٠
العمدة لابن رشيق ، طبعة مصر ٠
كتاب المحاسن والمساوى للبيهقى ، طبعة فردرك شوالى ٠
كتاب المحاسن والاضداد للجاحظ ، طبعة ليدن ٠
كتاب البخلاء للجاحظ ، طبعة مصر ٠
كتاب الحيوان للجاحظ ، (نسخة فوتوغرافية محفوظة بدار الكتب المصرية) ٠
كتاب الكشكول للعاملى ، طبعة مصر ٠
سراج الملوك للطرطوشى ، طبعة مصر ٠
كتاب الخراج لقدامة بن جعفر ، طبعة ليدن ٠
كتاب الخراج لأبى يوسف ، طبعة بولاق ٠
تاريخ الوزراء المنسوب للصولى ، طبعة بيروت ٠
أشهر مشاهير الاسلام ، للمرحوم رفيق العظم بك ، طبعة مصر ٠
كتاب نفح الطيب ، طبعة مصر وأوربا ٠
مفاتيح العلوم للخوارزمى ، طبعة مصر ٠
مفيد العلوم للخوارزمى ، طبعة مصر ٠
كتاب المواهب الفتحية للمرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، طبعة مصر ٠
كتاب السيرة لابن هشام ، طبعة مصر ٠
مقدمة ابن خلدون ، طبعة مصر ٠
خطط الشام للأستاذ محمد كرد على ، طبعة دمشق ٠
مجموعة مجلة المشرق ، طبعة بيروت ٠
مجموعة مجلة المجمع العلمى ، طبعة دمشق ٠
مجموعة مجلة الهلال ، طبعة مصر ٠
مجموعة مجلة المقتطف ، طبعة مصر ٠
بعض فصول ومباحث من المجلة الأسيوية ٠
حديث الأربعاء للدكتور طه حسين ، طبعة مصر ٠
منهل الرواد فى علم الانتقاد لقسطاكى الحمصى بك ، طبعة مصر ٠
محاضرات الأستاذ الاسكندرى المدرس بدار العلوم ، طبعة مصر ٠
الوسيط للأستاذ الاسكندرى المدرس بدار العلوم ، طبعة مصر ٠
أدبيات اللغة العربية للأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، طبعة مصر ٠
أدبيات اللغة العربية للمرحوم عاطف بركات بك وزملائه ، طبعة مصر ٠
مهذب الأغانى للمرحوم الخضرى بك ، طبعة مصر ٠

بلاغـــة العرب للدكتور أحمد ضيف ، طبعة مصر .

الشـعر والشـعراء لابن قتيبة ، طبعة ليـــدن .

طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، طبعة ليدن ومصر .

كتاب الأذكياء لابن الجـــوزى ، طبعة مصر .

العقد الفريد للملك السـعيد ، طبعة مصر .

العقد الفريد لابن عبد ربه ، طبعة مصر .

لطائف المعارف للثعالبي ، طبعة ليدن .

عيـون الأخبار لابن قتيبة ، طبعة دار الكتب وأوربا .

حلبة الكميت ، طبعة بولاق .

خزانة الأدب لابن حجة الحموى ، طبعة بولاق .

خزانة الأدب للبغدادى ، طبعة بولاق .

محاضرات الفلسفة لسنتللانه بالجامعة المصرية .

محاضرات علم الفلك بالجامعة المصرية للسنيور كارلونلينو ، طبعة روما .

مفتاح السـعادة ومصباح السـيادة لطاشكبرى زاده طبعة حيدر آباد .

محاضرات الشـيخ عبد الوهاب النجار بالجامعة المصرية .

محاضرات المرحوم الشيخ محمد المهدى بالجامعة المصرية .

محاضرات الأستاذ الخضرى بك فى تاريخ الأمم الاسلامية ، طبعة مصر .

محاضرات الأستاذ الخضرى بك فى تاريخ الدولة الأموية ، طبعة مصر .

التمدن الاسلامى للمرحوم جورجى بك زيدان ، طبعة مصر .

تاريخ آداب اللغة العربية للمرحـــوم جورجى بك زيدان ، طبعة مصر .

طبقات ابن سعد ، طبعة أوربا .

طبقات الشافعية للسبكى ، طبعة مصر .

المنثور والمنظوم لابن طيفور .

رسالة بنى أمية للجاحظ ، خطية .

كتـــاب الوزراء والكتاب لأبى عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى طبعـة فينا سنة ١٩٢٦ .

كتاب الاشتقاق لابن دريد الأزدى طبعة جوتنجن سنة ١٨٥٤ .

الأوراق للصولى ، خطية .

مطبوعات تذكار جيب الانجليزية وخاصة مؤلفات الأستاذين مرجليوث وبراون .

زهر الآداب للحصرى ، طبعة مصر .

المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى ، طبعة أوربا .

الوافى بالوفيات للصـــفدى (المحفوظ بـــدار الكتب المصرية تحت رقـــم ١٢١٩) .

أخبار أبى نواس لابن منظـور ، طبعة مصر .

رسائل البلغاء للأستاذ محمد كرد علي ، طبع مصر .

جمهرة أشعار العرب لأبى زيد ، طبعة مصر .

المفضليات للضبى ، طبعة مصر .

حماسة البحترى ، طبعة بيروت ٠

الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، طبعة مصر ٠

الموشى لأبى الطيب ، طبعة أوربا ٠

ديوان الحماسة لأبى تمام ، طبعة مصر ٠

مجانى الأدب وشرحه ، طبعة بيروت ٠

مختارات البارودى ، طبعة مصر ٠

حياة الحيوان للدميرى ، طبعة مصر ٠

عيــون التواريخ لابن شاكر الكتبى (أجزاء منه محفــوظة بدار الكتب المصرية) ٠

الفرج بعد الشدة للتنوخى ، طبعــة مصر ٠

المصادر الإفرنجية :

Histoire des Arabes par Cl. Huart : Paris.

Life of Mohamet by Sir W. Muir. (London).

The Life and Teachings of Mohammed and the Spirit of Islam by Ameer Ali. (London).

D. S. Margoliouth : Mohammed and the Rise of Islam. (London) in « Heroes of the Nations' Series ».

H. Lammens : « Etudes sur les régnes des califs Omaiyades Moawie 1er et Yasid 1er ». (Beyrouth).

Library of Universal History (N.Y.).

History of Arabic Literature : Cl. Huart. (London).

A Literary History of Persia : Ed. G. Browne. (London).

A Literary History of the Arabs by R.A. Nicholson. (London).

Short History of the Saracens by Ameer Ali, (London).

The Caliphate : its rise decline and fall by Sir W. Muir. (London).

Annals of the Early Caliphate by Sir W. Muir. (London).

Baghdad during the Abbasid Caliphate by G. le Strenge. (Oxford).

Encyclopaedia of Islam. (Luzac).

Encyclopaedia Britannica. (London).

La Grande Encyclopédie. Paris.

The Historians' History of the World by H. S. Williams. (New York).

Ency. of Religion & Ethics by I. Hastings. (London).

The History of the Decline and Fall of the Roman Empire by Gibbon. (London).

The History of Philosophy in Islam by J. de and Boer translated by Jones. (London).

Muhammedanische Studien by Ignaz Goldziher, (Halle).

Histoire des Musulmans d'Espagne Jusqu'à la Conquète de l'Andalusie par les Almoravides by R. Dozy. (London).

Development of Muslim Theology. Jurisprudence and Constitutional Theory by D. B. Macdonald. (London).

Margolicuth's Works Etc.

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes. 1927.

Bibliothek Arabischer Historiker und Geographen : Hans V. Mzik. (Leipzig).

جابرييل باير
تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة

انطوني دى كرسبنى وكينيث مينوج
أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما

زافيلسكى ف. س
الزمن وقياسه (من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى مليارات السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوى
أجهزة تكييف الهواء

بيتر رداى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى

جوزيف داهموس
سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

س. م. بورا
التجربة اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

رونالد د. سمبسون ونورمان د. اندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د. انور عبد الملك
الشارع المصرى والفكر

والت وتيمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فرد . س. هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد على

الان كاسبيار
التذوق السينمائى

سامى عبد المعطى
التخطيط السياحى في مصر بين النظرية والتطبيق

فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
البذور الكونية

حسين حلمى المهندس
دراما الشاشة (بين النظرية والتطبيق) للسينما والتليفزيون ٢ ج

روى روبرتسون
الهيروين والايدز وأثرهما في المجتمع

دور كاس ماكلينتوك
صور افريقية . نظرة على حيوانات افريقيا

هاشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة

د. محمود سرى طه
الكومبيوتر في مجالات الحياة

بيتر لورى
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
وظائف الأعضاء في الألف الياء

ويليام بيتز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرتون
تربية اسماك الزينة

أحمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى

جون . ر. بورر وميلتون جولدينجر
الفلسفة وقضايا العصر ٣ ج

ارنولد توينبى
الفكر التاريخى عند الاغريق

د. صالح رضا
ملامح وقضايا في الفن التشكيلى المعاصر

م. هـ كنج وآخرون
التغذية في البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد أبو سديرة
الحرف والصناعات في مصر الاسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٣ ج

اريك موريس وآلان هو
الإرهاب

سيرل الدريد
اخناتون

ارثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم

ب. نوملان
الأساطير الاغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسى - تحليل المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة
المجلس الأعلى للثقافة
الدليل الببليوجرافى
روائع الآداب العالمية ج ١

روى آرمز
لغة الصورة في السينما المعاصرة

ناجاى متشيو
الثورة الاصلاحية في اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث غدا

ميكائيل البى وجيمس لفلوك
الانقراض الكبير

آدامز فيليب
دليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الأوركسترالى

ابو القاسم الفردوسى
الشاهنامة ٢ ج

بيرتون بورتر
الحياة الكريمة ٢ ج

جاك كرابس جونيور ،
كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر

محمد فؤاد كوبريلى
قيام الدولة العثمانية

توني بار
التمثيل للسينما والتليفزيون

تاجور ، شين يى تنج وآخرون
مختارات من الآداب الأسيوية

ناصر خسرو علوى
سفرنامة

نادين جورديمر وجريس اوجوت وآخرون
سقوط المطر وقصص اخرى

احمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى ٧ ج

جان لويس بورى وآخرون
في النقد السينمائى الفرنسى

العثمانيون في أوربا
بول كولز

موريس بيز برابر
صناع الخلود

زيجمونت هبز
جماليات فن الاخراج

جوناثان ريلى سميث
الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

الفريد ج. بتلر
الكنائس القبطية القديمة مصر ٢ ج

ريتشارد شاخت
رواد الفلسفة الحديثة

ترانيم زرادشت
من كتاب الأفستا المقدس

الحاج يونس المصرى
رحلات فارتيما

هربرت شيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد

بيتر نيكولز
السينما الخيالية

ادوارد ميرى
النقد السينمائى الأمر

نفتالى لويس
مصر الرومانية

سيفن اورمت
التاريخ من شتى جوانبه ٣ج

موسى برأج واخرون
السينما العربية من الخليج الى المحيط

فانس بكار
تهم يصنعون البشر ج

صابر محمد الجزار
ماستريخت

ابرار كريم الله
من هم التتار

ج. س. فريزر
الكاتب الحديث وعالمه
٢ ج

سوريال عبد الملك
حديث النهر
من روائع الآداب الهندية

لوريتو تود
مدخل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
الشموس المتفجرة
اسرار السوبر نوفا

مارجريت رور
ما بعد الحداثة

د. بيارد دودج
الأزهر فى ألف عام

ستيفن رانسيمان
الحملات الصليبية

هـ. ج. ولز
معالم تاريخ الانسانية
٤ ج

جوستاف جرونيباوم
حضارة الاسلام

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيرتون الى مصر والحجاز
٣ ج

جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجهول

ارنولد جزل واخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة
٢ ج

بادى اونيمود
افريقيا – الطريق الآخر

د. محمد زينهم
فن الزجاج

برنسلاو مالينوفسكى
السحر والعلم والدين

ادم متز
الحضارة الاسلامية

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر

عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو داجاما

ايفرى شاتومن
كوننا المتمدد

سوينداري
الفلسفة الجوهرية

مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل

فرانسيس ج. برجيس
الاعلام التطبيقى

عبده مباشر
البحرية المصرية من محمد على الى السادات

ج. كارفيل
تبسيط المفاهيم الهندسية

توماس ليبهارت
فن المايم والبانتوميم

ادوارد دوبونو
التفكير المتجدد

وليام هـ. ماثيوز
ما هى الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيناريو فى السينما الفرنسية

بول وارن
خفايا نظام النجم الأمريكى

جورج ستاينر
بين تولستوى ودوستويفسكى
٢ ج

يانكو لافرين
الرومانتيكية والواقعية

محمود سامى عطا الله
الفيلم التسجيلى

جوزيف بتس
رحلة جوزيف بتس

ستانلى جيه سولومون
انواع الفيلم الأمريكى

مارى ب. ناش
الحمر والبيض والسود

جوزيف م. بوجز
فن الفرجة على الأفلام

كريستيان ديروش نوبلكور
المرأة الفرعونية

جوزيف نيدهام
موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين

ليوناردو دافنشى
نظرية التصوير

ت. ج. هـ. جيمز
كنوز الفراعنة

رودولف فون هابسبرج
رحلة الأمير رودولف الى الشرق
٣ ج

مالكوم برادبرى
الرواية اليوم

وليم مارسدن
رحلة ماركو بولو ٣ ج

هنرى بيرين
تاريخ اوربا فى العصور الوسطى

ديفيد شنيدر
نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وآفاق المستقبل

رونالد دافيد لانج
الحكمة والجنون والحماقة

كارل بوبر
بحثا عن عالم افضل

نورمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد
اطلالات على الزمن الآتي

ممدوح عطية
البرنامج النووي الاسرائيلي والأمن القومي العربي)

ـ. ليوبوسكاليا
الحب

ايفور ايفانس
مجمل تاريخ الأدب الانجليزي

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بيتر
معجم التكنولوجيا الحيوية

الفين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شرارة
مشكلات القرن الحادي والعشرين والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء في خدمة الانسان

ت. ج. جيمز
الحياة ايام الفراعنة

جرج كاشمان
لماذا تنشب الحروب ٢ ج

حسام الدين زكريا
انطون بروكنر

ازرا ف. فوجل
المعجزة اليابانية

ونفرد هولز
كانت ملكة على مصر

جيمس هنري برستد
تاريخ مصر

بول داهير
الدقائق الثلاث الأخيرة

جوزيف وهاري فيلدمان
ديناميه الفيلم

ج. كونتنو
الحضارة الفينيقية

ارنست كاسيرر
في المعرفة التاريخية

كنت أ. كتشن
رمسيس الثاني

جان بول سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالمي

روزالند ، وجاك يانسن
الطفل المصري القديم

نيكولاس ماير
شرلوك هولز

ميجيل دي ليبس
الفئران

جوسيبي دي لونا
موسوليني

الوير جرايتز
موتسارت

علي عبد الرءوف البمبي
مختارات من الشعر الإسباني

روبرت سكولز وآخرون
آفاق أدب الخيال العلمي

ب. س ديفيز
المفهوم الحديث للمكان والزمان

س. هوارد
أشهر الرحلات الى غرب افريقيا

و. بارتولد
تاريخ الترك في آسيا الوسطى

فلاديمير تيمانيانو
تاريخ أوروبا الشرقية

جابرييل جارسيا ماركيز
الجنرال في المتاهة

هنري برجسون
الضحك

مصطفى محمود سليمان
الزلازل

م. و. ثرنج
ضمير المهندس

أ. ر. جرني
الحيثيون

ستينو موسكاتي
الحضارات السامية

د. البرت حوراني
تاريخ الشعوب العربية

محمود قاسم
الأدب العربي المكتوب بالفرنسية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٧٦٦٩/١٩٩٧

ISBN — 977 — 01 — 5255 — 2

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثاني إلى مواصلة مسيرة المشروع الأول بتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربي في شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف، فضلاً عن إعادة طبع الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية الهامة التي أسهمت في تكوين الثقافة المصرية والعربية في العصر الحديث.

وفي هذا الإطار يسعى المشروع إلى تسليط الضوء على تاريخ مصر وحضارتها عبر العصور، وقد أصدر ٢٣ كتاباً حتى الآن في هذا الموضوع:

موريس بيير برير، صناع الخلود

الفريد بتلر، الكنائس القبطية في مصر

نفتالي لويس، مصر الرومانية

ت. جيمز، كنوز الفراعنة

(انظر القائمة المفصلة داخل الكتاب)

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني والأخير من موسوعة هامة عن أخصب مراحل تكوين الحضارة العربية الإسلامية، ألا وهي عصر الخليفة العباسي المستنير المأمون. وتنقسم هذه الموسوعة النفيسة إلى ثلاثة كتب تعالج تاريخ الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية والحياة العملية والأدبية في كلا هذين العصرين، وأردف المؤلف ثلاثة ملاحق من مختاراته من المنثور والمنظوم والنصوص الطويلة والمقالات المستفيضة، مع اختيار كاتب وشاعر بارزين من العصر الأموي وكذلك العباسي لتحليل أعمالهما كمرآة لعصرهما. وقد صدرت موسوعة عصر المأمون في الطبعة الأصلية قبل أكثر من ٦٠ عاماً في ثلاثة أجزاء، ولكننا حرصنا في تلك الطبعة على ضمها في جزءين تيسيراً لاقتنائها والاطلاع عليها دون أدنى اختصار لمحتوياتها.

٩٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب